العدد
11

أيلول/سبتمبر
2021

افتتاحية العدد:
تحت عنوان
وميض المنطوق الأدبيّ
بقلم الأستاذة الدكتورة
مهى خير بك

محور العدد:
نساء عربيات رائدات
السيدة الرائدة
انطوانيت بشارة عبود
(ام وليد)
مقال تحت عنوان
لن اخون تاريخي.
بقلم الأستاذة المناضلة
رجاء بشارة

كتاب العدد:
كتاب عروة يقرأ ورد الياسمين
للمؤلف الشاعر العميد الدكتور محمد توفيق
ابو علي، نشر دار نريمان-بيروت لبنان
1- قراءة في مجموعة الشاعر الدكتور محمد
توفيق أبو علي "عروة يقرأ ورد الياسمين"
بقلم الأكاديمي الشاعر الدكتور: داوود مهنا
2 - «عروة يقرأ ورد الياسمين» هي حديقة
وَردٍ ساحرة .
بقلم الروائي الناقد الدكتور عماد حمزة

شخصية العدد:
الفريق سعد الدين
الشاذلي
(سَعد الدِّين الشَّاذِلي
...الرَّأي والسُّلطَة
الرَّسميَّة)
بقلم الأستاذ الدكتور
وجيه فانوس

شهادة رقم (504-2021)
معامل التأثير العربي
مجلة وميض الفكر للبحوث
ISSN: 2618-1312
قد حصلت على معامل التأثير العربي لعام 2020 وقدره 1.35

وميض الفكر

مجلة ربع سنوية علمية محكمة

كلمة العدد:
بقلم رئيسة التحرير
الدكتورة
هيفاء سليمان الإمام

الجمعية الوطنية
للثقافة والتطوير
علم وخبر
1193/أ.د

دار النهضة العربية

مجلة ربع سنوية علمية محكمة

© جميع الحقوق محفوظة
h_imamomais@hotmail.com
wameed.alfkr@gmail.com

مجلة ربع سنوية علمية محكمة

التعريف:

هي مجلة علمية محكمة ربع سنوية تصدر عن الجمعية الوطنية للثقافة والتطوير، علم وخبر 1193/أ. د، يرأس تحريرها: د. هيفاء سليمان الإمام، ويعنى بنشرها وتوزيعها:

دار النهضة العربية/ بيروت . لبنلن

وهي مرخصة من قبل وزارة الإعلام (بعد استشارة وموافقة نقابة الصحافة اللبنانية) تحت رقم 928 والمنشور في الجريدة الرسمية بقرار 475/2018،

حائزة على: الـ issn للطبعة الورقية رقم 1312-2618

وللنسخة الإلكترونية – e-copy رقم 1320-2618

IF: Ref.No: 2020 J101

DOI: 1018756/2020 J101

code ARCI-2007-1110

دار النهضة العربية

مجلة « وميض الفكر» للبحوث
مجلة علمية محكمة ربع سنوية
تخصص: تربية وعلوم إنسانية
العدد الحادي عشر أيلول 2021

هيئة الإدارة والتحرير

المشرف العام على المجلة: الأستاذ الدكتور علي مهدي زيتون
المستشار العلمي والبحثي في المجلة: الدكتور يوسف السبعاوي
رئيسة التحرير: د. هيفاء سليمان الإمام
مديرة التحرير: أ. لينا محمد عبد الغني

الاتصال والمراسلات:
هواتف المجلة: 009613691425
فاكس المجلة: 009618630280
الموقع الإلكتروني:www.wameedalfikr.com
البريد الإلكتروني:wameed.alfkr@gmail.com
البريد الإلكتروني لرئيسة التحرير: h_imamomais@hotmail.com
الإشتراكات: لبنان والدول العربية 100 $ سنوياً، باقي دول العالم 125 $ سنوياً.

فهرس المحتويات

الهيئة العلمية المحكمة في هذا العدد:.....7
رؤية المجلة:.....9
هدف المجلة:.....9
قواعد التحكيم في مجلة وميض الفكر.....10
قواعد النشر في مجلة وميض الفكر للبحوث.....11
افتتاحية العدد: تحت عنوان: **وميض المنطوق الأدبيّ**
بقلم الأستاذة الدكتورة مهى خير بك 13
كلمة العدد: لمحة عن ما تحتويه المجلة.
بقلم رئيسة التحرير الدكتورة هيفاء سليمان الإمام.....15
شخصية العدد: الفريق سعد الدين الشاذلي (سَعد الدِّين الشَّاذِلي ...الرَّأي والسُّلطة الرَّسميَّة)
بقلم الأستاذ الدكتور وجيه فانوس 18
محور العدد: نساء عربيات رائدات: السيدة الرائدة انطوانيت بشارة عبود (ام وليد)
مقال تحت عنوان: **لن اخون تاريخي.**
بقلم: الأستاذة المناضلة رجاء بشارة 39
كتاب العدد: كتاب عروة يقرأ ورد الياسمين
للمؤلف الشاعر العميد الدكتور: محمد توفيق ابو علي، نشر: دار نريمان–بيروت لبنان.....44
1– قراءة في مجموعة الشاعر الدكتور محمد توفيق أبو علي "عروة يقرأ وِرد الياسمين"
بقلم: الأكاديمي الشاعر الدكتور: داوود مهنا.....45
2– «**عروة يقرأ وِرد الياسمين**» هي **حديقة وَردٍ ساحرة .**
بقلم: الروائي الناقد الدكتور عماد حمزة.....53

أبحاث العدد 11:

باب التربية وعلم النفس:
1. الأنماط القيادية السائدة لدى مديري مدارس المرحلة المتوسطة بمنطقة حولي التعليمية بدولة الكويت وعلاقتها بالولاء التنظيمي لمعلميهم من وجهة نظرهم
بقلم :الدكتورة: فاطمة حمزة عباس المطوع 56
باب التاريخ:
1.الغزو الثقافي للمجتمع العربي وكيف تعاملت وسائل الاعلام معه.
بقلم: الدكتورة نضال سليمان الإمام 97
2. التنوع البشري: الأنواع والمخاطر
بقلم:الأستاذ الدكتور وليد انطون الشوملي.....113

3. الهوية اللبنانية والانقسامات السياسية 1920 – 2020
بقلم: الدكتور حسن ابراهيم 126
4. دور الاخوان المسلمين في حركة المعارضة اليمنية 1929-1947
بقلم: المدرس المساعد: وجدان كارون فريح.....153
باب النقد والأدب:
1. الأبعاد الدلالية للمكان وربطها بالشخصيات في روايتي «بيروت لا تغفر» و «حي الأميركان»
بقلم: الدكتور: علي سعيد أيّوب.....194
2. فن الوصف عند الشيخ عبد الله بن فودي (دراسة فنية موضوعية)
بقلم: الدكتور أبُو سليمانُو.....217
3. **نموذج المكار في الأدب الخرافي بين شوقي ولافونتين**
بقلم: الدكتور ادريس باكاري.....238
باب العلوم الاجتماعية والفلسفة
1. مستقبل الإنسانية زمن الكورونا
بقلم الدكتورة الباحثة: ريم منصور.....261
باب الإعلام:
1. دور الإعلام الكردي في تطوير العلاقات العربية –الكردية بين (القومية والعولمة)
بقلم: د.خالد ممدوح العزي 281
2. سياسة استقطاب الوفود الاعلامية والفنية العربية الى العراق ودورها في فضح الفكر الارهابي المنحرف لتنظيم داعش
بقلم كل من الباحثين: د. عماد مطير الشمري والباحثة سجى لعيبي كاظم.....310
ابحاث باللغة الفرنسية:
1- Le français sur objectif spécifique (Fos) La formation du personnel hôtelier d'une entreprise touristique libyenne
M. Mahmoud Omar Ibrahim Hmouda.....6
2- L'ÉROSION DANS LE BASSIN VERSANT DE BERDAWNI
Tonia Tanios Ghanem ET Dr. Naji Joseph Kehdy.....39

الهيئة العلمية المحكمة في هذا العدد:

1.أ.د. أحمد فارس: (لبنان) كلية الدعوة الإسلامية في بيروت، وأستاذ اللغة العربية والآداب في الجامعة اللبنانية وفي جامعة بيروت العربية.

2.أ.د. حسان حلاق: (لبنان)جامعة بيروت العربية، أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر في كلية الأداب والعلوم الإنسانية، ومؤرخ.

3.أ.د. رحيم حلو محمد شناوة البهادلي(العراق) أستاذ تاريخ الحضارة والفكر الإسلامي في كلية التربية _جامعة البصرة.

4.أ.د. ريما مولود: (لبنان) استاذة جامعية ورئيسة الفرقة البحثية في اللغة الفرنسية وآدابها في المعهد العالي للدكتوراه –الجامعة اللبنانية.

5.أ.د. عبد المجيد عبد الغني(لبنان):خبير دولي في التعليم والتدريب والتخطيط الاستراتيجي مديرعام شركة عبرالحدود للاستشارات والتدريب– لبنان.

6.أ.د. عفيف عثمان: (لبنان)أستاذ الفلسفة في كلية الآداب والعلوم الإنسانية في الجامعة اللبنانية.

7.أ.د. علي زيتون: (لبنان) جامعة المعارف، رئيس مجلس الأمناء فيها، ورئيس الملتقى الثقافي الجامعي ورئيس قسم اللغة العربية في الجامعة اللبنانية.

8.أ.د. علي محمود شعيب:(مصر) أستاذ الصحة النفسية في كلية التربية – جامعة المنوفة، قسم علم النفس التعليمي.

9.أ.د. لبيب بسول: (فلسطين) أستاذ مشارك في كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية في جامعة خليفة أبو ظبي– الإمارات.

10.أ.د. محمد توفيق أبو علي: (لبنان)الجامعة اللبنانية، أمين عام اتحاد الكتاب اللبنانيين،وعميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية سابقاً وأستاذ اللغة العربية فيها.

11.أ.د. مصطفى معروف موالدي(سوريا)، أستاذ التاريخ في جامعة حلب وعميد معهد التراث العلمي العربي فيها.

12.أ.د. نشأت الخطيب: (لبنان)أستاذة التاريخ الإسلامي في الجامعة اللبنانية وفي جامعة بيروت العربية.

13.أ.د. وجدان فريق عناد: (العراق)جامعة بغداد، أستاذة التاريخ الإسلامي فيها، اختصاص تاريخ وحضارة الأندلس، ورئيسة تحرير مجلة التراث العلمي العربي في

العراق.

14.أ.د.مهى خير بك ناصر: (لبنان) استاذة الدراسات العليا ورئيسة الفرقة البحثية للغة العربية وآدابها في المعهد العالي للدكتوراه –الجامعة اللبنانية.

15.أ. د. هالة أبو حمدان:(لبنان)أستاذ مساعد في مادة القانون في كلية الحقوق والعلوم السياسية في الجامعة اللبنانية.

16.أ.د.وجيهة الصميلي (لبنان): رئيسة قسم اللغات في كلية التربية/ الجامعة اللبنانية.

17.الدكتور ابراهيم جواد (سوريا:) استاذ في الشريعة من جامعة دمشق وشاعر ومؤلف لعدد كبير من الكتب المنشورة .

18. د. رشيد محمد الرهوي أستاذ النحو واللغة المشارك في كلية التربية زنجبار، جامعة أبين، ونائب العميد لشؤون الطلاب في كلية العلوم الإدارية.

19.دكتور عادل حسن طه(السودان): أستاذ اللغة العربية بكلية التربية، جامعة السلام – السودان

20.الدكتور موسم عبد الحفيظ (الجزائر): أستاذ محاضر "أ" ودائم في قسم العلوم الإنسانية بجامعة سعيدة ، وعضو في المجلس العلمي لكية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الدكتور مولاي الطاهر – سعيدة. أستاذ مؤقت في قسم التاريخ بجامعة تلمسان.

21.الدكتورة شيماء نصيف عناد محمد: (العراق) استاذ مساعد في كلية التربية – جامعة واسط / قسم العلوم التربوية والنفسية.

رؤية المجلة:

تتطلع الهيئة العلمية المشرفة على مجلة وميض الفكر للبحوث التربوية والعلوم الإنسانية إلى أن تكون المجلة منصة أكاديمية للبحث العلمي المميز على مستوى الوطن العربي بحيث تساهم في تعزيز بيئة البحث العلمي بتنفيذ أكبر قدر من المشاريع والمتطلبات الأكاديمية للطلبة والباحثين، كما أنها تتطلع إلى الريادة في مجال البحث العلمي من خلال النمو المستمر بالأفكار والتطوير الذي لا يتحقق إلا من خلال نخبة من الباحثين والمهتمين بهذه المجالات.

أهداف المجلة:

تهدف مجلة وميض الفكر للبحوث إلى توفير مرجع علميّ وتلبية حاجة الباحثين على المستويات المحلية والإقليمية والعالمية في النشر العلمي خاصة في مجال التربية والعلوم الإنسانية.

فهرسة وأرشفة النتاج العلمي والمعرفي العربي في كبرى قواعد البيانات العلمية العالمية.

توفير عملية مراجعة ونشر سريعة وفعالة للبحوث والأوراق العلمية.

قواعد التحكيم في مجلة وميض الفكر للبحوث:

على المحكم أن يقدم إلى إدارة المجلة تقريراً مفصلاً عن تقييمه للبحث المرسل إليه لتحكيمه ضمن المعايير المعتمدة في المجلة ويكون على الشكل التالي:

الصفحة الأولى:

التوجه إلى إدارة المجلة.

الموضوع.

المرجع.

اسم المحكم وصفته ودرجته العلمية.

التاريخ.

الصفحة الثانية:

عرض أهم نقاط البحث

الصفحة الثالثة:

الإجابة عن الأسئلة التالية:

هل موضوع البحث ينسجم مع تخصص الباحث؟

هل يعتبر البحث من البحوث المهمة في موضوعه؟

كيف يتم عرض البحث وكتابته ووضوحه؟

هل إشكالية البحث واضحة في عنوان البحث وفي مضمونه؟

ما هو منهج البحث الذي اعتمده الباحث؟

هل البحث يعتبر إسهاماً في مجال البحث العلمي الرصين؟

ما هو رأيك بنتائج البحث؟

ما هي حداثة المراجع وأهمية المصادر المعتمدة في البحث؟

الصفحة الأخيرة:

علامات التقييم:

ما هو تقييمك لجودة وعاء النشر وسعة انتشاره (المجلة)؟

هل يعتبر البحث أصيلاً؟

هل البحث صالح للنشر؟

قواعد النشر في مجلة وميض الفكر للبحوث

ترحّب المجلة بنشر البحوث والدراسات العلمية المتخصصة ذات الصلة بالعلوم التربوية واللسانيات والأدب والنقد المقارن والدراسات الفكرية والفلسفية والاجتماع والجغرافيا والفنون والتراث الشعبي والأنثروبولوجيا والآثار.

وتتصدى المجلة بالبحث الرصين والتحليل العلمي الموضوعي لأهم الظواهر التي تقع تحت مظلة العلوم التربوية والإنسانية.

أولاً: قواعد عامة:

تنشر المجلة البحوث والدراسات الأكاديمية الأصيلة، وتقبل للنشر فيها البحوث المكتوبة باللغة العربية، أو اللغة الإنجليزية أو الفرنسية التي لم يسبق نشرها، وفي حالة القبول يجب ألا تنشر المادة في أي دورية أخرى دون إذن كتابي من رئيس التحرير.

تنشر المجلة الترجمات، والقراءات ومراجعات الكتب، والتقارير، والمتابعات العلمية حول المؤتمرات، والندوات، والنشاطات الأكاديمية المتصلة بحقول اختصاصها، كما ترحب بالمناقشات الموضوعية لما ينشر فيها، أو في غيرها من المجلات، والدوريات، ودوائر النشر العلمي.

ثانياً: البحوث أو المقالات:

ترسل البحوث مطبوعة مصححة بصورتها النهائية مدققة لغوياً على قرص ممغنط يتضمن البحث، والخلاصة باللغات العربية والإنجليزية أو العربية والفرنسية. ويمكن إرسالها عبر البريد الإلكتروني للمجلّة.

توجّه جميع المراسلات باسم رئيس تحرير المجلة أو الجمعية الوطنية للثقافة والتطوير، لبنان – البقاع / شتورا.

يقدّم الأصل مطبوعاً على الحاسوب وذلك باستخدام نظام الـ Word 2003، مع الالتزام بنوع الخط (Arabic Simplified) وحجم الخط (size 14)، التباعد بين السطور (1 سم) على ألا تزيد عدد صفحاته على 20 صفحة مطبوعة (أو مكتوبة بخط واضح) مضبوطة ومراجعة بدقة، وترقّم الصفحات ترقيماً متسلسلاً بما في ذلك الجداول، والأشكال.

تطبع الجداول، والصور، واللوحات على أوراق مستقلة، ويشار في أسفل الشكل إلى مصدره، أو مصادره، مع تحديد أماكن ظهورها في المتن.

يذكر الباحث اسمه وجهة عمله وعنوانه الإلكتروني صورة له على ورقة مستقلة، ويجب

إرفاق نسخة من السيرة العلمية إذا كان الباحث يتعاون مع المجلة للمرة الأولى، وعليه أن يشير فيما إذا كان البحث قد قدم إلى مؤتمر، أو ندوة وأنه لم ينشر ضمن أعمال المؤتمر.

يمنح الباحث نسختين من العدد الذي يتضمن بحثه، كما يمنح أصحاب المناقشات، والمراجعات والتقارير، وملخصات الرسائل الجامعية نسخة من العدد الذي يتضمن مشاركاتهم.

يسدد الباحث رسماً رمزياً قيمته 100 دولار أميركي مقابل نشر البحث، أو يساهم في شراء وتوزيع خمس عشرة نسخة من العدد الوارد فيه بحثه.

ثالثاً: المصادر والحواشي:

يشار إلى جميع المصادر بأرقام الحواشي التي تنشر في أواخر البحث، ويجب أن تعتمد الأصول العلمية المتعارفة في التوثيق والإشارة بحيث تتضمن:

اسم المؤلف، وتاريخ النشر، وعنوان الكتاب، أو المقال، واسم الناشر، أو المجلة، ومكان النشر إذا كان كتاباً، والمجلد، والعدد، وأرقام الصفحات إذا كان مقالاً.

يزود البحث بقائمة للمصادر منفصلة عن الحواشي، وفي حالة وجود مصادر أجنبية تضاف قائمة بها منفصلة عن قائمة المصادر العربية، ويراعى في إعدادها الترتيب الألفبائي لأسماء المؤلفين.

رابعاً: إجازة النشر:

يجري إبلاغ أصحاب المساهمات بتسلم المادة خلال شهر من تاريخ التسليم، مع إخبارهم بقبولها للنشر، أو عدم القبول بعد عرضها (في حالة البحوث) على محكمين، تختارهم المجلة على نحو سري، أو بعد عرضها على هيئة التحرير (في حالة المساهمات الأخرى)، وللمجلة أن تطلب إجراء تعديلات شكلية، أو شاملة على البحث قبل إجازته.

ملاحظة: إن الأفكار والآراء المطروحة والمتداولة في صفحات المجلة لا تعبر بالضرورة عن خيارات واتجاهات تتبناها المجلة، بل إنها تخص الكاتب وحده مع احترام حق الرد والرد عليه إن كان ذلك مناسباً.

كما أن المجلة لا تتحمل تبعات أي موقف قد يثير إشكالاً في مادة البحث، والباحث هو المسؤول عن كل ما يكتبه أمام القانون.

افتتاحية العدد:

وميض المنطوق الأدبيّ

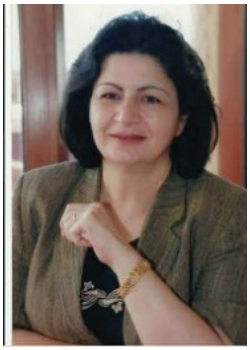

بقلم الأستاذة الدكتورة مهى خير بك ناصر

شاعرة وأستاذة الدراسات العليا ورئيسة الفرقة البحثية للغة العربية وآدابها

في المعهد العالي للدكتوراه سابقا – الجامعة اللبنانية.

يتخذ المنطوق الأدبي أجسادًا نصيّة تتقمص الفكرة الروح التي يريد المبدع نفخها في النص، فتمايزت الأنساق الأدبية بتمايز مبدعيها لغة وحضارة وثقافة وطاقات خلق، فكان لكلّ مجتمع إنساني تراث أدبيّ فرضته نظرة الشعوب إلى الكون والحياة، فتجسّدت الرؤيا فكراً إنسانيًّا، أنجزته فذوذية إبداعية، نطقت بحقيقة ما تبثه الروح الفنية المُدرِكة ذاتها، وسجّلت محصلات اختباراتها وتجاربها إنجازاتٍ فكرية نابضة بالحقائق والأسرار والمعارف والتطلعات، والرؤى، فجاء المنتج الأدبيّ استشرافًا للمستقبل بقدر ما يرتبط بالأصالة.

مما لا شكّ فيه أنّ المنتج الأدبيّ الإبداعيّ منغلقٌ على حقائق إنسانيّة، باحت بها نفسٌ تُدرك الماضي والحاضر وتتنبأ بالمستقبل، لأنّ النص الإبداعيّ جاء ثمرة تفاعل بين موروث فكريّ/أصل، وتصورات ذهنية/فرع، فاكتسب العمل خاصيتي الأصالة والجدة، ووسِم بمزايا الجودة الفنية والصدق العاطفي والعقلانيّة المنظِمة، بوصفه نتاجَ تجربةٍ إنسانيّة خضعت عناصرها لمجموعة من المؤثرات النفسية والثقافيّة والاجتماعيّة والدينية والسياسيّة وغيرها من عوامل ثابتة/ متحوّلة تفرضها حركيّة الحياة.

يقترن وجود الإنسان المبدع، على مستوى الكتابة الأدبيّة، بخلق النموذج الأدبيّ الأكثر غرابة ومغايرة، من حيث النسق، والأكثر إغراءً وفاعلية، من حيث الرموز والدلالات، والأكثر قدرة على الاستمرار في الآتي، بوصفه نشاطًا عقليًّا وخيارًا ثقافيًّا، له منطلقاته ومساراته وأهدافه. بمعنى آخر، إنّ فاعلية العمل الإبداعيّ مشروطة بوجود الإنسان المبدع المحدِث القادر على إحداث تغيير يؤسس لحركة فكريّة أدبيّة ترفض جهوزية النموذج، وتتبنى الدعوة إلى خلق فني ممهور بالجدة والفرادة.

تبشّر الكتابة الإبداعيّة، إذًا، بتفعيل عملية الوعي بالتراث، ومن ثم إعادة إنتاجه بأدوات العصر وحاجاته وتطلعاته ورؤاه؛ لأنّ عملية فرز التراث وتحليله وإعادة إنتاجه تكشف للمبدع العربي الوشائج اللامرئية بين تراثه، وتراث الأمم الأخرى، فالذات الإنسانية واحدة، وبالتالي فإن موروثها الثقافي متشابه ومتداخل ومتشابك من حيث المعنى الدلالي، فالإرث الثقافي الحي يحفظ انفعالات النفس البشرية لحظة احتكاكها بنورٍ معرفي، أسهم في خلق إضافات إلى فضاء الفكر الذي يرتاده المبدعون، حيث تتكامل الحركات وتتلاقح بغية توليد تراث كونيّ متحرر من التعريفات والحدود والانتماءات، فيكون تكريس اللحظات الإبداعيّة أكثر إشراقاً كونياً.

فهل ستستطيع مجلة وميض المتمايزة بالتنوّع الفكريّ والثقافيّ والحضاريّ والأدبيّ أن تكرّس اللحظات الإبداعيّة المعاصرة أصالة لحداثة مستقبليّة؟؟ مما لا شكّ فيه أنّها تشكّل ومضة فكريّة في واقع ثقافيّ مأزوم ومشحون بالتناقضات والاستسهال والشللية والنفعية، وهي مجلة ثرية بالمقالات والبحوث والدراسات الهادفة إلى إغناء الفضاء الثقافيّ بالجديد المؤسس على الأصالة، وهي قادرة، أيضًا، على خلق النور المعرفيّ من وميض الفكر في الساحات الثقافيّة المعاصرة.

كلمة العدد:

بسم الله الرحمن الرحيم

بقلم رئيسة التحرير الدكتورة هيفاء سليمان الإمام

حضرات القراء الأعزاء... اسمحوا لي في قسم **كلمة العدد** أن أقدم لكم ما احتوت عليه مجلة وميض الفكر في عددها الحادي عشر من ايلول2021.

أولاً: لا بد لنا جميعاً في هذه الظروف القاسية من التكاتف في تحمل مسؤولياتنا بإيمان وصبر، فالأمم لا تبعث بهمة شخص، بل بصدى همته في نفوس مجتمعه ومن حوله، وبتحمله وتحملهم مسؤولية العمل بهذه الهمة، فالمسؤولية حرية... والعبيد إذا وصلوا إلى السلطة حولوا كل شيء إلى عبودية واستعباد وعبيد، ورجل السلطة الحقيقي هو الرجل الحر والحر لا يستعبد، الحر يحرر. وإن الله يكلفك بقدر ما يعطيك، وإن النصر مع الصبر، وإن الفرج مع الكرب، وإن مع العسر يسرا. وفي هذا المجال يقول محمد الماغوط: لا أراهن على نفاد الخبز، أو الماء، أو الوقود بل أراهن على نفاد الصبر. ولا بد أن نكون بعيدي النظر بحيث نثق بالنتيجة النهائية التي ستتمخض عن هذا الصبر، وعن اليقين بأن الخلاص آتٍ، فالإسلامُ الذي هو ثقافة أمتنا بكل مكوناتها، بُنِي على أربعِ دعائم: اليقينُ، والصبرُ، والجهادُ، والعدلُ.

ثانياً: إن **افتتاحية العدد** الحادي عشر من مجلة وميض الفكر قدمت بقلم شاعرة عربية تمرست الصبر برقي الإيمان العميق، إنها الأستاذة الدكتورة مهى خير بك ناصر، التي كتبت مقالة تحت عنوان: **وميض المنطوق الأدبيّ**، متسائلة عن قدرة مجلة وميض الفكر في تكريس اللحظات الإبداعيّة المعاصرة أصالة لحداثة مستقبليّة؟؟ نعم ورغم هذا

الواقع الثقافيّ المأزوم والمشحون بالتناقضات، إننا نجهد بتواضع الى خلق النور المعرفيّ من وميض الفكر لينير الساحات الثقافيّة المعاصرة.

ثالثاً: اعتادت مجلة وميض الفكر منذ انطلاقتها تسليط الضوء على شخصية تاريخية مشعة في تاريخ أمتنا وقد وقع الاختيار على الفريق اللواء **سعد الدين الشاذلي** ليكون **شخصية العدد** الحادي عشر من وميض الفكر، وكان **الاستاذ الدكتور وجيه فانوس** العروبي الناصري المتعمق علماً تاريخياً وأدبياً مشهودا له، من أفضل من يقدم هذا الرجل، فكتب بحثاً علمياً وموضوعياً، فأعطى هذه الشخصية العظيمة ما تستحقه من حقائق وحقوق، وقد كان تحت عنوان **سَعد الدِّين الشَّاذِلي الرَّأي والسُّلطة الرَّسميَّة.**

رابعاً: ولأننا نفخر بكل امرأة مناضلة على درب الجلجلة، كان **محور العدد،** الذي هو دائما تحت شعار **نساء عربيات رائدات،** لتكون رائدة هذا العدد أمّا مثالية ومناضلة عنيدة وسنديانة الدفاع عن مقدسات الأمة والوطن، إنها السيدة **أنطوانيت بشارة عبود** (أم وليد)، التي أقسمت في زمن الخيانات ألّا تخون تاريخها المشع نور مقاومة، لأن نبراسه استمر ينزف دماً زاكيا يسقي عطش حق كاد يضيع. وقد قدمتها **المناضلة الأستاذة رجاء بشارة،** حيث سلطت الضوء على سيرتها التي تعد مثلا يحتذى لكل شريف بما احتوته هذه السيرة من صبر وقهر وسعادة انتصار.

خامساً: اخترنا لكم كتاب **عروة يقرأ ورد الياسمين** ليكون كتاب العدد، وهو للمؤلف الشاعر العميد الدكتور: **محمد توفيق أبو علي.** هي مجموعة نصوص، تتوزّع بين شعرٍ، وحكايات، وخواطر. وهي صّادرة عن دار ناريمان للنّشر والطّباعة والتّوزيع. وقد كتب عنه كل من: **الدكتور داوود مهنا** في مقالة تحت عنوان: قراءة في مجموعة الشاعر الدكتور محمد توفيق أبو علي «عروة يقرأ وِرد الياسمين»، **والدكتور:عماد حمزة** في مقالة تحت عنوان: «عروة يقرأ وِرد الياسمين» هي حديقة وَرد ساحرة.

سادساً: في قسم البحوث قدمنا لكم في هذا العدد ثلاثة عشر بحثاً علمياً أصيلاً، قمنا بتحكيمها وتدقيقها لغويا، وقد توزعت هذه الأبحاث على الأبواب التالية: باب التربية وعلم النفس، باب التاريخ، باب النقد والأدب، باب العلوم الاجتماعية والفلسفية، باب الإعلام، وأخيراً باب بحوث اللغات الأجنبية، متمنية أن تنال إعجابكم وتكون إضافة علمية على مكتبتنا العربية.

شخصية العدد:

قائد العبور الفريق سَعد الدِّين الشَّاذِلي

سَعد الدِّين الشَّاذِلي
الرَّأي والسُّلطة الرَّسميَّة

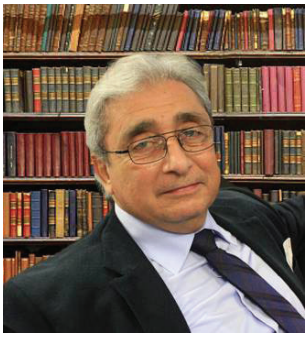

الدكتور وجيه فانوس
أستاذ في المعهد العالي للدكتوراه
في الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية
الجامعة اللبنانية

تمهيد

ليس الغرض الأساس، من هذا العمل، تقديم جديد أو غير معروف من سيرة الفريق الأول سعد الدين الشَّاذلي؛ خاصّة وأن هذا الموضوع قد حظي بنشر تفاصيل كثيرة عنه. أبرز ما نشر في هذا الشأن، وتحديدا جوانبه العسكرية، ظهر في مجموعة من الكتابات وضعها الشاذلي، بنفسه، ومنها ما نشرته دور نشر عالمية، وبلغات أجنبية، وبشكل خاص باللغة الإنكليزية؛ وثمة عديد من الأعمال التي وضعها باحثون عرب وأجانب، تناولت سيرة الشَّاذلي ومسيرته؛ لاقت، كذلك، اهتماماً دولياً وأجنبياً واسعاً.

الغاية من هذا العمل، وإن كان التوكّؤ الغالب فيه على المادة المعرفية التاريخية، وتحديداً النواحي العسكرية منها؛ فهو البحث في رؤيةٍ للعلاقة بين «الرَّأي والسُّلطة الرَّسمية»؛ وخاصّة من خلال ما يشي به واقع الحال في العالم العربي، في المرحلة التي عاش فيها سعد الدين الشَّاذلي، وعاين خلال هذا العيش ما عاناه من أمور نهضت، في معظمها، عبر جدلية للعلاقة بين الرأي والسُّلطة.

يشهد العالم العربي، وسواه من بعض مناطق العالم، جنوحاً ما نحو تغليب الرؤية الذاتية، أو الانفعالية، في اتخاذ القرارات، وخاصّة في مجالات الشأن السياسي العام، على التوجهات العلمية أو الموضوعية، لدى المسؤولين النهائيين عن اتّخاذ القرارات. ولعل نظرة بعض القيمين على الأمور، في مجالات السلطة العامة، إلى تمييز من يتعاملون معهم، بين من هم «أهل الثقة»، من جهة، ومن هم «أهل الخبرة»، من جهة أخرى؛ ما قد يساهم في تبيان هذا الواقع والإضاءة عليه. إن «أهل الخبرة»، وإن كانوا في موقع المسؤولية عن تقديم الرأي الموضوعي المستند إلى المعرفة العلمية والخبرة المكتسبة، قد لا يحظون، من جهة أهل السلطة الرسمية، بما يعطي أولوية عملية لآرائهم هذه، إذ قد يميل ناس السلطة الرسمية إلى إعطاء ارتياح أكثر لما تبينه لهم رؤاهم الذاتية وارتباطاتهم الخاصّة، فضلاً عن راي من يرتاحون شخصياً إليهم من المعاونين، والذين يعتبرونهم من «أهل الثقة». هي، إذن، الخلفية المنطقية الكامنة وراء اتخاذ القرار، أياً كان هذا القرار، أتكون «الرؤية» العلمية بما تنهض عليه من موضوعية، أو تكون «الرؤيا» الذاتية، بما تختزنه من انفعال وأهواء؟

كان الشَّاذلي، وخاصّة في مسيرته العسكرية وضمن مسؤولياته في هذه المسيرة، في موقع لإبداء الرأي؛ كما كان، في مواقع معينة، مسؤولاً عن مبادرته في جعل رأيه تصرّفاً تنفيذيا، ترتبط بنتائجه مصائر مَن هو مسؤول عنهم؛ ولا بدّ له، تالياً، مِن مواجهة العواقب العملية لهذا الرأي، الذي اعتقده وقام بتنفيذه، أمام رؤوسائه، العسكريين منهم كما السياسيين.

شكلت تجربة الشَّاذلي، بنائية صراعية للرأي؛ إذ صاحبها ليس مجرد إنسان رأيٍ، بل كما هو مسؤول عن رأيه تجاه نفسه وقناعاتها، فإنه كذلك مسؤول، بصورة عمليَّة، تجاه من هو قيِّم عليهم وعلى مصيرهم مِن مرؤوسيه. ويبقى، أنّ لهذا الحال من البناء، وجههُ الآخر، وهو مسؤولية الشَّاذلي، المرؤوس، وليس الرئيس، عن رأيه، تجاه مرؤوسيه؛ وموقفه، ومسار رأيه ومصيره، الوظيفي والشخصي، جرّاء هذا الرأي، في مواجهة سلطة رؤوسائه لقراراته وتجاه شخصه.

إنها بنائيّة صراعيّة، تكاد تتماثل إلى حد كبير، ببعض البنائيَّات الصِّراعيَّة التي اشتُهرت بها بعض المسرحيات الإغريقية الكلاسيكيَّة؛ والتي ما برح، تاريخ الدراما، يغتني بفنيّتها، ويعتز الوعي الإنساني المتحضر، بأبعادها الإنسانية وأعماق هذه الأبعاد؛ ولا غرو في أن يكون هذان، الاعتزاز والاغتناء، اغتناءً واعتزازاً للحدث، بحد ذاته، كما للذات الإنسانية في حيوية وجودها عبر معايشتها للحدث ونتائجه.

يشهد كثيرون، في أرجاء العالم، لسعد الدين الشَّاذلي أنه بطل عسكري ينماز بقوة حضوره وفاعلية هذا الحضور؛ فهل بالإمكان أن تكون، في المقابل، ثمة شهادة له بدرامية حضوره الإنساني، عبر ما مارسه، وعاينه وعاناه، من مساعيه للرقي بهذا الحضور إلى مصاف سامية، من عظمة الفكر وروعة التفاعل معه؟

هل الشَّاذلي، كما هو أنموذج رائع لبطل في عسكريّته؛ يشمخ، كذلك، مثالاً ساطعاً للسموِّ الإنساني في العظمة الدرامية لمعاناته؟!!

إشارة: كان الاعتماد، في هذا العمل، على مكتبة قوامها، بصورة أساس، الكتابات التي تناولت سيرة الفريق الشَّاذلي، ومنها ما وضعه الشَّاذلي بنفسه أو أشرف عليه؛ فضلاً عن مختارات من أعمال وضعها باحثون عرب وأجانب، سعت إلى أن تسد فراغات معينة لم يشر إليها الشَّاذلي، أو عمدت إلى الإضاءة على أمور لم تظهر، في ما كتبه الشَّاذلي، بالوضوح الكافي.

يبقى أن التوثيق المفصل لمادة العمل، وإحالة كل ما يرد فيها إلى موقعه من المصدر أو المرجع، كاد أن يطغى، لكثرته، على متعة القراءة ودقة المتابعة؛ ولذا، ولما كانت المادة المعرفية عن الشَّاذلي منتشرة بقوة، كان التركيز، ههنا، على العرض، والاكتفاء ببيان أن المادة المعرفية المستخدمة في العمل، مأخوذة من المكتبة المرفقةِ التي وُضعت، في غالبيتها، من قبل سعد الدين الشَّاذلي، شخصياً، ومن باحثين ثقات في مجالات عملهم.

مكتبة العمل:

1) Chazly. Saad Eddine, The Arab Military Option, American Mideast Research, California, U.S.A., 1986,

2) Shazly. Saad El, October War (in Arabic), American Mideast Research, California, U.S.A., 2003.

3) Shazly. Saad, The Crossing of the Suez, American Mideast Research, California, U.S.A., 1980.

4) Lewis. Bernard, A Middle East Mosaic: Fragments of Life, Let–

ters, and History, Random House, New York, U.S.A., 2000.

5) Oren. Michael B., Six Days of War: June 1967 and the Making of the Modern Middle East, Ballantine Books, New York, U.S.A., 2003.

6) أبو حسين. سوسن، مذكرات الفريق سعد الدين الشَّاذلي – قصتي مع السادات، مكتبة مبولي الصغير، القاهرة، 1995.

7) الجبوري. غالي جبار، سعد الدين الشَّاذلي ودوره العسكري والسياسي في مصر حتى عام 1992م، رسالة جامعية لإتمام درجة الماجستير في التاريخ، جامعة القادسية، العراق،

8) الجمل. سمير، الكبرياء–أيام سعد الدين الشاذلي، كتاب الجمهورية، القاهرة، 2012ز

9) الشاذلي. سعد الدين، مذكرات الفريق سعد الدين الشَّاذلي – مذكرات حرب أكتوبر، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2012.

10) عبيد. مصطفى، الفريق الشَّاذلي – العسكري الأبيض، الرواق للنشر والتوزيع، القاهرة، 2012.

11) عطية الله. أحمد علي، الفريق سعد الدين الشَّاذلي – مهندس حرب أكتوبر، وزارة الثقافة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، 2014.

ا. تعريف

وُلِدَ الفريق «سعد الدِّين محمد الحسيني الشَّاذلي»، في مصر، يوم الأول من شهر نيسان (إبريل) سنة 1922؛ وكان جده لأبيه، ضابطاً في الجيش المصري، ممَّن تسنَّى لهم، المساهمة في «الثَّورة العرابيَّة» (1882–1879)، والمشاركة ضمنها في معركة «التل الكبير»، في 13 أيلول (سبتمبر) 1882؛ التي جرت، ضمن هذه الثَّورة، في محافظة الاسماعيلية، وكانت آخر مواجهات العرابيين مع الإنكليز. تدرج سعد الشَّاذلي، مستلهماً خطى جده، في السلك العسكري للجيش المصري؛ حتى شغل منصب رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية في المدة ما بين 16 أيّار (مايو) 1971 إلى 13 كانون الأول (ديسمبر) 1973؛ كما إنه مؤسس أول فرقة سلاح مظلات في مصر

وقائدها؛ فضلاً عن كونه تولى مهام أمين عام مساعد في جامعة الدول العربية للشؤون العسكرية من سنة 1971 إلى سنة 1973؛ كما عمل سفيراً سابقا لجمهورية مصر العربية، لدى إنجلترا من 13 أيار (مايو) 1974 إلى 1975، وكذلك سفيراً لدولته لدى البرتغال من سنة 1975 إلى سنة 1978؛ ثم كان له أن ينشغل بموضوعات التحليل العسكري، قبيل وفاته في 10 شباط (فبراير) 2011.

اشتُهِر عن سعد الدين الشَّاذلي، أنه قائد عسكري فذّ، تولى عدداً من المهام والمناصب الأساس في الجيش المصري. لقد شارك في حرب 1967، التي أبدى فيها كفاءة قيادية وحربية كبرى، ووضع الخطط التأسيسية لحرب 1973، التي عرفت، كذلك بحرب العبور، وشارك في قيادتها؛ كما كانت له معركته الخاصّة التي خاضها لإنقاذ القوة المقاتلة التي كانت بإمرته مباشرة. وفوق كل هذا، فقد عرف عن الفريق الشَّاذلي معارضته الشديدة لمباحثات كامب ديفيد، التي جرى توقيعها، في 17 أيلول (سبتمبر) 1978، إثر 12 يوما من المفاوضات السرية، بين الرئيس المصري أنور السادات ورئيس الوزراء الإسرائيلي مناحيم بيغن Menachem Begin. وحصل أن الفريق الشَّاذلي استقال من منصبه، إثر هذه المعارضة؛ وسافر إلى الجزائر، طالباً حق اللجوء السياسي إليها. لم يعد الفريق المعارض إلى مصر، بعد هذا، سوى في سنة 1993، في ظل حكم الرئيس حسني مبارك؛ وكان أن جرى اعتقاله فور هبوط الطائرة التي كانت تقله من الجزائر إلى مطار القاهرة. اقتيد الفريق الشَّاذلي، مباشرة من المطار إلى السجن، ومن دون محاكمة؛ وذلك بتهمة حكم عليه فيها، غيابيا، زمن حكم الرئيس أنور السادات، إذ صدر حكم عسكري يقضي بسجنه. وما لبث، الفريق الشَّاذلي، أن نال عفوا شاملا، فعاش منذئذٍ، وقد تجاوز السبعين من سني العمر، بعيداً عن الأضواء؛ إلى أن وافته المنية.

II. مع الرئيس جمال عبد الناصر والمهمّة في الكونغو:

بدأت معرفة الضابط سعد الدين الشَّاذلي بجمال عبد الناصر، قبل قيام ثورة 23 يوليو 1952، إذ كانا ضابطين مدرسين في مدرسة الشؤون الإدارية، في المدرسة الحربية؛ كما كانا، في الوقت عينه، يتجاوران السكن، في عمارة واحدة، بمنطقة بالعباسية في القاهرة. ويقال إن المقدم جمال عبد الناصر، حكى للرائد للشاذلي، عن موضوع الضباط الأحرار في 1951؛ ويروى أن الشَّاذلي رحب بالأمر، ولعله لم يمانع الانضمام إلى

المجموعة؛ غير أنه لم يشترك معهم في تحركات ليلة قيام الثَّورة، في 23 يوليو 1952، بشكل مباشر إذ كان، وقتذاك، ملتحقاً بدورة في كلية أركان الحرب.

أرسل الرئيس جمال عبد الناصر، سنة 1960، بطلب من رئيس الوزراء الكونغو، باتريس لومومبا Patrice Lumumba، وبالتنسيق مع الأمين العام للأمم المتحدة، السيد داغ همرشولدDag Hammarskjöld، كتيبة مظلات، باسم جيش الجمهورية العربية المتحدة، المكونة حينذاك، من مصر وسوريا، جزءاً من قوات الأمم المتحدة إلى الكونغو؛ وذلك لحفظ الأمن والقانون، وبهدف منع بلجيكا من العودة إلى احتلال تلك البلاد بعد أن نالت استقلالها في 30 حزيران (يونيو) 1960، وكانت هذه الكتيبة بقيادة العقيد سعد الشَّاذلي.

واقع الحال، إن سعد الدين الشَّاذلي، والذي كان في ذلك الوقت ضابطاً بارزاً في الجيش المصري، وقيادياً عسكرياً واعداً بكثير من النّجاحات، لم يكن ليخطر على باله، أو في بال سواه زملائه الضباط أو حتى معارفه، أن هذه المهمة، التي أوكلت إليه في الكونغو، ستكون أحدى المؤشرات الأساس إلى ما سيعيشه من نهج فكري وسلوكي، خلال سنوات عمره المقبلة؛ كما قد تكون المدخل لفهم بعض ما وصل إليه من معاناة للأسى والإهمال والحرمان، في المراحل المتأخرة من عمره.

حصل أن الأمور تطورت في جمهورية الكونغو، ونجح رئيس هيئة الأركان، الجنرال موبوتو سيسيسيكو Mobutu Sese Seko، بقيادة انقلاب عسكري، تولى به حكم البلد، وكان أن تمكن، رئيس الجمهورية، لومومبا، من الهرب، غير أنه اعتقل وقتل في كانون الثاني (يناير) 1961. وهنا، أرسل جمال عبد الناصر، لجنة عسكرية إلى الكونغو، برئاسة العميد أحمد إسماعيل علي، للتباحث، مع حكومة البلد، في ما يمكن لدولة الجمهورية العربية المتحدة، أن تقدمه للنهوض بجيش الكونغو. وحصل، حينذاك، أن حكومة موبوتو سيسيكو، لم تكن على علاقة مودة مع حكومة ناصر؛ خاصّة وأن ناصر طالما أبدى تعاطفاً سياسياً وشخصياً مع لومومبا؛ فكان ثمة مطالبة من حكومة الكونغو هذه، بإعادة القوات قوات الجمهورية العربية المتحدة من حيث أتت.

III. الخلاف الأوّل مع العميد أحمد إسماعيل علي

وقع هذا الخلاف في الكونغو، بين العقيد الشَّاذلي والعميد أحمد إسماعيل علي؛ إذ أدرك الشَّاذلي، بمنطقه العسكري، خطورة الوضع الذي آلت إليه قواته، نتيجة الإطاحة

بلومومبا، حليف ناصر وحكومته، وتسلم موبوتو للسلطة، خاصّة وأن موبوتو لم يكن على مودة لا مع الرئيس ناصر، وطبعاً ليس مع حكومته. كان العقيد الشَّاذلي على يقين، أمام هذه الأحوال، أن قواته باتت في عراء من أي تغطية أو مساندة قد تحتاج إليها، فلم يعد لها أي سند فعلي في تلك البلاد؛ كما لم من اليسير، أبداً، إيصال أي مساعدات لهذه القوات، في حال محاصرتها أو فتح معركة قتالية معها. لقد قرر الشَّاذلي، في هذا الوضع، بسرعة فائقة، ولكن بمفرده، أن يتدارك الأزمة التي قد يواجهها مع قواته في الكونغو؛ فعمل على تسريب جنوده من مواقعهم؛ وأمّن، في الوقت عينه، تهريب أبناء باتريس لومومبا، الذي كان قد سبق قد قتل في غابات الكونغو من قِبل من ادّعوا الثَّورة عليه، إلى مصر؛ قبل أي إعلان رسمي لانسحاب الكتيبة المصرية من هناك. ولعل العقيد الشَّاذلي، قام بهذا التَّصرف بناء على بعض أمور، قد يكون من بينها، الاعتزاز الطاغي بعنفوان الرُّجولة والحماس في تحمل المسؤولية القيادية، إذ كان حينذاك في التاسعة والثلاثين من سني العمر؛ إضافة إلى اعتقاده أن إخراجه لأولاد لومومبا القصَّر، من حمأة القتال على أرض الكونغو، إثر مصرع والدهم، قد يلقى قبولاً إنسانياً كبيراً من الرئيس ناصر؛ خاصّة وأن ناصر لطالما كان يكن عاطفة احترام وتقدير ومودة شخصية تجاه لومومبا.

لم يَرُق هذا التصرف الفردي، يقوم به العقيد الشَّاذلي، للعميد أحمد إسماعيل علي، الذي كان قد أصبح رئيسه العسكري في تلك المهمة؛ ولعل العميد إسماعيل علي رأى، في هذا التصرف الفردي من قبل العقيد الشَّاذلي، تجاوزاً لصلاحيات أمرته، بل لربما رأى فيه خروجاً على المناقبية العسكرية؛ إن لم يكن قد فهم منه بادرة استخفاف بقيادته والسُّلطة الرسمية المخولة له، أو عدم احترام، يمارسه الشَّاذلي، تجاه شخصه. يقال، في هذا المجال، أن لوماً عسكريا وجّهه العميد إسماعيل علي، إلى العقيد الشَّاذلي؛ غير أن الموضوع برمته، لم يقف عند حدود توجيه اللّوم من رئيس إلى مرؤوسه، ولا عند سماحة مفتَرضة لتلقي المرؤوس هذا اللوم من رئيسه. يبدو أن هذا اللوم، وما تبعه من ردات فعل بين الضابطين، علي اسماعيل والشَّاذلي، سيكون بذرة أساساً في تصرفات مقبلة ومشاعر متبادلة بينهما، كما سيكشف عن نوعية تفكير وبناء شخصية سيرافق كل منهما في محطات ذات شأنٍ، ليس في حياتهما الشخصية وحسب، ولكن في تاريخ الجيش والشعب والأمة العربية؛ إنه دليل لصراعيَّة دراميَّة بين الرَّأي والسُّلطة الرَّسميَّة. لقد كان لهذه الحادثة، بحد ذاتها، أن تكون بداية نسج لبناء صراعي كبير، بين الرأي وسلطة القرار؛ وسيكون على الشَّاذلي أن يتجرع كأس هذه الصراعية حتى آخر لحظة

من حياته، كما سيجد نفسه يعيش هذه الصراعية بمسعى قوامه إثبات الذات، وتأكيد حق الرأي، والحضور البطولي الإنساني لما يعتقده حقاً له في الوجود.

فوجئ الشَّاذلي، وكان قائدا للقوات الخاصّة، في 10 آذار (مارس) 1969، بتعيين أحمد إسماعيل علي رئيسا لهيئة أركان حرب القوات المسلحة المصرية؛ ويبدو أن الشَّاذلي قد ظن أن أحمد إسماعيل علي سيحتك به، من خلال منصبه هذا، انتقاماً من حادثة الكونغو التي تفرد بقرارها الشَّاذلي ولم يراعِ فيها مقام إسماعيل علي؛ فبادر إلى توجيه كتاب استقالته إلى وزير الحربية، عهدذاك، محمد فوزي. وكان أن تدخل الرئيس جمال عبد الناصر في الأمر؛ فأرسل زوج ابنته، أشرف مروان، إلى الشَّاذلي؛ وقد تمكن مروان من إقناع الشاذلي بالرجوع عن الاستقالة، والعودة إلى تأدية المهام العسكرية المناطة به؛ وكان من أهم عوامل قبول الشَّاذلي، ههنا، أن الوعد الشخصي الذي وصل إليه من الرئيس جمال عبد الناصر، بضمان عدم احتكاك أحمد إسماعيل علي به على الإطلاق. والذي حصل، أن أحمد إسماعيل علي، التزم بما وعد به الرئيس جمال عبد الناصر، إلى أن أحيل إلى التقاعد؛ بأمر من الرئيس جمال عبد الناصر في 9 أيلول (سبتمبر) 1969.

يمكن القول، ههنا، إن قرار السلطة، هذه المرة، ومن خلال الرئيس جمال عبد الناصر، زميل الشَّاذلي في التدريس في الكلية الحربية، وجاره في السكن في مبنى منطقة العباسية، ومن وثق به لإخباره عن نشاط الضباط الأحرار، وكلَّفه، بعد نجاح ثورة «23 يوليو»، بمهام أساس في الجيش المصري، كانت إحداها قيادة قوات الجمهورية العربية المتحدة، ضمن بعثة الأمم المتحدة إلى الكونغو، إلى جانب استيعاب انفعال الشَّاذلي تجاه تعيين إسماعيل علي، رئيساً لهيئة أركان حرب القوات المسلحة المصرية، رأي الشاذلي؛ بيد أن قرار السلطة هذا، والصادر عن الرئيس ناصر، ما كان ليتفق، على الإطلاق، مع رأي الشَّاذلي بالاستقالة من مهامه في الجيش. لقد انتصر قرار السلطة، هذه المرة، ولكن ببعد إنساني غامر بالود واللطف والتفهم، على الرَّأي.

IV. حرب 1967

أظهر الفريق الشَّاذلي، خلال حرب حزيران (يونيه) 1976، التي خاضتها القوات المصرية في مواجهة الجيش الإسرائيلي، تميزًا نادرًا ومقدرة عسكرية مذهلة في مجالات القيادة والمناورة، وكذلك في النجاح في حماية جنوده والنجاة بهم من الهلاك الذي

كان يحيق بهم. كان الشَّاذلي، آنذاك، مسؤولاً مباشراً عن كتيبة مشاة وكتيبة دبابات، مع كتيبتين من قوات الصاعقة، بما مجموعه حوالى 1500 ضابط وفرد؛ وكانت هذه القوة مولجة بحراسة وسط سيناء، وتحديداً في المنطقة الواقعة بين المحورين الأوسط والجنوبي.

حصل أن الطيران الإسرائيلي قد تمكَّن، وكما هو معروف، من السيطرة على أجواء سيناء، حيث كانت جحافل الجيش المصري وآلياته قابعة؛ بعد أن تمكن الطيران الإسرائيلي من تدمير القوة العظمى للطيران المصري، حتَّى قبل أن تتمكن من ترك مدرجاتها في المطارات الحربية. وكان أن انقطع الاتّصال بين الشَّاذلي وقيادة الجيش في سيناء؛ فبات وكان عليه، وهو المدرك لعجزه اللوجستي في شن أي هجوم على العدو، خاصّة بعد أن شاهد، مع جنوده، وبأم العين، الطيران الإسرائيلي يسيطر بصورة مطلقة على سماء سيناء، أن يفكِّر في تصرف عسكري ينجيه ومن معه من الوقوع في أسر العدو، أو الموت بنيران أسلحته.

قرَّر الشَّاذلي، هذه المرة أيضاً، بموضوعيته العسكريَّة ولكن بمبادرة فردية، وكما كان الحال معه في تجربته في الكونغو، أن يبعد قواته عن مطارح الخطر ومكامنه؛ بالانسحاب ليلا، وقبل غروب يوم 8 حزيران (يونيو) 1967، في ظروف شديدة الصعوبة والتعقيد وإمكانيات الإنكشاف للعدو؛ ومع هذا، فإن قواته ظلَّت متماسكة بقيادته ومتناسقة في عملها، وفاقا لتوجيهاته، ولم ينفرط عقد اجتماعها وتكتلها، كما حدث مع وحدات أخرى. عبر الشَّاذلي بهذه القوات، وخلافاً لأي توقُّع بأن يكون عبوره باتجاه الجنوب، وصولاً إلى القاهرة، فإنه توغَّل شرقًا، ضمن سيناء، وهي أرض المعركة، وتخطى في توغله هذا، الحدود الدولية؛ فيما كانت بقية القوات المصرية تتقهقر غرباً باتجاه الضفة الغربية لقناة السويس. ولقد أثر هذا الابتعاد، من قبل الشَّاذلي وقواته، تمركزاً لهم بعمق خمسة كيلومترات في صحراء النقب، داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة؛ الأمر الذي لم يكن ليتوقعه أي أحد من قوات الجيش العدو الإسرائيلي، وحتى من قوات الجيش المصري. ولقد مكث الشَّاذلي، مع قواته، في صحراء النقب يومي 6 و7 حزيران (يونيه) 1967؛ معتصماً من طلعات الطيران الإسرائلي، بين هضبتين رمليتين ضخمتين تحجبانه عن رؤية الطيارين له، إلى أن استطاع تأمين اتصال لاسلكي ما بالقيادة العسكرية العامة المصرية، وتلقى منها أمراً رسميا بالانسحاب من ساحة المعركة؛ وهنا تمكَّن الشَّاذلي، بإتقان عسكري إبداعي عالي المستوى، أن يعبر بجنوده، ضمن أرض يسيطر عليها العدو براً وجوًّا، وبالأدنى من احتياجات التموين، حتى وصل سالماً لم يخسر أي جندي

على الإطلاق، في حين كانت خسارته من العتاد لا تتعدى ما نسبته 10%؛ وكان بهذا جميعه، آخر قائد مصري ينسحب بقواته من سيناء.

رأى الرئيس جمال عبد الناصر، أن اللواء الشَّاذلي هو الشخص المناسب عسكريا، لتولي وقف اختراقات إسرائيل لمنطقة البحر الأحمر، خلال ما عرف بحرب الاستنزاف (1967–1970) 1967؛ وقام بتعيينه قائداً لمنطقة البحر الأحمر العسكرية في 1970. وتمكن اللواء الشَّاذلي من وقف عمليات الاختطاف اليومية التي كانت تقوم بها إسرائيل لأسر، من تتمكن منهم من المدنيين والموظفين المصريين؛ بل إنه استطاع صد هذه الهجمات الإسرائيلية ومنعها.

٧. التخطيط لاسترداد مواقع متقدمة من سيناء

عين الرئيس أنور السادات، في 16 أيار (مايو) سنة 1971، اللواء سعد الدين الشَّاذلي، رئيساً لأركان حرب القوات المسلحة المصرية؛ وكان الفريق أول محمد صادق، وقتذاك، وزيراً للحربية والقائد العام للقوات المسلحة. وحصل أن دخل الشَّاذلي، وهو في موقعه القيادي الكبير في مقامه والخطير في مسؤولياته، في خلافٍ حادٍّ مع وزير الحربية، الذي كان، كذلك، القائد العام للقوات المسلحة.

ارتأى الشَّاذلي، حينذاك، ضرورة العمل الجاد والمسؤول، على وضع خطة هجومية، تقضي بإسترداد من 10 إلى 12 كم في عمق سيناء المحتلة من قبل قوات الجيش الإسرائيلي. أوضح الشاذلي رأيه، هذا، أنه يبني خطته العسكرية، ههنا، وفاق مفهوم استراتيجي ينهض على احتساب، رآه موضوعيا، لإمكانيات القوات المسلحة المصرية؛ مع ضرورة تماشي هذا الاحتساب، مع المتوافر الواقعي عن إمكانيات العدو.

عارض، الفريق أول محمد أحمد صادق، وهو وزير الحربية والقائد العام، في الوقت عينه، أي بسلطتيه العسكرية والسياسية، هذه الخطة؛ بداعي أن لا جدوى سياسية أو عسكرية يمكن أن تتحصل منها. قرر صادق، أن 10 أو 12 كلم من سيناء، لا يمكن أن تشكل تحريراً حقيقياً للأرض، إذ سيبقى أكثر من 60 ألف كلم من دون تحرير؛ وكذلك، فإن تجاوُز القوات العسكرية المصرية لحدود قناة السويس، سيضع هذه القوات في مواجهة غير محمية على الإطلاق مع العدو. وكان أن أكد اللواء صادق، أنه يرى أن لا يقوم الجيش المصري بأي هجوم، ما لم يتمكن من تأمين تفوق عسكري في العديد والعتاد، على الجيش الإسرائيلي العدو.

توصل الشَّاذلي، بعد ذلك، إلى حل وسط، بين رأيه العسكري التقني الذي كان يسعى إلى وضع خطة تنفيذية له، وما يراه الفريق صادق؛ إذ أعدَّ خطتين، إحداهما تهدف إلى احتلال المضائق، وثانيتهما تهدف إلى الاستيلاء على خط بارليف؛ ورغم هذا، فإن الفريق أول محمد أحمد صادق، لم يقتنع بأي من الخطتين، مؤكِّداً رؤيته ورأيه وقراره باسم السلطة التي يمثلها، من أنه لا يمكن لمصر أن تعرض جيشها وشعبها إلى احتمال الوقوع في هزيمة جديدة.

يبدو أن صدام البنائية الدرامية هذه المرة، بين رأي الشاذلي، من جهة، وسلطة صادق، من جهة أخرى، قد اتَّخذت مساراً دراميًّا نوعيا؛ إذ انحاز رجل السلطة الأول في الحكم، الرئيس أنور السادات، إلى جانب رأي الشاذلي، الذي كان متوافقاً، على ما يبدو، مع الرغبة الحثيثة لدى الرئيس السادات، في تلك المرحلة، من ضرورة إحراز تقدم في مجال القيام بعمل عسكري من قبل الجيش المصري، لتحرير الأرض.

صحيح أن بنائية الصراعية الدرامية في مسيرة الشاذلي، كانت في هذه المرحلة إلى جانب انتصار الرأي، على حساب قرار السلطة، وبقرار من صاحب السلطة الأعلى في الدولة المصرية، جينئذٍ، الرئيس السادات؛ غير أن هذا الانحياز إلى جانب الرأي، وضع الشاذلي في مواجهة جديدة مع سلطة كان قد سبق له أن أمعن في مخالفتها برأيه والانتصار عليها، وبدعم من صاحب السلطة الأعلى في الدولة المصرية في جينه، الرئيس ناصر.

أقال الرئيس أنور السادات، في 26 أكتوبر 1972، الفريق أول محمد صادق من منصبه في وزارة الحربية، لاختلافه مع رؤيته لتحرير الأرض، واقتناعه برؤية الشَّاذلي؛ غير أنه عيّن المشير أحمد إسماعيل علي، وزيراً للحربية وقائداً عاما للقوات المسلحة؛ وهو الشخص الذي لم تكن الأمور لتجري بسلاسة أو ليونة أو مهادنة، بينه وبين الشَّاذلي، جراء ما حصل بينهما أيام الكونغو. ومع هذا، فقد بدا الأمر، بعد هذا التعيين، وكأن كلا الرجلين توافقَ على التعامل الإيجابي في ما بينهما، مراعاة منهما للمهمة الكبرى التي أنيطت بهما، وهي الإعداد لما سيعرف بحرب أكتوبر، أو حرب 1973.

VI. حرب أكتوبر (1973)، والخلاف الثاني مع المشير إسماعيل علي

اعتمدت قيادة الجيش المصري، سنة 1973، وبموافقة من الرئيس أنور السادات، الخطة الثانية التي سبق أن اقترحها الشَّاذلي، زمن وزير الحربية والقائد العام، الفريق

الفريق أول محمد صادق؛ والتي تهدف إلى الاستيلاء على خط بارليف، وقد رفضها الفريق أول صادق، في حينه. وبناء عليه، قام الجيشان العربيان، المصري والسوري، يوم 6 تشرين الأول (أكتوبر) سنة 1973، وعند تمام الساعة الثانية وخمس دقائق ظهراً، بشن هجوم كاسح على القوات الإسرائيلية الواقفة قبالة الجبهتين المصرية والسورية. نفذ الجيش المصري، بنجاح غير متوقع، خطة المآذن العالية، التي وضعها الشَّاذلي؛ بما لم يضطر القيادة العامة للجيش المصري إلى إصدار أوامر خاصّة أو محددة لأي واحدة من التشكلات المقاتلة، بل التنفيذ المباشر، مناطاً بقيادة كل وحدة، وبتوجيه من القيادة العليا لها، إذ القوات المصرية المقاتلة كافة، أدَّت مهامها بدقة كبيرة، بناء على الخطة التي وضعها الشَّاذلي وقام جميع المشاركين بتنفيذها.

حققت القوات المصرية، في تمام الساعة الثانية من صباح يوم الأحد 7 تشرين الأول (أكتوبر) سنة 1973، انتصاراً غير منازع في عبور قناة السويس، التي تعتبر من أكثر العوائق المائية صعوبة في العالم، انكشافاً وطولاً، كما تمكَّنت هذه القوات من إزالة الحاجز الرملي الضخم والمعزز الذي سبق أن أقامه الجيش الإسرائيلي عند الخط المواجه من القناة؛ وقد تحقق كل هذا بما لم يتجاوز ثماني عشرة ساعة من الوقت؛ وبخسائر نسبية قليلة جداً.

أبلغت القيادة العسكرية السورية، عند الجبهة السورية من المعركة، القيادة الموحدة للجبهتين، والتي كانت بقيادة المشير أحمد إسماعيل علي، حاجتها الملحة والمصيرية لممارسة مزيد من الضغوط العسكرية على القوات الإسرائيلية على الجبهة المصرية؛ إذ إن القوات الإسرائيلية المواجهة للجبهة السورية أحرزت تقدما خطيراً على جبهة الجولان السوري، وهي تكاد أن تصل إلى مشارف العاصمة السورية دمشق؛ ولا بد، تالياً، من العمل على تخفيف اندفاعها، تمهيداً لإعداد مركز لمواجهتها، من قبل القوات العسكرية السورية.

طلب الرئيس أنور السادات، من وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة، المشير أحمد إسماعيل، تفعيل ضغط الهجوم على الجبهة المصرية، تخفيفاً للضغوط التي تتعرض لها الجبهة السورية، وتمكيناً لقيادة هذه الجبهة من إعداد الهجوم المضاد على القوات الإسرائيلية المتقدمة داخل الأراضي السورية.

أعلن الشَّاذلي معارضته لهذه الفكرة؛ مبيناً رأيه المرتكز على المنطق العسكري والمبني عليه، وبالموضوعية العلمية للقائد المسؤول، أن أي محاولة من الجيش المصري، للتقدم

خارج حدود الهدف الذي جرى التخطيط للوصول إليه، وهو 12 كلم، والذي تمكَّنت هذه القوات من تحقيقه بكفاءة عسكرية يشهد لها، وصارت تقف فيه، تماماً كما هو مرسوم في الخطة المعتمدة، تحت حماية مظلة الدفاع الجوي؛ سيكون مآله وكأن القيادة المصرية تقدم قواتها لقمة سائغة إلى الطيران الإسرائيلي؛ خاصّة وأن هذا الطيران يمتلك ما يكفي من عناصر القوة وعواملها ليكون تهديداً خطيراً لأية قوات برية تتحرك في العراء ومن دون أي غطاء جوي يحميها.

كان من الواضح أن هذه المطالعة العسكرية للرأي العسكريّ، الذي قدمه الشَّاذلي، لم تتمكن من تغيير موقف السلطة، ممثلة بوزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة، المشير أحمد إسماعيل علي؛ إذ ما لبث المشير أن أصدر، بعد سويعات قليلة، تعليمات عسكرية خاصّة، إلى قائدي الجيشين الثاني والثالث، اللواء سعد مأمون واللواء عبد المنعم واصل، المشاركين في الجبهة؛ تقضي بتفعيل ضغط الهجوم العسكري للقوات المصرية على الجانب الإسرائيلي، بالسعي إلى تجاوز مسافة 12 كلم المقررة بالخطة، والتي جرى تحقيقها بنجاح. قد تم إعدادها ووصلت إلى قائدي الجيشين الثاني والثالث .

اتصل اللواء مأمون بالشَّاذلي، مبلغاً إياه استقالته من قيادة الجيش الميداني الثاني؛ كما اتصل، بدوره، اللواء واصل، مبدياً معارضته الشديدة للتعليمات الموجهة من وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة، المشير أحمد إسماعيل علي. ما كان من الشَّاذلي، أمام هذا الحال، إلا أن أبلغ اللواءَين مأمون وواصل، أنه معترض، في منطق الرأي العسكري الموضوعي، على تعليمات المشير إسماعيل علي، بصدد تمدد القوات المصرية خارج حدود 12 كم الملحوظة في الخطة المعتمدة. وأضاف، الشَّاذلي، أنه يجد نفسه، بحكم الموقع، وربما ابتعاداً منه عن الحساسية السابقة بينه وبين المشير إسماعيل علي، والتزاماً بما توافق عليه مع المشير للتعاون في ما بينهما لإنجاح الخطة، فإنه قد يجد نفسه مرغماً على الاستجابة لما يوجهه المشير اسماعيل علي من تعليمات خاصّة.

واقع الحال أنّ الشَّاذلي لم يقف عند هذا الحد؛ إذ قام بمصارحة المشير اسماعيل علي، بأمر اللواءَين مأمون وواصل، وكذلك بوضعه الشخصي تجاه هذا الحال برمته؛ وكان أن قرر المشير اسماعيل علي عقد لقاء خاص في القيادة، برئاسته وعضوية الشَّاذلي مع اللواءَين مأمون وواصل. وبالفعل، فقد عقد هذا اللقاء، بالسرعة القصوى، وتحديداً بعد وقت قصير جداً، في اليوم عينه الذي صدرت فيه دعوة المشير إلى عقده. استمر هذا الاجتماع لأكثر من خمس ساعات متواصلة، وعرض فيه الشَّاذلي، بموضوعية علمية عسكرية، المخاطر الجسيمة وغير القابلة للإصلاح التي ستواجه تنفيذ تعليمات

المشير اسماعيل علي، كما أيد مأمون وواصل ما بينه الشَّاذلي بهذا الشأن؛ غير أن المشير إسماعيل علي أصرَّ على تنفيذ التعليمات، مشيراً إلى أن قراراً سياسياً يقف وراء إصدارها والإصرار على تنفيذها.

اصطدمت القوات المصرية، المتجهة شرقاً في سيناء، صباح 14 تشرين الأول (أكتوبر) 1973، بمقاومة إسرائيلية عنيفة، كما تعرضت إلى كمائن للدبابات، وتعرضت لنيران قصف جوي إسرائيلي مباشر. أثبتت الأحداث التي تلت، صحة ما رآه الشَّاذلي من خطأ التقدم شرقاً لزيادة الضغط على القوات الإسرائيلية؛ إذ تبين، بصورة عملية، أن نسبة تفوق القوات الإسرائيلية في سلاح الدبابات والسلاح الجوي، تتجاوز قدرات الدفاع المتوافرة في هذا الموقع، للقوات المصرية المتقدمة في سيناء؛ خاصّة وأنَّ هذه القوات المصرية، أصبحت تعمل خارج نطاق حماية صواريخ الجيش المصري لها؛ ومن هنا، فقد مُنيت بخسارة جسيمة خلال ساعات قليلة من محاولتها التقدم، الأمر الذي اضطرها إلى التوقف عن تحقيق الضغط العسكري المطلوب منها القيام به باتجاه الشرق؛ بل إنها اضطرت إلى التقهقر باتجاه الغرب.

اقترح الشَّاذلي انسحاب القوات من مواقعها التي حوصرت فيها، خارج 12 كلم التي كانت ضمنها؛ وارتأى عودة الجنود، مع عتادهم وما تبقى من آلياتهم، إلى مواقعهم الأساس التي كانوا فيها؛ أي التوقف عن التقدم شرقاً، والعودة غرباً، حيث يمكنهم التمركز ضمن 12 كلم التي كانوا فيها. كان هذا الاقتراح، يرفعه الشَّاذلي إلى القيادة، يعني بياناً عسكرياً واضحاً بفشل قرار السُّلطة التي اعتد عليها وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة، المشير أحمد إسماعيل علي، وصوابيّة ما ارتآه الشَّاذلي مع اللواءَين مأمون وواصل؛ وفي هذا ما فيه من عودة إلى منهجية التنازعات السابقة بين الشَّاذلي وإسماعيل علي، والتي كانت الموضوعية العسكرية العلمية للشاذلي تصطدم فيها، بقوة ووضوح، مع السُّلطة الإدارية والمواقف الذاتية والشخصية لإسماعيل علي، زيادة على أن في اقتراح الشَّاذلي بهذا الانسحاب، ما قد يؤكد خطأ الرئيس أنور السادات في إصراره على سلطة قراره، استناداً إلى رؤية سياسية له في تأييد القيادة السورية على جبهة الجولان ومداخل العاصمة السورية.

عارض المشير أحمد إسماعيل علي اقتراح الشَّاذلي بالانسحاب غرباً، مسوغاً معارضته، هذه المرة، بأن انسحاب القوات المصرية قد يضعف المعنويات القتالية للجند، كما قد يعطي العدو مجالاً للاستقواء في وجه هذه القوات، الأمر الذي يدخل العملية العسكرية إلى خلاف ما كان يرتجى منها، فتصبح ممارسة لضغط عسكري على

القوة العسكرية المصرية وليس على تلك الإسرائيلية. لم ينتج عن هذا الصراع، الذي قام بين الرأي والسُّلطة، مجرد فشل تحقيق الضغط العسكري على الجيش الإسرائيلي، بل لقد أصبح ظهر الجيش المصري مكشوفا، غرب القناة؛ وحصل أن استغلت إسرائيل هذا الوضع، فكان ما عرف، لاحقاً، بـ»ثغرة الدّفرسوار» Operation Abirey–Halev؛ وهي الحادثة التي مهدت لتعقيد مسار الأحداث في «حرب أكتوبر»، ومكنت الجيش الإسرائيلي من تطويق الجيش الثالث الميداني المصري شرق قناة السويس.

VII. الخروج من «ثغرة الدفرسوار» والخلاف الثالث مع المشير اسماعيل علي

اقترح الفريق الشَّاذلي في 17 تشرين الأول (أكتوبر) 1973، سحب الفرقتين المدرعتين 21 و4 من شرق القناة، وباستخدامهما بتوجيه ضربة رئيسة لقوات الجيش الإسرائيلي المتمركزة غرب القناة؛ على أن يقوم اللواء 116، في الوقت عينه، ومن موقعه في غرب القناة، بتوجيه ضربة أخرى للعدو، وتقوم الفرقة 21 مدرعة، من مكانها في شرق القناة، بتوجيه ضربة أخرى لقوات العدو، مما سيؤدي إلى إقفال الطريق المؤدي إلى الثغرة؛ الأمر الذي كان، برأي الشَّاذلي، سيزيد من الضغط العسكري على القوات الإسرائيلية المحاصرة للثغرة، ويقضي، تالياً، عليها. واقع الحال أن المشير أحمد إسماعيل علي، لم يقبل برأى الشَّاذلي؛ مبدياً اعتقاده بأن الجنود المصريين لديهم عقدة نفسية من عملية الانسحاب باتجاه الغرب، منذ نكسة 1967؛ وبالتالي فإنه رفض سحب أي انسحاب للقوات من الشرق إلى الغرب، بل قرر أن تتم مواجهة الثغرة بقيام القوات المدرعة المصرية في الشرق (في سيناء) بسد منافذ عودة القوات الإسرائيلية المتسللة إلى سيناء، واستدعاء قوات تهاجمها من الغرب، وبذلك تكون محصورة بين القوات المصرية.

وصلت الأمور، عند هذا الحد، بين المشير أحمد إسماعيل علي، من جهة، وبين الشَّاذلي، من جهة أخرى، إلى مرحلة الطلاق؛ فقام الرئيس أنور السادات بإقصاء الفريق الشَّاذلي، عن منصبه في رئاسة الأركان، لمدة مؤقته، خلال الحرب؛ معيِّناً المشير محمد عبد الغني الجمسي لرئاسة الأركان، بديلاً، منه. وكان أن تولى المشير الجمسي الأمر؛ فأعد، على الفور، خطة لمحاصرة «الثغرة» وتدميرها، إلا أن هذه الخطة لم تنفذ، إذ ما لبث أن صدر قرار وقف إطلاق النار.

VIII. السفير

استدعى المشير أحمد إسماعيل علي، الفريق الشَّاذلي، في 12 ديسمبر 1973، ليبلغه أن الرئيس أنور السادات قرر إنهاء خدمته رئيساً لهيئة أركان القوات المسلحة، وأصدر قرارا، يقضي بتعيينه سفيراً بالدرجة الممتازة في وزارة الخارجية. رفض سعد الدين الشَّاذلي قرار تعيينه سفيراً، وفضل البقاء في منزله. بعث الرئيس السادات، نائبه حسني مبارك، لزيارة الشَّاذلي وإقناعه بالعرض؛ غير أن الشَّاذلي رد عليه قائلاً، «إذا كان هذا المنصب عقابا لي، فمن الأفضل أن أعاقب داخل بلدي؛ وإن كان مكافأة، فمن حقي أن أرفضها». تمكَّن الرئيس السادات، بعد حوالي أسبوعين من لقاء الشَّاذلي مع مبارك، من إقناع الشَّاذلي بقبول منصب سفير مصر لدي المملكة المتحدة، بعد مقابلة شخصية تمت بينهما بداعي أن هذا المنصب ليس سوى غطاء ديبلوماسي لعمل الشَّاذلي في تأمين صفقات الأسلحة التي يخطط لها بين مصر والدولة الألمانية. وبيّن واقع الحال، عندما استقر الشَّاذلي سفيراً في لندن، وأجرى اتصالته مع السفارة الألمانية فيها، أن كل الكلام الذي سمعه عن صفقات السلاح التي يعد لها بين ألمانيا ومصر، كان غير واقعي على الإطلاق. لعل الشَّاذلي أدرك، في هذه المرحلة، أن السُّلطة السياسية نجحت في إبعاد منطق رأيه العسكري الموضوعي، عن ساحة القرار الحقيقية التي ينتمي إليها هذا الرأي؛ ولعله أدرك أنه رأيه ومنطقه العسكري، باتا خارج الساحة العسكرية، وصار عليه، إن رغب في إبداء رأي، لجهة الموالاة أو المعارضة، أن يقف في ساحة السياسة وحدها.

IX. انهيار الصراعية البنائية للقرار والسلطة الرسمية

انتقد الفريق الشَّاذلي علانية وبقوة، بل بوضع لا مجاملة فيه، توقيع الرئيس أنور السادات لمعاهدة كامب ديفيد سنة 1978؛ ولم يكتف بهذا، بل إنه هاجم الرئيس أنور السادات متهماً إياه بالديكتاتورية؛ وما كان من الشَّاذلي، وقتذاك، إلا أن اتخذ قراره بترك منصبه سفيراً لمصر لدى البرتغال، وتوجه مباشرة إلى دولة الجزائر، بصفة لاجئ سياسي.

انطلقت، مع هذا الانتقاد العلني والصريح، وربما الوقح، بالنسبة إلى التقاليد الدبلوماسية، الذي وجهه السفير الشاذلي، إلى الرئيس السادات، شرارة انفجار شديد الوقع لما يمكن اعتباره تفكك البنائية الصراعية بين الرأي والسلطة الرسمية، كما عايشها الشاذلي في السنوات الثماني عشرة السابقة، منذ أيام الكونغو سنة 1961، وحتى وجوده سفيراً لبلاده

في البرتغال، سنة 1987.

أصدر الرئيس أنور السادات، في سنة 1978، مذكرات له في كتاب حمل عنوان «البحث عن الذات»؛ واتهم فيه الفريق الشّاذلي بالتخاذل، بل إنه حمله مسؤولية التسبب بمأساة «الثغرة»، مؤكّداً أن الشاذلي عانى من الانهيار النفسي في الجبهة، يوم 19 تشرين الأول (أكتوبر) سنة 1973، وأوصى بسحب جميع القوات شرق القناة. وقد كان هذا الادّعاء، يذكره الرئيس السادات في كتابه، السبب الذي دفع بالفريق الشّاذلي إلى الرد على الرئيس أنور السادات، بقسوة وعنف وباتهام جرمي مباشر؛ إذ عمد الشاذلي إلى نشر مذكراته، هو الآخر، في كتاب أسماه «حرب أكتوبر».

بيّن الشاذلي، في مذكراته عن «حرب أكتوبر»، أن الرئيس أنور السادات قام باتّخاذ قرارات خاطئة، رغم جميع النصائح التي وصلت إليه من المحيطين به من العسكريين؛ بل إنه كثيراً ما كان يتدخل في إدارة المعركة، آمراً بتعديل الخطط العسكرية الموضوعة، مما كان السبب، ليس فقط في في إحداث «الثغرة»، بل ما قاد إلى تدمير «حائط الصواريخ»، وتسبب بحصار «الجيش الثالث» لأكثر من ثلاثة أشهر، كان عناصر هذا الجيش يعيشون فيها تحت رحمة الجيش الإسرائيلي؛ الذي كان يتولى تزويدهم بالإمدادات المطلوبة لاستمرارهم على قيد الحياة. لم يكتف الشاذلي، بهذا الهجوم على الإطلاق، يصارع به السلطة السياسية، بل إنه تابع الأمر متهماً الرئيس السادات بالتخلي عن النصر أمام الجيش الإسرائيلي وقيادته السياسية، وذلك بسحب أغلب القوات المصرية إلى غرب القناة، في مفاوضات فض الاشتباك الأولى.

انتهى السقوط الانحلالي لهذه البنائيّة الصراعيّة، بين «الرأي وسلطة القرار»، إلى مشهدية حافلة بالمأساوية الصارخة؛ وهي مأساوية ربما ما كان لأحدٍ أن يتوقع رؤيتها بهذه القوة على الإطلاق. انشطر قطبا الصِّراعيّة؛ فصار لـ«الرّأي»، أن يعلن عن ذاته، وجوداً صافياً؛ وأصبح لـ«السلطة السياسيّة»، أن تمارس هيمنتها، بكل ما في الهيمنة من تحكّم، وربما من جور.

أنهى الشاذلي كتابه، بتصدير بلاغ إلى النائب العام المصري، يتهم فيه الرئيس أنور السادات، بإساءة استخدام سلطاته. وكانت ردَّة فعل الرئيس السادات، أن أحال الفريق أول سعد الدين الشاذلي، سفير مصر لدى دولة البرتغال، إلى المحاكمة. استقال السفير، الفريق أول سعد الدين الشاذلي من منصبه في سفارة مصر إلى البرتغال؛ وانتقل، مباشرة، إلى دولة الجزائر؛ طالباً اللجوء السياسي. سوّغ الشاذلي اختياره دولة الجزائر،

مقراً للجوئه السياسي، بما ينهي، بنظره، تلك البنائية الصراعية بين «الرأي» و»السلطة السياسية»، التي استحوذت على سنوات عديدة من زمن انشغاله بالشأن العام العسكري والوطني، إذ رأى في الجزائر دولة تقوم على مبدأ الحكم الجماعي وليس الحكم الفردي.

X. الثّمن

رجع الفريق الشاذلي، وقد بلغ السبعين من سني عمره، إلى مصر، يوم 14 آذار (مارس) 1992؛ وقد قضى 14 سنة، في منفاه الاختياري في الجزائر. كان الرئيس محمد حسني مبارك، قد تولى حكم مصر، إثر اغتيال الرئيس السادات خلال عرض عسكري أقيم بمدينة نصر بالقاهرة في 6 تشرين الأول (أكتوبر) سنة 1981، احتفالاً من السلطة السياسية بانتصار «حرب أكتوبر 1973». ألقي القبض على الشاذلي، فور هبوط الطائرة التي كانت تقله على أرض مطار القاهرة. بدأ فوراً، تنفيذ الأحكام التي أصدرتها محكمة عسكرية، في محاكمة غيابية له جرت، قبل أربع عشرة سنة، إبّان سلطة الرئيس أنور السادات. صودر منه، كل ما سبق أن حازه من أوسمة رسمية ونياشين عسكرية. أجبر، الشاذلي، من ثمَّ، على قضاء مدة الحكم عليه، وهي السجن لثلاث سنوات، في السجن الحربي التابع للجيش الثالث الميداني. منعت عن الشاذلي جميع المرتبات المالية التي كان يستحقها بحكم تقاعده من الخدمة العسكرية، والتي نالها بموجب الأوسمة والنياشين التي حازها. طالب الفريق الشاذلي أن تتم إعادة محاكمته، وأن تكون هذه المحاكمة محاكمة علنية؛ إلا أن الجهات المعنية في السلطة الرسمية، رفضت طلبه.

XI. الرأي

جرى الإفراج، نتيجة عفو عام أصدرته السلطة السياسية، في مطلع شهر تشرين الأول (أكتوبر) سنة 1993، عن الفريق أول السفير سعد الدين الشاذلي؛ وذلك بعد مرور سنة وسبعة أشهر على وجوده في السجن. أصبح «الرأي»، هذه المرة حراً بذاته، طليقاً من أي أسار وظيفي أو ارتباط بالسلطة السياسية؛ وعاش من مدخول أرض زراعية آلت إليه من جده، الحسيني الشَّاذلي، الذي كان ضابطاً في ثورة أحمد عرابي ضد الحكم الإنكليزي لمصر (1882–1879).

انفصل قطبا البنائية الصراعية التي قامت على «الرأي» و»السلطة السياسية»، والتي عاشها الشاذلي وعاينها وعاناها؛ وكان في عيشه ومعاينته ومعاناته، أنموذجاً لبعض ما طغى على كثير من ساحات العالم العربي، بل العالم برمته.

عاش «الرأي»، مع سعد الدين الشاذلي، بعد أن ارفضَّ عن وجوده هذا البناء الصراعي؛ منعزلاً عن الناس، بشكل عام. رجع الشاذلي إلى السكنى في القرية التي شهدت ولادته؛ وخصص وقته ليمارس رأيه خبيراً استراتيجياً، يكتب ويحلل كل ما يدور على الساحة.

أما «السلطة السياسية»، فظلَّت ترتع في معاقل وجودها؛ وكان من أمورها، بعد أن جرى اغتيال الرئيس السادات، أن ظهرت ثورة شعبية، بدأت يوم 25 كانون الثاني (يناير) 2011، عمَّت مصر من أقصاها إلى أقصاها؛ وتمكَّنت قوى هذه الثورة، من الإطاحة بحكم الرئيس محمد حسني مبارك، يوم 11 شباط (فبراير) 2011، بعد ثلاثين سنة من توليه السلطة السياسية.

واقع الحال، انتقل سعد الدين محمد الحسيني الشاذلي، إلى رحمة ربه، يوم 10 شباط (فبراير) 2011؛ وكان قد بلغ 89 سنة من العمر. شيعت جنازة الشاذلي، قطب الرأي في البنائية الصراعية للرأي والسلطة الرسمية، وقد جرى تنظيمها لتكون جنازة عسكرية وشعبية في آن واحد، في الوقت عينه، الذي أعلن فيه، عمر سليمان، نائب رئيس جمهورية مصر العربية، تنحي رئيس الجمهورية، الرئيس محمد حسني مبارك، عن منصبه كرئيس للدولة ورمز السلطة العليا فيها. يمكن النظر الى هذه النهاية المأساوية، على أنها مسرحية افتراضية درامية، قائمة على قطبين؛ أحدهما «الرأي»، بشخص سعد الدين الشاذلي؛ وثانيهما، «السلطة الرسمية»، بشخص محمد حسني مبارك، الذي انتهت إليه هذه السلطة، في السنوات الأخيرة من عمر الشاذلي. إن هذه المسرحية الافتراضية الصراعية، بأبعادها جميعها، وتشكلاتها التي نهضت بها، والخلاصات التي آلت إليها، إلى تماثل فذ مع تلك المآسي المسرحية الكلاسيكية، مثل «پرومثيوس في الاغلال» Prometheus Bound، لإسخيلوس Aeschylus و»الملك أوديب» Oedipus the King، لسوفوكلس Sophocles ، التي ما برح المسرح الإغريقي يزهو بها، وما انفكَّت الإنسانية تغتني بالتأمل في أعماق أبعادها.

يبقى، من جهة أولى، أن «الرأي»، عند سعد الدين الشاذلي، ظل موجوداً ومتناميا؛ وما برح محط اهتمام ودرس وتحليل، من قبل عسكريين وأكاديميين ومؤرخين وعلماء اجتماع، وحتى من قبل هيئات شعبة وتجمعات وطنية، رغم ما عاناه صاحبه من

اضطهاد وتغييب، وكذلك، من وفاة. ويبقى، من جهة ثانية، أن «السلطة الرسمية»، لم تستمر بوجه واحد أو بتوجه ثابت، طيلة ارتباط الشاذلي بالصراع معها. لقد تغيرت وتبدلت، بتغير الناس الذين تولوا مقاليدها؛ وتبدلت، كذلك، تفاعلاً مع أحوال مرت عليها، ووصلت إلى محطات راح فيها ناسها، وبقيت هي فراغاً معنوياً يحتاج أبداً إلى من يملأه.

«السلطة الرسمية»، بحكم واقع وجودها، خاضعة لتغيير توجهاتها؛ وفاقاً لمن يمسكون بزمام أمورها، ومدى تفاعل مصالحهم مع تغير الأحوال العامة وتبدلها. «الرأي»، بحكم انبثاقه من وعي صاحبه، ومدى التزامه بقناعاته، يبقى طالما كان صاحبه، وقد يتحول إلى مبدأ ومنهج، تتوارثه الأجيال كابراً عن كابر، إذ ما أحسن صاحبه نشره وإقناع الناس باتباعه. «السلطة الرسمية»، وجود آني، لا ثبات له، بتبدل القيمين عليه وتنوع مصالحهم؛ و»الرأي»، إذا ما كان سديداً، قادر على أن يبقى ويستمر في نمائه، حتى وإن مات صاحبه.

محور العدد:

نساء عربيات رائدات:

السيدة الرائدة نضالاً ووفاء: انطوانيت بشارة عبود

(أم وليد عبود)

لن أخونَ تاريخي

الأستاذة المناضلة رجاء بشارة

rajaa.bechara@gmail.com

هذه العبارة قالتها انطوانيت بشارة (أم وليد عبود)، والدة الشهداء نقولا، لولا ود. فؤاد عبود زوجة الصحافي المرحوم الياس عبود، في مقابلة أجرتها معها جريدة الأخبار بتاريخ 27/05/2011. عبارة تعبر عن تاريخ استثنائي لامرأة استثنائية يصعب جمعه بمقالة إذ يحتاج إلى صفحات وصفحات، لذا سوف نقوم بسرد بعض من هذا التاريخ علنا نستطيع يوما أن نسرده كله في كتاب أو في فيلم وثائقي حتى نفيها حقها، ويكون مادة بحثية للأجيال القادمة.

ولدت انطوانيت بشارة سنة 1930 م. في قرية ديرميماس الجنوبية الحدودية، وهي البنت الوحيدة لثلاث إخوة شباب. منذ نشأتها تميزت بالشخصية الجريئة والقوية مقارنة مع أقرانها، ولمن يعرف والدها ووالدتها لا يتوقع غير ذلك. فوالدها كان عمله الأساسي قصاب حجارة عمّار، وكان مثقفا واعيا ومحللا لما يدور حوله إذ لم يكن يترك ورقة أو كتاب في حينها دون أن يقرأه متابعاً للأوضاع السياسية ولقد مارس مهنة «مجبر عربي» إذ تعلمها وطورها بتبادل الخبرة مع صديق له من قرية يحمر الشقيف، كما معظم المجبرين آنذاك الذين تعلموا المهنة من المواشي وخاصة الماعز، حيث قام بمعالجة كثيرين من أهل القرية ومن قرى جبل عامل. وجدير بالذكر أنه لم يتقاض يوما قرشا واحداً من عمله كمجبرعربي؛ كذلك صديقه. أما والدتها التي كانت أيضا تشارك الأب في الثقافة فقد تميزت في القرية بأنها في حال تعذر وجود الداية أو تأخر حضورها تقوم

بالمساعدة والعون. وللذكر فإن ثلاثة من أحفادها ولدوا على يديها، وكما الأب فإنها لم تتقاض قرشاً واحدا مقابل هذا العمل. بين هذين الأبوين ومع ثلاثة إخوة شباب ترعرت وتابعت تعليمها حتى الصف الخامس (certificat). وتحملت مسؤولية باكراً مع أهلها حيث إنها بالإضافة لمساعدة والدتها، كانت تقوم بأعمال الزراعة والفلاحة حين يكون لوالدها وإخوتها عمل في تقصيب الحجر إذ كانت تذهب ليلاً لسقاية الزرع والأشجار. والمعروف أنه لم يجرؤ أحد على التعدي على دورها في السقاية. ولا تنسى ذهابها مع الفلاحين من القرية والقرى المجاورة إلى فلسطين تحديداً الى سوق مدينة الخالصة التي تعرف اليوم بـ» مستعمرة كريات شمونة». وفي سنة 1948 ذهبت مع عمتها التي كانت تعلم في المدارس الكاثوليكية بفلسطين. وعملت في التعليم حتى شهر نيسان، حيث عادت في فترة عيد الفصح إلى قريتها ولم تستطع العودة بسبب وقوع نكبة فلسطين. أما على المستوى العائلي، فكان استشهاد أخيها الصغير العريف بالجيش اللبناني الشهيد نكد جرجس بشارة سنة 1958.

أما عن تاريخها النضالي، فقد انتسبت إلى صفوف الحزب الشيوعي في سن مبكرة، وقد سبقها إلى ذلك أخواها اللذان يكبرانها وأبناء عمومها، مدعومة من والدها. وسوف نذكر بعضا من نشاطها في هذه المرحلة، مثل انتقالها سيراً على الأقدام بين القرى والمنازل، للتحضير للقاءات تثقيفية، أو لنقل المنشورات والمطبوعات الحزبية المحظورة، والتحريض ضد الطبقة الإقطاعية، ونشاطها ونشرها للوعي وخاصة بين النساء ونشر الوعي حول قضية فلسطين؛ يذكر أن أحمد الأسعد الإقطاعي في المنطقة في ذلك الوقت حرض على قتلها عندما بدأت حركتها تشكل إزعاج له. ولا ننسى أن نذكر أن أنشطة الحزب الشيوعي كانت محظورة. أيضا، شاركت في نقل المطبوعات إلى الحزب الشيوعي في سوريا. كما شاركت في المظاهرات التي دعا إليها الحزب الشيوعي آنذاك في كثير من المناطق اللبنانية، في بيروت، في طرابلس وصيدا. ونتيجة لذلك اعتقلت عدة مرات، ومنها مرة في طرابلس لمشاركتها في تظاهرة، حيث أوقفت ثلاثة أشهر. وحتى في السجن حيث قامت بأنشطة للتثقيف ومحو الأمية. وهنا ايضا حادثة تذكرها انطوانيت بفخر أنه عندما علم والدها بخبر اعتقالها قالوا إن هذا نتيجة تشجيعك لها والسماح لها فأجابهم: «عندما تخرج سوف أشتري لها بارودة».

خلال مسيرتها النضالية تعرفت إلى رفيق دربها الرفيق الصحافي الياس عبود، وتزوجا، وبدأت مرحلة جديدة من حياتها النضالية. إذ لم يكن من السهل أن تكون زوجة

صحافي ملتزم عمل فترة لا بأس بها بالخارج خاصة في العراق والكويت. سوف أفتح هلالين لأذكر ملف تحقيق صحافي أجراه في سنة 1974 عن نهر الليطاني، ونشر في جريدة السفير تحت عنوان نهر المليون فقير؛ تحقيق يستشرف فيه الكثير من المستقبل. وبالعودة إلى مسيرة المناضلة، فإنها تحملت المسؤولية الكاملة في إدارة البيت وتربية أولادها الستة، وزرعت فيهم روح الوطنية وروح المقاومة ضد العدو الإسرائيلي والاعتزاز بمسيرتها ومسيرة الوالد النضالية.

مع بداية الحرب الأهلية في العام 1975 تعرضت للتهجير وترك منزلها مع أولادها الستة دون أن تأخذ منه شيئاً من منطقة فرن الشباك كما كان يعرف آنذاك بمنطقة بيروت الشرقية. كانت من العائلات الأولى التي هجرت من بيوتها، والسبب الاختلاف السياسي مع الميليشيا المسيطرة على المنطقة وقتها. وانتقلت للعيش في قرية زوجها القرعون وبدأت مرحلة جديدة من حياتها، ومع هذا لم تحد قيد نملة عن مبادئها الوطنية والسياسية.

في القرعون، وفي هذه المرحلة، فعلت نشاطها الاجتماعي النضالي إذ كانت تقول إننا في حرب أهلية لا نعلم متى نهايتها، ومع وجود العدو الإسرائيلي على الحدود يجب توحيد الصفوف والجهود. كانت تقوم مع نساء القرعون بتنظيم شؤون الحياة على صعيد العائلة، وعلى صعيد القرية، وساهمت مع أهل القرية في تأسيس مستوصف من أنشطته إقامة دورات إسعافات أولية للفتيات....

بعد 18 عاما، أي في سنة 1976، عاد الزمن، وفتح جرحها الموجع باستشهاد ولدها نقولا عبود على تلال جبل صنين بين صفوف حركة فتح بمعركة الدفاع عن عروبة لبنان وحق لبنان في التصدي للعدو الإسرائيلي. هذا الوجع لم يثنها عن واجبها تجاه أهلها وناسها ولم يبدل موقفها تجاه القضية الأساس.

بعد سنة، في العام 1978، احتل العدو الصهيوني ما يعرف بالشريط الحدودي، فتأكد ما كانت تحكيه وهو دخول إسرائيل على مسار الحرب الأهلية اللبنانية. وفتح جرح العائلة من جديد باستشهاد ابن أخيها خالد عساف بشارة بالجنوب في صفوف حركة مقاومةٍ ضد العدو الإسرائيلي.

ومن جرح إلى جرح، كانت هذه المرأة المناضلة تزداد صلابة وعنفوانا وتمسكا بخطها

النضالي، الذي تمثل في دعم المقاومتين الفلسطينية واللبنانية ضد العدو الإسرائيلي.

ومن الأمثلة، أنها قامت بتنظيم زيارات مع نساء من المنطقة لقواعد الفدائيين في الجنوب لرفع المعنويات والتعبير عن التضامن مع الخط المقاوم. من مآثرها أيضا في اجتياح 1982 أنها قامت مع مجموعة نساء بإدارة المستوصف الميداني الذي أنشئ في البقاع وتجهيز مطبخ ميداني لتحضير طعام للفدائيين ودعم صمودهم.

وعندما وقعت القرعون تحت الاحتلال واضطرت للانتقال للعيش في بيروت في شقة الصغيرة، دخلت مرحلة جديدة لكن كل هذا لم يكسرها أو يشعرها بالوهن. وبالرغم من صغر الشقة فقد كانت مفتوحة على مصراعيها للاستقبال، وخاصة استقبال أهالي القرعون. ولم تكن تقصر في تقديم أية مساعدة إن استطاعت ولم تكن توفر أية وسيلة، حتى إنها كانت عند تحرير أسرى معتقل بلدة أنصار الجنوبية، المعتقل الذي بناه العدو خلال حرب 1982 على لبنان ووصل عدد المعتقلين فيه لأكثر من خمسة آلاف معتقل، تذهب لمنطقة الروشة في بيروت حيث وصول باصات المحررين لاستقبالهم، وتبدأ بمناداة شباب القرعون إن وجد أحد منهم وتحضرهم معها للبيت وتقوم بالاتّصال بأهلهم بالقرعون وتطمئنهم وتؤمن لهم مواصلات حيث يريدون العودة.

ويعود القدر ويفتح في قلبها جرحاً قديماً ويجدده في شهر نيسان 1985 بإعلان استشهاد ابنتها المقاومة في جبهة المقاومة الوطنية الشهيدة لولا الياس عبود، في عملية نوعية في القرعون. عشية استشهاد لولا، انسحب جنود العدو من القرعون... وتحررت القرعون وشيعت الشهيدة في قريتها، وكانت الوالدة على مستوى الحدث بل و أعظم. كان الجرح كبيرا جدا، إذ كانت لولا ابنتها الصغرى وكانت لا تزال تجلسها أمامها وتقوم بتجديل شعرها.

لكن الرسالة التي تركتها لها الشهيدة كانت تدل على أنها تخطت عمرها بالوعي أكثر، ومما ذكرته لوالدتها في الرسالة «أن هذا ما تربت عليه؛ حب الأرض وحب الوطن، ولن تقبل أو ترضى بالاحتلال وأن مقاومته واجب وأنك، أي والدتها، هي النموذج».

وبعد استشهاد لولا ووفاة زوجها ورفيق دربها سنة 1988، أخذت قرارها بالعودة والسكن في القرعون، وتابعت حياتها بنفس النشاط الاجتماعي. كانت لولا طريقنا للانتصارعلى الاحتلال حتى التحرير. حتى إنه من كثرة نشاطها ودعمها للصغار والكبار خاصة بين

جيرانها، أصبح معظم أطفال الحارة ينادونها (ستي أم وليد)، وحتى يومنا هذا، إن وقفت عند مدخل القرعون وسألت عن بيتها تجد عشرات المتبرعين يدلّونك عليه.

في هذا الفترة عاد معها إلى القرعون ابنها د.فؤاد الذي كان أنهى دراسته في الطب العام واختصاصه في الجراحة العامة. هذا الطبيب كان متميزا في مهنته واختصاصه وإنسانيته، واشتهر في القرعون وحتى البقاع لكثرة خدماته الإنسانية التي لا تعد ولا تحصى. كيف لا وهو ابن هذه السيدة العظيمة التي لم تخن تاريخها يوما تحت أي مسمى. ولكن القدر أبى إلا أن يفتح جرحها ويسبب لها أوجاعا لو حملت على جبل لإنهار، ففي العام 2016 فقدت ابنها الطبيب طبيبَ الفقراء، فكانت ضربة قاسية وموجعة حتى العظم.

مرحلة جديدة بدأت، فقد انكفأت الى حد ما عن الحياة الاجتماعية وجلست في منزلها تحمل على كتفيها: القهر والوجع والشوق لأحبة سكنوا قلبها. مع هذا بقي بيتها مفتوحاً مرحباً بكل زائرٍ محبٍ وبقيت صامدة صابرة متمسكة بشعارها « لن أخون تاريخي»، وموقفها بقيَ الداعمَ لأي عمل يضعف العدو الإسرائيلي.

سيدتي... أعلم أن هذه المقالة لن تفيك حقك فمسيرتك ونضالك يحتاجان إلى كتب لشرحهما والحديث عنهما. فتاريخك أمانة بأعناق كل الشرفاء، وآمل أن يطيل الله بعمرك حتى تشاهدي وتزوري فلسطين المحررة والحرّة. ووعداً منا «لن نخون تاريخك».

كتاب العدد :

كتاب عروة يقرأ ورد الياسمين
للمؤلف الشاعر العميد الدكتور: محمد توفيق ابو علي
نشر: دار نريمان-بيروت لبنان

1- قراءة في مجموعة الشاعر الدكتور محمد توفيق أبو علي «عروة يقرأ وِرد الياسمين»

بقلم الدكتور داوود مهنا

كاتب وشاعر وأكاديمي من لبنان

Daoudmhanna@hotmail.com

في مجموعته «عروة يقرأ وِرْد الياسمين» الصّادرة مؤخّرًا عن دار ناريمان للنّشر والطّباعة والتّوزيع، ينشر الشّاعر الدّكتور محمد توفيق أبو علي مجموعة نصوص، تتوزّع بين شعرٍ، وحكايات، وخواطر.

عنوان المجموعة يحيلنا إلى معنى التّماسك والاعتصام بالشّيء، ما يلمح إلى أمرين: أوّلهما أنّ هذه المجموعة يشدّ بعضها بعضًا من أجل استكشاف مكنونات الجمال، وثانيهما أنّ هذه المجموعة فيها دعوة ضمنيّة إلى شدّ العرى والالتحام والاعتصام بحبل واحد من أجل الوصول إلى الخلاص. ولكنّ القارئ الّذي يستبعد اسم الشّاعر الجاهليّ «عروة بن الورد»، يفاجأ مفاجأة لطيفة أنّ محمد أبو علي قد لعب لعبة فنّيّة جميلة، إذ حاول تحوير الاسم الأصليّ للشّاعر الجاهليّ، فجاءت الكسرة تحت الواو في كلمة "وِرد" لتذهب بالمعنى بعيدًا إلى مكان إشراف الياسمين، والياسمين يشرف على منابع الجمال الطّبيعيّ، ليأتي عروة ويقرأ هذا الجمال، ولكن هذه المرة بعين حداثيّة معاصرة، بعيدة من العيون الجاهلية. وفي قراءة هذه المجموعة، بوصفها عملًا شعريًّا، يمكن إلقاء الضوء على مجموعة من العناوين، منها:

وجه عروة:

المعروف أنّ «عروة بن الورد» هو شاعر من أشهر شعراء الجاهلية وأكرمهم. كان يقود الصّعاليك في الغارات، ويوزّع عليهم الغنائم، وكان يسرق من الأغنياء لإطعام الفقراء والمساكين، ولا يغزو من أجل السّلب والنّهب، فأضفى على الصّعلكة نوعًا من الاحترام والتّقدير. وهذه الصّفة الملازمة لعروة لم تفارقه في مجموعة "محمد توفيق أبو علي"، إذ راح عروة يحمل هموم الفقراء، إلى أن أصبح اسمه مقرونًا بهم، ومجيئه شبيهًا بمجيء الرّسول إلى قومه. لقد سمت شخصية عروة فوق مستوى البشر العاديّين، وربما وصل إلى مرحلة القداسة بين قومه، لأنّه ذو لمسة إحيائيّة تبعث الشّهداء من موتهم، مبشّرًا بحياة تليق بالحالمين. يقول (الديوان ص9):

من واحة العشق، من آخر الصحراء/ إلى أم المدائن/ بريد الشوق بين البر والبحر/ سليلة الماء والجمر/ عروة الفقراء يأتي/ يسبقه الحمام/ يظلله الغمام/ ومن عينيه تهمي دمعة بيضاء/ يقرأ وِرد الياسمين/ ويقول للشهداء قوموا/ هذا زمان الحالمين/ سنخيط بالضّوع حلمًا لا يموت/ ونخيط للحلم دثارًا/ اسمه بيروت.

إذًا، عروة هو المخلّص، وهو الحامي والمدافع، وهو الّذي يقف حائلًا دون الجوع إذ يثور معلنًا عدم انصياعه للقهر والظّلم (ص29):

سلامًا/ سلامًا لقيس الفقر يأتي/ من خوابي الوجد، من قرع النواقيس، ومن مآذن روح عصيّه/ سلامًا له من عروة يعدو نحو نارٍ قرمطيّه/ توقظ الشرر الغافي لشمس عربيّه/ تكتب للنور تاريخًا... ترسم وجه الحضارة... تُرجع للشرق طهر القادسيّه!

تقع على عاتق عروة مسؤوليّة كبرى تتلخّص في إعادة المجد لتلك الأمّة. فالأمّة العربيّة تغفو في سبات عميق، وهي بحاجة إلى أن تعيد أمجادها الغابرة، ولن تُعاد تلك الأمجاد إلاّ على يدي عروة، ذلك الوجه الوحيد القادر على الوقوف في وجه الموت، وفي وجه الحق المسلوب، بينما الكلّ ساكت حوله لا ينبس بكلمة (ص 56):

كانت الغمامة/ وكان عروة نقطة زيت/ تطفو فوق ماء الموت/ تمتشق الصوت/ سوطَ حق وحسامه/ وكان الصمت/ قحطًا يسافر في جذع الكلام/ نعشًا يسامر أحلام الغمام/ وصهيلًا يخيط ثياب الرمل أغنية سريّةً/ تخشى كوابيس النهار... تغنّي للظلام/ فكان عروة حرز أغنية/ لعنادل شردتها بوم الخميله/ فمضت تخاف يعثر خطوها/ وتقتلها القبيله!

وإذ تُعلَّق الآمال على عروة، ويصبح هو الأمل الوحيد للخلاص، يقف مخاطبًا الناس، وتصبح أقواله متداولة مرددة على الألسن، فيعلن موقفه من قضايا الأمة، ومنها فلسطين (ص 73):

عروة قال:/ كل ريح لا تحمل القدس لقاحًا/ نذيرٌ بسوء المآل/ وسموم قاتلة/ سيّانِ: تركب بحرًا/ أو تذروها رمال/ وأقول: نِعم الرأي ونعم المقال!

ولا تنتهي أقوال عروة وأحاديثه وتوجيهاته وتعليماته في ساحات الحراك، ليصل القارئ إلى نتيجة مفادها أنّ "محمد توفيق أبو علي" قد لجأ إلى شخصيّة عروة بن الورد بوصفها قناعًا، وذلك بهدف التّخلّص من الغنائيّة المباشرة، ودمج صوته في صوت تلك الشّخصيّة، ليضفي على صوته نبرة موضوعيّة شبه محايدة، تنأى به عن التّدفّق المباشر للذّات.

النّبوءة والحلم:

يرتقي محمد توفيق أبو علي في حلمه إلى مستوى النّبوءة، والنّبوءة معروفة في الشّعر، إذ يرى الشّاعر ما لا يراه الآخرون، فيفتح نصّه على الرّؤى والدّلالات والتّأويلات. إنّ محمد توفيق أبو علي يلتزم الهمّ الوطنيّ العامّ، فيرتقي بوطنه إلى مستوى التّأمّل والتّعمّق في الذّات. وإذا كان الوطن يعاني وجعًا، فإنّ الشّاعر يرى أنّ الخلاص آتٍ في الأيام القادمة، ربّما على أيدي الأجيال الطّالعة التي يعلّق الآمال عليها في التّغيير. لا يكتفي الشّاعر هنا بما تراه العين، إنّما يدرك من الأمور أعمقها وأكثرها صلةً بالروح، لأنّه هو ابن هذا الوطن، يعشقه، ويعرفه عن كثب، فتولد علاقة خاصة بينهما، تجعله قادرًا على استكشاف ما تضمره عناصره، وما يخبئه مستقبله (ص 12):

إني أرى همسًا لغيث قادم/ فمتى يصير الهمس جهرًا يا غمام؟/ ومتى يؤوب الماء من تطوافه؟/ ظمئت صحارى الروح، والواحات يعروها السقام.

وعلى الرّغم من الجدب الحاصل في الوطن، فإنّ الشاعر ما زال يرى انبعاث الحياة من الصّحارى. والموت لا يمكن أن يهزم هذا الوطن الذي يعشق الحياة. لا بدّ من أن يهمي المطر لتعود الحياة وتزهر الفصول (ص 14):

إني لأبصر في الصحارى نخلة/ تأبى الذبول/ وتخيط من أفيائها ثوبًا لزركشة الفصول/ إني أرى رغم الهجير غمامةً في القيظ هيمى بالهطول/ وأرى نجومًا لا يدانيها الأفول/

إني أرى وطنًا يعود إلى الجذور... إلى الأصول/ إني أرى وطني الجميل!

وينمو الحلم في بال الشّاعر إلى حدّ التّأسيس والبناء؛ فهو يحلم ببناء مدينته ووطنه كما يشاء شعرًا. ولا غرو إن بنى الشّعراء أوطانهم كما يشاؤون، فالشّعر تخيّلات ورؤى وأفكار قابلة للتّحقّق، والشّاعر حالم آمل، يستشرف مستقبل وطنه الجريح، ويصنع في مخيلته وطنًا بديلًا لأنّه غير قادر على تخيّل جرح الوطن وآلامه. (ص 40):

بيروت قومي من جراحك واهتفي/ قسمًا بإنجيل يُجَلّ ومصحفِ/ سأصوغ حزني معجمًا يُذكي اللظى/ وأصوغ لبنان الجميل بأحرفي

لا شكّ في أنّ لبنان الجديد الّذي يصوغه الشّاعر هو لبنان الإلفة والمحبّة والانسجام بين جميع أبناء الوطن الواحد.

بيروت:

ظهرت مدينة بيروت بوصفها معشوقة العشّاق وشغفهم، راح الشّاعر يتغزّل بها مظهرًا مفاتنها، فهي المشتهى وهي قبلة القبل. وما دامت بيروت جميلة إلى هذا الحدّ، فلا يمكن انطفاؤها، والشّاعر يحذّر من ذلك لأنّ بيروت هي منارة الشّرق، وإذا انطفأت فسينطفئ نور الشّرق كاملًا (ص 16):

بيروت يا شغف العشاق، إن عشقوا/ يا وجنة المشتهى، يا قبلة القبل/ .../ بيروت يا شهقة الأنوار وامضةً/ ويا ضماد أسى، في مذبح الملل/ إن تطفئوها، فنور الشرق منطفئ/ وفي النفير انبجاس القادم الجلل.

وعندما يتحدّث محمد توفيق أبو علي عن وطنه الجريح، تحتشد أمام عينيه عبارات التّعب والأسى والظّلم؛ إنّه يعيش المرارة تلو المرارة، لكنّ صوته لا ينفكّ معلنًا ثورته على كلّ المآسي الّتي تصيب وطنه. يُطلق صرخة لعلّها تدّوي في مسمع ما، لكنّ الدّمار يقطف كلّ شيء جميل، والأعداء يتربّصون بهذا الوطن مدجّجين بما يملكون من أحقاد وظلم وقهر. فكيف للشّاعر أن ينقذ مدينته من تلك المآسي؟ لقد أمست بيروت مقبرة، فأقفل كلّ شيء أمام وجه الشّاعر، والحلم ثوى تحت الرّكام (ص 32):

بيروت – يا حسرتي – أمست مقابرنا/ والحلم – يا حسرتي – تحت الركام ثوى

وإذا كانت بيروت جريحة اليوم، فإنّها ستنهض غدًا. والشّاعر يتلمّس أحلامًا للثّورة لعلّها تكون سحابة تمطر ماء يحيي نبات الانتفاضة. يحاول بكلّ ما ملكت يداه أن يكون

فرحًا في فضاء المعذّبين. ستنهض بيروت من تحت الرّكام، ويكون جرحها دليلًا لها نحو الحلم الواعد (ص)41:

بيروت يا وجع القصيدة في المرايا الشارده/ تحت الركام، ويا جمار الحزن في صمت القبور الواعده/ أُوبي لنبكي جرحنا/ نبكي قليلًا، ثم نطمر دمعنا/ قرب الأحبة، عله ينمو غدًا/ شجرًا يُظلل في الهجير صبابةً/ للحلم، للوعد الصبور، وللأماني العائده.

وبيروت هي المدينة الوحيدة الّتي تشير إلى الحياة، هي منارة المدن، لا تعرف الموت ولا الدّمار. كانت وستبقى ضوءًا ينير فكر الكون علمًا ومعرفة (ص 81):

بيروت لا تغضبي/ تكسرت المرايا/ لم يبق غيرك مرآة تشي سر الحياة... تشي ما يكره التابوت/ لم يبق غير وجهك ثديًا يرضع الشمس/ ضوءًا لا يموت/ بيروت/ مثقلةٌ بالحب أنت:/ انظري سلمان... أبا ذرٍّ... صور وصيدا... أجراس قيامتنا، وطرابلس الفيحاء وأمي، قد رسموا الحلمَ سؤال/ في مدارات الرمال/ وحدك يا بيروت جواب/ أجيبي... يَعْنُ المُحال!

وعند استحضار الفجيعة الّتي حلّت ببيروت وأوقعت فيها الدّمار والخراب، لا بدّ من استحضار مدينة "كربلاء" الّتي ترمز إلى أعظم فجيعة جسّدت الظّلم بأبشع صوره. فبيروت وكربلاء تعانيان الوجع ذاته، وهمومهما مشتركة، لهذا، وجب إقامة مراسم الحزن معا لأنّ العدل في الكون قد شنق، وبسط الظّلم سلطانه، وليس من عزاء سوى بموت الطّغاة الظّالمين (ص 105):

بيروت نادي كربلاء/ قولي لها: جمع الجوى أوجاعنا/ هيا تعالي كي نقيم معًا مراسم حزننا/ بمشانق العدل التي تغدو فضاء قصيدة، ترنو إليها لوحةٌ فوق الجدار/ تروي لذيّاك الفضاء/ وجع الدماء/ تحت الدمار/ وتقول للأحرار في وضح النهار/ يا قوم إن عزاءنا موت الطغاة، فموتهم نعم العزاء.

تبدو الهزيمة واضحة هنا، فالمدن العربية تكاد تكون متشابهة في وجوهها، والواقع المأزوم يلاحق الشّاعر، ويرى أن البّكاء واجب على تلك المدن المقهورة والمظلومة. وهذا البكاء سيدوم طويلاً لأنّ البلاد العربية تعاني الأزمات والانكسارات والهزائم المتتالية، والمجتمع العربي واقف كالوتد لا يحرك ساكنًا، ولا ينتفض على واقعه كي يعيد المجد العربيّ التّليد. والشّاعر يعود مرّة أخرى مكابرًا على نفسه، معلنًا مرّة أخرى أن بيروت ستقوم من تحت الرّكام. ولكن السؤال يبقى: ما حال تلك المدينة التي تتلقى النكسة بعد الأخرى، وتقوم مرة بعد الأخرى من تحت الركام؟ هل يبقى وجهها في المرايا ناصعًا،

أم تشوهها أحداث الزمن؟ ما زال الشاعر يحلم بأن تنهض بيروت وتعود منارة للشرق.

فلسطين:

الانتماء العربي واضح في شعر محمد توفيق أبو علي، فهو يرفع شعره إلى كلّ مظلوم في هذا الوطن العربيّ. إنّه يتكلّم بلسان المعذّبين في هذا الوطن، والمقهورين الّذين يعيشون الظّلم والمرارة. لقد نظر إلى هذا الواقع، فرأى القضيّة الفلسطينيّة، والحروب والويلات والدّمار والخراب. وقف حائرًا إمام هذا الواقع، لا يدري، هل يقف مستسلمًا يائسًا، أم يطلق صرخته الشّعريّة في وجه هذا الظلم الجائر؟

وكانت فلسطين نجمة هذا الواقع، نجمة معذّبة، حضرت حضورًا بارزًا في شعر محمد توفيق أبو علي، بوصفه شاعرًا ملتزمًا قضايا الأمة، فراح يسجّل المحن السّياسيّة الّتي شهدتها تلك الأرض الفلسطينيّة تحت وطأة الاحتلال. من هذا المنطلق، ظهرت العاطفة القوميّة والوطنيّة والعربيّة مشعّة لدى محمد توفيق أبو علي، في قصائد عديدة، بدت مرآة أحوال القضيّة الفلسطينيّة والشّعب الفلسطينيّ. وقد ظهرت في شعره صرخة الألم والثّورة ضدّ الاحتلال والاستبداد والظّلم، فبرزت القصيدة منبرًا صارخًا للدّعوة إلى الجهاد والكفاح، من أجل دحر الاحتلال وإنقاذ فلسطين من رجس الأعداء. إنّ القضيّة الأساس لدى الشّاعر هي القضيّة الفلسطينيّة، ودم الشهداء لن يضيع سدى (ص 15):

سأقول في وضَح النهار: القدس صوتي والصدى/ وأقول إن القدس في فقه الدماء قضيتي/ ... ونُحاتنا الشهداء قالوا: لن يضيع دمٌ سدى/ ونحاتنا قالوا فلسطين العصية دائمًا ممنوعة من صرف أسواق النخاسة والعدى.

وفلسطين هي الّتي سيجتمع فيها الشّمل، ستتوحّد الفصائل، ويتوحّد أبناء فلسطين يدًا واحدة في مواجهة الاحتلال، ولن يتقاتل أبناء الوطن الواحد، بل سيقاتلون الاحتلال. فالتّباعد الحاصل بين أبناء فلسطين اليوم، لن يكون غدًا سوى لقاء انسجام، وتكون فلسطين هي الأم الحنون الّتي تجمع جميع أبنائها في حضنها الجميل الدّافئ المطمئنّ (ص 50):

فيا رمل، كفاك تشرب دمعي/ كأس نشوة وهوًى/ رغم الكيد، ورغم الويل/ سنجمع شمل الفاء والنون/ وستبقى فلسطين لنا أمًّا/ نعم أمًّا حنون.

وحين يصل عشق الشّاعر لفلسطين إلى منتهاه، فإنّ ذلك العشق يتمكّن من الشّاعر

تمامًا، ليصبح مستحوذًا على قلبه وعقله، فيطلق دعوة وصرخة ونداءً إلى أن تكون القدس هي الحبيبة الوحيدة، والتّفكير يجب أن يتّجه نحوها فقط. إنّ فلسطين هي بوصلة الحبر، وكلّ حبر لا يعرف فلسطين يبقى حبرًا عقيمًا لا يلد قصائد يانعة (ص 51):

ازرع في قلبك قدسًا/ في عقلك قدسًا/ ترجم معجمك الرملي إلى لغة القدس/ وأعد للقرص الشاحب معنى الشمس/ ناج فلسطين، وقل:/ أرشديني إلى الحبر/ لنعيد كتابة الجمر/ ضفائر ولهى/ عشًّا لعصفور طريد/ حبل مشنقة لخفاش يغني/ يرتجل المسافة بين ثدي وأحلام الوليد/ ناج فلسطين وقل:/ فلسطين المرايا السحيقة تحملها الأزمان/ تأوي إليها طفلة ترسم وجه أبيها/ حرفًا يكتب فوق النار المسعورة وهج الطين/ دفء الذاكرة المسجونة في حد السكين/ وكتابًا أزليًّا يختصر العشق ولا يعرف درب النسيان.

وإذا كان الظلم الذي تتعرض له كل من فلسطين وبيروت متشابهًا، فمن الطبيعي أن تتحد فلسطين مع بيروت من أجل كشف وجه المعتدي القاتل والمغتصب، وافتضاح أمره (ص 20):

هي ليلى العامرية/ تكشط عن وجه قاتلها/ ورق التوت/ تتجلى تارة في حجر/ يقذفه الصبية من سور فلسطين/ تارة في قمر يغشاه وجد شاسع وحنين/ وطورًا في بلاد مترامية الأطراف، واسعة المدى، تدعى... بيروت.

المرأة والحبّ:

المرأة عند محمد توفيق أبو علي هي الرّجاء الدّائم، هي ضرورة في الحياة، وحب لا يزول. هي حلم متخيّل وإحساس مبتكر. وإنّ رؤية محمد توفيق أبو علي إلى الحبّ هي رؤية صوفيّة تقديسيّة، فالحبّ هو الإحساس والسّموّ المطلق، هو النّور والوضوح والحقيقة، وكلّ ما عداه في الكون هو الشّكّ. يمنح الشّاعر الحبّ الشّكل الوجودي الأسمى، للدّلالة على العظمة حينًا، والوفاء والتّصوّف الرّوحيّ والأنس الوجوديّ حينًا آخر (ص 127):

أحبك ذاك نوري/ وكل ضجيج ضوء فهو شكٌّ/ أحبك، جهر سري/ وإفكٌ ما خلاه بلى... وإفك!

ويلجأ الشّاعر إلى تصوير حالته الشّعوريّة عبر الشّذرات الرّومنسيّة المشتقّة من حقل الحبيبة وحقل الطّبيعة. فالمفردات زاخرة في توصيف جزئيّات الحالة، ممزوجة بالإحساس الصّوفيّ من خلال الشّعور بالمثيرات الجماليّة والطّبيعيّة، ليزيّن بها نصّه

الشّعريّ، متلمّسًا جمالها في عمق معاناته. وبالنّظر إلى عيني الحبيبة، يرى الشّاعر فيهما مورده الشّعري، فالحبيبة هي الملهمة الّتي يتّكئ عليها الشّاعر حال الكتابة. وهنا ينطلق الشّاعر في رحلته الرّومنسيّة الطّبيعيّة، فينتشر الضّوع مترنّحًا، وتزهو الخمائل، ويعيش الشّاعر حالته الصّوفيّة الخاصّة لتتّحد صورته مع صورة الحبيبة، ويصبحان واحدًا. وذلك الحبّ هو الحبّ الطّاهر البريء، المقدّس المصان، الّذي يتلقّى الرّعاية اللاّزمة والأجواء المناسبة، فينمو كما ينمو الطّفل في حضن أمّه. (ص 112):

وِرد ترددِه حروف قصيدتي/ عيناك؛ فالإلهام صار تكيّتي/ وترنّح الضوع الهجير بوردة/ فزهت بضوع الحب كل خميلة/ ومضيت انشد في المرايا صورتي/ في واجدٍ، فرأيت وجه حبيبتي/ فرشفت منه رحيقه وغوايةً/ تهدي الفؤاد إلى سبيل حقيقة/ وعرفت أن الحب ينمو بيننا/ كنماء طفل في رحاب أمومة.

ويصل الشّاعر إلى حالة من الوجد الصّافي حينما يصوّر ذاته مع الحبيبة كأنّهما اتّحدا في غيمة تذوب في المطر. وهذا الذّوبان هو مصدر حياة ونماء للأرض إذ يهميان في حالة انسجام تامّ، إلى أن يصلا إلى حالة من السّكر الرّوحيّ (ص 149):

كأننا غيمة يقتاتها المطر/ نهمي كلحن غفا من وجده الوتر/ نذوب شوقًا وتهيامًا كقافية/ رويها من دوالي الحب يعتصر

وقد يرتقي الحبّ لدى الشّاعر إلى مستوى أعظم، وهو حبّ الإنسان لأخيه الإنسان بشكل عامّ. وفي دعوة ضمنيّة إلى اتّحاد الكرة الأرضيّة بكاملها تحت اسم الإنسانيّة، يُطلق الشّاعر صرخته إلى العالم أجمع، داعيًا إلى نبذ الخلافات والأحقاد، والتّحلّي بنكران الذّات، والتّطلّع إلى الآخر (ص 104):

ما أحيلى الحب/ ما أحيلى الحب يابسة وماء/ وِردًا ترتله الشمس صباح مساء/ فوق البحر/ حين يعصف الموج/ وتربدّ أنواءٌ/ وصلاة لكسوف/ حين تعشي النور ظلمات المدى/ ويغترّ هجرٌ/ وتختال النوى.../ فلتخشع بالنور الأمداء/ وليدرك هذا الطين سلالته/ ولتخلع كرة عنها/ أقنعة الأسماء.

وهكذا يرسم محمد توفيق أبو علي لوحته الشّعريّة رسمًا فنيًّا موحيًا، يعتمد دفق الصّور الجماليّة في منحاها التّشكيليّ الوصفيّ، لتبدو اللّوحة فنيّة ترسيميّة مدهشة لتلاوين الحبّ من جهة، ومن جهة ثانية يقدّس الشّاعر الحبّ ليعبّر عن سموه الرّوحيّ وحيازته المطلقة لما يكتنزه الحبّ من جماليات، فهو زورق العاشق الذي يصله إلى الحبيب ليتواصل معه جسديًّا وروحيًّا.

2 – «عروة يقرأ وِرد الياسمين» هي حديقة وَرد ساحرة

الدكتور:عماد حمزة

أكاديميّ وروائيّ وناقد من لبنان

العميد الدكتور محمد توفيق ابو علي، نشر حديقة وَرده الساحرة «عروة يقرأ وِرد الياسمين» وهي من منشورات دار ناريمان الالكترونية. وقد قضيتُ النّهار وشطرًا من الليل أنتقل في جنبات هذه الحديقة، فعجزتُ عن الانتقاء، فكلّ ما في هذه الحديقة من «شعر» «خواطر» و «حكايات» أصص من الجمال الفريد، الساحر والمغرِي، ويعجزك عن الاختيار؛ وكلّ صفحة تلَّةٌ من سحر وخلَّة من جمال ومنحنًى من الإبداع الباذخ الفاتن.

وكم لامس روحي ذكره ل»عروتَيْ» روحه أبيه و أمّه، ذكر ينضح بالبرِّ الذي لا مثيل له.

ولا أعرف لماذا حملتني حديقة محمد توفيق أبو علي «عروة يقرأ وِرد الياسمين» إلى «سعدي» صاحب «كلستان» اي حديقة الورد.

وإنّني أستطيع أن أقول براحة ضمير إنّ حديقة محمد توفيق أبو علي لا تقلُّ شأنًا ولا قيمة ولا فنّيّة ولا توزيعًا هندسيًّا عن «كلستان» سعدي شاعر الفارسيّة العظيم... فمن شعرٍ لخاطرةٍ إلى حكاية تمتدّ حديقة محمد توفيق أبو علي على امتداد القلب والرّوح نافذة من الحواسّ كلّها، الظاهرة و الباطنة، المعروفة و الخفيّة إلى ثنايا النّفس والهوى الصّوفيّ الطّاهر النّظيف.

العشق في «عروة يقرأ وِرد الياسمين» لا يخطئه قلب، ولا تضلّ عن سبيله نفس توّاقة إلى الانعتاق من الماديّ للاتّحاد بالعُلويّ السّماويّ.

لقد أخبرنا ابن سينا أنّ النّفسَ «هبطت إليك من المحلّ الأرفعِ».

أما أبو علي، فلقد أطلقها في سماء الجمال «ورقاء ذات تعزُّزٍ وتمنعِ» فأطلقها من سجنها إلى الفضاء الأرحب، إلى الخلق والإبداع الفريد.

محمد توفيق أبو علي ليس شاعرًا عاديًّا، ولا أديبًا عابرًا، إنّه مبدع خلّاق يغزل الحروفَ نقاء، وينسجها كلماتٍ على نَوْل من الطهر؛ لتكون كلّ قصيدة قطيفة من سناء لا ينقضي نوره.

ليس في «عروة يقرأ وِرد الياسمين» إلّا الحبّ، ولا يوجد فيه مثقال ذرّة من كراهية، حتّى إذا أراد شيئًا غير ذلك كنّى بالإشارة إلى العتم والظّلام وسوء منقلبهما.

النّور، العطر، الحبّ،

الوفاء، الصّدق، الطّهر، النّقاء والياسمين... أسيجة لحديقته، ويا لجمالها من أسيجة.

عرفتُ محمد توفيق ابو علي لأربعة عقود ونيّف، ومنذ اليوم الأوّل حتّى هذه الساعة ما زادني الزّمان فيه إلّا حبًّا وأخوَّة وصداقة في قلبي وروحي وعينَي. فلطالما نشر الحبّ والوداعة والصّفاء و الجمال، بكلماته وسلوكه ودخيلته في المحيط الذي ضمَّنا مع طيّبين وطيبات، ضاع بعضهم في دروب الحياة ولم تضع ذكراهم.

لا أستطيع أن اقرأ محمد توفيق أبو علي إلّا بحبّ، فهذا رجل مسالم النفس، طيّب القلب، نقيّ الرّوح، نشر جماله في قلوب الفريق الذي كنّاه، وعرَّشت بلاغُته في سليقة نادرة، في دنيا الإبداع، حتى أكاد أجزم، أنّه من قلّة قليلة في لبنان تكتب عبارة فصيحة ببلاغة بسيطة، سهولتها ممتنعة، ونصوصه شواهد صادقة مبسوطة للقاصي والدّاني.

أحبُّ أن أبارك لكَ، يا عميد، هذا الفيض من السّحر والعطر والجمال،

ولكنني كسواي، رأينا فيه بركة من فيضك الزّاخر الذي عشقناه.

وتعلّمنا منه معاني العشق الأنيق.

كلّ الحبّ.

بحوث العدد

باب التربية وعلم النفس:

1 – الأنماط القيادية السائدة لدى مديري مدارس المرحلة المتوسطة بمنطقة حولي التعليمية بدولة الكويت وعلاقتها بالولاء التنظيمي لمعلميهم من وجهة نظرهم

The prevailing leadership patterns among Secondary schools principals in Hawalli Educational District in the State of Kuwait and their relationship to the organizational loyalty of their teachers from their point of view

الدكتورة/ فاطمة حمزة عباس المطوع

f.h.almoutaw3@hotmail.com

وزارة التربية – دولة الكويت

تاريخ الاستلام: 13/2/2021 **تاريخ القبول: 25/2/2021**

مستخلص البحث:

تهدف الباحثة في هذه الدراسة إلى إبراز العلاقة بين النمط القيادي للمديرين بمدارس المرحلة المتوسطة بمنطقة حولي التعليمية بدولة الكويت ومستوى الولاء التنظيمي لمعلميهم وفق نموذج «هيرسي وبلانشارد»، وكذلك البحث عن النمط القيادي السائد بمدارس المرحلة المتوسطة بمنطقة حولي التعليمية من وجهة نظر المعلمين، والكشف عن مستوى الولاء التنظيمي للمعلمين العاملين بالمرحلة المتوسطة، وعن مدى ارتباطه ببعض المتغيرات الشخصية والمتمثلة فى (الجنس، الخبرة، العمر)، وذلك باتباع المنهج الوصفي التحليلي، وقد طُبق البحث على عينة تبلغ (500) معلمًا ومعلمة موزعين على (31) مدرسة من مدارس البنين والبنات المتوسطة بمنطقة حولي التعليمية والاعتماد على استجاباتهم على مقياسين وهما: مقياس الأنماط القيادية لـ (هيرسي وبلانشارد)، ومقياس الولاء التنظيمي لـ (بورتر وزملائه)، وتوصلت الباحثة إلى أن النمط القيادي المشارك هو النمط السائد والأكثر ممارسة عند مديري مدارس المرحلة المتوسطة بمنطقة حولي التعليمية، يليه النمط الآمر، فالمفوض، وفي المرتبة الأخيرة النمط المُسوق، كما

توصلت نتائج البحث أيضا إلى أن مستوى الولاء التنظيمي للمعلمين هو مستوى متوسط، وعدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية فى مستوى ولائهم التنظيمي يرجع لمتغير الجنس، الخبرة المهنية، ووجود فروق ذات دلالة إحصائية فى مستوى الولاء يرجع إلى متغير العمر لصالح فئة المعلمين أكثر من (50) سنة، وأخيرا توصلت الدراسة الحالية إلى وجود علاقة ارتباطية بين كل من الأنماط القيادية الممارسة من طرف مديرى مدارس المرحلة المتوسطة بمنطقة حولي التعليمية، ومستوى الولاء التنظيمي من وجهة نظر المعلمين.

كلمات مفتاحية:

دولة الكويت، النمط، القيادة، الولاء التنظيمي، المرحلة الدراسية المتوسطة

Abstract

In this study, the researcher aims to identify the relationship between the leadership style of secondary schools principals in Hawalli Educational District in the State of Kuwait, and the organizational loyalty level of their teachers according to the "Hersey and Blanchard" model, as well as the search for the leadership style prevailing in secondary schools in Hawalli educational district from the teachers' point of view, The level of organizational loyalty of teachers working in the secondary schools, and the extent to which it is related to some personal variables represented in (gender, experience, age), by following the descriptive analytical approach, and the research was applied to a sample of (500) teachers distributed among (31) secondary schools and rely on their responses on two scales, namely the leadership styles scale for (Hersey and Blanchard), the organizational loyalty scale for (Porter and his colleagues), the researcher concluded that the co-leadership style is the prevailing and most practiced style among secondary school principals in Hawalli educational

district, followed by the commanding pattern, the commissioner, and in the last place the marketed style, and the results of the research also found that the level of organizational loyalty to teachers is an average level, and there are no statistically significant differences in the level of their organizational loyalty due to the gender variable, professional experience, and the existence of related differences Statistical significance in the level of loyalty due to the variable of age in favor of the class of teachers more than (50) years, and the study found that there is a correlation between each of the leadership styles practiced by secondary schools principals Intermediate stage, and the level of organizational loyalty from the teachers' point of view.

Key words: State of Kuwait, style, leadership, organizational loyalty, secondary schools.

1. مقدمة:

تعد القيادة ضرورية فى كل المنظمات بغض النظر عن نوع النشاط الذي تمارسه وفى كل المجالات الإدارية من تخطيط، وتنظيم، وتحفيز، ورقابة، وخاصة فى الأمور الإشرافية، ويقع على القائد مهمة توجيه جهود العاملين نحو تحقيق الأهداف من خلال قدرته فى التأثير فى سلوكهم. (حنفي، والقزاز، 2006، ص128)

فالقيادة جوهر العملية الإدارية، وتنبع أهميتها من أهمية الدور الذى تؤديه فى المؤسسة الإدارية، وما له من تأثير فى جميع الجوانب العملية الإدارية، ويتوقف نجاح الإدارة فى تحقيق أهدافها على مقدرات القائد وخصائصه وإمكاناته فى توجيه العمل ورعايته. (العرفي، ومهدي، 2006، ص212)

وتُعد القيادة التربوية الفعالة من أهم الركائز الأساسية لنجاح النظام التعليمي في تحقيق الأهداف المرجوة منه، وللتأكد من جودة المؤسسة التعليمية وكفائتها وجودة مخرجاتها، يُنظر أولاً إلى قيادتها وما يتوافر لديها من قدرات وإمكانات ووعي متكامل للأدوار المطلوبة منها ولدور المؤسسة التعليمية في المجتمع، ويُخطئ من يظُن أن

قيادة المؤسسات التعليمية سهلة ومُيسرة، أو أن ظروفها تتشابه مع غيرها من المؤسسات الأخرى. (حيدر، 2010، ص49)

ويواجه مديرو ومديرات المدارس صعوبات كثيرة في التعامل مع موظفيهم في العصر الحديث حيث ازداد التطور التكنولوجي مما انعكس على أفراد المجتمع بصفة عامة، خاصة مع انفتاح التواصل وقنوات الاتصال الداخلية والخارجية، وتشعبت الأهداف المرجو تحقيقها من القيادة المدرسية لمواكبة متطلبات العصر الحديث، مما استلزم معه استخدام أساليب إدارية فعالة وجديدة بعيدة عن الأنماط الكلاسيكية القديمة، وعلم الإدارة يشمل العديد من النظريات الإدارية التي يطمح كل مدير بأن تكون من ضمنها النظرية المناسبة (أبو ناصر، 2008)، فالعمل بوضوح أصبح من أساسيات العملية الإدارية الحديثة والتي يمارسها القادة من خلال اتصالاتهم الرسمية وغير الرسمية مع فريق عمل مؤسساتهم؛ لأن مقدرة الإدارة على تحقيق ما تطمح إليه من أهداف متوقف على ما يقوم به المرؤوسين من أنشطة (السلمي، 1995).

وطبيعة عمل مدير المدرسة تفرض عليه أن يقوم بدوره القيادي فى مدرسته، ومن الطبيعي أن يتوقع منه القيام بهذا الدور القيادي، فالرؤساء فى المراكز الإدارية الأعلى والمعلمون والطلبة وأولياء الأمور والمجتمع بمختلف مؤسساته ينظرون إلى مدير المدرسة على أنه القائد، وعليه القيام بدور القيادة وما يترتب عليه من مسؤوليات ومهمات. (أسعد، 2014، ص315)

ويعد النمط القيادي أحد العوامل الرئيسية التى تسهم فى تشكيل طبيعة العلاقات الوظيفية الإدارية بين مدير المدرسة والمعلمين، وفى ضوء النمط القيادي المتبع تتحدد أنماط الاتصال الإداري، وطرائق تنفيذ السياسات والخطط العامة التى تقوم الإدارات العليا برسمها وتحديدها، ولقد أجمع الباحثون على أن المعلم هو أحد أهم مدخلات العملية التربوية المدرسية، إن كثيرًا منهم اعتبروه أهم تلك المدخلات على الإطلاق(السعود، 2007، ص206).

ويعد الولاء التنظيمي أحد المتغيرات المهمة التى تحدد درجة إنجاز الفرد للأهداف، إذ إن الفرد الذى يشعر بمستويات عالية من الولاء التنظيمي للمؤسسة التي يعمل فيها يكون متفانيًا فى العادة، ويبذل قصارى جهده فى أداء مهماته وواجباته. (الجمل، 2013، ص10)

ويشتمل الولاء التنظيمي على عدد من الخصائص الوظيفية التى تميزه عن غيره من

المفاهيم المرتبطة بالعمل الوظيفي الإداري، فهو حالة نفسية تصف العلاقة بين الفرد والمنظمة، كما أنه يؤثر على قرار الفرد فيما يتعلق ببقائه فى المنظمة أو تركه لها. ويتصف الأفراد الذين لديهم ولاء تنظيمى بصفات متعددة أهمها، الإيمان بقيم المنظمة، وبذل المزيد من الجهد لتحقيق أهدافها، ووجود مستوى عالٍ من الانخراط فيها، والولاء لها، ووجود الرغبة القوية للبقاء فيها، والميل لتقويمها بشكل إيجابي. (الطويل، 2009، ص105)

ولقد تعددت واختلفت الآراء حول مفهوم «النمط القيادي»، فيعرفه بأنه «مجموعة من السلوكيات التى تبرز لدى القائد فى تأثيره على الأخرين معه باتجاه أهداف المنظمة»، «كما أنه تعبير عن تلك المكونات المساهمة فى إحداث سلوك القائد مع الآخرين، والطريقة التى يؤدى بها عمله. (زيارة، 2009، ص364)

وربما كانت نظريات القيادة السلوكية المتمثلة فى دراسات جامعات أيوا، وأوهايو، وميتشيغان هى المحرك لولادة نظريات جديدة لاستكشاف الأنماط الإدارية الفاعلة، إذ ظهرت بعد ذلك نظرية ليكرت، ثم نظرية الشبكة الإدارية لبلاك وموتون، ثم نظرية (الخط المستمر) لتانينبوم وشميدت، أما المرحلة الثانية فقد ظهر فيها مجموعة من النظريات الموقفية الشرطية، بدءًا بالنظرية (الظرفية) لفيدلر، ثم نظرية (المسار والهدف) لروبرت هاوس، ثم نظرية (الأبعاد الثلاثة) لويليام ريدن، وأخيرًا نظرية (النضج الوظيفي) لهيرسى وبلانشارد. ومنذ أواسط ثمانينات القرن العشرين، ظهرت مجموعة من الاتجاهات الحديثة فى القيادة، كالقيادة التحويلية، والقيادة التبادلية)، أما البعد الثالث فيمثل نضج المرؤوسين أو الاستعداد، حيث يعتبر «هيرسي وبلانشارد» بأن الأسلوب القيادي يختلف تبعًا لنضج المرؤوسين أى أن الفرض الأساسي لهذه النظرية هو أنه لا يوجد أسلوب مثالي فى التأثير على سلوك المرؤوسين، لكن مستوى نضج المرؤوسين، فى موقف معين هو الذى يحدد أى الأساليب القيادية الفعالة والتى تحقق نتائج أعلى. ويعرف نضج المرؤوسين بأنه «الرغبة والقدرة فى إنجاز أو بلوغ المهمة المحددة»، وبالتالي فالنضج له عنصران مكونان له: العنصر الأول وهو الرغبة والذى يعنى امتلاك المرؤوسين للرغبة والدافعية والتصميم لبلوغ الهدف، أما العنصر الثاني فهو القابلية ويسمى أيضا بالكفاءة، والمهارة والخبرة، والتجربة الضرورية لبلوغ أهداف المهمة. (حسن، 2014، ص 58)

ووفقًا لهذه النظرية فإن الإدارة الناجحة أو الفعالة هي التى يعدل فيها القادة أنماطهم القيادية حسب مدى استعداد المرؤوسين للتعامل مع موقف معين، وبالمواءمة مع السلوك القيادي، والسلوك القيادي المهتم بالعلاقات تنشأ الأنماط القيادية حسب نظرية

«هيرسي وبلانشارد كما يلي (الصليبي، 2013، ص 107):

أ- النمط الآمر Telling:

ويتميز أسلوب القائد هنا بالعناية بالمهمة، وانخفاض العناية بالعلاقات، ويكون نضج المرؤوسين هنا فى أدنى المستويات، وغير قادرين على تنفيذ المهمة، إذ نجد القائد يهتم بالعمل، حيث يركز القائد على إعطاء التعليمات والتوجيهات ولا يهتم بالعلاقات الإنسانية والاجتماعية إلا قليلاً.

ب- النمط المسوق Selling:

ويهتم القائد هنا بالعمل والانتاج، وبالعلاقات الإنسانية مع العاملين، ويقوم القائد بعرض أفكاره على المرؤوسين ويتوقع العمل بها، ويمارس هذا النمط من القيادة عندما يكون النضج الوظيفي للمرؤوسين بين المنخفض والمتوسط، وفى هذه المرحلة مازال العاملون غير مستعدين لتحمل مسؤولية العمل وحدهم، ومع ذلك يشجعهم القائد.

ج- النمط المشارك Participating:

يهتم القائد بالعلاقات الإنسانية مع العاملين ولا يهتم كثيرًا بالعمل، ويشاركهم الرأي بالأمور المتعلقة بالعمل، ويمارس هذا السلوك عندما يكون مستوى النضج الوظيفي للمرؤوسين بين متوسط وعال فى المهارة، لذلك نجد أن القائد يهتم بالعلاقات الإنسانية بهدف تشجيع المرؤوسين لحل مشاكلهم وتحمل مسؤولية العمل.

د- النمط المفوض Delegation:

يترك القائد الأمر فيما يتعلق بالعمل، وشؤون الإنتاج، وكذلك بناء العلاقات الاجتماعية والإنسانية إلى رئيس المجموعة، ودور القائد هنا استشاري عند الحاجة ويمارس هذا السلوك عندما يكون مستوى النضج الوظيفي للأفراد عاليا فى المهارة والرغبة.

ويعرف الولاء التنظيمي بأنه «حالة توحد العامل مع المنظمة التى يعمل فيها، ومع أهدافها ورغبته بالمحافظة على عضويته فيها»، وعلى الرغم من التعدد فى تعاريف مفهوم الولاء التنظيمي إلا أن هناك إجماعًا من قبل الباحثين على أن الولاء التنظيمي مفهوم متعدد الأبعاد، يعكس مدى الانسجام والترابط بين الفرد والمنظمة، ومدى استعداد الأفراد لبذل المزيد من الجهد من أجل تحقيق أهدافها، وزيادة فعاليتها، فضلاً عن الرغبة فى البقاء فيها. (العطية، 2003، ص103)

وقد ميز ألين وماير وسميث ((Myer, Allen and Smith,1993, P. 1 بين ثلاثة أبعاد للولاء التنظيمي هي:

الولاء العاطفي: يعكس مدى انتماء الأفراد للمنظمة، وارتباطهم مع أهدافها والسعي لتحقيقها، والرغبة فى استمرارية العضوية فيها بصرف النظر عن الناحية المادية التى تحقق من خلال العمل فيها.

الولاء المستمر: ويتعلق بتقييم الفرد للتكاليف المرتبطة بترك المنظمة ومنافع البقاء فيها.

الولاء المعياري: وينتج عن مشاعر الالتزام الأخلاقي، وشعور الفرد بالالتزام بالبقاء فى المنظمة.

وتكتسب الدراسة الحالية أهميتها من أن دراسة الأنماط القيادية والتعرف على النمط القيادي الذي يمارسه مديرو المدارس أمر ضروري لكي تحقق المنظمات التربوية أهدافها بكفاءة وفاعلية، أما دراسة الولاء التنظيمي فقد بات من أهم الموضوعات فى مجال الإدارة لما لها من أثر في زيادة الفاعلية للمنظمات التربوية، كما تنبع أهمية هذه الدراسة من خلال إجابتها عن أسئلتها، إذ إنها ستبين النمط القيادي الذى يمارسه مديرو المدارس، وكذلك مستوى الولاء التنظيمي للمعلمين، والعلاقة الارتباطية بين هذه المتغيرات، وتزداد الدراسة أهمية من خلال معرفة طبيعة العلاقة بين متغيرات الدراسة، النمط القيادي ومستوى الولاء التنظيمي.

وتفترض الباحثة أن وزارة التربية بدولة الكويت قد آلت على نفسها تحقيق التميز الإداري في مدارسها، ورفع مستوى أدائهم بشكل يدعم رفع مستوى المخرجات التعليمية، وتحقيق الأهداف التربوية المنشودة، وتفترض الباحثة أن مستوى ممارسة أنماط القيادة في مدارس منطقة حولي التعليمية مرتفع من وجهة نظر المعلمين والمعلمات، كما أنه لا يوجد تأثير لمتغيري الجنس والمؤهل العلمي، وتهدف الباحثة في هذه الدراسة إلى ما يلي:

الكشف عن الأنماط القيادية السائدة لدى مديري مدارس المرحلة المتوسطة بمنطقة حولي التعليمية من وجهة نظر المعلمين.

التعرف على مستوى الولاء التنظيمي لمعلمي مدارس المرحلة المتوسطة بمنطقة حولي التعليمية من وجهة نظرهم.

الكشف عن وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الولاء التنظيمي للمعلمين تعزى لمتغيرات (الجنس، العمر، سنوات الخبرة).

1 – الكشف عن وجود علاقة ارتباطية ذات دلالة إحصائية بين الأنماط القيادية التي يمارسها مديرو مدارس المرحلة المتوسطة بمنطقة حولي التعليمية ومستوى الولاء التنظيمي للمعلمين من وجهة نظرهم.

وفي ضوء أهداف الدراسة اعتمدت الباحثة منهجية البحث الوصفي المسحي نظراً لملاءمته طبيعة وأهداف الدراسة، وقد اشتملت العينة على (500) معلماً ومعلمة في مدارس المرحلة المتوسطة بمنطقة حولي التعليمية بدولة الكويت، أعدت الباحثة استبياناً لقياس مدى استجابة المعلمين والمعلمات في مدارس المرحلة المتوسطة بمنطقة حولي التعليمية بدولة الكويت للأنماط القيادية السائدة من وجهة نظرهم، وقامت الباحثة بإعداد مقياس لواقع الأنماط القيادية السائدة لدى مديري المدارس وعلاقتها بالولاء التنظيمي لمعلميهم بما يناسب أفراد العينة، تحت خمسة بدائل وفق مقياس ليكرت الخماسي، ويتم فيها تحديد درجة استجابة أفراد العينة.

1. مصطلحات الدراسة:

2. 1 النمط:

النمط اصطلاحاً: هو السلوك أو الأسلوب الذي ينهجه مدير المدرسة في التعامل مع العاملين معه من أجل تحقيق الأهداف المنشودة. (حيدر، 2010، ص46)

النمط إجرائياً: هو السلوك المتكرر أو الغالب للشخص القيادي بالمدرسة في مواجهة المواقف المختلفة.

2.2 النمط القيادي:

يقصد بالنمط القيادي إجرائيًا في هذه الدراسة: هو الأسلوب الذي ينتهجه القائد للتأثير فى سلوك الجماعة والعاملين، من أجل تحقيق أهداف المؤسسة والذي يعبر عنه بالدرجة الكلية لاستجابات أفراد عينة الدراسة.

2. 3 الولاء التنظيمي:

يقصد بالولاء التنظيمي إجرائيًا في هذه الدراسة: رغبة المعلم فى البقاء فى المدرسة التى يعمل بها، وانتمائه لها، والمحافظة على سمعتها، واعتزازه بأنه عضو فيها،

واستعداده لبذل درجة عالية من الجهد لصالحها.

3. حدود الدراسة:

3. 1 – الحدود الموضوعية: اقتصرت الدراسة على التعرف على الأنماط القيادية السائدة لدى مديري مدارس المرحلة المتوسطة بمنطقة حولي التعليمية بدولة الكويت وعلاقتها بالولاء التنظيمي لمعلميهم.

3. 2 – الحدود الزمنية: تم تطبيق الدراسة في الفصل الدراسي الأول من العام الدراسي 2019/2020.

3. 3 – الحدود المكانية: اقتصرت الدراسة على مدارس المرحلة المتوسطة بمنطقة حولي التعليمية بدولة الكويت.

3. 4 – الحدود الاجتماعية: ركزت الدراسة على عينة من معلمي ومعلمات مدارس المرحلة المتوسطة بمنطقة حولي التعليمية.

4. الدراسات السابقة:

4. 1– الدراسات العربية:

4. 1. 1– دراسة الحمدان، والفضلي (2008): الأنماط القيادية السائدة لدى مديرى مدارس التعليم العام بالكويت حسب النظرية الموقفية:

هدفت الدراسة إلى التعرف على الأنماط القيادية السائدة لدى مديري مدارس التعليم العام في منطقة الفروانية التعليمية فى دولة الكويت وفقًا للنظرية الموقفية، وكذلك معرفة دور كلاً من متغيرات (المرحلة التعليمية، الخبرة، النوع) فى النمط القيادي، وقد تم استخدام أداة وصف فاعلية وتكيف القائد لهيرسي وبلانشارد وتطبيقها على عينة تتكون من (84) مدير مدرسة.

وقد توصلت الدراسة إلى أن الأنماط القيادية الممارسة متقاربة، إلا أن نمط المشاركة يبرز بنسبة (34.5 %)، يليه نمط الإبلاغ بنسبة (23.8%)، ثم يليه نمط التفويض بنسبة (21.4 %)، وأخيرًا نمط الإقناع بنسبة (8.01%)، كذلك توصلت الدراسة إلى أنه ليست هناك فروق ذات دلالة إحصائية لمتغيرات الدراسة (النوع، الخبرة، المرحلة التعليمية).

4. 1. 2- دراسة السعود (2009) أنماط السلوك الإدارى لمديري المدارس الثانوية العامة فى الأردن وفقا لنظرية «رنسيس ليكرت» وعلاقتها بمستوى الولاء التنظيمي لمعلمى مدارسهم:

هدفت الدراسة إلى التعرف على أنماط السلوك الإداري لمديري المدارس العامة فى الأردن وفقًا لنظرية «رنسيس ليكرت» (النمط الاستبدادي التسلطي، النمط الاستبدادي الخير، النمط الاستشاري الديمقراطي، النمط التشاركي الديمقراطي)، وبيان علاقتها بمستوى الولاء التنظيمي للمعلمين من وجهة نظرهم، وتكونت عينة الدراسة من (256) معلمًا ومعلمة يعملون فى (65) مدرسة ثانوية، واستخدم استبانتين، هما استبانة الأنماط الإدارية للمديرين، ومقياس «بورتر وزملائه» لقياس الولاء التنظيمي للمعلمين.

وقد توصل الباحث إلى أن المديرين يمارسون الأنماط الإدارية (القيادية) الأربعة بدرجات متفاوتة، فهم يمارسون بدرجة مرتفعة نمطي (الاستشاري الديمقراطي والتشاركي الديمقراطي)، ويمارسون بدرجة متوسطة (النمط الاستبدادي الخير، وبدرجة ضعيفة يمارسون النمط الاستبدادي التسلطي)، كما أشارت النتائج إلى أن مستوى الولاء التنظيمي للمعلمين قد جاء بدرجة متوسطة، وإلى وجود علاقة ارتباطية موجبة ذات دلالة إحصائية بين كل من الأنماط الإدارية (الاستبدادي الخير، والاستشاري الديمقراطي، والتشاركي الديمقراطي) لمديري المدارس ومستوى الولاء التنظيمي للمعلمين، فى حين توجد علاقة ارتباطية عكسية بين النمط الإداري (الاستبدادي التسلطي) ومستوى الولاء التنظيمي.

4. 1. 3- دراسة دبة، وغولة (2012) الولاء التنظيمي لدى معلمي المرحلة الابتدائية (دراسة استكشافية ميدانية بمدينة ورقلة)

هدفت الدراسة إلى الكشف عن مستوى الولاء التنظيمي لدى معلمي المرحلة الابتدائية بورقلة فى ظل متغيرات (الجنس- السن، الحالة الاجتماعية، الأقدمية) وقد طبقت الدراسة على عينة عددها (189) معلما ومعلمة، وتم الاعتماد على مقياس الولاء التنظيمي «لبورتر وزملائه» كأداة للدراسة، وتوصلت الدراسة إلى أن مستوى الولاء التنظيمي متوسط لدى معلمي المدارس الابتدائية، وكذلك عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية فى مستوى الولاء التنظيمي لدى معلمي المرحلة الابتدائية تعزى لمتغير (الجنس، السن، الحالة الاجتماعية، الأقدمية فى العمل).

4. 1. 4- دراسة محمود، وحسن (2016) الأنماط القيادية السائدة لدى مديري المدارس الثانوية وعلاقتها باتجاهات المعلمين نحو إدارة الجودة الشاملة:

هدفت الباحثتان إلى إلقاء الضوء على أنماط القيادة السائدة لدى مديري المدارس الثانوية، والتعرف على طبيعة إدارة الجودة الشاملة بمدارس التعليم الثانوي، وتحديد واقع تأثير نمط القيادة المدرسية على اتجاهات المعلمين نحو إدارة الجودة الشاملة، وقد استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وتكونت عينة الدراسة من (335) معلما ومعلمة لإبداء آرائهم حول الأنماط القيادية السائدة بالمدرسة، واتجاهاتهم نحو إدارة الجودة الشاملة على مقياس ليكرت الخماسي، وتوصلت الدراسة إلى أن النمط الديمقراطي فى قيادة المدرسة غير متوفر بصورة عالية، مع توافر النمط الديكتاتوري بصورة عالية، مما أثر على اتجاه المعلمين نحو إدارة الجودة الشاملة وعدم رغبتهم فى الاشتراك بها أو تطبيقها في مدارسهم.

4. 2- الدراسات الأجنبية:

4. 2. 1- دراسة (Cuellar, 2014) The effects of principal leader-ship style change and teachers:

هدفت الدراسة إلى معرفة أثر نمط القيادة الذي يمارسه مديرو المدارس على المعلمين فى كاليفورنيا، وتكونت عينة الدراسة من (150) مديرًا، (300) معلمًا، وأشارت النتائج إلى أن العلاقات الإنسانية التى يمارسها المديرون له تأثير إيجابي وكبير فى المعلمين، إذ يعمل على رفع مستوى الرضا الوظيفي عندهم، فيجعلهم يبذلون جهودًا إضافية أثناء قيامهم بأعمالهم.

4. 2. 2- دراسة (Piderit, 2012) The effect of principal lead- ership on teacher loyalty in urban & suburban catholic ele-mentary schools:

هدفت الدراسة إلى التعرف على أثر مديري المدارس الإعدادية الكاثوليكية الأمريكية على ولاء المعلمين، وقد تكونت عينة الدراسة من (510) معلمين، وقد أظهرت نتائج الدراسة أن هناك علاقة إيجابية دالة إحصائيًا بين نمط القيادة الديمقراطي ودرجة الولاء التنظيمي للمعلمين. كما أن هناك علاقة إيجابية دالة إحصائيًا بين القيادة الموقفية وولاء

المعلمين لمدارسهم.

4. 2. 3- دراسة (Organizational commitment at Kaiser, 2005) Kirtland community college: An analysis of generational of differences in the work force:

وقد هدفت الدراسة إلى قياس قيم الولاء للمنظمة بين أربعة أجيال من العاملين في مستهل العقد الأول من القرن الحادي والعشرين وهم من البالغين، وقد أشارت نتائج الدراسة إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين الأجيال الأربعة بالنظر إلى الالتزامات نحو المنظمة، كذلك توصلت الدراسة إلى إمكانية المفاضلة بين الأجيال المكونة للقوى العاملة متعددة الأجيال عن طريق تحليل القيم فيما يتعلق بالولاء للمنظمة.

4. 2. 4- دراسة (Joseph, 2006) Affective continuance and Norenative commitment among student affairs professional:

هدفت الدراسة إلى بحث ودراسة العوامل المؤثرة في تطوير ودوام الولاء التنظيمي بين خبراء شؤون الطلبة، وقد تكونت عوامل الدراسة من السياسات التنظيمية، ودعم المنظمة وهيكلها التنظيمي، والراحة في العمل, والمديرين الذين هم في مكانة متوسطة من النظام التفاعلي داخل العمل وخارج العمل، وبينت النتائج أن الدعم التنظيمي والرضا الوظيفي والسياسات التنظيمية تشكل جزءًا من الولاء العاطفي والولاء الأخلاقي، كما أظهرت النتائج أيضًا أن هناك ارتباطًا بين العوامل التي تؤثر في التفاعل أثناء وخارج العمل وبين الدعم التنظيمي.

5. تعليق على الدراسات السابقة:

من خلال العرض السابق للدراسات السابقة العربية والأجنبية، ترى الباحثة أنها تتفق من حيث متغيرات الدراسة (أنماط السلوك القيادي، والولاء التنظيمي) في النقاط التالية:

جميع هذه الدراسات قد أجريت فى منظمات تربوية أو تعليمية فى مختلف المستويات، والدراسة الحالية تمت فى مدارس المرحلة المتوسطة، وهذا التشابه ساعد الباحثة على تطوير معرفتها بمتغيرات الدراسة والاستفادة من الإجراءات، وأدوات الدراسة، وطرائق التحليل الإحصائي.

حاولت بعض الدراسات التي تناولت أنماط السلوك القيادي استكشاف الأنماط القيادية السائدة لدى مديري المدارس بشكل منفرد، وحاولت دراسات أخرى الكشف عن هذه الأنماط القيادية وعلاقتها ببعض المتغيرات السلوكية كالولاء التنظيمي، ودافعية الإنجاز، والرضا الوظيفي، والابداع الإداري، وكذلك حاولت هذه الدراسات ربط هذا المتغير مع متغيرات مثل (السن، الجنس، الخبرة، الحالة الاجتماعية، المرحلة التعليمية، المؤهل العلمي).

أغلب الدراسات السابقة استخدمت الاستبانة كوسيلة للدراسة، لكنها اختلفت فى نماذج الاقتباس فاستعملت نماذج لدراسة متغير الأنماط القيادية وهي (نموذج هيرس وبلانشارد، نموذج رنسيس ليكرت). أما في دراسة المتغير الثاني وهو الولاء التنظيمي فاستعملت النماذج التالية (نموذج آلين وماير، نموذج بلووسكوت، نموذج بورتر وزملائه)، وقد لاحظت الباحثة أن نموذج بورتر وزملائه هو المستعمل فى غالبية الدراسات لمتغير الولاء التنظيمى، لذلك تبنته الباحثة في بحثها الحالي.

وجدت الباحثة أن هناك ندرة في الدراسات الكويتية التي تجمع بين متغيري الدراسة أنماط السلوك القيادي للمدير والولاء التنظيمي، مما دفع الباحثة إلى القيام بهذا البحث والذى سيتم تطبيقه على معلمي مدارس المرحلة المتوسطة بمنطقة حولي التعليمية.

6. الطريقة والإجراءات

تعرض الباحثة هنا وصفاً لمنهجية الدراسة، ومجتمع وعينة الدراسة، كما تتناول أداة الدراسة ومدى الصدق والثبات، بالإضافة إلى متغيرات الدراسة والمعالجة الإحصائية للبيانات المتعلقة باستجابة الأفراد المشمولين بالعينة حول أسئلة الدراسة.

6. 1- منهج الدراسة :

اعتمدت الباحثة في الدراسة الحالية على اتباع خطوات المنهج الوصفي التحليلي، وذلك لملائمته لطبيعة هذه الدراسة، كما استخدمت الاستبانة كأداة لجمع المعلومات.

6. 2- عينة الدراسة :

اشتملت عينة الدراسة على (630) معلماً ومعلمة، تم توزيع الاستبانة عليهم، استُرجع منها (500) استبانة صالحة للتحليل بما نسبته (79%)، والجدول التالي يوضح توزيع

أفراد العينة (وزارة التربية، 2016، ص107):

جدول (1) توزيع أفراد العينة وفقا للجنس والعمر وسنوات الخبرة

المتغير	الفئة	العدد	الإجمالي	النسبة المئوية	المجموع
الجنس	ذكر	300	500	% 60	% 100
	أنثى	200		% 40	
العمر	من 20 إلى 29 سنة	200	500	% 40	% 100
	من 30 إلى 39 سنة	160		% 32	
	من 40 إلى 49 سنة	100		% 20	
	أكثر من 50 سنة	40		% 8	
سنوات الخبرة	من 0 إلى 5 سنوات	100	500	% 20	% 100
	من 6 إلى 10 سنوات	180		% 36	
	من 11 إلى 15 سنة	120		% 24	
	من 16 إلى 20 سنة	40		% 8	
	أكثر من 20 سنة	60		% 12	

6. 3- أداة الدراسة:

أعدت الباحثة استبياناً لقياس مدى استجابة المعلمين والمعلمات في مدارس المرحلة المتوسطة بمنطقة حولي التعليمية بدولة الكويت لواقع الأنماط القيادية السائدة لدى مديري المدارس وعلاقتها بالولاء التنظيمي لمعلميهم من وجهة نظرهم، كما قامت بإعداد مقياس لواقع الأنماط القيادية السائدة لدى مديري المدارس وعلاقتها بالولاء التنظيمي لمعلميهم بما يناسب أفراد العينة، تحت خمسة بدائل وفق مقياس ليكرت الخماسي.

6. 4- صدق الاختبار:

ولكي تتأكد الباحثة من صدق المقياس قامت بعرضه على (10) من المحكمين المتخصصين في التربية وعلم النفس والإدارة، ومناقشة التحديد الإجرائي لكل بعد من أبعاد المقياس.

6. 5- ثبات الاختبار:

استخدمت الباحثة معامل ثبات ألفا كرونباخ (Cronbach Alph) للتأكد من ثبات أداة الدراسة.

7. متغيرات الدراسة

اشتملت الدراسة على المتغيرات التالية:

7. 1- البيانات الديموغرافية:

7. 1. 1- متغير الجنس وينقسم إلى فئتين:

- **ذكر**
- **أنثى.**

7. 1. 2- متغير العمر وله أربع فئات:

من 20 إلى 29 سنة.

من 30 إلى 39 سنة.

من 40 إلى 49 سنة.

أكثر من 50 سنة.

7. 1. 3- عدد سنوات الخبرة ولها خمسة مستويات:

من 0- 5 سنوات.

من 6 إلى 10 سنوات.

من 11 إلى 15 سنة.

من 16 إلى 20 سنة.

أكثر من 20 سنة.

7. 2- المتغير المستقل:لأنماط القيادية.

7. 3- المتغير التابع: الولاء التنظيمي.

8. نتائج الدراسة والإجابة عن التساؤلات:

وفيما يلي تعرض ما توصلت إليه من نتائج بعد تطبيق أداة الدراسة على أفراد العينة المختارة:

8. 1- السؤال الأول: ما النمط القيادي السائد لدى مديري مدارس المرحلة المتوسطة بمنطقة حولي التعليمية من وجهة نظر المعلمين؟

من خلال الجدول (2) يتضح بأن متوسط استجابات أفراد العينة (المعلمين) على الممارسات السلوكية المميزة للنمط القيادي المشارك كانت بمتوسط (3.30) وانحراف معياري قيمته (0.680)، مما يشير إلى أن درجة ممارسة النمط القيادي هي درجة ممارسة متوسطة:

جدول (2) يوضح استجابات أفراد عينة الدراسة على فقرات النمط المشارك

رقم الفقرة	الفقرات	النسبة المئوية للتكرارات					المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب
		ابدا	نادرا	أحيانا	غالبا	دائما			
10	يشجع المدير المعلمين بحوافز معنوية أثناء أدائهم لمهامهم.	39	21	21.8	6.9	6.1	158	1.205	7

رقم الفقرة	الفقرات	النسبة المئوية للتكرارات					المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب
		ابدا	نادرا	أحيانا	غالبا	دائما			
13	يشجع المدير المعلمين على مشاركة بعضهم بعضًا فى المناسبات الاجتماعية.	16.7	17.9	24.9	21.8	14.8	0.4	1.311	5
19	يستفسر المدير عن مشكلات المعلمين المهنية ويسهم فى حلها.	11.7	14.9	31.8	29	8.2	3.1	1.12	4
22	يشرك المدير المعلمين فى صناعة القرارات.	16.2	9.9	30.5	24.9	14.8	11.1	1.279	3
30	يشارك المدير المعلمين فى مناسباتهم الاجتماعية.	11.7	14	30.1	20.5	19.9	20.8	1.275	2
31	يعترف المدير بأخطائه المهنية.	26.1	20	30.1	12.6	4.9	2.49	1.175	6

رقم الفقرة	الفقرات	النسبة المئوية للتكرارات					المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب
		ابدا	نادرا	أحيانا	غالبا	دائما			
38	يقدر المدير الدور المنوط بالمعلم.	7	7.8	31.8	28	21.1	50.1	1.126	1
8	يهتم ويأخذ بآراء فئة محدودة من المعلمين.	13.5	29	27.1	14.2	8.9	2.65	1.165	6
29	لا يراعي المدير اختصاصات المعلمين أثناء اقتناء كتب لمكتبة المدرسة.	15.2	9.9	21.5	21.5	38.4	3.79	1.227	2
32	يشعر المدير معلميه بأنهم يعملون لأجله وليس معه.	2.8	11	16.8	15.5	46.2	3.91	1.221	1
39	لا يهتم المدير بتصحيح أخطاء المعلمين.	3.6	12.4	22.7	27.8	24.2	3.51	1.150	3
46	يتقيد المدير بالتعليمات ذات التأثير السلبي على المعلمين.	3.6	12.2	31.4	20.7	24.2	3.41	1.122	4

رقم الفقرة	الفقرات	النسبة المئوية للتكرارات					المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب
		ابدا	نادرا	أحيانا	غالبا	دائما			
49	يخصص وقتًا كافيًا للاستماع لانشغالات المعلمين ومطالبهم.	12.7	13.1	26.7	26.8	15.1	3.15	1.242	5
النسبة العامة ٪		–	**20.1**	**75.1**	**2.1**	–	**3.30**	**0.680**	

ومن الجدول (2) وجدت الباحثة أن استجابات أفراد العينة تمركزت أغلبها على التقدير (أحيانًا) بنسبة (75.1%)، ثم على التقدير نادرًا بنسبة (20.1)، مما يوحي بوجود متوسط لممارسة المدير للنمط المشارك، ويعود السبب فى ذلك إلى تأثير الفقرات السالبة من المقياس.ومن خلال جدول (3)، يتضح أن متوسط استجابات أفراد العينة (المعلمين) على الممارسات السلوكية المميزة للنمط القيادى المسوق بمتوسط (3.79) يقع فى الفئة الثالثة من فئات المقياس الخماسى (2.60– 3.39)، وهي الفئة التى تشير إلى أن درجة ممارسة النمط المسوق هى درجة ممارسة متوسطة، كما لاحظت الباحثة أن استجابات أفراد العينة تمركزت أغلبها على التقدير (أحيانا) من التقديرات الخمسة لسلم ليكرت بنسبة (54.1%)، ثم على التقدير (غالبا) بنسبة (31.9%)، مما يوحى بوجود متوسط لممارسة المدير للنمط المسوق، وقد يعود السبب فى ذلك إلى تأثير الفقرات السالبة من المقياس، إذ نجد بها استجابات بنسب كبيرة على التقدير (أحيانا).

جدول (3) يوضح استجابات أفراد العينة على فقرات النمط القيادي المسوق

رقم الفقرة	الفقرات	النسبة المئوية للتكرارات					المتوسط الحسابى	الانحراف المعياري	الترتيب
		ابدا	نادرا	أحيانا	غالبا	دائما			
9	يحرص المدير على استشارة المعلمين فى الجوانب المتعلقة بالعمل.	11.4	10.2	29.8	24.5	21.9	3.35	1.259	4
14	يشجع المعلمين على الاهتمام بالمعلمين الجدد لنقل خبرتهم إليهم.	11.3	9.4	22.8	29.8	24.7	3.45	1.280	3
16	يسعى المدير لتحقيق أهداف المؤسسة مع مراعاة حاجات المعلمين.	7.8	14.8	25.5	31.7	15.6	3.34	1.178	5
23	يشجع روح المبادرة لدى المعلمين.	14.5	14.7	21.9	25.8	18.6	3.21	1.800	6
28	يدرس احتياجات المعلمين ويعمل على تلبيتها ما أمكن.	15.2	19.1	29.9	21.8	10.1	2.89	1.217	7
44	ينجز المدير الأعمال والمعاملات دون تأخير.	6.9	10.9	21.7	35.1	23.8	3.56	1.171	1
47	ديمقراطي أثناء تعامله مع المعلمين خاصة فى الاجتماعات والمواقف الطارئة.	9.4	6.9	23.9	34	23.7	3.51	1.202	2

1	لا يولي المدير أهمية لقضية تحسين ظروف عمل المعلم.	3.5	16.9	41.8	17.9	17.9	3.28	1.071	3
5	يهتم بالجوانب الخاصة والشخصية للمعلمين أثناء التقييم العام لأدائهم.	9.4	15.1	31.8	16.7	24.1	3.30	1.261	2
21	يتدخل المدير فى حل النزاعات المهنية بصورة رسمية.	18.2	25.1	24	18.8	12	2.78	1.280	4
33	يفرض المدير حلوله على المجتمعين أثناء المشكلات الطارئة.	8.4	14.3	28.2	21.7	21.7	3.35	1.240	1
37	يركز المدير فى تعامله على تطبيق القوانين واللوائح.	32.6	38.1	15.3	8.1	4.2	2.11	1.102	5
النسبة العامة %		3.6	17.2	54.1	31.9	22.9	3.79	0.431	

كما بينت الدراسة أن متوسط استجابات أفراد العينة (المعلمين) على الممارسات المميزة للنمط القيادى الآمر بمتوسط (3.20) وانحراف معياري قيمته (0.633) يقع فى الفئة الثالثة من فئات المقياس الخماسي (2.60- 3.39) وهي الفئة التى تشير إلى أن درجة ممارسة النمط القيادي الآمر هي درجة ممارسة متوسطة، كما أن استجابات أفراد العينة تمركزت أغلبها على التقدير (أحياناً) بنسبة (60.1%) ثم على التقدير (غالبا) بنسبة (27.8%)، مما يوحي بوجود متوسط لممارسة المدير للنمط (الآمر)، ومن وجهة نظر الباحثة أنه قد يرجع السبب فى ذلك إلى تأثير الفقرات السالبة من المقياس، إذ نجد بها استجابات بنسب كبيرة على التقدير (أحيانا) كما فى الفقرة (15) التى تنص على (يحاسب المعلمين بقسوة على أخطائهم أثناء تأديتهم عملهم) في المرتبة الأولى بالنسبة

للفقرات السالبة بمتوسط حسابي (3.30) وانحراف معياري (1.143)، ويتضح ذلك في الجدول التالي:

جدول (4) يوضح استجابات أفراد العينة على فقرات النمط القيادى (الآمر)

رقم الفقرة	الفقرات	النسبة المئوية للتكرارات					المتوسط الحسابى	الانحراف المعياري	الترتيب
		ابدا	نادرا	أحيانا	غالبا	دائما			
4	يمارس المركزية الشديدة فى العمل.	21.7	16.8	31.9	17.9	10.1	2.75	1.270	5
11	تعسفي فى تصرفاته مع المعلمين والإداريين.	38	23.7	22.3	9.8	4.4	2.15	1.180	7
24	يراقب المدير العمل عن كثب للتأكد من تنفيذ المهام في وقتها.	7.2	9.9	24	31.8	25.2	3.52	1.190	1
42	يتدخل المدير في كل التفاصيل الدقيقة لعمل المعلمين.	20.1	32.2	28.2	12.2	5.1	2.48	1.116	6
43	يعتمد المدير طرقًا عادلة فى تقييمه لأداء المعلمين.	8.2	10.4	29.2	28.1	21.5	3.41	1.195	3

45	يفرض المدير تفسيراته فى تطبيق التعليمات على المعلمين.	9.2	18.4	33.1	22	15.8	3.13	1.190	4
48	يستجيب لمقترحات المعلمين وطلباتهم بخصوص العمل وتطويره.	7.3	10.2	25.7	30.1	24.2	3.50	1.192	2
15	يحاسب المعلمين بقسوة على أخطائهم أثناء تأديتهم عملهم.	7.2	13.2	33	27.2	16.8	3.30	1.143	1
18	ينفذ قواعد العقاب والثواب في العمل.	5.2	15	40.1	18.7	18.2	3.25	1.115	2
25	يتراجع المدير عن القرارات غير الصائبة.	12.7	18.3	42.1	13.3	12	2.90	1.150	3
36	يشجع المنافسة النزيهة بين المعلمين.	17.8	27.3	28.2	13.9	10.4	2.69	1.227	4
40	يعتبر المدير موظفيه على قدر كافٍ من المسؤولية.	19.8	34.7	25.2	12.4	5.5	2.45	1.722	5
النسبة العامة %		–	11.3	60.1	27.8	–	3.20	0.633	

أما بالنسبة للنمط القيادي التفويضي فيتضح من خلال النتائج الموضحة بالجدول التالي رقم (5) أن متوسط استجابات أفراد العينة (المعلمين) على الممارسات السلوكية المميزة للنمط القيادي التفويضي بمتوسط (3.15) وانحراف معياري (0.602) يقع فى الفئة الثالثة من فئات المقياس الخماسي (2.60– 3.39) وهى الفئة التى تشير إلى أن درجة ممارسة النمط القيادي التفويضي هي درجة ممارسة متوسطة، كما لاحظت الباحثة أن استجابات أفراد العينة تمركزت أغلبها على التقدير (أحيانًا) بنسبة (48.7%)، ثم على التقدير (غالبا) بنسبة (38.1%) مما يوحي بوجود متوسط لممارسة المدير للنمط التفويضي، وترى أن السبب فى ذلك يرجع إلى تأثير الفقرات السالبة من المقياس، إذ نجد بها استجابات على التقدير (أحيانًا)، مثل ما نلاحظه فى الفقرة (26) التي تنص على (لا يكترث المدير بنتائج قراراته أحيانا) فى المرتبة الأولى فى ترتيب الفقرات السالبة بمتوسط حسابي (3.42) وانحراف معياري قيمته (1.151).

جدول (5) يوضح استجابات أفراد العينة على فقرات النمط القيادي التفويضي

رقم الفقرة	الفقرات	النسبة المئوية للتكرارات					المتوسط الحسابى	الانحراف المعياري	الترتيب
		ابدا	نادرا	أحيانا	غالبا	دائما			
2	يفوض بعضًا من صلاحياته عملاً بمبدأ اللامركزية.	18.5	21.6	37.2	15	7.7	2.70	1.161	5
3	لا يتدخل المدير فى عمل المعلمين إلا حين يطلب منه.	15.9	9.7	21.2	28	25.2	3.35	1.375	3
6	يترك المدير المعلمين يؤدون أعمالهم دون مراقبة.	28	24.7	26.1	13.8	5.7	2.40	1.201	6
12	لا يحاسب المدير المعلمين المقصرين فى أداء أعمالهم.	36	21.2	28	9.1	4	2.21	1.160	7

17	يعطي المدير لأعضاء إدارته حرية التصرف فى المواقف الإدارية.	18.1	22.2	31.7	19.9	6.9	2.69	1.175	4
27	يعمل المدير على أن تكون مؤهلات المعلمين وخبراتهم تتناسب والمطلوب منهم.	11	7.8	30	26.8	22.1	3.39	1.238	2
34	يعطي المدير الحرية الكاملة للمعلمين فى اتخاذ القرارات التى تخص عملهم.	8.3	10.2	23	32.5	23.8	3.50	1.214	1
7	يعتمد المدير على الاتصال المزدوج في إيصال المعلومات من وإلى المعلمين.	10.9	28.2	37.1	13.3	8.4	2.78	1.089	4
20	يسمح بتبادل الزيارات بين المعلمين أثناء العمل الرسمي لتعزيز العلاقات بينهم.	15.3	18.9	20.7	14.8	28.2	3.19	1.442	2
26	لا يكترث المدير بنتائج قراراته أحيانًا.	5.8	12.8	30.2	27.1	21.9	3.42	1.151	1
35	يعالج المدير القضايا التربوية بروية وعقلانية.	24.2	34.7	22.7	9.9	5.4	2.35	1.132	5
41	يؤثر بعض المعلمين فى قرارات المدير.	6.2	16.2	43.9	19.9	11.8	3.11	1.050	3
النسبة العامة %		**9.6**	**48.7**	**38.1**	**2.5**	**3.15**	**0.602**		

وقد اعتمدت الباحثة على أسلوبين مختلفين من المعالجة الإحصائية، يتمثل الأسلوب

الأول فى قيمة المتوسطات والانحرافات المعيارية لدرجات الاستجابة على عبارات مقياس الأنماط القيادية، أما الأسلوب الثانى فهو استخدام اختبار (T– test) وذلك لدراسة الفروق فى درجة ممارسة هذه الأنماط الأربعة لمقياس (هيرسى وبلانشارد)، وتتلخص الإجراءات فيما يلي:

ترتيب الأنماط القيادية بحسب درجة الممارسة تبعًا لقيمة المتوسطات كما يوضحها الجدول رقم (6).دلالة الفرق بين درجات النمط القيادي المشارك وبقية الأنماط القيادية كما يوضحها الجدول رقم (7).

جدول (6) يوضح ترتيب الأنماط القيادية بحسب درجة الممارسة تبعًا لقيمة المتوسطات

الأنماط القيادية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الرتبة	تقدير درجة ممارسة النمط
النمط المشارك	3.30	0.680	1	درجة ممارسة متوسطة
النمط المسوق	2.79	0.431	4	درجة ممارسة متوسطة
النمط الآمر	3.20	0.633	2	درجة ممارسة متوسطة
النمط المفوض	3.15	0.602	3	درجة ممارسة متوسطة

يتضح من الجدول رقم (6) قيم المتوسطات، والتي تدل على درجة ممارسة الأنماط القيادية الأربعة وهى مرتبة كالتالي (النمط المشارك – النمط الآمر – النمط المفوض – النمط المسوق)، ووفقًا لهذا يمكن القول بأن النمط القيادي الأكثر ممارسة من طرف مديري مدارس المرحلة المتوسطة من وجهة نظر المعلمين هو النمط القيادي المشارك، وقد اعتمدت الباحثة أيضا على اختبار (T– test) لتبين دلالة الفرق فى درجة ممارسة النمط المشارك وغيره من الأنماط الأخرى المكونة لنموذج (هيرسى وبلانشارد) على النحو الذي يوضحه الجدول رقم (7):

جدول (7) يوضح دلالة الفرق بين درجات النمط القيادي المشارك وبقية الأنماط القيادية

الفـروق بين	المتـوسـط	الفروق بين المتوسطات (T- test)		
		ت (T)	مستوى الدلالة	الانحراف المعياري
درجات النمط القيادي المشارك والتفويضي	3.22 2.81	0.43	0.00	0.52
درجات النمط القيادي المشارك والإقناع	3.22 3.17	0.08	0.005	0.46
درجات النمط القيادي المشارك والإبلاغ	3.22 3.11	0.13	0.000	0.44

من خلال الجدول (7) السابق يتضح أن قيم (T) كلها دالة إحصائيًا عند مستوى دلالة (0.05، 0.01)، وبأعلى قيمة لصالح النمط القيادي المشارك، وبالجمع بين نتائج المعالجة الأولى (قيمة المتوسطات والانحرافات المعيارية لدرجات الاستجابة) والثانية وهي استخدام اختبار (T- test) نصل إلى أن النمط القيادي المشارك هو النمط السائد والأكثر ممارسة عند مديري مدارس المرحلة المتوسطة من وجهة نظر المعلمين، كما بينت النتائج سيادة النمط المشارك يليه نمط الإبلاغ.

8. 2- السؤال الثاني: ما مستوى الولاء التنظيمي لمعلمي مدارس المرحلة المتوسطة بمنطقة حولي التعليمية من وجهة نظرهم؟

وللإجابة عن هذا السؤال تم تفريغ درجات استجابات أفراد العينة على مقياس الولاء التنظيمي وتحليلها إحصائيًا، ولتحديد مستوى الولاء التنظيمي يعتبر المتوسط الحسابي محكًا فى تحديد مستوى الولاء التنظيمي المنخفض والمرتفع كماهو مبين في الجدول (8) كالتالي:

جدول (8) يوضح تقدير مستويات الولاء التنظيمي لمقياس الولاء التنظيمي

مستوى الولاء التنظيمي	الولاء المرتفع	الولاء المتوسط	الولاء المنخفض
المتوسط الحسابي	3.67-5	2.34- 3.66	1-2.33

وقد قامت الباحثة بتحليل استجابات أفراد العينة على فقرات مقياس الولاء التنظيمي، ويتضح ذلك في الجدول رقم (9) كالتالي:

جدول (9) يوضح استجابات أفراد عينة الدراسة على فقرات مقياس الولاء التنظيمي

رقم الفقرة	الفقرات	النسبة المئوية للتكرارات					المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب
		لا أوافق بشدة	لا أوافق	محايد	أوافق	أوافق بشدة			
1	أنا مستعد لأن أقدم مجهودًا كبيرًا أكثر من المتوقع مني لإنجاح المدرسة التى أعمل بها.	1	1	3.6	39.4	55.2	4.45	0.689	2
2	أتحدث عن هذه المدرسة أمام الجميع بأنها مدرسة مميزة وتستحق أن يعمل المرء بها.	4	8.1	15.5	37.3	35	3.40	1.091	3
4	أنا مستعد لقبول أي عمل كي أحتفظ بعملى فى هذه المدرسة.	13	27.3	22.5	20.4	16.7	3	1.295	9
5	أجد أن قيمي تطابق قيم هذه المدرسة.	6.5	16.9	26	33.6	17.1	3.37	1.146	8

6	أفتخر حين أخبر الآخرين بأنني معلم بهذه المدرسة.	3.5	12.7	16.9	43.9	23	3.7	1.016	4
8	هذه المدرسة تدفعني إلى بذل أقصى جهد أستطيعه أثناء أداء العمل.	3.7	13	16.5	44	22.9	3.68	1.076	7
10	أشعر بالسعادة لأني اخترت هذه المدرسة لأعمل لديها.	4	7.7	27.3	41	25	3.76	1.044	6
13	تهمني سمعة هذه المدرسة ومدى تحقيقها لنسب أكبر من النجاح.	2	1.8	4.5	30.4	60.8	4.46	0.832	1
14	بالنسبة لي هذه المدرسة أفضل المدارس التى يمكن أن أعمل بها.	2.5	11	19.5	39.3	27.8	3.77	1.047	5
3	أشعر بالقليل من الإخلاص لهذه المدرسة.	12.5	19.3	12.4	30.1	25.7	3.36	1.377	2

7	أنا مستعد لأن أعمل لدى مدرسة أخرى طالما نوعية العمل واحدة.	10.6	36.5	13.1	30.2	9.6	2.90	1.215	5
9	أحس بأن أي تغيير سلبي مهما كان بسيطًا فى وضعي الحالي قد يؤدي بى إلى ترك هذه المدرسة.	7.5	19	22.7	39.4	11.5	3.26	1.124	3
11	لا يوجد الكثير لأكسبه ببقائي طويلاً فى هذه المدرسة.	5	21	28.1	35.2	10.4	3.24	1.066	4
12	أجد من الصعب أن أوافق على السياسات المطبقة فى هذه المدرسة فى الأمور المتعلقة بموظفيها.	11.5	35.1	28	21.6	3.4	2.70	1.040	6
15	لقد كان خطأ أكيدا حينما قررت أن أعمل بهذه المدرسة.	5.4	3.5	13.2	32	45.9	4.05	1.106	1
النسبة العامة ٪		**2.5**	**11.2**	**18.8**	**39.3**	**27.2**	**2.44**	**0.560**	

من خلال الجدول (9) السابق يتضح بأن متوسط استجابات أفراد العينة (المعلمين) على مقياس الولاء التنظيمي بمتوسط (2.44) وانحراف معياري قيمته (0.560) يقع فى الفئة الثالثة من فئات المقياس الخماسي (2.34– 3.66) وهى الفئة التى تشير إلى أن مستوى الولاء التنظيمي مستوى متوسط وقد يرجع ذلك إلى تأثير الفقرات السالبة حيث نجد أنها تمركزت على تقدير (أوافق)، و(أوافق بشدة)، فى تقدير الدرجات على سلم ليكرت الخماسي، وهذا ما أدى إلى تخفيض فى قيمة المتوسط الحسابي الذى يعبر عن مستوى الولاء.

هذا وقد قامت الباحثة بتحديد مستويات الولاء التنظيمي لدى المعلمين كما هو موضح بالجدول التالي:

جدول (10) يوضح مستويات الولاء التنظيمي لدى المعلمي

مستوى الولاء التنظيمي	الولاء المرتفع	الولاء المتوسط	الولاء المنخفض	المجموع
عدد المعلمين	230	250	20	500
نسبة المعلمين ٪	% 46	% 50	% 4	% 100

يتضح من الجدول السابق أن عدد المعلمين الذين لديهم ولاء تنظيمي متوسط هم الأكثر (250 معلما)، ونسبتهم (50%)، يليها عدد المعلمين الذين لديهم ولاء تنظيمي مرتفع وبلغ عددهم (230) ونسبتهم (46%)، أما النسبة الأضعف فهى نسبة المعلمين الذين لديهم ولاء تنظيمي ضعيف ويمثلون (20) معلماً بنسبة (4%)، وبالتالي نستطيع أن نقول بأن مستوى الولاء التنظيمي للمعلمين بمدارس المرحلة المتوسطة بمنطقة حولي التعليمية هو مستوى متوسط.

وترى الباحثة أن ذلك يرجع إلى أن نسبة استجابات أفراد العينة على الفقرات السالبة نجد أنها قد تمركزت على تقدير (أوافق)، و (لا أوافق بشدة)، في تقدير الدرجات على سلم ليكرت الخماسي، وهذا من أثر تخفيض قيمة المتوسط الحسابي الذي يعبر عن المستوى.

8. 3- السؤال الثالث: هل هناك فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الولاء التنظيمي للمعلمين يعزى لمتغيرات (الجنس، العمر، سنوات الخبرة)؟

وتتضح الإجابة عن هذا السؤال من خلال العرض التالي:

جدول (11) يوضح دلالة الفروق فى مستوى الولاء التنظيمي للمعلمين حسب متغير الجنس

المتغير	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	ت (T)	مستوى الدلالة
الذكور (300)	3.590	0.57	236	0.57	0.53
الإناث (200)	3.630	0.53			

يتضح من الجدول السابق أن الفرق المقدر باختبار (T- test) غير دال إحصائيًا فى الولاء التنظيمي بين المعلمين الذكور والإناث عند درجة حرية (236) ومستوى دلالة (0.53)، مما يشير إلى انعدام الفرق في مستوى الولاء التنظيمي بين الجنسين، وهذا يعني أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية فى مستوى الولاء التنظيمي للمعلمين يرجع إلى متغير الجنس، أما بالنسبة لمتغير العمر، فقد تم استخدام اختبار تحليل التباين الأحادي، وبعد أن تم تقسيم الأعمار المختلفة للمعلمين إلى أربع فئات عمرية، تم تقدير الفروق بينهم في مستوى الولاء التنظيمي، وجائت النتائج كالتالي:

جدول (12) يوضح دلالة الفروق في مستوى الولاء التنظيمي للمعلمين حسب متغير العمر

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	(ف) المحسوبة	مستوى الدلالة
بين المجموعات	741.506	3	247.168	3.575	0.017
داخل المجموعات	16305.782	236	69.103		

من خلال الجدول السابق نجد أن قيمة (ف) دالة إحصائيًا عند مستوى دلالة (0.01)

وهذا ما يشير إلى وجود فروق ذات دلالة احصائية في مستوى الولاء التنظيمي للمعلمين باختلاف المرحلة العمرية، لذا يمكن القول بأنه توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الولاء التنظيمي للمعلمين بمدارس المرحلة المتوسطة بمنطقة حولي التعليمية ترجع إلى متغير العمر، وللكشف عن مصادر الفروق بين تصورات أفراد العينة ضمن فئات متغير العمر، فقد استخدمت الباحثة اختبار (شيفيه Scheffe)، كما هو موضح بالجدول التالي:

جدول (13) يوضح اختبار شيفيه للمقارنات بين المتوسطات الحسابية حسب متغير العمر

السن	الفروق في المتوسطات			
	من (20–29)	من (30–39)	من (40–49)	أكثر من 50 سنة
من (20–29)	–	0.191	0.75	0.34
من (30–39)	0.191	–	0.114	0.15
من (40–49)	0.075	0.13	–	2.92
أكثر من 50 سنة	0.65	0.175	0.292	–

يتضح من الجدول السابق أن هناك فروقا دالة بين متوسطات إجابات أفراد الدراسة ضمن فئة (أكثر من 50 سنة)، وهو فرق دال إحصائيًا عند مستوى دلالة (0.05) ولصالح هذه الفئة، بالنسبة لمتغير الخبرة، استُخدم أسلوب تحليل التباين الأحادي لرصد دلالة الفروق بين درجات الفئات الخمس التي حددتها الباحثة، وبعد أن تم تقسيم سنوات الخبرة المختلفة للمعلمين إلى خمس فئات، جائت نتائج هذا التحليل كالتالي:

جدول (14) يوضح دلالة الفروق فى مستوى الولاء التنظيمي للمعلمين حسب متغير الخبرة

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	(ف) المحسوبة	مستوى الدلالة
بين المجموعات	0.641	3	0.212	0.761	0.53
داخل المجموعات	75.129	236	0.316		

من الجدول السابق يتضح عدم دلالة الفروق في الولاء التنظيمي بين الفئات الأربع لسنوات الخبرة للمعلمين، وهذا عند درجتي الحرية (3)، و(236) ومستوى دلالة (0.05)، مما يشير إلى انعدام الفروق في مستوى الولاء التنظيمي بين المعلمين التى ترجع إلى متغير الخبرة.

8. 4- السؤال الرابع: هل هناك علاقة ارتباطية ذات دلالة إحصائية بين الأنماط القيادية التى يمارسها مديرو مدارس المرحلة المتوسطة بمنطقة حولي التعليمية ومستوى الولاء التنظيمي للمعلمين من وجهة نظرهم؟

وللإجابة عن هذا السؤال، قامت الباحثة بحساب معامل ارتباط (بيرسون) بين إجابات المعلمين على أداتي الأنماط القيادية والولاء التنظيمي، واختبار دلالة معامل الارتباط باستخدام (ف) الجدولية، والجدول التالي رقم (15) يبين ذلك:

جدول (15) يوضح معامل الارتباط بين الأنماط القيادية ومستوى الولاء التنظيمي

الأنمـاط القيـاديــة	معامل الارتباط بالولاء التنظيمي
النمـط المشـارك	0.60
النمـط المسـوق	0.53
النمـط الآمر	0.59
النمـط المفـوض	0.57
الكلــي	**0.73**

يتبين من الجدول السابق رقم (15) أن النمط القيادي المشارك قد ارتبط إيجابيًا وبدلالة إحصائية عند مستوى ($\alpha \leq 0.01$) بالولاء التنظيمي الكلي، إذ بلغ معامل الارتباط (0.60%)، وارتبط النمط المسوق بدلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.01$) بالولاء التنظيمي الكلي بمعامل ارتباط مقداره (0.53%)، وارتبط النمط القيادي الآمر بدلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.01$) بالولاء التنظيمي الكلي بمعامل ارتباط قدره (0.09%)، وارتبط النمط القيادي المفوض بدلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.01$) بالولاء التنظيمي الكلي بمعامل ارتباط مقداره (0.57%).

وتستدل الباحثة من هذه النتيجة على أن الولاء التنظيمي يرتبط بشكل أكبر بالنمط القيادي المشارك، ويقل هذا الارتباط بالنمط القيادي المسوق، ولعل ذلك يشير إلى رغبة المعلمين فى ممارسة النمط المشارك من قبل مديري مدارس المرحلة المتوسطة بمنطقة

حولي التعليمية؛ لما لهذا النمط من مميزات حيث أن القائد والمرؤوسون يتقاسمون صنع القرار، والدور الأساسي للقائد هو تشجيع ومساعدة المرؤوسين وتبني السلوك التدعيمي فيه.

9. مناقشة نتائج الدراسة:

كان هدف الدراسة هو التعرف على النمط القيادي الذى يمارسه مديرو مدارس المرحلة المتوسطة بمنطقة حولي التعليمية بدولة الكويت من وجهة نظرهم، وقد حاولت الدراسة معرفة هل مستوى الولاء التنظيمي يختلف بدلالة إحصائية لدى المعلمين وفق متغير الجنس، العمر، سنوات الخبرة فى التعليم، والتعرف أيضا على طبيعة العلاقة بين الأنماط القيادية التى يمارسها مديرو مدارس المرحلة المتوسطة بمنطقة حولي التعليمية، ومستوى الولاء التنظيمي لمعلميهم.

فيما يلي ستقوم الباحثة بمناقشة النتائج التي تم التوصل إليها في هذه الدراسة:

9. 1- النتائج المتعلقة بالسؤال الأول: ما النمط القيادي السائد لدى مديري مدارس المرحلة المتوسطة بمنطقة حولي التعليمية من وجهة نظر المعلمين؟

توصلت الباحثة إلى أن النمط القيادي المشارك هو النمط السائد والأكثر ممارسة عند مديري مدارس المرحلة المتوسطة بمنطقة حولي التعليمية من وجهة نظر المعلمين، يليه نمط الإبلاغ، ثم النمط المفوض، يليه النمط المسوق، وذلك حسب نموذج (هيرسي وبلانشارد).

وبما أن النمط المشارك هو النمط القيادي السائد فى ممارسات مديري المدارس، مما يعني أن أسلوب القيادات التربوية بها يتميز ببناء عالٍ للعلاقات الإنسانية، ويمارس هذا النموذج عندما يكون مستوى النضج الوظيفي للمرؤوسين بين متوسط وعال في المهارة، لذلك نجد أن القائد هنا يهتم بالعلاقات الإنسانية بهدف تشجيع المرؤوسين لحل مشاكلهم وتحمل مسؤولية العمل.

ثانياً النتائج المتعلقة بالسؤال الثاني:ما مستوى الولاء التنظيمي لمعلمي مدارس المرحلة المتوسطة بمنطقة حولي التعليمية من وجهة نظرهم؟

وقد توصلت الباحثة من خلال عرضها لنتائج الدراسة إلى أن مستوى الولاء التنظيمي لمعلمي مدارس المرحلة المتوسطة بمنطقة حولي التعليمية هو مستوى متوسط، فقد بلغت نسبة المعلمين الذين لديهم ولاء تنظيمي متوسط بنسبة (50%) وهي النسبة الأعلى، تليها نسبة المعلمين الذين لديهم ولاء تنظيمي مرتفع ونسبتهم (46%)، ولاحظت الباحثة أن هناك تقاربا كبيرا بين نسبة المعلمين لمستوى الولاء التنظيمي المتوسط والمرتفع، أما النسبة الأضعف فهي نسبة المعلمين الذين لديهم ولاء تنظيمي ضعيف ويمثلون نسبة (4%).

وقد لاحظت الباحثة أن نسبة (55.2%) من المعلمين أجابوا على الفقرة (1) بمقياس الولاء التنظيمي بتقدير (أوافق بشدة) على أنهم (مستعدون بأن يقدموا مجهودًا كبيرًا أكثر من المجهود المتوقع منهم)، وذلك لإنجاح المدرسة التى يعملون بها؛ مما يدل على أن هناك مشاعر إيجابية ودرجة مقبولة من الرضا والولاء تجاه مدارسهم، فالولاء المرتفع للأفراد تجاه مؤسساتهم ينمي لديهم الاستعدادات الكافية لبذل مزيد من الجهد والتفاني في أعمالهم.

بينما وجدت الباحثة أن نسبة (45.9%) أجابوا بالموافقة بشدة عن (لقد كان خطأ أكيدًا حينما قررت أن أعمل بهذه المدرسة)، وهذا في الفقرة رقم (15)، وترى الباحثة أن ذلك يرجع إلى طبيعة بيئة المدرسة التي قد تؤثر على ولاء العاملين بها، فانعدام الحوافز والترقيات، والأسلوب التسلطي للمدير كل هذه عوامل تؤدي إلى خلق نوع من الصراع والتوتر فى بيئة العمل وتؤدي إلى ضعف مستوى الولاء التنظيمي.

9. 3- النتائج المتعلقة بالسؤال الثالث: هل هناك فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الولاء التنظيمي للمعلمين يعزى لمتغيرات (الجنس، العمر، سنوات الخبرة)؟

توصلت الباحثة من خلال عرضها لنتائج الدراسة إلى أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الولاء التنظيمي للمعلمين بمدارس المرحلة المتوسطة بمنطقة حولي التعليمية ترجع إلى متغير الجنس، وتفسر الباحثة عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية فى مستوى الولاء التنظيمي باختلاف الجنس؛ إلى وجود فرص متساوية بين الجنسين الذكور والإناث فى التوظيف، وكذا فى التشريعات الخاصة بالعمل، وكذلك

ارتفاع المستوى التعليمي لكلا الجنسين مما ينعكس على اتجاهاتهم نحو المؤسسات التى يعملون بها.

9. 4- النتائج المتعلقة بالسؤال الرابع: هل هناك علاقة ارتباطية ذات دلالة إحصائية بين الأنماط القيادية التى يمارسها مديرو مدارس المرحلة المتوسطة بمنطقة حولي التعليمية ومستوى الولاء التنظيمي للمعلمين من وجهة نظرهم؟

توصلت الباحثة من خلال عرضها لنتائج الدراسة إلى أنه توجد فروق ذات دلالة إحصائية فى مستوى الولاء التنظيمي للمعلمين بمدارس المرحلة المتوسطة بمنطقة حولي التعليمية ترجع إلى متغير العمر لصالح الفئة العمرية (50 سنة فأكثر)، مما يدل على أن هذه الفئة العمرية أكثر إيجابية تجاه الولاء التنظيمي للمؤسسة، كما أسفرت الدراسة عن أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية فى مستوى الولاء التنظيمي للمعلمين بمدارس المرحلة المتوسطة بمنطقة حولي التعليمية ترجع إلى متغير الخبرة المهنية.

وتعزو الباحثة ذلك إلى أن الولاء صفة ملازمة للمنظمات الناجحة التى يحدث فيها توافق وانسجام بين العاملين وأهدافهم، والمنظمة وأهدافها بغض النظر عن الموظفين القدامى والجدد وجميع المعلمين بغض النظر عن أقدميتهم، ينظرون إلى الولاء برؤية سلوكية وذلك بضرورة الحفاظ على المكاسب التى يحققونها فى المدارس، والتي قد يخسرونها نتيجة تركهم للمدرسة (المكانة – الحوافز – الترقيات – الدروس الخصوصية).

10. التوصيات:

في ضوء ما أسفرت عنه الدراسة من نتائج توصي الباحثة بما يلي:

10. 1- ضرورة **عقد دورات تدريبية لمديري** مدارس المرحلة المتوسطة بمنطقة حولي التعليمية **بهدف إطلاعهم على أحدث الأنماط الإدارية؛ لما لها من أهمية بالغة في تحسين أداء المعلمين وزيادة ولائهم التنظيمي.**

10. 2- أن تعمل وزارة التربية بدولة الكويت على تحسين البيئة المدرسية وتوفير ظروف العمل المناسبة للمعلمين من (ترقيات- مكافآت- بعثات للخارج للحصول على كل ما هو جديد في مجال تخصصهم)، وبالتالي كل هذه العوامل تؤدي إلى زيادة إنتاجية المعلمين في مجال عملهم، وزيادة ولائهم لمدارسهم.

10. 3- ضرورة استغلال إمكانيات وخبرات المعلمين ذوي الخبرة، وخاصة المعلمين

ذوي (50 سنة فأكثر) لارتفاع الولاء التنظيمي لديهم.

10. 4- ضرورة إجراء دراسات مستقبلية في مجال الأنماط القيادية والولاء التنظيمي.

10. 5- يجب إجراء دراسات عن تفويض الصلاحيات لدى المديرين العاملين في وزارة التربية وعلاقته باتخاذ القرار.

10. 6- ضرورة زيادة الاهتمام الصادر من قبل مديري ومديرات المدارس المتوسطة والمتمثلة بمجال القيادة الإدارية ومجال التوجيه والمتابعة بشكل كبير وتعريفهم بابعاد الأنماط القيادية الأخرى في وزارة التربية.

10. 7- العمل على زيادة اهتمام وزارة التربية بالأنماط الإدارية، ومعرفة أسباب تدني فاعلية هذه الأنماط، لإيجاد الحلول المناسبة لها.

11. خاتمة:

تناولت الباحثة في هذه الدراسة النمط القيادي للمديرين بمدارس المرحلة المتوسطة بمنطقة حولي التعليمية بدولة الكويت ومستوى الولاء التنظيمي لمعلميهم وفق نموذج «هيرسي وبلانشارد»، وكذلك النمط القيادي السائد بمدارس المرحلة المتوسطة بمنطقة حولي التعليمية من وجهة نظر المعلمين، والكشف عن مستوى الولاء التنظيمي للمعلمين العاملين بالمرحلة المتوسطة، ومدى ارتباطه ببعض المتغيرات الشخصية والمتمثلة في (الجنس، الخبرة، العمر)، وذلك باتباع المنهج الوصفي التحليلي.

وقد توصلت الباحثة إلى أن النمط القيادي المشارك هو النمط السائد عند مديري مدارس المرحلة المتوسطة بمنطقة حولي التعليمية، يليه النمط الآمر، فالمفوض، وفي المرتبة الأخيرة النمط المُسوق، كما توصلت نتائج الدراسة أيضا إلى أن مستوى الولاء التنظيمي للمعلمين هو مستوى متوسط، بالإضافة إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية فى مستوى ولائهم التنظيمي يرجع لمتغير الجنس، الخبرة المهنية، ووجود فروق ذات دلالة إحصائية فى مستوى الولاء يرجع إلى متغير العمر لصالح فئة المعلمين أكثر من (50) سنة، ومن ناحية أخرى وجود علاقة ارتباطية بين كل من الأنماط القيادية (النمط المشارك، النمط الآمر، النمط المفوض، النمط المُسوق) الممارسة من طرف مديري مدارس المرحلة المتوسطة بمنطقة حولي التعليمية، ومستوى الولاء التنظيمي من وجهة نظر المعلمين.

12. قائمة المراجع:

12. 1- المراجع العربية:

أبو ناصر، فتحي محمد (2008). **مدخل إلى الإدارة التربوية النظريات والمفاهيم**، دار المسيرة للنشر والتوزيع – عمان الأردن.

أسعد، وليد (2014): **الإدارة المدرسية**، عمان، مكتبة المجتمع العربى، (د.ت).

الجمل، سمير سليمان (2013): «درجة الولاء التنظيمي لدى المرؤسين العاملين في مديريات التربية والتعليم بمحافظة الخليل»، **مجلة أماراباك**، مج (14)، ع (11).

حسن، ماهر محمد صالح (2014): **القيادة أساسيات ونظريات ومفاهيم**، عمان، دار الكندي.

الحمدان، جاسم محمد، والفضلى، خلود زيد (2008): «الأنماط القيادية السائدة لدى مديرى مدارس التعليم العام بالكويت حسب النظرية الموقفية»، **مجلة جامعة الملك سعود للعلوم التربوية والدراسات الإسلامية**، ع (20).

حنفي، عبد الغفار، والقزاز، حسين (2006): **السلوك التنظيمى وإدارة الأفراد**، الإسكندرية، الدار الجامعية للنشر.

حيدر، حيدر علي (2010): «الأنماط القيادية السائدة لدى مديري المدارس المتوسطة من وجهة نظر أعضاء الهيئة التدريسية»، **مجلة البحوث التربوية والنفسية**، جامعة بغداد، ع (26).

دبة، سميرة، وغولة، سميرة (2012): **الولاء التنظيمي لدى معلمي المرحلة الابتدائية دراسة استكشافية ميدانية بمدينة ورقلة**، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في علم النفس، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم العلوم الاجتماعية.

زيارة، فريد فهمى (2009): **وظائف الإدارة**، عمان: دار اليازورى العلمية للنشر والتوزيع.

السعود، راتب (2007): **الإشراف التربوي**، مفهومه ونظرياته وأساليبه، عمان، مركز طارق.

السعود، راتب (2009): «أنماط السلوك الإدارى لمديري المدارس الثانوية العامة فى

الأردن وفقا لنظرية رنسيس ليكرت وعلاقتها بمستوى الولاء التنظيمي لمعلمي مدارسهم، **المجلة الأردنية فى العلوم التربوية**، مج (5)، ع (3).

السلمي، علي (1995). **إدارة الموارد الشرية**، القاهرة، مكتبة غريب.

الصليبي، محمود عيد المسلم (2013): **الجودة الشاملة وأنماط القيادة التربوية وفقًا لنظرية هيرسى وبلانشارد**، عمان، دار الحامد للنشر والتوزيع.

الطويل، هانى عبد الرحمن (2009): **الإدارة التعليمية مفاهيم وآفاق**، عمان، دار وائل.

العرفي، عبد الله القاسم، ومهدى، عباس (2006): **مدخل إلى الإدارة التربوية**، منشورات جامعة قاريونس، بنغازى، ص212.

العطيه، ماجدة (2003): **سلوك المنظمة– سلوك الفرد والجماعة**، ط1، عمان: دار الشروق.

محمود، داليا طه، وحسن، أمل أحمد (2016): «الأنماط القيادية السائدة لدى مديري المدارس الثانوية وعلاقتها باتجاهات المعلمين نحو إدارة الجودة الشاملة»، **مجلة علم النفس والتربية**، جامعة المنيا، مج (29)، ع (1).

وزارة التربية (2016): **المجموعة الإحصائية للتعليم 2016-2015**، الكويت، قطاع المنشآت التربوية والتخطيط.

12. 2- المراجع الأجنبية

Cuellar, C. A. (2014): **The effects of principal leadership style change and teachers**. From Pro-Quest digital dissertation.

Joseph, Boehman, (2006): **Affective continuance and Norenative commitment among student affairs professional**, the graduate faculty of North Carolina State University in partial fulfillment of the requirement for the degree of Doctor of Education.

Kaiser-Dawn-M, (2005): **Organizational commitment at Kirt-**

land community college: An analysis of generational of differences in the work force (Michigan) Capella University.

Meyer, J. P., Allen, N. J., & Smith, C. A. (1993). Commitment to organizations and occupations: Extension and test of a three-component conceptualization. **Journal of Applied Psychology**.

Piderit, M. (2012): The effect of principal leadership on teacher loyalty in urban & suburban catholic elementary schools, **dissertation abstract international**, 62112- A- P. 4016.

باب التاريخ:

بسم الله الرحمن الرحيم

1. الغزو الثقافي للمجتمع العربي وكيف تعاملت وسائل الاعلام معه

بقلم: الدكتورة نضال سليمان الإمام

أستاذة محاضرة في الجامعة اللبنانية الدولية / فرع البقاع

nidal.emam@liu.edu.lb

تاريخ الاستلام: 17/6/2021 **تاريخ القبول: 13/7/2021**

الملخص:

الغزو الثقافي للمجتمع العربي وكيف تعاملت وسائل الإعلام معه

لقد تعرضت المجتمعات العربية، على مدى العقود الماضية لكل أنواع الغزو العسكري والسياسي والاقتصادي، إلا ان أخطر ما تعرضت له، كان الغزو الثقافي، ذلك لأنه يستهدف الهوية الثقافية والحضارية للأمة العربية والإسلامية، ويسعى عبر كل الوسائل لتفكيك وتشويه المقومات الذاتية لهذه الثقافة، واحداث الفتن والصراعات الداخلية، وتفكيك الروابط داخل نسيج المجتمع الواحد.

ويهدف هذا البحث لتسليط الضوء على مخاطر الغزو الثقافي، والدور البارز للإعلام في هذا المجال، وكيف يتم إنفاق الأموال الطائلة لتشويه الحقائق، وتضليل الرأي العام،

واثارة النعرات، والانخراط الكامل لهذا الإعلام في خدمة السياسات الاستعمارية.

ويخلص هذا البحث الى ضرورة اعتماد استراتيجية اعلامية مضادة لكل مشاريع التفكيك الاجتماعي، تنطلق من ثقافة الوحدة، وتحرص على تنمية وترسيخ كل عوامل التوحيد داخل مجتمعاتنا.

Summary:

The Cultural Invasion of Arab Society and the Role of the Media

Over the past decades, Arab societies have been subjected to all kinds of military, political and economic invasions, but the most critical of them was the cultural invasion since it targets the civilizational identity of the Arab and Islamic nation. Moreover, it seeks, through all means, to demolish the constituents of this culture, and consequently cause sedition, internal conflicts, and the dismantling of ties within the society.

This research aims to shed light on the dangers of cultural invasion, the prominent role of the media in this field, and how huge funds are spent to distort facts, mislead public opinion, stir up strife, and fully engage this media in the service of colonial policies.

Then, the research concludes with the importance of adopting a media strategy against projects that mean to dismantle societal bonds, a strategy that should consolidate all efforts and factors of unity within our societies.

المقدمة:

تأتي جائحة كورونا إلينا مترافقة مع سلسلة متداخلة من الازمات العسكرية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والمالية، لتحكم الخناق على أنفاس مجتمعاتنا وتستنفد ما بقي لها من قدرة على المواجهة.وهذه الجائحة وان كان لم تتضح بعد ماهية منشئها وهل هي فيروس طبيعي أم مركب قد تم بثه من قبل جهات خبيرة في الحروب البيولوجية، إلا أنها على كل حال تشكل خطراً خفياً يتهدد أرواح الناس على اختلاف مستوياتهم الإجتماعية والعرقية.ومنذ اللحظات الأولى لظهور هذه الجائحة تم استغلالها لتوجيه أصابع الاتهام الى دول محددة، وليصار الى توظيف هذا الاتهام في الصراع القائم في المنطقة والعالم بين المحور الغربي الامبريالي والمحور المقاوم له. ولأن جائحة كورونا تسببت في تفاقم الأزمة الإقتصادية والمالية، فقد لعبت وسائل الاعلام دوراً خطيراً في تضليل الرأي العام واستقطابه ضد المحور المقاوم للاستعمار الغربي وساهمت بشكل دنيء في عملية تيئيس الناس وترهيبهم وإدخالهم في دوامة من الهلع والعجز بهدف كي وعيهم، وشل قدرتهم على الحركة والتقدم، وبالتالي انقيادهم صاغرين لخدمة أهداف أعدائهم.

ومن هنا تبرز الإشكالية الأساسية:

كيف استطاع أعداء الاسلام إحداث الفتن والصراعات في البلاد الاسلامية ؟

وهل كانت وسائل الاعلام في بلداننا على قدر المسؤولية في التعامل مع هذه الهجمات المتلاحقة ؟

أولاً: كيف استطاع اعداء الاسلام إحداث الصراعات والفتن في البلاد الاسلامية؟

1 – الغزو الثقافي :

ان الحرب الشعواء التي تخوضها الولايات المتحدة الاميركية كراعية للإمبريالية والصهيونية ضد الأمة العربية والاسلامية لتبقيها في حال من التخلف والتبعية والتجزئة، وليسهل انصياعها لمتطلبات « السلام الصهيوني «، يقوم التطبيع بدور مواجهة هوية الأمة ومرجعيتها ومصادر الشرعية فيها.ولقد حققت آلة الهيمنة الامبريالية والصهيونية الكثير من الانتصارات في المعارك السياسية والعسكرية والاقتصادية، وهي الآن تقود أعنف المعارك وأشرسها لحسم « المعركة الثقافية « وميدانها الوعي والعقل، لكي تدك

آخر حصون المقاومة.

ولا شك في أن إخضاع الثقافة العربية والاسلامية لمنطق التطبيع بات أحد أبرز عناصر مشروع الهيمنة الامبريالية والصهيونية، فهذا الموروث الثقافي المستند الى مخزون روحي عظيم والى رسالة إنسانية خالدة، يمثل العنصر الأقوى في المقاومة الذاتية لهذه الأمة على مدى الزمن، فالثروات قد تتبدد والمعادلات السياسية قد تتغير، وموازين القوى لا يمكن أن تبقى ثابته في عالم متغير، أما الثابت في الأمة فهو ثقافتها وحضاراتها، فإذا زالت الثقافة أو وهنت، زالت الأمة واندثرت لانها تكون قد فقدت أهم ركائز وحدتها ولانه لا يمكن إحلال هيمنة ثقافية صهيونية على الحياة الثقافية العربية والاسلامية وتماسكها. فقد تم استهداف الهوية الثقافية والحضارية لأمتنا عبر مشروع تدمير وتفكيك المقومات الذاتية للثقافة والحضارة العربية والاسلامية، إنه تدمير للأواصر وتفكيك لها على المستويات كلها:إنه تفكيك بين الأقطار وداخل كل قطر، وبين الأديان وداخل كل دين، بين المذاهب وداخل كل مذهب، بين الأقوام التي تسكن هذه الأوطان وداخل كل قوم، بل هو تفكيك للتواصل بين الماضي والحاضر، بهدف ضرب الحاضر والمستقبل معاً.وهي تهدف من خلال هذا التفكيك لتحصل على ما لم تحصل عليه من مكاسب بالقوة والحرب ومن مفارقات الدهر، أن يحدث هذا الاستسلام العربي الرسمي لمطلب التطبيع بعد الانتصار العسكري الكبير في حرب 1973[1].

2- الحرب الناعمة:

مع بداية التسعينيات كان الاتحاد السوفياتي قد أعلن هزيمته، وانتهت بذلك الحرب الباردة التي كانت قائمة بكل الادوات الاقتصادية والنفسية والعقائدية بين المعسكر الغربي بقيادة الولايات المتحدة والمعسكر الشرقي بقيادة الاتحاد السوفياتي .

ليحل محلها مصطلح جديد هو العولمة بحيث أصبح كل شيء عالميّا وشموليّ النزعة، وبرزت شعارات مثل الديمقراطية والحريه، والرأسمالية العالمية، وحقوق الإنسان وحماية البيئة، حقوق المرأة والطفل، والإرهاب العالمي، والسلام العالمي، وهذه الشعارات جرى استخدامها بأسلوب ناعم للإطباق على الشعوب وتسخيرها لخدمة السيد الأميركي [2].

(1) – مجدي حماد و(مؤلفون آخرون): نحو استراتجية وخطة عمل للصراع العربي الصهيوني، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت عام 2000 ص 111 و112. عبد الله عوض راشد العجمي:الغزو الفكري عبر وسائل الاعلام المرئي وخطره على المجتمع، مجلة الشريعة والدراسات الاسلامية العدد (79) جامعة الكويت .

(2) – غسان طه:الحرب الناعمة (القوة الجاذبة وأساليب المواجهة، مجلة المنافذ الثقافية / العدد الثامن 2014، ص 137 و 138 .

وكانت أميركا من استخدم الحرب الناعمة لأن النصر العسكري لا يحقق دوما نصراً سياسياً بل قد يستدعي مقاومات شعبية كما حدث أثناء احتلالها للعراق وأفغانستان والذي أثار كراهية الشعوب لأميركا فضلا عن إثارة الاستياء لدى شعوب أوروبا وأميركا نفسها.وكذلك كانت الخسائر البشرية والنفقات العسكرية قد تسببت بالجمود في الاقتصاد الأميركي.ولتدارك التكلفة العالية للمواجهة العسكرية عمدت اميركا الى رؤية جديدة أسمتها الإستهلاكية العالمية، قوامها تحويل العالم الى سوق مفتوحه تسودها قوانين العرض والطلب وتعظيم المنفعة المادية على حساب القيم الثقافية، ويتحول العالم وفق هذه السياسة الى مصنع وسوق وملهى ليلي.

ومن هنا قرر الغرب اللجوء الى الاغراء والاغواء بدلا من القمع والقسر، والسعي لتفكيك المجتمعات بدلاً من الحرب والمواجهة معها [1].

3- الحرب الاقتصادية والمالية :

في النصف الثاني من القرن العشرين، تغيرت صور الاحتلال الاقتصادي والسيطرة على الأسواق، من خلال حركة الواردات ورؤوس الأموال محل القوة العسكرية، وتبلورت هذه السيطرة مع العولمة في ظل النظام العالمي الجديد، الأمر الذي كانت له الآثار المدمرة على بلدان العالم الثالث والدول النامية، وتتمثل نتائج الحرب الاقتصادية في البطالة والهجرة وتغيير المفاهيم الاجتماعية بفعل زيادة الفقر والجهل وارتفاع عدد الذين يعيشون تحت خط الفقر.

ومن اهم اساليب وخطط الحروب الاقتصادية:

1. إغراق الدول المستهدفة بالديون والفوائد حتى إذا ما عجزت عن السداد تسوء سمعتها عالميا، فيتم منع الاقتراض من العالم الخارجي، وبالتالي تتوقف برامج التنمية مما يهدد استقرارها الإجتماعي والسياسي.
2. افتعال الأزمات بين دول الجوار المستهدفة بالحرب الاقتصادية لتستفيد الدول الكبرى، وشركاتها المتعددة الجنسيات من عمليات بيع السلاح، واستنزاف الموارد الطبيعية لتلك الدول.
3. خطط لضمان التبعية الاقتصادية، عبر ربطها اقتصاديات الدول النامية باقتصاديات الدول الكبرى وتكبيلها بالمساعدات:كالغذاء والادوية .

(1) – عبد الوهاب المسيري، الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، دار الفكر المعاصر بيروت 2003، ص 171.

4. الحماية العسكرية:فالدول الكبرى تقوم بتقديم الحماية العسكرية الدائمة للدول ذات الموارد الطبيعية والتي لا تملك القوة للدفاع عن نفسها مقابل السيطرة على الموارد الطبيعية كالبترول [1] بالإضافة الى التحكم بتحديد أسعار البترول.

تشن أميركا والصهيونية العالمية واسرائيل حربا اقتصادية ومالية على المنطقة لا مثيل لها وهي بديلة عن الحرب العسكرية لا بل هي أخطر منها لأنها تستهدف شعوباً كاملة بمجموعها وليس حرب غارات جوية أو برية.

وتتركز هذه الحرب الاقتصادية والمالية على ايران بهدف تغيير النظام الايراني وعودة الايرانيين الى دولة ما قبل النظام الحالي للجمهورية الاسلامية [2].

والحصار الاقتصادي يجبر الدول على تغيير سياساتها وإذا لم يتم ذلك فإنهم يؤلبون الشعوب ضدها عبر التجويع والتضييق على البيئة الاجتماعية فتنقلب على حكامها وليس أدل على ذلك من ما صرح به وكيل وزارة الخارجية الاميركية للشؤون السياسية دايفدهيل من معلومات عن حجم التحويل الأميركي في لبنان.

وجاء تصريحه في سياق محاولة إظهار أن ادارة ترامب فعلت ما عليها في الحد من تأثير التوجه الصيني وخطورته على المصالح الأميركية في شرق المتوسط، عندما قال:لن يكون بمقدور الصينيين ضخ عشرة مليارات دولار كما فعلنا «، وذلك بهدف الحد من نفوذ حزب الله في لبنان ومنعه من استغلال الظروف الحالية لزيادة نفوذه «.

وهذه المبالغ الطائلة تشمل التمويل المخصص للجيش والقوى الأمنية وكل برامج الاختراق السياسي والثقافي تحت عناوين التنمية والتعليم والصحة والبيئة، والأهم اليوم « دعم المجتمع المدني « من قبل الوكالة الأميركية للتنمية الدولية USAID والتي لديها برامج مخصصة لكل ساحة تقدم عبرها التمويل لوزارات ومؤسسات رسمية، بالإضافة للمؤسسات الخاصة والجمعيات NGOS.ولتوضيح الأمر، يكفي أن نذكر أن USAID صرفت في لبنان حوالي 25 مليون دولار فقط عام 2005، ليرتفع هذا الرقم الى 204 ملايين عام 2011، ويقفز المبلغ الى 508 ملايين دولار عام 2015، وليسجل أرقاما قياسية عام 2018 و2019 حيث بلغ حجم الانفاق 733 مليون دولار [3].

لقد استمرت مؤشرات الاقتصاد العالمي بالتراجع بسبب تأثيرات فيروس كورونا،

(1) – شذى خليل:الحروب الاقتصادية سلاح فتاك في اختلال موازين الدول ،موسوعة العراق / مركز الروابط للبحوث والدراسات الاستراتيجية 11 تشرين أول 2018 .

(2) – الديار :أميركا واسرائيل تشنان أعنف حرب مالية واقتصادية، الاثنين 25 آذار 2019.Nna_leb .gov.lb

(3) – علي مراد:مليارات واشنطن العشرة ...وقعت في بحر غدار، الاخبار، الاثنين 28 ايلول 2020

ودخلت الاسواق المالية في حالة من الهلع بسبب اسعار النفط التي بدورها تسببت بخسائر كبيرة في البورصات العالمية وحدث ارباك أدى الى وقف التداولات في بعضها.

ورغم أن كورونا لم يصنف كوباء حتى الان، الا أنه تسبب في تراجع الطلب العالمي على الاستهلاك مما ساهم في انخفاض الانتاج الصناعي، خاصة في الصين التي أغلقت عدة مدن. ووقع التأثير بشكل كبير على قطاعات النقل الجوي والبحري وعلى قطاع السياحة، أكانت ترفيهية أم دينية، وألغيت فعاليات معظم المؤتمرات، والمعارض الكبرى خوفا من انتشار العدوى التي وصلت لأكثر من مئة دولة وحتى الان لم يستطع العلماء تطوير لقاح له.

الأمر الذي أدى الى حدوث اضطرابات اقتصادية كبيرة تسبب في التراجع والتباطؤ على طلب النفط، وكان الانخفاض الحاد بأسعار النفط خاصه بعدما أغرقت السعودية السوق في خطوة تصعيدية ضد روسيا، التي ترفض الالتزام باتفاق اوبك بخفض الانتاج للمحافظة على استقرار الاسعار.

وتعرضت ايرادات دول الخليج لضربة قوية، ما أجبرها على اللجوء إلى تدابير تقشفية، بالإضافة الى الاقتراض والسحب من أصولها المتراكمة لسد العجز في الموازنة [1] .

أما في سورية، فإن قانون قيصر هو بمثابة الحرب الرابعة التي فرضتها الولايات المتحدة الاميركية على سورية، بعد ان فشلت في الحرب العسكرية والحرب الإرهابية، والحرب الاعلامية الكبيرة.وارتفاع سعر صرف الدولار في سورية ليس مرهوناً بصناعة ولا بزراعة ولا اي شيء اخر، انما هو سعر وهمي نبع من الخوف من تطبيق قانون قيصر.وكذلك الامر في لبنان، غير أن السيطرة على المشكلة، ووضع الحلول لها تختلف منها في سورية حيث هناك مركزية للقرار وتفاهم على المستوى السياسي في كيفية المعالجة مهما كانت الصعوبات، بينما في لبنان فالمشكلة أعمق بسبب التناحر الداخلي لإسقاط الحكومة، ولا مركزية القرار والاستهتار السياسي من قبل المسؤولين عن حل المعضلة والحكومة اللبنانية تذهب لطاولة المفاوضات مع صندوق النقد الدولي وتصطدم بشروط اميركية تتعلق بسلاح المقاومة وترسيم الحدود، مما لا تستطيع تنفيذه، علما ان الاموال التي يعطيها صندوق النقد الدولي سوف تكون ايجابياتها اقل من سلبياتها وسوف تتفاقم المشاكل الاقتصادية في لبنان[2].

(1) – قناة الحرة العراق:ضربتان للاقتصاد العالمي :«الحرب الجديدة » و«الفيروس المرعب» يجتاحان أسواق المال، ومارس 2020. www.alhurra.com

(2) – أيمن ديوب وعماد عكوش:ما الهدف الاساسي من سن قانون قيصر الاميركي ؟ قناة العالم / برنامج مع الحدث، 13 حزيران 2020 .

4-حروب الإرهاب

إن الإرهاب ظاهرة مركبة تختلط فيها الجوانب الجنائية والاجرامية والنفسية مع الجوانب السياسية والاقتصادية والايديولوجية، وهو يمثل سلوكا منحرفا يهدد النظام العام ويخالف قواعد القانون والعرف الإنساني، ويؤدي الى زعزعة الامن والاستقرار ويشيع الرعب والذعر في النفوس.وقوة الإرهاب التدميرية تزداد يوما بعد يوم، خاصة في ظل التطور السريع لوسائل الاعلام شبكات التواصل الاجتماعي، واستخدامها للترويج لعملياتهم الاجرامية، وتجنيد الشباب، وبث الاشاعات لترهيبهم، فأصبحت الدول والمجتمعات اكثر انكشافا واقل حصانة ضد مخاطره الفتاكة[1] .

ولقد سقطت قوى شعبية وحزبية في اتون التفرقة والانقسام والتحارب بشكل تخطى كل ما قد سارت عليه النظم القطرية التي نصبتها قوى الاستعمار او التي اتت بها بعد انقلابات عسكرية، ويبقى الاكثر خطورة هو سقوط المرجعيات الدينية او ما يعرف بعلماء الدين، الذين يمثلون من حيث المبدأ الاحتياط الاستراتيجي في وجه اشكال الغزو الثقافي، وكل ذلك جرى بتوجيه من الولايات المتحدة وكل من بريطانيا وفرنسا واسرائيل. وظهرت المنظمات الاكثر تطرفا التي اشعلت المنطقة بالحروب الداخلية، وقضت على اكثر معالم الحضارة والعمران، ودمرت اقتصاديات الدول، وقسمت النسيج الاجتماعي وأصبحنا نواجه نوعاً جديداً من الحروب عمادها الفناء المتبادل، واحتدم الصراع من اجل البقاء، وهذا الصراع يحكمه الجهل والرعب والمشاريع التي لا تستند الى اي منطق او رؤية نهضوية بل كل سعيها كان لمزيد من التفتيت والتمزيق وبالتالي الى مزيد من الضعف[2].

واخيراً وقع الزلزال الكبير او ما سمي زوراً « الربيع العربي» ابتداء من عام 2010- 2011، متزامناً مع الانسحاب الاميركي في المنطقة، كما ترافق مع تراجع اهمية النفط بالنسبة لاميركا التي بنت استراتيجيتها على اساس حماية منابع النفط والانظمة القائمة على ضمان حسن سير تدفقه. ولأن النظم الفاقدة للمشروعية الشعبية، تعيش رهاب التحركات السياسية والتطور السياسي في دول المحيط، مما جعلهم يعتبرون ان اي زعيم او حزب في الاقليم، يرفع شعارات التحرر من القوى العظمى، الغربية منها على وجه الخصوص هو تحدٍ لهم ويهدد أمنهم ووجودهم.لذلك لعبت هذه الدول من خلال التأثير

(1) -مؤتمر الاعلام والإرهاب .. الوسائل والاستراتيجيات / شبكة ضياء للمؤتمرات والدراسات والبحوث، 15_17 تشرين الثاني 2016.

(2) - انيس نقاش:الكونفدرالية المشرقية صراع الهويات والسياسات، شبكة امان للدراسات والبحوث الاستراتيجية، توزيع بيان للنشر والتوزيع، بيروت 2015، ص 153-152 .

الاعلامي، والتمويل المادي الكبير دوراً خطيراً من خلال المجموعات التابعة لها للتأثير في مجرى الأمور إما سياسياً وإما عسكرياً كما حصل في ليبيا وسورية، أو في اليمن ومصر وتونس.ولعل الحدث الأخطر كان تأسيس شبكة الجزيرة الإعلامية عام 1996، والتي تم تأسيسها بعد إغلاق شبكة القسم العربي لتلفزيون هيئة الاذاعة البريطانية، وورثت الجزيرة العدد الأكبر من الاعلاميين العاملين في هيئة الاذاعة البريطانية ولقد لعبت قناة الجزيرة الدور المنوط بها، من قبل بريطانيا ولكن بقالب عربي، ويبث من عاصمة عربية.وانكشف دور هذه القناة مع بداية ما سمي ب « الربيع العربي « فكانت الجزيرة هي الموجّه الأساسي للرأي العام، وراسمة لسياسات الحراكات والموجات الشعبية في أكثر من قطر عربي ولم يقتصر دور قطر على أدوات الاعلام والتأثير على الرأي العام العربي، بل إن قطر كرّست إمكانياتها في خدمة مشروع التغيير الكبير في المنطقه، من خلال شبكات التواصل مع القوى السياسية المؤثرة والفاعلة في المجتمع لتحضيرها لخوض عملية التغيير وذلك عبر الاتفاق اولا مع مؤسسة « راند» الاميركية، التابعة والممولة من البنتاغون، لكي تعنى بإعادة برمجة مناهج التعليم والبحث العلمي في العالم العربي، كما دعمت قطر واشرفت على اكاديمية « التغيير « التي يديرها هشام مرسي صهر الشيخ يوسف القرضاوي، ومن اهدافها برامج تحضير الشباب على اللاعنف كوسيلة للتغيير وعلى استراتيجيات الثورات الملونة، كأحد الابتكارات الاميركية التي استعيض بها عن الانقلابات العسكرية لتغيير النظم.وكانت الاجهزة الصهيونية تتابع سير عملها وتديرها من خلف الستار ومن خلال مكتب الارتباط في الدوحة. وكان الحراك العربي، حراكا بلا قيادة معلومة، لصالح قيادة مستترة متلطية خلف ستار المؤسسات ووسائل الاعلام والجمعيات غير الحكومية.وتثبت وثائق ويكيليكس المتعلقة بالخارجية الاميركية، وتلك المتعلقة بدوائر الحكم في السعودية، ووثائق الدورين القطري والتركي، « ان العالم العربي تعرض الى ابشع عملية تضليل وتزوير لحراك مكوناته الشعبية، ولاعادة توجيه رأيه العام وسياسات الاحزاب، بل حتى التلاعب في جوهر الاديان والمذاهب من خلال اكبر عملية تحريض حصلت في التاريخ لبثّ الاقتتال والفرقة بين مكونات الشعب الواحد وبين مكونات الامة الاسلامية بشكل اوسع «[1] .

ثانيا: دور وسائل الاعلام في مواجهة الحروب والفتن

إن الطفرة الهائلة في المجتمعات الإعلامية، وما تشهده في تطور تقني كبير، وانفتاح

(1)- أنيس النقاش:المصدر السابق، ص 170-159

رهيب على الآخر، وهذه القدرة غير المسبوقة على تشكيل توجهات الافراد والمجتمعات، بالاضافة إلى التأثير الفاعل في تكوين رأي جمعي حيال القضايا والافكار المحلية والعالمية، تجعلنا نتوقف عند الدور المهم والخطير الذي تضطلع به السلطة الرابعة أو القنوات الإعلامية، بما تشمله من صحافة وإذاعة، وتلفاز، وسينميا، ومسرح، وكتب، ومواقع التواصل الاجتماعي المختلفة، والتي تعرض لمختلف القضايا التي تهم الشأن العام على المستوى المحلي والعالمي [1].

ولذلك لا بد من إدارة لمؤسسات الإعلام تعتمد أسلوب التخطيط بعيداً عن العمل العشوائي وردود الأفعال المرتجلة.

1-دور الاعلام في التخطيط

والتخطيط يتمثل فيما يلي:

أ- أخذ المبادرة والعمل لأن يكون الإعلام فاعلا وليس ردوداً للفعل .

ب- الاستغلال الأمثل للموارد:البشرية والفنية والمالية والتكنولوجية الحديثه وكل ما من شأنه أن يخدم الهدف من دراسات وبحوث وتجارب وخبرات واستخدام للبيانات، والابتعاد عن هدر الطاقات والإمكانات.

المتابعة المستمرة لأي تهديد أو مخاطر قد تواجهنا .

اتخاذ القرار السليم المناسب في الوقت المناسب.

ج- التخطيط يؤدي الى توقع ما سيحصل في المستقبل بناء على المعلومات المتوافرة، وبالتالي يساعد في وضع البدائل والحلول المناسبة لأي أزمة، ومعالجة آثارها .

وإذا أخذنا جائحة كورونا كمثال فهي تمر في خمس مراحل:

الإنذار المبكر _ ثم النمو _ فالنضج _ الوصول الى القمة _ وبعدها _ تبدأ بالتلاشي. وكذلك كل أزمة أو مشكلة فهي مكونة من عدة عناصر [2].

والمسؤولية الملقاة على عاتق وسائل الاعلام كبيرة جداً وتتطلب وضع استراتيجية شاملة ويجب أن تتضمن[3]:

(1)- قدري الراعي:الاعلام العربي والمسؤولية الاجتماعية، مجلة العربي العدد 700 و عام 2017

(2)- محمد المحتسب (عميد كلية الاعلام / جامعة اليرموك):دور الاعلام في إدارة الأزمات، كلية الاعلام / جامعة اليرموك عبر البث المباشرعبر Zoom in team

(3)- نائلة عمارة (عميد كلية الاعلام / جامعة حلوان):دور الاعلام في إدارة الأزمات، قناة أون تي في / مركز فكر مصر 2015

أولا: تحديد المخاطر وأبعادها .

ثانياً: تحديد الأهداف من الخطة الاعلامية .

ثالثاً: تحديد من هم المستهدفون من هذه الخطة، لأن كل فئة من فئات المجتمع لها أسلوب وخصائص مناسبة لايصال الرسالة الى المتلقين فيها.

رابعاً:وضع خطط للطوارئ (الخطة الأولى – الخطة الثانية –الخطة الثالثة).

ويتم تقييم تأثير وسائل الاعلام عبر عدة خطوات:

الاولى:المرحلة المعرفية:أي إعطاء الناس الأخبار التي يجب أن يعرفوها والتي تجيب عن تساؤلاتهم.

الثانية:المرحلة الوجدانية:وهي تجعل المتلقين يتعاطفون أو يكرهون تلك الأزمة .

الثالثة:مرحلة الاستجابة وتغيير السلوك في أن يستجيبوا للاوامر والمحاذير (جائحة كورونا مثلاً) وإذا تم الوصول الى هذه المرحلة يكون قد تم النجاح بالمهمة [1].

خامساً:وضع السياسات والاجراءات

سادساً: تدريب الافراد والمجموعات للتعامل مع الأزمة

2- دور وسائل الإعلام في ترسيخ وحدة المجتمع

ان التماسك الاجتماعي هو الارتباط الوثيق بين أفراد المجتمع، فالفرد يعتمد على المقاييس والقيم المشتركة التي تحكم سلوكه وتجمعه مع كل أفراد المجتمع الواحد عبر مشاعر ومصالح وحقوق وواجبات مشتركة تقوم على أسس المواطنة.

وإن أي خلل قد يصيب هذه القيم المشتركة، أو التوازن بين حقوق الأفراد وواجباتهم، أو تحقيق المساواة بينهم، يؤثر تأثيراً مباشراً على عملية التماسك الاجتماعي، ويؤدي الى الشعور بالغبن ويصبح المجتمع عرضة لتغلغل الآفات والأخطار.

وتقوم الدولة بالدور الرئيسي في تحقيق المساواة والعدل بين جميع المواطنين، وبالتالي في تعزيز التماسك الاجتماعي لأفرادها وجماعاتها.وبالإضافة الى الدور المهم الذي تضطلع به العائلة والمدرسة، إلا أن وسائل الاعلام تلعب الدور الحيوي في حياة الناس.فالمسؤولية الملقاة على عاتق وسائل الاعلام تخولها من خلال ترسيخ قيم النظام

(1)- طانيوس جرجس:تأثير الاعلام على التماسك الاجتماعي، مؤتمر الجنوب الثاني / الاعلام ووسائل الاتصال الحديثة / مقاربات سوسيولوجية الجامعة اللبنانية / الفرع الخامس، ص 248 و 249.

الاجتماعي أن تساهم بقوة في تشكيل المواقف تجاه القضايا المهمة التي تواجه المجتمع.

ومن اهم وظائف وسائل الإعلام العمل على تبادل الأفكار وتعزيز ثقافة الحوار، وتقريب وجهات النظر بين أفراد المجتمع، وليس إثارة النعرات الطائفية وتأجيج الفتن [1]، في ظل ما يجري على ارض الواقع وفي غياب أي شكل من أشكال الرقابة والمحاسبة، حيث يتم اغراء الاعلاميين بالهدايا والمال والسلطة الوهمية، وكذلك تؤسس قنوات فضائية ويغرق عليها المبالغ الطائلة لإذكاء روح التعصب المناطقي والطائفي. ولما كان مشروع الغزو الثقافي هو: التفكيك الثقافي لوحدة الأمة وتدمير مقومات تماسكها، فإن العنوان المضاد الواجب اتباعه من قبل وسائل الإعلام يبقى ثقافة الوحدة [2].

ولقد ابتلي مجتمعنا، في ظل المتغيرات الاقليمية والدولية بموجة من الهستيريا الاعلامية، والاخبار المكذوبة وحتى الوقائع المفتعلة، ويسعى الاعلام الكاذب لاختلاق الروايات، وتزوير الوقائع، ونسف الحقائق، ودس السم في العسل لدغدغة مشاعر المظلومين والكادحين وما أكثرهم في أوطاننا، وهذا ما يطلق عليه « إعلام التحريض» البعيد تماما عن الحيادية والموضوعية والمصداقية في عرض الوقائع والاحداث على العامة من الشعب .

3- دور وسائل الإعلام في محاربة الإرهاب

إن التعاطي مع ظاهرة الإرهاب يعد من المسائل الشائكة والمعقدة التي تؤرق المهنيين والمشرفين على المؤسسات الإعلامية، الساعية للبحث عن الوسائل والاستراتيجيات الكفيلة بمواجهة الإرهاب إعلامياً، والمساهمة في احتوائه بدلا من التواطؤ معه، وكشف أساليبه، والعمل على تكوين رأي عام مضاد له، يساهم في نشر ثقافة التسامح والوسطية والاعتدال في المجتمع.فالإشكالية الحقيقية تكمن في العلاقة المتبادلة بين الإعلام بكل أشكاله وتأثيراته، وبين الإرهاب والفكر المتطرف الذي تحول الى داء فتاك لم تتمكن المجتمعات بكل إمكاناتها من علاجه أو بتره من جذوره.

إن المتابع بدقة للتغطية الاعلامية لقضية خطيرة كالإرهاب يكتشف أن مفهوم الإرهاب يختلف في منطوق وسائل الاعلام حسب سياستها الاعلامية، أو حسب سياسات الدول التي تمول وتدير هذه الوسائل.

ولقد أثبتت الأحداث أن الإعلام كان السلاح الأقوى في أيدي الإرهاب، فجماعة

(1)- مجدي حماد:المصدر السابق، ص 113.
(2)- محسن الفحام:معاً في مواجهة الفتن والشائعات، الدستور 9 آذار 2020.

إرهابية ك « داعش « انتبهت الى استخدام سلاح الإعلام في التسويق والترويج لها وتضخيم امكاناتها عبر امتلاك أحدث التقنيات في ما بثته من رسائل أعلامية لتوهم العالم بأنه لن يقوى أحد على مواجهتها، مستخدمة بذلك الإعلام في الحرب النفسية. ومن هنا تظهر طبيعة العلاقة القوية والمتبادلة بين الاعلام والإرهاب.لذلك قد يكون المتهم الأول في تفاقم الإرهاب وتوسعه ليصبح خطراً يواجه العالم بأسره، هو الفوضى في التعامل معه، وعدم وجود استراتيجية إعلامية موحدة في مواجهته[1].

والمطلوب من المؤسسات الاعلامية التي تعد الخطط لمواجهة الإرهاب أن تعمل على :

أ – صوغ الخبر وايصال المعلومة بعيداً عن بث التفرقة والانقسام لدى المتلقين.

ب – تعرية الإرهاب من حججه الزائفة:دينية أو سياسية أو اجتماعية.

ج – ابراز منهج الرسالات السماوية في التعايش السلمي والتسامح ونبذ التطرف وكل ما من شأنه بث الكراهية بين الناس، والتأكيد أن الفكر المتطرف له أسباب مرضية كثيرة وقد عانت منه كل الحضارات، ومن ثم فالإرهاب لا دين له.

د – تسليط الضوء على وسائل معالجة الجذور العميقة للإرهاب ذات الابعاد الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

هـ – التأكيد حقيقة أن الإرهاب لن يحقق لمن قاموا به أهدافهم التي يسعون اليها، وتيئيسهم من جدواه[2].والاعلام النافع يعتبر صورة من صور الكلمة الطيبة التي قال الله جل وعلا عنها:﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴾(سورة ابراهيم–الآية:24).أما الاعلام الضار فهو صورة عن الكلمة الخبيثة التي قال الله عنها:﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴾(سورة ابراهيم–الآية:26)

إن ما يواجه شبابنا اليوم من فوضى وعبثية فكرية دينية لم يسبق لها مثيل على الاطلاق.والعامل المشترك الاكبر في هذه العبثية والفوضى هو الجذور الدينية لكل الافكار غير الدينية، وغياب المنهج العلمي في التفكير الديني، وقبول الموروث دون تمحيص او مناقشة او تحليل وتحقيق.

وفي ظل هذه الفوضى العارمة المترافقة مع غياب الرقابة والمحاسبة وضبط أداء

(1)– حسين أمين:مسؤلية الإعلام في مواجهة التطرف الديني والإرهاب، المؤتمر الدولي:دور الاعلام في التصدي للإرهاب / رابطة الجامعات الاسلامية، 21 شباط 2017 .

(2)– محمود أحمد عبد الجواد الفشني، المصدر السابق، ص: .....

الوسائل الإعلامية، عملت القنوات الفضائية على استقطاب شريحة واسعة من الشباب، وزرع الافكار الهدامة لديهم:التعصب الطائفي، ومحاولة إلغاء الاخر، الانغلاق على الذات والجماعة التي ينتمي اليها، وانعدام سبل الحوار والتقارب[1].

خاتمة واستنتاجات:

نستنتج مما تقدم أن الحرب الحقيقية اليوم هي الحرب الإعلامية لما للإعلام من تأثير واسع على كافة شرائح المجتمع، وفي تشكيل الرأي العام.والإعلام سلاح ذو حدين، فإذا أحسن استخدامه وتوجيهه كان ركيزة مهمة في تطور وتقدم المجتمعات وحمايتها من تسلل الافكار الهدامة.

والإعلام الهادف له دور محوري، ويعد حجر الزاوية في تدعيم السلم الاهلي.عبر بلورة رؤية شاملة تقوم على ما يلي:

–اعتماد خطة إعلامية شاملة ترتكز الى التخطيط السليم والمتميز للمؤسسات الاعلامية الخاصة والعامة، عبر اساليب علمية مدروسة ومنتقاة وفق معايير دقيقة عند تصميمها ورسم أهدافها ومراحلها، وكلما كانت الاهداف واضحة وجلية من جهة، ونبيلة وسامية من جهة أخرى تحقق النجاح المنشود لها.

– تطوير الكوادر الاعلامية وتدريبها، وتوظيف افضل التقنيات الحديثة في العمل الاعلامي.

– واذا كان مشروع الاعداء هو التفكيك الثقافي لوحدة الامة وتدمير مقومات تماسكها، فإن العنوان المضاد في مواجهة هذه المخططات، يبقى هو ثقافة الوحدة، والحرص على تنمية كل عوامل التوحيد في مجتمعاتنا، وتعزيز اواصر التماسك بين أبناء أمتنا.

– اعادة طرح ميثاق الشرف الاعلامي بما يحدد كيفية التعامل مع مشاهد الجرائم التي ترتكبها الجماعات الإرهابية، حتى لا تتحول وسائل الاعلام لأبواق تردد رسائل تلك الجماعات بما يمثل إرهابا وترويعاً فكرياً للمجتمع.

(1) – صباح يونس:أثر الاعلام الحديث في تغيير اهتمامات الشباب و مؤتمر الجنوب الثاني، مصدر سابق، ص 565 و566

المصادر والمراجع:

1. انيس نقاش:الكونفدرالية المشرقية صراع الهويات والسياسات، شبكة امان للدراسات والبحوث الاستراتيجية، توزيع بيان للنشر والتوزيع، بيروت 2015.
2. أيمن ديوب وعماد عكوش:ما الهدف الاساسي من سن قانون قيصر الاميركي ؟ قناة العالم/ برنامج مع الحدث، 13 حزيران 2020 .
3. حسين أمين:مسؤولية الإعلام في مواجهة التطرف الديني والإرهاب، المؤتمر الدولي:دور الاعلام في التصدي للإرهاب / رابطة الجامعات الاسلامية، 21 شباط 2017 .
4. الديار:أميركا واسرائيل تشنان أعنف حرب مالية واقتصادية، الاثنين 25 آذار Nna_leb .gov.lb.2019
5. شذى خليل:الحروب الاقتصادية سلاح فتاك في اختلال موازين الدول ،موسوعة العراق/ مركز الروابط للبحوث والدراسات الاستراتيجية 11 تشرين أول 2018 .
6. صباح يونس:أثر الاعلام الحديث في تغيير اهتمامات الشباب و مؤتمر الجنوب الثاني، مصدر سابق .
7. طانيوس جرجس:تأثير الاعلام على التماسك الاجتماعي، مؤتمر الجنوب الثاني / الاعلام ووسائل الاتصال الحديثة / مقاربات سوسيولوجية الجامعة اللبنانية / الفرع الخامس.
8. عبد الله عوض راشد العجمي:الغزو الفكري عبر وسائل الاعلام المرئي وخطره على المجتمع، مجلة الشريعة والدراسات الاسلامية العدد (79) جامعة الكويت.
9. عبد الوهاب المسيري، الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، دار الفكر المعاصر بيروت 2003 .
10. علي مراد:مليارات واشنطن العشرة ...وقعت في بحر غدار، الاخبار، الاثنين 28 ايلول 2020
11. غسان طه:الحرب الناعمة (القوة الجاذبة وأساليب المواجهة، مجلة المنافذ الثقافية / العدد الثامن 2014 .
12. قدري الراعي:الاعلام العربي والمسؤولية الاجتماعية مجلة العربي العدد 700

و عام 2017

13. قناة الحرة العراق: ضربتان للاقتصاد العالمي :» «الحرب الجديدة والفيروس المرعب» يجتاحان أسواق المال، ومارس 2020. www.alhurra.com

14. مجدي حماد و(مؤلفون آخرون): نحو استراتجية وخطة عمل للصراع العربي الصهيوني، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت عام 2000.

15. محسن الفحام:معاً في مواجهة الفتن والشائعات، الدستور 9 آذار 2020

16. محمد المحتسب (عميد كلية الاعلام / جامعة اليرموك):دور الاعلام في إدارة الأزمات، كلية الاعلام / جامعة اليرموك عبر البث المباشر عبر Zoom in team

17. محمود أحمد عبد الجواد الفشني، مؤتمر الاعلام والإرهاب .. الوسائل والاستراتيجيات/ شبكة ضياء للمؤتمرات والدراسات والبحوث، 15_17 تشرين الثاني 2016.

18. نائلة عمارة (عميد كلية الاعلام / جامعة حلوان):دور الاعلام في إدارة الأزمات، قناة أون تي في / مركز فكر مصر 2015.

2. التنوع البشري: الأنواع والمخاطر

بقلم:الأستاذ الدكتور وليد انطون الشوملي

رئيس المركز الفلسطيني للدراسات وحوار الحضارات

عضو المركز الاستشاري العربي التابع للهيئة العليا للعلماء والمفكرين العرب

walidshomaly@yahoo.com

تعريف: يعرف التنوع البشري على أنه الفروق الفردية بين الناس المرتبطة بانتماء الشخص إلى مجموعة ثقافية معينة، بما فيها العرق والإثنية والانتماء القومي والديني وكذلك اللغة، والعمر، والجنس، وهوية النوع الاجتماعي، والتوجهات الجنسية، والقدرات العقلية والجسمانية، والحالة الزوجية، والحالة الاجتماعية والاقتصادية.

الأهداف:

1.تبيان العناصر المتعددة التي تشكل هوية الفرد والتي تميزه عن الآخرين.

2. تسليط الضوء على بعض من تلك العناصر.

3. التأكيد على أن التنوع بكافة أشكاله مصدر إثراء وعامل أساسي لتفعيل عمل المؤسسات الحكومية ومؤسسات المجتمع المدني.

النتائج المتوقعة:

1. الخروج بفهم أوضح حول مفهوم التنوع البشري

2. معرفة العناصر الرئيسية لكافة أنواع التنوع بجميع أشكاله.

3. إدراك أهمية التنوع الثقافي والإثني والديني كعامل قوة وليس عامل تفتيت في المجتمع إذا ما قام على أساس صحيح وديمقراطي.

التنوع الجيني والبيولوجي للإنسان:

إذا ما أردنا فهم التنوع البشري، علينا أولا أن نفهم كيف جاء ذلك التنوع. وإذا ما قارنا التنوع الجيني لدى الإنسان بالتنوع لدى المخلوقات والأنواع الأخرى فإننا نراه متواضعا نسبيا وذلك لحداثة عهده مقارنة مع الكائنات والأنواع الأخرى(1).

فعلم الأنثروبولوجي على سبيل المثال هو أحد العلوم الذي يعني بالتنوع البشري بمفهومه الشامل، بحيث تلتقي تحت مظلته أربعة تخصصات علمية وتتفاعل فيما بينها، وهي بالتحديد الانثروبولوجيا الاجتماعية–الثقافية، وعلم الآثار، والانثروبولوجيا البيولوجية–الفيزيائية، وعلم اللسانيات(2).

التنوع العرقي –الإثني:

قد لا يفرق الكثير من الناس بين ما هو عرقي وما هو إثني. ففي حين يصف الأول السمات الفيزيائية، يتعلق الثاني بالهوية الثقافية. يعرف العرق على أنه شيء يتوارثه الإنسان ويستند إلى صفات بيولوجية وفيزيائية متشابهة. أما الإثنية فإنها تتسم بأنها أكثر شمولية من العرق وأنها تستند على التعبير الثقافي(3).

العرق	الإثنية
على نطاق ضيق	على نطاق واسع
تستند إلى صفات بيولوجية وفيزيائية متشابهة.	تستند إلى التعبير الثقافي.

فعلى سبيل المثال يمكن للفرد أن ينتمي للعرق الأسود وأن ينتمي للإثنية الفرنسية، أو أن ينتمي للعرق الأبيض وأن يكون عربيا.

وكمثال آخر فإن اصطلاح «آسيوي» يعني أن ذلك الفرد ينتمي إلى دول الشرق الأقصى، أو جنوب شرق آسيا كالصين أو الفلبين أو فيتنام أو كوريا أو اليابان أو ينتمي إلى شبه القارة الهندية. فالعربي القادم في الشرق الأوسط لا ينتمي إلى فئة الآسيوية على

سبيل المثال رغم أنه يسكن في قارة آسيا.

نستنتج من ذلك، أنه بالرغم من الخط الذي يفصل بين العرق والاثنية، إلاّ أنه يتم الخلط بين المفهومين لدى كثير من الناس.

التعددية الثقافية:

تعرف التعددية الثقافية بمفهومها البسيط على أنها التعايش بين الثقافات المختلفة. وقد يكون ذلك إما داخل مجتمع ما أو بين مجتمعات تنتمي إلى بلدان مختلفة. والتعددية الثقافية وجدت في مجتمعات قديمة كاليونان القديمة حيث تميزت بوجود مناطق عدة متنوعة من حيث الطباع واللهجات والأزياء، وفي مناطق أخرى في العالم القديم.

أما مفهوم «التعددية الثقافية» فقد ظهر جليا في الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين حين بدأت كل من أستراليا وكندا على وجه التحديد فتح أبواب الهجرة لغير العنصر الأبيض وذلك لتكوين مجتمعات متعددة الثقافات لديها. وفي نفس الوقت لم تطلب تلك الدول من المهاجرين الجدد الإنصهار أو الذوبان في مجتمعاتهم الجديدة، بل الاندماج الذي يسمح لهم الاحتفاظ بقدر لا بأس به من مكونات ثقافتهم الوطنية الأصلية وخلق حالة توازن بينها وبين ثقافة المجتمعات الجديدة التي هاجروا إليها.

وهناك من يعتبر جمعيات الجاليات العرقية في المهجر فضاء مهما للاندماج، إلاّ أن بعض التجارب أثبتت عكس ذلك. فقد ساهمت بعض الجمعيات في زيادة التطرف الديني لدى بعض المجتمعات مما لم يحل دون الاندماج فحسب بل دفع ببعض الأفراد إلى ارتكاب جرائم ذات طابع إرهابي واصفة تلك المجتمعات بالكافرة والمنحلة أخلاقيا.

هناك تباين في البلدان المختلفة من حيث درجة تبنيهم لسياسات التعددية الثقافية. ويلخص الباحثون تلك السياسات تعتبر الركائز الأساسية لتلك السياسات. وهذه النقاط تتمثل بالآتي:

1. التأكيد الدستوري والتشريعي على التعددية الثقافية على كافة المستويات.
2. إدخال التعددية الثقافية في المناهج المدرسية.
3. احترام الأقليات العرقية وعمل كل ما هو ضروري لابراز هويتهم الثقافية، وكذلك تمويلها.
4. السماح لبعض الجماعات الدينية بارتداء ما تتطلبه ديانتهم.

5.السماح بازدواج الجنسية.

وتبعا لذلك، فإن كندا وأستراليا تتصدران قائمة البلدان التي تتبنى النقاط آنفة الذكر بقوة، تتبعها دول مثل السويد والمملكة المتحدة والولايات المتحدة. وتأتي بالمرتبة الأخيرة في تبني تلك النقاط دول كالنمسا وألمانيا واليونان وإيطاليا(4).

ولا شك، فإن العقلية ما زالت غير ناضجة لاستيعاب التعددية، وما زالت تؤمن بنقاء الهوية، وبالتالي إقصاء الآخر المختلف. والمشكلة لا تكمن فقط بحصرها على الصعيد الشعبي، بل تتعدى ذلك إلى مؤسسات الدولة العربية التي تقمع الأقليات العرقية والدينية (5).

التنوع الديني:

تساهم التعددية الدينية في إغناء ثقافة المجتمع في حال تم استغلال الجوانب الإيجابية في تلك الأديان وإيجاد أرضية مشتركة للتعايش بين أتباع مختلف الأديان.

في حقيقة الأمر، لا يشكل الدين في الغرب مكونا أساسيا من هوية الفرد، إذ إن تلك المجتمعات تعتبر الدين مسألة شخصية واعتناق دين ما أو التخلي عنه تقع في باب الحريات الفردية.

أما في الشرق العربي، فالأمر يختلف كل الاختلاف، إذ يشكل الدين والطائفة لدى الإنسان الشرقي أو العربي عنصرا أساسيا من عناصر هويته الثقافية، مما يوفر الأرضية الخصبة للتطرف الديني والذي قد يؤدي في كثير من الأحيان الى العنف والقتل والترويع. هذا كله نابع من ادعاء الشخص امتلاكه للحقيقة المطلقة من خلال ما يدين به، وبالتالي يتصرف وكأنه وكيل السماء على الأرض وأنه مخول بتكفير الآخرين وإطلاق الأحكام الإلهية عليهم وبالتالي الحكم عليهم ما يراه تطبيقا للشريعة الإلهية.

خلص تقرير لمعهد بيوPEW الأمريكي حول التنوع الديني في العالم إلى أن نصف البلدان التي تتميز بتنوعها الديني تقع في آسيا، وفي منطقة المحيط الهندي بالتحديد، وأن دولة غينيا- بيساو في إفريقيا الغربية تحتل المرتبة الأولى من حيث كثافة التنوع الديني فيها(6).

وفي القارة الآسيوية، تعتبر الهند أوضح مثال للتعددية الدينية والعرقية واللغوية، حيث يشكل الهندوس حوالي 80% من مجموع السكان، في حين يشكل المسلمون 13%، والمسيحيون 3%، والسيخ 2%، وأتباع ديانات أخرى وملحدون 2%.

أما من حيث التعددية العرقية في الهند، فهناك أعراق متعددة منتشرة في كافة أنحاء البلاد.وهناك 23 لغة رسمية معترف بها من أصل 600 لغة في البلاد.

لقد اختارت الهند الحديثة بعد تأسيسها في العام 1947 المسار الديمقراطي إذ إنها تبنت الديمقراطية العلمانية، وأضحت أكبر ديمقراطية في العالم، حيث يضمن دستورها الحقوق المتساوية لجميع المواطنين هناك.

التعددية الفريدة من نوعها يدعونها في الهند «**الوحدة في التعدد**». وجوهر الحضارة هناك هو السلم واللاعنف مما يساهم في ترسيخ روح التسامح والامتزاج السلمي والطوعي بين الثقافات.

يقول غاندي بهذا الصدد: « **لا أريد من بيتي أن يكون محاطاً بجدران أربعة ونوافذه مغلقة، بل أريد من رياح جميع الثقافات أن تدخل إلى بيتي بكل حرية. لكنني في المقابل، لا أسمح لأي ريحٍ ثقافية أن تقتلعني من مكاني**»(7).

هناك خمسة أديان كبرى في العالم وهي اليهودية والمسيحية والاسلام والهندوسية والبوذية. أضف إلى ذلك، يوجد في كثير من البلدان الإفريقية العديد من الديانات الإحيائية، أي ديانات محلية تتميز بها كل منطقة من المناطق.

فلو أخذنا الدول العربية على سبيل المثال، فإننا نجد أن الإسلام هو الدين السائد وبالتالي فإن درجة التنوع الديني تعتبر منخفضة فيها نسبيا. وكذلك الحال في دول أميركا اللاتينية حيث إن الديانة المسيحية هي السائدة، أو الديانة شبه المطلقة هناك وخاصة المذهب الكاثوليكي. أما في دول وسط إفريقيا فانها تتسم بانتشار الديانات المحلية الإحيائية، وبالتالي فإنها تصنف على أنها دول منخفضة التنوع الديني. أما الدول التي تسجل أعلى تنوع ديني فهي سنغافورة، وموزمبيق، وفيتنام، والصين، وغينيا– بيساو كما ذكرنا سابقا. وبالرغم من أن الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا والهند ومعظم الدول الأوروبية احتلت مرتبة البلدان المعتدلة من ناحية التنوع الديني، فما زالت المسيحية تهيمن على الدول والأوروبية كما تهيمن الهندوسية في الهند. ومن طرائف القدر أن هناك أربع دول خليجية وهي بالترتيب الكويت، والإمارات العربية المتحدة، وقطر والبحرين لها سجل حافل ولو بدرجات متفاوتة من حيث التنوع الديني، وذلك بسبب الزيادة الكبيرة في أعداد المسيحيين والبوذيين والهندوس الوافدين إليها.

أما المجتمعات الحديثة في الغرب، فقد كانت من وقت قريب لا تعير اهتماما للدين، حيث كانت كما أسلفنا تعتبره مسألة شخصية لا شأن للمجتمع به. إلاّ أن أحداث 11

سبتمبر عام 2001 والحرب على أفغانستان وموجات نزوح اللاجئين المسلمين إلى أوروبا التي أحدثت تغيرات في التركيبة الديمغرافية، أعادت قضية التنوع الديني إلى الواجهة السياسية المعاصرة. وبدأت تلك الدول تعمل على استثمار التنوع الديني والثقافي فيها لتجعل منه قيمة مضافة على الصعيدين السياسي والاقتصادي. لقد روى لي صديق لبناني وهو مسلم سني مكث في فرنسا أثناء الحرب الأهلية اللبنانية وحصل على الجنسية الفرنسية، أن القاضي الفرنسي قال له أثناء تأدية القسم: «**أرجوك أن تحافظ على هويتك الثقافية كي تغني ثقافة هذا البلد**». فما أروع هذا الكلام وهذا العمق الفكري والاستراتيجي الذي كان يتحلى به ذلك القاضي. فقد كان يعي تماما مدى أهمية التعددية الدينية والثقافية في المساهمة في تطوير بلده على كافة الأصعدة. إلاّ أنه وللأسف تصبح التعددية الثقافية والدينية وبال على أصحابها في حال جهل أصحاب الهويات الثقافية المختلفة، أو في حال عدم ترسيخ مبدأ المواطنة المتساوية للجميع. فالمواطنة المتساوية لا تغلب هوية الأغلبية الثقافية والدينية على الأقلية وذلك تجنبا لإذكاء فتن إثنية أو قومية أو دينية قد تنفجر في أي لحظة. ويحضرني هنا مثل نيجيريا الدولة الأكبر في إفريقيا من حيث عدد السكان، إذ يبلغ عدد سكانها حوالي 200 مليون نسمة ويتواجد فيها أكثر من 250 مجموعة إثنية، ويبلغ عدد السكان المسلمين الهاوسا الذين يسكنون شمال البلاد مثل عددهم من المسيحيين اليوروبا الذين يسكنون غرب البلاد. كما يسكنها الإيبوس الوثنيين في الشرق، وهؤلاء مجتمعين يشكلون حوالي 60% من مجموع عدد السكان في البلاد. صحيح أنه قد ظهر في البلاد مجموعات دينية متطرفة خاصة حركة بوكوحرام (والتي تعني أن استخدام الكتاب حرام) الإسلامية، إلاّ أن النظام الديمقراطي هناك (وبالرغم من الفساد المستشري) استطاع استيعاب تلك التعددية. فتارة نرى الرئيس فيها مسلم كالرئيس الحالي محمد بخاري وتارة مسيحي كالرئيس غودلك جوناثان الذي سبقه وهكذا دواليك.

أما الحال في فلسطين من ناحية التعددية الدينية فهو كالآتي:

الفلسطينيُّون المسيحيُّون في فلسطين قبل العام 1948

في أواخر عام 1945 وأوائل العام 1946 كان عدد سكان أرض فلسطين التاريخية 1,845,560 نسمة. وقد شكلت نسبة المسلمين واليهود والمسيحيين حوالي 58%، و 33%، و 9% من عدد السكان الإجمالي على التوالي. في حين بلغ عدد المسلمين واليهود في تلك الفترة 1,076,780 و 608,230 نسمة على التوالي، بلغ عدد المسيحيين

145,060 نسمة. وسجلت القدس حينئذ أعلى عدد من السكان المسيحيين والذي بلغ 46,130 نسمة، بينما سجلت مدينة بئر السبع ثاني أقل عدد من السكان المسيحيين بعد مدينة الخليل، حيث كانت تقطنها ثلاثون عائلة فقط، أي بمجموع 210 فردًا (8).

وقد بلغت نسبة المسيحيين في مدن بيت لحم، وبيت جالا وبيت ساحور 31.8% إذ سجلت أعلى نسبة للسكان المسيحيين الفلسطينيين في أرض فلسطين التاريخية في ذلك الوقت، تليها مدينة حيفا حيث بلغت نسبة المسيحيين فيها 23.2 %، ثمّ يافا 12.3 %، عكا 8.1 %، فالنّاصرة 8.1 1%، ورام الله 5.6 6%، وانتهاء بالرّملة حيث بلغت نسبتهم4.0 % .

ولسوء الحظّ فقد اختفى تماما الوجود المسيحي من بعض المواقع التي أصبحت فيما بعد جزءًا من دولة اسرائيل كمدن صفد، طبريا، بيسان، وبئر السبع التي كان يقطن فيها أعداد قليلة من المسيحيين في الأربعينيات من القرن العشرين، وذلك إما بسبب التهجير القسري أو الهجرة الطوعية للخارج. ففي حين تقلص عدد المسيحيين في المواقع الأخرى من فلسطين التاريخية بشكل تدريجي أو بشكل متسارع، تميزت مدينة الناصرة بأنها المدينة الوحيدة التي زاد عدد سكانها عما كان عليه في العام 1945، وذلك إثر عمليات التهجير التي ألمت بالسكان العرب في القرى المجاورة ونزوحهم إليها بحيث أصبحوا لاجئين في داخل «دولة إسرائيل».

توزيع المسيحيين في فلسطين في الربع الأول من القرن العشرين حسب الطَّوائف المختلفة

وفق الإحصاء الذي تمّ إجراؤه في فلسطين في العام 1922، فإن عدد المسيحيين في فلسطين إبان عهد الانتداب البريطاني مقسّمًا على الطوائف المختلفة كان كالتالي:

الروم الأورثوذكس 33,369 نسمة، السريان الأورثوذكس (اليعاقبة) 813، الكاثوليك (اللاتين) 14,245، الروم الكاثوليك (الملكيين) 11,191، السريان الكاثوليك 323، الأرمن الكاثوليك 271، الماروניين 2,382، الأرمن الأورثوذكس (الغريغوريون) 2,939، أتباع الكنيسة القبطية 297، أتباع الكنيسة الحبشية 85، أتباع الكنيسة الإنجليزية 4,553، أتباع الكنيسة المشيخية 361، البروتستانت 826، اللوثريون 437، أتباع فرسان الهيكل 724، وطوائف أخرى 282 فردًا(9).

هناك أربع مجموعات رئيسية من الكنائس التي لها جذور ضاربة في فلسطين. وهذه الكنائس هي:

1. عائلة الكنائس الأرثوذكسية – وتضم بطريركيات الروم الأورثوذكس في الشرق الأوسط.

2. عائلة الكنائس الأرثوذكسية الشرقية – وتضم كنائس الأرمن والسريان والأقباط والأحباش الأرثوذكس.

3. عائلة الكنائس الكاثوليكية – وتضم الكنائس السبعة التالية:

بطريركية اللاتين في القدس.

بطريركية الروم الكاثوليك (الملكيين).

بطريركية السريان الكاثوليك.

بطريركية الأرمن الكاثوليك.

الكنيسة الأنطاكية المارونية.

كنيسة الأقباط الكاثوليك.

كنيسة بابل للكلدان.

4. الكنائس الإنجيلية – وتضم الكنيسة اللوثرية والأنجليكانيّة والكنيسة المصلحة.

استمرت أعداد المسيحيين بالتناقص في فلسطين حتى وصلت إلى حوالي 40000 نسمة في الضفة الغربية وأقل من ألف في قطاع غزة، وذلك بسبب الهجرة وقلة الخصوبة.

ولا ننسى الطائفة السامرية الذي يبلغ تعدادها 400 فرد فقط يعيشون على قمة جبل جرزيم في نابلس. وهناك 420 آخرين يعيشون في حولون قرب تل أبيب. وهم يعدون الآن أصغر طائفة بالعالم.

أما في داخل الخط الأخضر أي في أراضي عام 1948 فيبلغ عدد المسلمين 1072500 والمسيحيين 142 400 والدروز 110800 أي ما يبلغ نسبته حوالي 81% من مجموع السكان العرب في الداخل من المسلمين، و 10.7% من المسيحيين و 8.3% من الدروز.

أما عن المذاهب والفرق الإسلامية في فلسطين التاريخية، فمن المعروف أن الغالبية العظمى من المسلمين يتبعون المذهب الشافعي في السنة. وهناك عدد قليل جدا من الشيعة.

ويوجد في فلسطين عدد لا بأس به من أتباع الطريقة الصوفية، حيث يتواجد معظمهم في جنين وأيضا في بيتولا قضاء الخليل حيث يتبعون الطريقة الخلوتية ومركزها باقة الغربية.

هناك أتباع الطريقة النقشبندية ويتواجد معظمهم في نابلس، وكذلك الطريقة الكسنزانية، وهما طريقتان صوفيتان بالأساس.

أما الأحمدية فيتواجد حوالي 2000 شخص منهم في قضاء عكا و200 في الضفة الغربية و50 في قطاع غزة.(المصدر: عبد القادر مدلل ؛ مسؤول الحركة الأحمدية في الضفة الغربية–تشرين أول 2017)

من ناحية التنوع العرقي في فلسطين، فإلى جانب العرب فهناك الأرمن والشركس والبشناق. أما الأكراد فقد تعربوا بعد ما أحضرهم صلاح الدين الأيوبي إلى فلسطين في أواخر القرن الثاني عشر الميلادي. وهناك الكثير من عائلات الخليل ترجع أصولهم إلى القومية الكردية.

التنوع الجنسي، والنوع الاجتماعي والتوجهات الجنسية:

من أجل فهم أعمق للتنوع الجنسي والنوع الإجتماعي، فإنه يجب علينا فهم الجوانب المختلفة والمتعددة في تكوين شخصية الإنسان. فهناك التنوع الجنسي البيولوجي، وهوية النوع الاجتماعي، والتعبير عن النوع الإجتماعي، وكذلك التوجهات الجنسية للشخص.

كما تعرف الأقليات الجنسية والجندرية على أنها تلك التي تتميز بصفات جندرية وتوجهات جنسية تختلف عن الصورة النمطية لمجتماعتهم الذين يعيشون فيها. وفي معظم الحالات فإن المثليين وعابري الجنس وذوي التوجهات الجنسية لنفس الجنس يتم وصمهم بوصمة عار أبدية ويتم مضايقتهم على كافة المستويات، بالرغم من سن قوانين تحمي حقوق هؤلاء الأفراد(11). أما في دولنا العربية وبسبب صرامة التقاليد الاجتماعية والدينية، فإن التوجهات الجنسية خارج الإطار الاجتماعي المتعارف عليه، تعتبر نوعا من أنواع الفاحشة ويجب أن يتم معاقبة من يمارسها. وفي الصين على سبيل المثال، تم فقط في السنوات الأخيرة إلغاء قانون يعتبر المثلية الجنسية مرضا.

المرأة الفلسطينية ودورها في المجتمع:

في فلسطين، لعبت المرأة وما زالت تلعب دورا هاما في النضال الوطني حيث يقسم بعض الباحثين دور المرأة الفلسطينية إلى أربع مراحل وهي كالتالي:

المرحلة الأولى من عام 1918–1948

المرحلة الثانية من عام 1948–1967

المرحلة الثالثة من عام 1967–1988

المرحلة الرابعة من عام 1988– الآن

ففي عام 1921 أسست زليخة الشهابي وإميليا السكاكيني أول اتحاد نسائي في فلسطين، ثم توالت تشكيل لجان السيدات العربيات في كل من القدس ويافا وعكا.واستمر نضالها بعد عام 1948 حتى جاء عام النكسة في 1967 ليؤسس لمرحلة جديدة لنضال المرأة الفلسطينية في كافة المجالات.فهي الشهيدة والأسيرة وأم الشهيد وزوجة الأسير. ولا يتسع المقام هنا لذكر العشرات لا بل المئات من المناضلات الفلسطينيات اللواتي سطرن أروع آيات التضحية والنضال في سبيل القضية الفلسطينية وتحرير الأرض وإرجاع الحق لأصحابه.

التنوع الجغرافي والبيئي:

للمنطقة الجغرافية والبيئية تأثير كبير على نفسية وتصرفات وسلوك وثقافة الأفراد والجماعات. وهناك من يقسم المجموعات البشرية وفقا للأقاليم التي تسكنها كالتالي:

1.المجموعة الإفريقية.

2.مجموعة آسيا–المحيط الهادئ.

3.مجموعة أوروبا الشرقية.

4.مجموعة أمريكا اللاتينية والبحر الكاريبي.

5.مجموعة أوروبا الغربية وجماعات أخرى(12).

فالجغرافيا قد يكون لها تأثير كبير على ثقافة مجتمع ما في عدة مجالات. فلو أخذنا بلد كالنمسا مثلا التي تقع في وسط جبال الألب، فإنه من الطبيعي أن نجد أن رياضة التزلج على الجليد رياضة شعبية جدا في ذلك البلد. ولو أخذنا سكان الولايات المتحدة

المختلفة لوجدنا أن سكان كاليفورنيا وفلوريدا يحبون التزلج على الماء والسباحة لأن لديهم شواطئ كثيرة، بينما سكان ولاية كولورادو الجبلية مثلا يحبون ركوب الخيل والاستماع إلى الموسيقى الريفية.

وكذلك الأمر ينطبق على العادات الغذائية لكل بلد. فمثلا في بلداننا نحن نقدم للضيف الفواكه كنوع من أنواع الضيافة وذلك لوفرة تلك المنتوجات الزراعية في حقولنا خاصة في فصل الصيف في حين لن يدعوك أحد اصدقائك في دولة غربية لتناول الفواكه بل لتناول قطعة حلوى مع فنجان من القهوة. وكذلك الأمر بالنسبة لاختلاف المناخ من منطقة إلى منطقة. فالذين يعيشون في مناطق باردة قد نراهم أنشط ذهنيا وجسديا، إلاّ أننا نراهم في نفس الوقت على درجة كبيرة من الكآبة مقارنة مع الذين يسكنون في مناطق تشرق الشمس في بلادهم طيلة أيام السنة.

التنوع الفكري الأيديولوجي وتأثيره على تفكير وسلوك الشعوب:

أثناء الحرب الباردة أي في الأعوام ما بين 1990-1945، عاشت شعوب تحت ظل النظام الاشتراكي في أوروبا الشرقية وروسيا والصين، وأخرى تحت ظل الرأسمالية في أوروبا الغربية وفي الولايات المتحدة الأمريكية.

لقد أقامت دول المنظومة الاشتراكية ستاراً حديدياً على شعوبها مما حدا بالمنظر الشيوعي السوفيتي سوسلوف آنذاك أن يعلن أنه لا حاجة للناس الذين يعيشون في أوروبا الشرقية لزيادة أوروبا الغربية إذ لديهم «الحرية الكاملة» للتنقل بين أقطار أوروبا الشرقية. لقد أثرت هذه العقلية القسرية على نمط تفكير الشعوب التي وقعت تحت نير تلك الدول القمعية وفرضت عليها لونا واحدا من التفكير. ولم يقف الأمر عند ذلك الحد، بل تعداه بأن تم تجنيد الكثير من الشباب كمخبرين للنظام عن أقرب الناس إليهم، إلى حد أن كان الفرد يقوم بالوشاية عن والديه وتعريضهم للتعذيب والقتل خاصة أثناء ثورة ما يدعى «بالثورة الثقافية» التي قادها ماو تسي تونغ في الصين في الأعوام 1969-1966. أضف إلى ذلك فإن التربية الأحادية الجانب التي خضعت تلك الشعوب لها جعلت منهم أفراداً لا يتقبلون الآخر ويتهمونه بالخيانة تحت حجة أنهم هم فقط يمتلكون الحقيقة المطلقة. وبالمقابل، فإنه بالرغم من وحشية الرأسمالية، فإن الشعوب التي عاشت في ظل الأنظمة الرأسمالية، مارست حقها في الانتخاب، وإن لم يكن هناك أنظمة ديمقراطية بالكامل، إلا أنهم نعموا بالحريات الفردية والجماعية. وبالتالي ترسخت في عقولهم مسألة تقبل الآخر حتى إذا خالفه الرأي. كما أن الاختلاف في الرأي لا يؤدي إلى شخصنة

الأمور كما هو في عالمنا العربي.

فالمحصلة إذن هي أن الاختلاف الأيديولوجي بين أنظمة الحكم يفرض نفسه على ثقافة المجتمعات وكذلك على سلوكيات الجماعات وعلى نمط تفكير الأفراد في المجتمع.

الحفاظ على التنوع البشري

يجب أن تتوفر ثلاثة عناصر رئيسية من أجل الحفاظ على التنوع البشري والثقافي. وهذه العناصر **هي الصحة والتعليم والنظام التعددي الديمقراطي.** فالنظام الصحي الجيد في بلد ما، يلعب دورا هاما في الإثراء البشري والثقافي للجماعات الإثنية أو الدينية المختلفة. والنظام التعليمي الجيد هو بمثابة حجر الأساس في عملية التنمية البشرية والاقتصادية. فهو يساهم مساهمة رئيسية وفعالة في حل المشكلات الإقتصادية والاجتماعية والثقافية التي تواجه المجتمعات الإنسانية بمجملها(13). فتطوير نظام التعليم بصورة ديناميكية غير ساكنة يضع المرأة في مكانها الصحيح ويجعلها عنصراً هاماً في عملية التنمية المستدامة. ويجب أن يتم التركيز على التفكير الناقد في تلقي المعرفة ونبذ أسلوب اجترار المعلومة كما هو الحال في دولنا العربية. ولا يمكن وضع الصحة والتعليم في مسارهما الصحيح إلاّ إذا كانا في بيئة ديمقراطية تعددية. فالمناخ الديمقراطي التعددي يشكل الحاضنة الرئيسية لنظام صحي سليم ونظام تعليمي ذات كفاءة عالية. فالتعددية تمنح الفرصة لكافة المجموعات أن تسهم مساهمة فعالة وأن تدلو بدلوها على كافة المستويات، والذي بدوره يساهم في الحفاظ على التنوع البشري والثقافي.

المصادر والمراجع:

1. sciencedirect.com/topics/computer-science/human-diversity;14.10.2020.
2. sciencedirect.com/science/article/pii/B0080430767007968; 14.10.2020.
3. verywellmind.com/difference-between-race-and-ethnicity-5074205; 16.10.2020.
4. Hindawi.org/books/59179415/1/; Oct.18, 2020.
5. alquds.co.uk

6. /مفهوم-التعددية-الثقافية-الإشكالات/رامي ابو شهاب مقالة بعنوان: مفهوم التعددية-محنة العقل العرب. Oct.18, 2020

7. nc-doualiya.com/articles/20140415 -تنوع-ديني-إسلام-مسيحية-دراسة

8. Oct.21,2020.

9. د. مجيب الرحمن، « التعددية الدينية والثقافية في الهند»، بيروت نيوز عربية، يناير 29، 2016

10. A survey of Palestine: Prepared in December, 1945 and January, 1946 for the Information of the Anglo-American Committee of Inquiry. Institute for Palestine Studies (1991).

11. J.B. Baron, ed. (1923); Palestine: Report and General Abstracts of the Census of 1922. Government of Palestine. Tables XIII-XVI.

12. المكتب المركزي الإسرائيلي للإحصاءات

13. healthpolicyplus.com/GSD.cfm; October 21, 2020.

14. hr.un.org/sites/hr.un.org/files/OHR% 20 Georgaphical%20 diversity %20 strategy_EN_O.pdf; October 23, 2020.

15. platform.almanhal.com/files/2193277; October 25, 2020 رفيق محمود المصري،»جدلية العلاقة بين التنمية والتعليم رؤية تكاملية.

3- الهوية اللبنانية والانقسامات السياسية 1920 – 2020

بقلم :الدكتور حسن ابراهيم

باحث سياسي ودكتور متخصص في تاريخ لبنان المعاصر

hassanibrahim.lb@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 29/7/2021 **تاريخ القبول: 13/8/2021**

ملخص البحث

يعاني "لبنان" الوطن والدولة والمجتمع أزمة هوية لشعبه، فيما هؤلاء منقسمون تحت رايته وفوق أرضه، وينشغل السياسيون بتحقيق مصالحهم الخاصة، تارة بعنوان الوطنية وأخرى بعنوان الطائفية وطوراً بعنوان العلاقات الدولية، فيما الوطن والمواطن يقبعان تحت رحمة الانقسام الحادّ بين الزعماء حول الاحتلال.

يعيش "لبنان" أزمة تاريخية منذ نشأته وما يزال، عنوانها البُعدُ الطائفي للنزاع الداخلي، من أجل تحقيق مكاسب سياسية التي كانت موضع اهتمام الأحزاب والتيارات وما زالت قائمة حتى يومنا هذا، رغم الضحايا والدماء التي سفكت.

وما يجري اليوم هو تغليب العنصر السياسي على مقتضيات الحياة الاجتماعية بما فيها العنصر الديني، فغالباً ما تشتدّ النزاعات السياسية بلبوس ديني، واجتماعي أحياناً، وتسير وفق مخططات القوى الفاعلة على أرض الواقع، سواء كانت داخلية أم خارجية، علماً أن الواقع السياسي في لبنان غالباً ما كان يخضع لنفوذ أجنبي بإدارة داخلية.

Abstract

"Lebanon", as a nation, state and society, is suffering from an identity crisis of its people. As the country citizens are divided, while upholding its flag, over its land, politicians are preoccupied solely with achieving their own interests, sometimes under the

title of patriotism, sometimes under the title of sectarianism, and sometimes under the title of international relations, whilst the nation and the citizens are at the mercy of the sharp division among the leaders over the occupation.

Since its inception, "Lebanon" has been, and still is, experiencing a historical crisis under the heading of the sectarian dimension of the internal conflict, which aims to achieve political gains that has been the focus of parties and currents; this crisis is still underway to this day, despite the victims that have fallen and the blood that has been shed.

What is happening today is that the political element prevails over the requirements of social life, including the religious one. Political conflicts often intensify under a religious and sometimes social disguise, and proceed according to the plans of the active forces on the ground, whether these are internal or external, while one has to bear in mind that the political reality in Lebanon has often been subject to foreign influence with internal management.

تمهيد

يرى الباحثون في علم الاجتماع أن السلوك الاجتماعي بين الجماعات يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالهويّة الاجتماعية[1]، ومن خلاله يمكن النظر إلى تلك الجماعات في تقاربها أيديولوجياً وفكرياً واجتماعياً وسياسياً لبناء أرضية صالحة يتعايش معها أفراد المجتمع فتتشكل منها التقاليد والعادات وتصبح سمة بارزة لها، يتناقلها الأبناء فتغدو عنواناً بارزاً لذلك المجتمع.

ويعرِّف «تاجفل» مفهومَ الهويَّة الاجتماعية بأنَّه جزء من مفهوم الذَّات لدى الفرد، يُشتقُّ من معرفته بعضويَّته للجماعة أو الجماعات، مع اكتسابه المعاني القِيَميَّة والوجدانيَّة

(1)- أحمد زايد: سيكولوجية العلاقات بين الجماعات، قضايا في الهوية الاجتماعية وتصنيف الذات، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 326، نيسان (أبريل) 2006. ص 16.

المتعلّقة بهذه العضوية[1].

بيد أن السلوك الفردي يرتبط بالهوية الشخصية لكلّ فرد، ويمكن أن يشعر الأفراد بانتمائهم إلى الجماعات في حال إدراكهم أوجه التشابه بينهم وبين أفراد آخرين، فتنسجم التقاربات الجماعية بعيداً عن الاختلافات الفردية، لتشكل ولادة نواة مجتمع متجانس ومتقارب في الرؤى، في إطار الفكر والسياسة والدين والاجتماع.

من هنا، هل يمكن تطبيق هذه الرؤية على واقع المجتمع اللبناني، من خلال التمسك بالهويّة اللبنانية، مع وجود تباين حادّ في المواقف السياسية، التي بدورها تعمل على تفعيل الانقسام الديني بالمعنى الطائفي، تماشياً مع تحقيق أهداف القيادات السياسية الحزبية ولمصلحة كلّ حزب يمسك بمقاليد سلطة ما في مكان ما داخل الجغرافية اللبنانية؟.

يطلّ هذا البحث على أزمة تاريخية عاشها «لبنان» منذ نشأته وما يزال، وسِمة تلك الأزمة هي البُعدُ الطائفي للنزاع الداخلي، من أجل تحقيق مكاسب سياسية، كانت موضع اهتمام الأحزاب والتيارات وما زالت قائمة حتى يومنا هذا، رغم الضحايا والدماء التي سفكت.

أولاً: محددات الهوية الوطنية في لبنان

يرى العديد من الباحثين في العلوم الإنسانية وجود محدّدات مجتمعية تستوجب التدقيق بها من أجل قراءة هوية مجتمع ما، تقوم على مرتكزات أساسية لتفسير الأسباب التي تدلّ على تماسك أمّة أو شعب في إطار من اللُحمة، وتبيان العوامل التي تشدّ الأفراد بعضهم إلى بعض، بما يمكن التعبير عنه بـ»الذات الجماعية»[2]، أو جماعة الـ»نحن» التي ينطق بها الأفراد لا إرادياً تعبيراً عن جماعته أو مجتمعه أو وطنه أو أمّته.

وتشير تلك المحدّدات لدى جماعة معينة، إلى تماسك بشري تتقاسم فيه عوامل مشتركة تؤلّف من خلالها مجتمعاً محدّد الهوية والعادات والتقاليد، من بينها النظرة المشتركة إلى الحيّز الجغرافي الواحد، ومعايير الثقافة المشتركة، إضافة إلى وحدة اللغة، حتى مع إمكانية التعدّد الديني والطائفي إذا ما كانت قابلية الهوية الوطنية تستطيع أن تجمعهم على وحدة معايير وطنية واجتماعية، وما إلى هنالك من عوامل مشتركة.

(1)- المرجع نفسه، ص 18 – 19.

(2)- غسان فوزي طه: هوية لبنان، عند الكيانيين – القوميين – الإسلاميين، صادر عن المركز الإسلامي للدراسات الفكرية، ط 1، 1430 هـ/ 2009 م، ص 9.

ويمكن إيجاز تلك العناوين بأهمها:

أ. الحيّز الجغرافي

يلعب المكان الجغرافي دوراً أسياسياً في تكوين جماعة بشرية تعيش فيه، من حيث الانضمام إلى عناصر الوحدة ضمن البلد الواحد، وهناك عدة عناصر تفترض على الفرد، ومن ورائه المجتمع، سلوكاً بغية الانصهار في بنية وطنية واحدة.

شهد لبنان تقاسماً جغرافياً واسعاً بين القوى السياسية والطائفية، على الرغم من صغر مساحته، أبرزها نظام القائمقاميتين في جبل لبنان العام 1843، ونظام متصرفيّة جبل لبنان 1861، واللافت في الموضوع أن البطرك الماروني إلياس الحويك رفض فكرة توسيع رقعة متصرفية جبل لبنان بضم منطقة «وادي النصارى» في الشمال، الذي ينتمي أهلها إلى طائفة الروم الأرثوذكس، خوفاً من الإخلال بالتوازن الطائفي المسيحي بين الموارنة والأرثوذكس[1].

واستمرّ التقاسم الجغرافي الطائفي إلى ما بعد الحرب العالمية الأولى، عندما أنشأ الانتداب الفرنسي دولة لبنان الكبير سنة 1920، ومن ثم الجمهورية اللبنانية سنة 1926، وما زال حتى يومنا هذا يعيش الطائفية السياسية في مختلف المناطق، بعد نزاعات سياسية أدّت إلى تقسيم جغرافي للقوى الطائفية السياسية بحكم سلطات الأمر الواقع.

ويمكن القول إن إميل إده، حينما ترأس الوزارة السادسة إبّان الانتداب الفرنسي (12 ت1 1929/20 آذار 1930)، تقدّم باقتراح تقسيم لبنان طائفياً، من أجل تحقيق «لبنان المسيحي»[2]، وابتعاده عن الهويّة العربيّة ومحاولة اصطباغه بالصبغة الأوروبية، فيقضي التخلص من 140,000 مسلم سنّي وشيعي، بسلخ مناطقهم عن لبنان وجعلها تحت إدارة الانتداب مباشرة، مقابل الاحتفاظ بالأكثرية العددية المسيحية، فتكون طرابلس مدينة حرة تحت إشراف الإدارة الفرنسية، ويُعطى أبناؤها المسيحيون الجنسية اللبنانية، في حين يُعطى المسلمون الجنسية السورية[3]. كذلك حال جنوب لبنان، ذات الأغلبية الشيعية، فيشكّل إدارة مستقلة قائمة بذاتها.

واشتدّ الخلاف على الانتماء اللبناني بين المطالبين بالكيان مقابل العروبيّين، بعدما

(1)- منير خوري: ما هي علّة لبنان، دار الحمراء، بيروت، ط 1، 1990، ص 32.
(2)- محمد مراد: العلاقات اللبنانية السورية، دراسة اقتصادية – اجتماعية – سياسية، دار الرشيد للعلوم، بيروت، ط 1، 1993، ص 343.
(3)- المرجع السابق، ص 344.

اعتبر المسيحيون أن لهم حصرية الانتماء اللبناني منذ إعلان غورو دولة لبنان الكبير، فشكّلت صراعاً بين جماعتين مختلفتين من حيث الثقافة والسياسة استغلّت الانتماء العقائدي والديني، وصوّرها البعض على أنها صراع بين القومية العربية الإسلامية ضد القومية اللبنانية المسيحية[1]، للاستئثار بالانتماء اللبناني محاولاً إعطاءه صورة صراع بين حضارتين مختلفتين، كما انطلق حزب الكتائب من مقولة «القومية اللبنانية»[2]، التي تطالب بلبنان وطناً مستقلّاً عن محيطه العربي، وذا بُعدٍ مسيحي من أجل حماية المسيحيين تحت رعاية أوروبية على رأسها فرنسا، وذلك من أجل تحقيق الأهداف السياسية المنشودة.

لقد تكرّس التقاسم الجغرافي مع الحرب الداخلية اللبنانية منذ العام 1975، حيث اتخذ التقسيم طابعاً جغرافياً طائفياً، بعد التهجير القسري لأبناء الطوائف من مناطق نفوذ القوى المتقاتلة، فنشأت نتيجة ذلك مناطق طائفية، تخضع لنفوذ الأحزاب المسيطرة عليها، وانقسمت بذلك بيروت منطقتين، شرقية تابعة للقوى الطائفية المسيحية، وغربية تسيطر عليها الأحزاب الإسلامية واليسارية.

ب. العَلَم الوطني الواحد

يلعب العَلَم الموحّد لجماعة ما دوراً معنوياً كبيراً، فهو الرمز المعنويّ الذي يجمع كل أبناء الشعب الواحد في الإطار الجغرافي الواحد، أو حتى المجموعة الواحدة ذات اللون السياسي أو الطائفي الواحد، حتى وإن اقتضت الظروف أن يتباعدوا جغرافياً خارج الحدود، على سبيل تحقيق الكسب المادي أو ما شابه.

والعَلَم له رسم محدّد بألوان محددة، ولكنه يرمز إلى قيمة معنويّة، وهي الهوية الوطنية والانتماء للوطن.

بيد أن الأحزاب والقوى المحلية لم تعتمد العَلَم اللبناني فقط، إنما اعتمدت أعلامها الخاصة، حتى باتت تطغى بحضورها على العلم الوطني، لا سيّما أثناء الحرب الداخلية 1975 – 1990.

ت. العُملة الوطنية الواحدة

تشكّل العملة الوطنية الواحدة رمزاً معنوياً وماديّاً واقتصادياً للوطن، فيتمسّك المواطنون

(1)– وليد فارس: التعددية في لبنان، الكسليك، لبنان، 1979، ص 213.
(2)– «أول بيان للكتائب» نشرته جريدة العمل التابعة لحزب الكتائب، العدد الخاص الصادر في 18 تشرين الثاني 1971، ص 5.

بها من خلال التعامل النقدي والمحافظة على مستوياتها بين سائر العملات العالمية، وتتبيّن القوة الاقتصادية لبلد ما من خلال القوة الشرائية لعملته، وقد ينتج عن ضعف العملة انهيار اقتصادي كما حدث إثر انهيار بورصة نيويورك 1929، وظهور أزمة اقتصادية عالمية.

ث. اللغة العربية الواحدة

تعتبر اللغة المشتركة من أهم عوامل الوحدة في المجتمع الواحد، وقد أقرّ الدستور اللبناني أن «اللغة العربية هي اللغة الوطنية الرسمية. أما اللغة الإفرنسية فتحدد الأحوال التي تستعمل بها بموجب قانون»[1]، وتعبّر اللغة العربية عن الانتماء العربي للبنان، الذي كرّسه الدستور، حينما اعتبر «لبنان عربي الهوية والانتماء»[2]، بعدما كان «ذا وجه عربي».

أما على صعيد الثقافة الوطنية، فتشهد بدورها انقسامات حادّة بين مجتمع وآخر، حتى داخل الطائفة الواحدة، يعزّزها الاعتقاد بأن لكل طرف رشده الثقافي فينظر نظرة مختلفة لثقافة الآخرين، يزيد من حدّتها دخول الثقافات الأجنبية المختلفة، لتزيد من حدة الانقسام الداخلي وتملأ الفراغ الفكري والثقافي بنظريات يطلقها أرباب السياسات الخارجية للتغلغل في الوسط الفكري للمجتمع اللبناني.

ج. السياسات الخارجية

بعد أن نالت الدولة اللبنانية استقلالها عام 1943، أصبحت لها السيادة والحرية في علاقاتها الخارجية دون أية وصاية مباشرة، فأقامت علاقاتها مع مختلف الدول، على أساس المصلحة القومية العليا، ما يُلزم كافة المواطنين التقيّد بالأنظمة السياسية المعمول بها. في حين أعلنت العداء للكيان الإسرائيلي ولم تمنحه شرعية الاعتراف به.

وما تزال العلاقات الخارجية للبنان في طور التجاذب السياسي الداخلي، إذ منذ أن برزت الحركات السياسية في لبنان، برزت علاقاتها مع دول أجنبية، واستمرّ الاستقواء بالقوى الخارجية متخذاً منحىً تصاعدياً، فكان إميل إده، الذي عكس في رؤاه وجهة النظر المارونية التقليدية، وارتمى في الحضن الفرنسي بغية إيجاد الضمان الخارجي لاستقلال لبنان المسيحي، وأظهر مخاوفه من القومية العربية ومن الدعوة إلى الوحدة،

(1)- الدستور اللبناني، المادة 11 من الدستور.
(2)- الدستور اللبناني، الفقرة «ب» من مقدمة الدستور.

وأبدى رأيه بصراحة في خطر العروبة على لبنان[1]، وانخرط مع الفرنسيين ضد الحكومة المطالبة بالاستقلال، فما كان إلا أن أقاله المجلس النيابي[2]. ولم تكن الطبقة السياسية الحاكمة منذ ذلك الوقت حتى يومنا هذا، على أفضل حال منه، حيث أقامت الأحزاب اللبنانية علاقات خارجية منفردة، انعكست ارتداداتها على الداخل اللبناني، كَوْن أغلبيّتها مشاركة في الحكم، بينما واقع سياستها يدلّ على خصام تامّ فيما بينها، قد تبلغ حدّ العداوة تلازماً مع سياسة الدول الخارجية.

وعلى الرغم من اتفاقهم الضمني في إطار الميثاق الوطني 1943، الذي يدعو للتخلّي عن الدعم الخارجي والتبعية السياسية له، فإن السياق العملاني للقوى السياسية والطائفية يظهر استقواءً وتمسّكاً بالدول الإقليمية أو الكبرى بشكل واسع، وما يزال الانقسام الحادّ في النظرة إلى الدول الخارجية، حيث لم يتفق السياسيّون اللبنانيّون الذين يتولون إدارة البلاد، بالإضافة إلى رؤساء الأحزاب، على قاعدة واحدة في التعامل مع سياسات الدول الخارجية، فكان هناك انقسام بين مؤيد ومتعامل مع دولة ما مقابل قطيعة وخلاف معها من أطراف آخرين، واشتدّ هذا الخلاف إبّان الحرب الداخلية، عندما استعانت معظم الأحزاب المسيحية بالعدوّ الإسرائيلي الذي اجتاح لبنان في العام 1982، بينما كانت الأحزاب الوطنية واليسارية والإسلامية تدعمها سوريا وتساندها الفصائل الفلسطينية. ثُمّ جاءت مرحلة ما بعد اغتيال رفيق الحريري 2005، حيث برز الانقسام العربي الحادّ، فانعكس على لبنان توترات سياسية وأمنية وانقسامات جديدة ضمن أحلاف إقليمية ودوليّة، تحت مسمّى الحفاظ على هوية لبنان العربية.

ح. السياسات الداخلية

حدّدت مقدمة الدستور اللبناني حقوق الشعب اللبناني وواجباته بأن «لبنان جمهورية ديمقراطية برلمانية، تقوم على احترام الحريات العامّة وفي طليعتها حرية الرأي والمعتقد، وعلى العدالة الاجتماعية والمساواة في الحقوق والواجبات بين جميع المواطنين دون تمايز أو تفضيل»[3]، وكذلك اعتبرت أن «الشعب مصدر السلطات وصاحب السيادة يمارسها عبر المؤسسات الدستورية»[4]، وجاء سنّ التشريعات المناسبة للحفاظ على مصالح الشعب والدولة معاً، وأنيط هذا الأمر بالسلطات التشريعية، متوافقاً مع الدستور.

(1)- كمال الصليبي: تاريخ لبنان الحديث، دار النهار للنشر، بيروت، ط 10، 2008، ص 218.
(2)- راجع: المجلس النيابي الخامس، العقد العادي الأول، محضر الجلسة الرابعة، المنعقدة في 31 آذار 1944.
(3)- الدستور اللبناني، الفقرة «ج» من مقدمة الدستور.
(4)- المصدر نفسه، الفقرة «د» من مقدمة الدستور.

ويتوجب على المواطنين الخضوع لتلك القوانين دون تمييز بينهم، غير أنه توجد طبقة سياسية وإدارية متحكّمة بالبلاد، تخالف القوانين دون وجود أي رادع، بل إن ما يساعدهم على ذلك وجودهم في مراكز السلطة، أو ممّن يسنّون قوانين على قياس مصالحهم، ما يدفع بالمواطنين إلى الإحباط والاستهزاء بالهويّة اللبنانية نظراً إلى حجم المخالفات الكبير ممن يتوجب عليهم مراعاة القوانين.

ولقد زاد في حدّة الانقسام حول الحقوق بين المواطنين اللبنانيين، طريقة أداء الانتداب الفرنسي منذ نشأة دولة لبنان الكبير، حينما أُعطِيت الأفضلية للموارنة وتهميش الطائفة الشيعية، وابتدأت المطالب بإنصاف هذه الطائفة من خلال المناقشات العامة في المجلس التمثيلي الأول، التي أَجْمَع أغلبية النواب، بمن فيهم بعض المسيحيّين، بأن الطائفة الشيعية تعاني من هضم لحقوقها المشروعة[1]، القائمة على التوزيع الطائفي للحصص الخدماتية والتوظيفية، وقد علّق أبناء الطائفة الشيعية آمالهم على الفرنسيين لإنصافهم، واعتقدوا أنها ستكون أفضل من العثمانيين، وستحقق لهم كيانهم السياسي بسبب النزعات القومية[2]، ولم تصل الطائفة الشيعية إلى الكيانية المؤسساتية إلا في العام 1967، حينما أقرّ المجلس النيابي اقتراح إنشاء المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى بضغط من السيد موسى الصدر، ومن ثم انتخابه رئيساً له في العام 1969.

واستمرّ التمييز الطائفي في لبنان، لمصلحة الموارنة، حتى اتفاق الطائف 1989 عندما تمّ تعديل الدستور، بجعل الحكم مناصفة بين المسلمين والمسيحيين، وقد انتزعت معظم صلاحيات الرئاسة الأولى المارونية لصالح الحكومة مجتمعة برئاسة شخصية سُنّية.

ثانياً: الجغرافيا اللبنانية والعنصر السكاني

لم يكن «لبنان» دولة قائمة بذاتها قبل نشوء دولة لبنان الكبير، إنما كان جزءاً من جغرافيا بلاد الشام، ولم يكن له تحديد جغرافي وحدود واضحة كما هو عليه اليوم، ولم تستعمل عبارة «لبنان» رسمياً بمضمونه الجغرافي إلا بعد إنشاء المتصرفية[3]، ويرى كمال الصليبي أن «الشعب الذي جمعته الظروف عام 1920 في الوطن اللبناني

(1)- حسن إبراهيم: الشيعة والدولة اللبنانية من خلال ممثليهم في المجالس النيابية 1920 – 1952، قراءة في المحاضر، أطروحة أعدت لنيل شهادة الدكتوراه اللبنانية في التاريخ، الجامعة اللبنانية، 2015 – 2016، ص 82.
(2)- حسين علي الحاج حسن: الإتجاهات السياسية لشيعة لبنان (بين عامي 1960-1920)، دار الولاء، بيروت، ط 1، 1440هـ/2019م، ص 30.
(3)- غسان فوزي طه: هوية لبنان، مرجع سابق، ص 17.

بحدوده الحاضرة لم يلتقِ بعد على أسطورة تاريخية واحدة مقبولة من جميع فئاته»[1].

أ. الجغرافيا اللبنانية وأسسها

عملت سلطة الانتداب الفرنسي على رسم جغرافيا سياسيّة لدولة لبنان الكبير، قائمة على وحدة جغرافيّة سيادية واضحة الحدود، تتضمن تقسيمات إدارية، ذات شكل هرمي مركزي، من خلال مأسسة الإدارة فيها[2]، بما يتلاءم مع مصالحها العامّة في مختلف جوانب الحياة الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، وبمقتضى مصالحها العليا، كدولة كبرى لها فعاليّتها ووزنها في بلاد المشرق العربي والعالم[3]، والعمل على استغلال ثرواتها الطبيعية[4]، والعمل على إيجاد أسواق استهلاكية لبضائعهم، حيث أن هناك فئة من الشعب الفرنسي لا تعرف لبنان، سوى أنه مستعمرة فرنسية[5]، بعدما جرى العمل على دمج البنى الزراعية فيه، ضمن إطار السوق الرأسمالية العالمية بعامّة، والفرنسية بخاصّة[6].

انتقلت دولة لبنان الكبير من الخضوع المباشر للفرنسي، إلى النظام الجمهوري، وحملت اسم «الجمهورية اللبنانية»، بموجب المادة 101 من الدستور: «ابتداءً من أول أيلول سنة 1926 تُدعى دولة لبنان الكبير الجمهورية اللبنانية دون أي تبديل أو تعديل آخر»[7].

بعد ولادة الجمهورية، ترسخت قانونية الهويّة اللبنانية بما تمثل الجنسيّة الوطنية لأبناء الدولة اللبنانية، عبر وثيقة رسمية لها أصولها لدى الدوائر الرسمية، وباتوا يخضعون لمفهوم الهوية الوطنية التي ينتمون إليها، وتترجم روح الانتماء لديهم، ولها أهميتها في التأثير المعنوي على مستوى الأفراد بما ينعكس على الجماعات.

وبعد بناء المؤسسات الرسمية تحت إشراف ورعاية ونفوذ الانتداب الفرنسي، أصبح «لبنان» دولة كما تنص الأعراف والقوانين الدولية، وبما يتضمنه المصطلح العلمي لها

(1)- كمال الصليبي: منطلق تاريخ لبنان، مؤسسة نوفل، بيروت، ط 3، 2012، ص 11.
(2)- محمد مراد: التملّك والسلطة في الجنوب اللبناني (192 – 1975)، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، 2009، ص 35.
(3)- محمد مراد: الانتخابات النيابية في لبنان 1920 – 2009، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، لا ط، 2013، ص 71.
(4)- محمد مراد: العلاقات اللبنانية السورية، مرجع سابق، ص 224.
(5)- بشارة خليل الخوري: حقائق لبنانية، منشورات أوراق لبنانية، لا ط، 1960، ج 1، ص 8.
(6)- غسان طه: شيعة لبنان، العشيرة – الحزب – الدولة، بعلبك – الهرمل نموذجاً، نشر معهد المعارف الحكمية، بيروت، ط 1، 1427هـ/ 2006م، ص 192.
(7)- الدستور اللبناني، المادة 101 من الدستور.

من بُعد كياني ومؤسساتي، كانت لهذا الانتداب اليد الطولى في كل ما يتعلق بشؤون الدولة، ولم تكن عملية إنشاء تلك الدولة عملية ديمقراطية[1]، كتلك التي اعتُمدت من أجل إعادة تنظيم أوروبا.

وعمل المسيحيون اللبنانيون، لاسيّما الموارنة منهم، على استقلال لبنان عن بلاد الشام، وإخضاعه للانتداب الفرنسي، فأعلن البطريرك إلياس الحويك، أثناء وجوده في باريس، مطالبته باستقلال لبنان المطلق استقلالاً كاملاً عن كل دولة عربية قد تنشأ في سوريا[2]، وإعادة حدوده الطبيعية والتاريخية، التي تقتضي بإعادة ضم سهوله في الشرق والشمال الخصبة إليه، ثم كان التأكيد منه على علاقة مميزة ومتينة مع الصديقة الدائمة فرنسا[3]، وقد أثار البطريرك مسألة التمايز العرقي والثقافي بين العناصر السكانية في لبنان وسوريا[4]، وكذلك برز من يسوّق لفكرة إقامة الوطن القومي للموارنة في لبنان[5]، في حين كان المسلمون يطالبون بالوحدة مع سوريا، فاستعرت أزمة الهوية اللبنانية في ظل الانقسامات الطائفية بين العروبيّين والكيانيّين المطالبين بجعل لبنان موطناً قومياً للمسيحيين تحت الحماية الفرنسية[6]، والاستقواء بها.

ب. العنصر السكاني

استوطنت لبنان طوائف متعددة، بزمن سابق على قيام الكيان اللبناني، فألّفت تلك الطوائف مجتمعها المتميز لكل منها، بما يتطابق مع معيار الهوية الانتمائية من حيث العقائد والعادات والتقاليد والاقتصاد، وتوزعت بتفاوت بين منطقة وأخرى، وظلّت على حراك مستمر بما يتوافق مع السلطات القائمة أو من خلال الجوار الطائفي.

فالطوائف هي الأساس لتشكّل المجتمع اللبناني[7]، وقد شهد لبنان التنوع الطائفي المسلم والمسيحي من الموارنة والروم الأرثوذكس والروم الكاثوليك والشيعة والسُنّة والدروز معاً، وقامت بينهم روابط سياسية، وفي بعض الحالات روابط نَسَبية بالزواج العابر للطوائف.

ولم يختلف الشيعة، عمّا كان عليه الموارنة والسُنّة والدروز، لناحية تشكيل مجتمع

(1)- إدمون ربّاط: التكوين التاريخي للبنان السياسي والدستوري، ترجمة حسن قبيسي، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، 2002، ج 2، ص 573.
(2)- محمد مراد: العلاقات اللبنانية السورية، مرجع سابق، ص 40.
(3)- حكمت ألبير حداد: لبنان الكبير، دار نظير عبود، ط 3، 1996، ص 115 - 116.
(4)- محمد مراد: العلاقات اللبنانية السورية، مرجع سابق، ص 40.
(5)- حسين علي الحاج حسن: الإتجاهات السياسية لشيعة لبنان، مرجع سابق، ص 52.
(6)- كمال الصليبي: بيت بمنازل كثيرة، الكيان اللبناني بين التصوّر والواقع، مؤسسة نوفل، بيروت، ط 5، 2012، ص 229.
(7)- غسان فوزي طه: هوية لبنان، مرجع سابق، ص 18.

خاص بهم، بخصائص ذاتية لكل منطقة، وعلاقة مضطربة مع الدولة المركزية، وقد توزّعوا في مناطق متفرقة في الجبل والجنوب والبقاع، ولم يشكّلوا جماعة واحدة، فقامت علاقاتهم مع الجيران بتحالفات أغلبها عسكرية لدفع الأخطار عنهم[1].

ومن نافل القول أن الشيعة لم يكونوا حالة طارئة على الجغرافيا اللبنانية، فقد انتشروا فيها كلها[2]، باستثناء بعض المناطق الشمالية على أكثر تقدير، وشكّلت العائلة الممتدة في الجنوب، والعشيرة في البقاع، المرتكز الأساسي للبنيان الاجتماعي الشيعي، في لبنان الحديث والمعاصر. ويرى بعض المؤرخين أن شيعة الجنوب لعبوا الدور الأساس لانتشار هذا المذهب في لبنان، وقد نشرت دراسات وافية ومعمقة فيه[3].

وفي أول إحصاء رسمي للسكان في لبنان، أجرته سلطات الانتداب الفرنسي، في العام 1921، أظهر عدد سكان لبنان، البالغ 710562 نسمة[4]، منهم 579778 مقيماً، و 130784 مهاجراً، توزعوا طائفياً على سبع طوائف رئيسية محددة، كما اندرجت الأقليات الطائفية في خانة «مختلف».

الرسم البياني الرقم (1)

سكان لبنان حسب الطوائف، وفق إحصاء العام 1921:

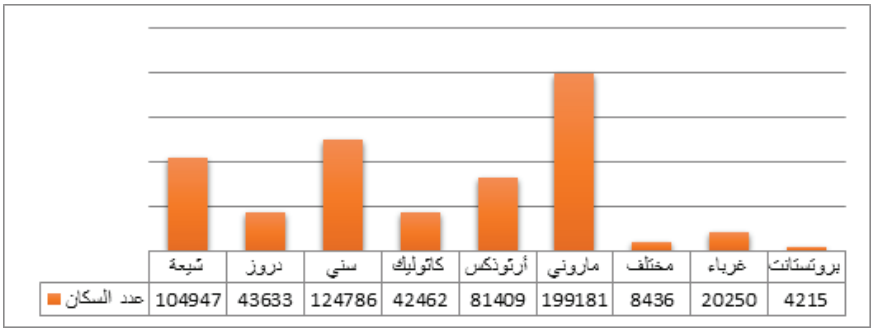

(1)- عاطف عطية: الدولة المؤجلة، دراسة في معوقات نشوء الدولة والمجتمع المدني في لبنان، دار أمواج، بيروت، ط 1، 2000، ص 19.

(2)- كمال الصليبي: تاريخ لبنان الحديث، مرجع سابق، ص 15.

(3)- يرى معظم الباحثين أن نشر فكر التشيع في بلاد الشام، وصولًا إلى جبل عامل، إبتدأ أثناء قدوم أبي ذر الغفاري جندب بن جنادة الربذي، لكن دون تحديد دقيق لتاريخه، إلا أن من المرجح في ذلك أن يكون ما بين عامي 28 و30هـ، أثناء خلافة عثمان بن عفان. راجع: محمد بن الحسن الحر العاملي: أمل الآمل، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط 2، 1403 هـ/ 1983 م، ج 1، ص 13. محسن الأمين: الشيعة في مسارهم التاريخي، مقدمة أعيان الشيعة، مركز الغدير للدراسات الاسلامية، بيروت، ط1، 1421هـ/ 2000م، ص 65، إبراهيم سليمان: بلدان جبل عامل، قلاعه ومدارسه وجسوره ومروجه ومطاحنه وجباله ومشاهده، مؤسسة الدائرة، لا ط، 1415هـ/ 1995، ص 9 – 10.

(4)- Haut Commissariat: Bulletin des Actes Administratifs.. « Recensement de 1921, Population du Grand Liban » P 79 .

جرى الإحصاء السكاني وفق المصلحة الفرنسية بتغليب الطائفة المارونية، وقد شكّك بصدقيته العديد من الفعاليات السياسية والاجتماعية والتاريخية، وقد جاء هذا الاحصاء بعدما أحجم المسلمون عن إدخالهم في عداد اللبنانيين، فقاطعوا الإحصاء بالعصيان والإضراب، مقابل حرص المسيحيين على تعداد أنفسهم، بل وإدراج المغتربين أيضاً[1].

من هنا كان التفاوت النسبي بين الطوائف لصالح الطوائف المسيحية، ما أظهر تفوّقاً عددياً لصالحهم في المجالس التمثيلية والنيابية.

واكتمل عقد الطوائف اللبنانية الرئيسية بالاعتراف الرسمي بالطائفة الشيعية، كجماعة دينية متميزة عن الطائفة السُّنّية وذات تراتبية قضائية خاصة بها[2]، تاريخ 26/1/1926[3].

الجدول الرقم (1) إحصاء لسكان الجمهورية اللبنانية سنة 1932[4]:

الطائفة	العدد	النسبة	الطائفة	العدد	النسبة	الطائفة	العدد
موارنة	227800	% 28.7	أرمن أرثوذكس	26102	% 3.3	كلدان أرثوذكس	190
روم كاثوليك	46709	% 5.8	أرمن كاثوليك	5890	% 0.75	كلدان كاثوليك	548
روم أرثوذكس	77312	% 9.7	سريان أرثوذكس	2723	% 0.35	سنّة	178100
بروتستانت	6869	% 0.86	سريان كاثوليك	2803	% 0.35	شيعة	155035

لم تقم سلطات الانتداب بعد ذلك بأي إحصاء جديد، وذلك لعوامل متعددة أهمها اندلاع الحرب العالمية الثانية، ومن ثم الانسحاب الفرنسي من لبنان بعد التوتر السياسي والأمني مع أغلب القوى المحلية، واستغلال بريطانيا تلك التوترات مرتكزة على الضعف الفرنسي نتيجة الحرب. كما أنه لم تقم السلطات اللبنانية بعدها بإحصاء يوضح العدد السكاني الذي يعكس تبايناً ديموغرافياً لصالح المسلمين، إنما كانت هناك مقاربات عددية تضيء على التعداد النسبي السكاني في لبنان.

(1)- حسان حلاق: تاريخ لبنان المعاصر 1913 – 1952، دار النهضة العربية، بيروت، ط 3، 1143 هـ/ 2010 م، ص 111.
(2)- حسن نصر الله: تاريخ بعلبك، مؤسسة الوفاء، بيروت، 1984، ج 1، ص 378.
(3)- جريدة لبنان الكبير الرسمية، العدد 1946، تاريخ الجمعة 12 شباط 1926.
(4)- الإحصاء العام لسكان الجمهورية اللبنانية سنة 1932، مركز المحفوظات الوطنية التابع لمجلس الوزراء اللبناني، بيروت.

ثالثاً: أبرز محطات أزمة الهوية اللبنانية

يمكن تقسيم مراحل أزمات الهوية الوطنية اللبنانية منذ قيام دولة لبنان الكبير 1920 حتى العام 2020، إلى عدة محطات زمنية، وفق معيار الصبغة العامّة للحكم في لبنان، بحسب القيادات السياسية والعسكرية النافذة في إدارة شؤون البلاد ومن يواجهها في المقلب الآخر.

ومن أبرز التقسيمات الزمنية التي يمكن إطلاقها على مراحل الحكم اللبناني بما يكتنفه من سجالات وخلافات تسلّط الضوء على تناقضات التمسك بالهوية اللبنانية من خلال انقسام اللبنانيين السياسي.

أ. الانتداب الفرنسي 1918 – 1943

ساد شعور لدى اللبنانيين بالاستقلال عن السلطنة العثمانية قبيل سقوطها، وقد برزت أولى علامات المطالبة بحقوق العرب وتطوير البلاد، فاقتصرت على صعيدي الثقافة والاجتماع ضمن وحدة الدولة العثمانية[1]، بعد أن بادر عدد من الطلاب، من المسلمين والمسيحيين، الذين كانوا يدرسون في باريس إلى تأسيس جمعية سرّية اطلقوا عليها اسم «العربية الفتاة»، ومن ثمّ انتقلت إلى بيروت.

وبحلول الانتداب الفرنسي، انقسم اللبنانيون فيما بينهم على الخيار السياسي، ما بين الدعوة إلى الانضمام إلى الوحدة مع سوريا حيث طالب بها أكثرية المسلمين وقلّة مسيحية، وبين الاستقلال عن سوريا والمناطق العربية الإسلامية، في إطار كيان لبناني مستقل، طالبت به الأغلبية المسيحية وبعض المسلمين.

وكان أيوب تابت[2]، قد أعلن صراحة إلى جريدة **Bonsoir** الفرنسية، نشرته جريدة «**الأمّة**» في الاسكندرية بتاريخ 12/1/1922، أن «سوريا ولبنان يخشى عليهما من التسلط الانكليزي والتسلط الحجازي إذا هما نالا الاستقلال المطلق. ويؤيد ضرورة الانتداب الفرنسي»[3]، الأمر الذي أثار استياء الانكليز والعديد من اللبنانيين[4].

على خط آخر، ظهر اتجاه مسيحي معارض، يدعو إلى السيطرة الإنكليزية على

(1)– وجيه كوثراني: الاتجاهات الاجتماعية والسياسية في جبل لبنان والمشرق العربي، 1860 – 1920، معهد الإنماء العربي، بيروت، ط 1، 1976، ص 203.

(2)– هو سياسي وطبيب لبناني بروتستانتي، تولّى رئاسة الوزراء من30 كانون الثاني 1936 إلى5 كانون الثاني 1937، وتولّى رئاسة الجمهورية من19 آذار 1943 إلى21 تموز 1943، خلال فترة الانتداب الفرنسي.

(3)– يوسف السودا: في سبيل الاستقلال، دار النهار للنشر، بيروت، ط 2، 1998، ص 402.

(4)– المصدر نفسه، المكان نفسه.

لبنان، ورأى سليمان كنعان، عضو مجلس الإدارة، أن استمرار خضوع لبنان للسيطرة الفرنسية يفقده استقلاله السياسي والاقتصادي ويضر بمصلحة اللبنانيين والمسيحيين خاصة، وطالب باستقلال لبنان تحت لواء إنكلترا ليصبح وطناً لكل المسيحيين بسوريا والشرق ويشكّلون قوّة لها[1].

في هذه الأثناء استطاع الفرنسيون تثبيت الموارنة في حكم لبنان، لاعتبارات سياسية بوجه طائفي، تحت ذريعة حماية الأقلية المسيحية في الشرق من سيطرة الأغلبية المسلمة، واعتبرت أن لبنان غير منفصل عن باقي الدول العربية إلا بكونه يحمل الطابع المسيحي دولياً، ما يستوجب بأن يكون رئيس الجمهورية ممهوراً بهذا الطابع[2]، وتمّ تصوير الأزمة الاقتصادية القاتلة ومظاهر المجاعة سببها تآمر الأتراك – المسلمين ضد المسيحيين، فبدا الدعم الفرنسي بالمؤن ومواد غذائية وإمدادات المستشفيات والمستوصفات بمجمله «موقفاً طائفياً»[3]، وكان الدعم المسيحي لنظرائهم المسيحيين في مقابل إحياء الذاكرة المسيحية بمآسي الأتراك المسلمين.

ب. حقبة الاستقلال حتى العام 1975

بوصول الرئيس بشارة الخوري إلى سدة الرئاسة في العام 1943، انفتح على المسلمين والعرب، على النقيض من إميل إده، لكن مع الحفاظ على خصوصياته المسيحية، وتأمين الحماية الدستورية للمسيحيين، وبرز ميثاق 1943 الذي حدد كيفية معالجة مسألة الهوية والنظام[4].

تناول الميثاق آلية الحكم والتسوية الطائفية بين الطائفيتين المارونية والسنّية، بما يزيل ملابسات الخوف لدى كل طرف، ويتلخص بما يلي:

- يتخلّى القادة الموارنة عن كل حماية غربية، وخاصة فرنسية للبنان، ويلتزمون برفض أي محاولة لاستهداف الدول الغربية للعالم العربي من لبنان.
- وافق القادة المسلمون بأن يستمر لبنان بلداً سيّداً مستقلاً، كما تخلّوا عن كل فكرة تخدم اندماج لبنان في إطار دولة سورية أو عربية أوسع.
- توزيع المقاعد النيابية على قاعدة 6 للمسيحيين مقابل 5 للمسلمين، وبذلك كرّس الميثاق شرعية الواقع الطائفي.

(1)– حسان حلاق: تاريخ لبنان المعاصر 1913 – 1952، مرجع سابق، ص 110.
(2)– اسكندر رياشي: قبل وبعد 1918 – 1941، دار الحياة، 1953، ص 34 – 39.
(3)– وجيه كوثراني: الاتجاهات الاجتماعية والسياسية في جبل لبنان، مرجع سابق، ص 307.
(4)– غسان فوزي طه: هوية لبنان، مرجع سابق، ص 41.

لقد أرسى ميثاق 1943 أسس السياسة الخارجية بابتعادها عن التطلّع للوحدة العربية وعن مصالح القوى الغربية، مع الاعتراف بلبنان «ذو وجه عربي»، في حين بقيت الامتيازات السياسية والإدارية للموارنة التي كانوا قد حصلوا عليها أثناء الانتداب الفرنسي، مع مشاركة أوسع للمسلمين في توزيع السلطات السياسية، ولم تكن هذه المشاركة محصورة بالطائفة السنيّة، إنما حصلت الطائفة الشيعية على رئاسة المجلس النيابي[1]، بعدما كانوا مهمّشين وممنوعين من الوصول إلى المناصب الحسّاسة والرفيعة في مراكز الدولة.

وشهد عهد الرئيس بشارة الخوري علاقات واسعة مع الدول العربية، انسجاماً مع روح الميثاق، فكان أن دخل لبنان جامعة الدول العربية 1945 بعد المشاركة بتأسيسها، والتأكيد على احترام الدول العربية لاستقلال لبنان بحدوده الحالية، ذلك لطمأنة المسيحيين[2]. ومن ثمّ شارك لبنان في حرب 1948 ضد الكيان الصهيوني ملتزماً بالتعاون الوثيق مع الدول العربية[3].

وبعد تولي كميل شمعون الرئاسة (1952 – 1958)، جرّ لبنان إلى حلف بغداد، نظراً لتعاطفه مع العراق الموالي للغرب، وضعف إيمانه بسياسة عدم الانحياز التي تتبعها مصر، ولثقته بالدعم الأميركي، فكان لهذا الاصطفاف الرسمي ضمن المحور الأميركي دور المفجّر للفتنة الداخلية[4]، بعد معارضة شديدة من قبل العروبيين، أبرزهم الحزب التقدمي الاشتراكي بقيادة كمال جنبلاط، والحزب الشيوعي الذي لم يكن حائزاً على الترخيص، وحزب النجّادة والهيئة الوطنية وحزب البعث العربي الاشتراكي وعدد من النواب والشخصيات والقيادات السياسية[5]، وتحفّظ عدد من القوى المارونية، وكان قد خرج الطلاب القوميون العرب في الجامعة الأميركية في بيروت بتظاهرة ضد دخول العراق التحالف التركي – الباكستاني ضد مصر وأصدروا بياناً يندد بذلك ويحث على استنهاض الشارع العربي[6]. لذا كانت سياسة شمعون أحد أهم الأسباب لانطلاق أحداث ثورة العام 1958، التي قسّمت اللبنانيين إلى فريقين طائفيّين، بين موالٍ للدول العربية بقيادة جمال عبد الناصر، ومؤيد للدول الغربية بقيادة واشنطن.

(1)– كمال حمدان: الأزمة اللبنانية، الطوائف الدينية والهوية الوطنية، دار الفارابي، بيروت، ط 1، 1998، ص 65.
(2)– باسم الجسر: ميثاق 1943، لماذا كان؟ وهل سقط؟، دار النهار، بيروت، ط 2، 1998، ص 176.
(3)– المرجع السابق، ص 170.
(4)– ألبر داغر: أزمة بناء الدولة في لبنان، دار الطليعة، بيروت، ط 1، 2012، ص 45.
(5)– عطية مساهر حديد، سامي صالح السياد: موقف لبنان من حلف بغداد، مجلة آداب الفراهيدي، جامعة تكريت، العراق، العدد 15، حزيران 2013، ص 89.
(6)– راجع: كمال جنبلاط: حقيقة الثورة اللبنانية، دار النشر العربية، بيروت، 1959، ص 61 – 62.

إلى ذلك، عمد الرئيس فؤاد شهاب بعد توليه الرئاسة (1958 – 1964)، إلى التقارب مع المسلمين، بزيادة عدد مقاعد البرلمان لضم وجوه جديدة، وتنمية المناطق المحرومة عبر إنشاء بعض المؤسسات الإنمائية، وشدد على ضرورة بناء الولاء الوطني.

واتخذ شهاب مواقف أكثر مرونة تجاه المدّ العروبي، الذي يتوافق مع روح الميثاق الوطني، فاحتوى الموجة الناصرية وقدّم تنازلات سياسية على صعيد سياسة لبنان الخارجية، مع البقاء في محور النفوذ الغربي[1]، وأقفل النقاش حول الهوية والدور المنشود للبنان ضمن محيطه العربي[2].

ت. الحرب الداخلية اللبنانية 1975 – 1989

شكّل النظام السياسي الطائفي المرتكز الأوّل للحرب الأهلية في لبنان، التي اندلعت عام 1975، نظراً لإعادة إنتاج البنية الطائفية السياسية، والفشل في إدارة الحكم بعيداً عن التجاذبات الخارجية، والتعقيدات الإقليمية والدولية في ذروة الحرب الباردة بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الأميركية، وانقسام العرب بين هذين القطبين، ما استتبعه انقسام على الهوية اللبنانية.

كذلك دخل عامل اللجوء الفلسطيني بقوّة إلى حلبة الصراع اللبناني الداخلي بعد انقسام حادٍّ بين مؤيّد له ومعترض شديد عليه، نتيجة التركيبة الطائفية والسياسية اللبنانية. وانعكس الصراع السوري – الفلسطيني أيضاً على الساحة اللبنانية.

ومع تطورات الحرب، طُرحت مسألة الحيّز الجغرافي اللبناني على بساط المداولة، فتم التداول بترحيل المسيحيين وفقاً لمخطط كيسنجر[3]، كما رأى البعض أن الخيار الأفضل هو عودة لبنان الصغير بأكثرية مسيحية واضحة، وطُرحت الفدرالية لتمكين المسيحيين حكم أنفسهم بعيداً عن سيطرة الأكثرية المسلمة، وإمكانية احتفاظ كل طائفة بمنطقة نفوذ خاصة بها في إطار كيان وطني واحد.

لم تتوقف الحرب الداخلية اللبنانية عند حدود المناطق الطائفية الإسلامية والمسيحية، إنما تعدتها إلى قوى الصف الواحد في المجتمع المسيحي، وكذلك فيما بين القوى اليسارية والوطنية والإسلامية، فشهدت صراعاً عسكرياً دامياً خلال ثمانينيات القرن العشرين.

(1)– غسان فوزي طه: هوية لبنان، مرجع سابق، ص 46.
(2)– كمال حمدان: الأزمة اللبنانية، مرجع سابق، ص 150.
(3)– نبيل خليفة: لبنان في استراتيجية كيسنجر، مقاربة سياسية وجيو – استراتيجية، دار المتنبي، بيروت، 1993، ص 50.

برز العديد من الشخصيات السياسية أثناء الحرب الأهلية اللبنانية، على رأس أحزابهم ودخلت الحكومات المتعاقبة ممثلة لطوائفها وأحزابها، ولا يزال أغلبها في الحكم حتى يومنا هذا.

ومن جهة أخرى، برز عدد من الشخصيات القيادية الشيعية، الدينية والسياسية في آن واحد، منها السيد موسى الصدر، الذي يُعتبر المؤسّس الأوّل لبنيان الشيعة الإداري والمؤسساتي الرسميَّين في لبنان، والذي عمل على نبذ الحرب الأهلية، والرافض لمقولة الاستمالة إلى الدول الخارجية، ما أبقى الطائفة الشيعية دون دعم خارجي أو سند دولي، واعتبر أن لبنان موطن نهائي لكلّ أبنائه، ومنها الطائفة الشيعية، وأسّس «حركة المحرومين» في العام 1976، وهي «حركة وطنية تتمسك بالسيادة الوطنية وسلامة أراضي الوطن وتحارب الاستعمار والاعتداءات والمطامع التي يتعرض لها لبنان»[1].

ث. تناقض المواقف من العدو الإسرائيلي

عاشت الدولة اللبنانية حالة اللااستقرار الدائمة، بفعل تناقض الانتماء السياسي والأيديولوجي لمختلف مكونات الطبقة الحاكمة والأحزاب السياسية المتماهية مع سياسة الدول الداعمة لها.

وممّا زاد في التعقيد السياسي الداخلي، تناقض المواقف من العدو الإسرائيلي، حيث برز موقفان متناقضان ينبعان من الخلفية الفكرية والسياسية والعقائدية، ومن الاصطفاف السياسي الذي يريد كل طرف أن يجرّ لبنان إليه، ما بين المحور الغربي بما فيه إسرائيل، والمحور الشرقي بما فيه سوريا.

لقد فاقم التدخل الإسرائيلي واعتداءاته المتكررة على لبنان من الصراع على الهوية اللبنانية، منذ قيام الكيان الصهيوني واغتصابه فلسطين سنة 1948، واجتياحه سنة 1978 لجنوب الليطاني، ثم اجتياحه الكبير سنة 1982، الذي شمل أكثر الأراضي اللبنانية بما فيها العاصمة بيروت، حيث انقسم اللبنانيون بين مؤيّد ومتعامل معه ورافض ومقاوم له.

ففي خضمّ الحرب اللبنانية، دخل العدو الإسرائيلي على خط الصراع بكل قوة، وجرى توثيق العلاقة مع القوى المسيحية بلقاءات متكررة ويومية أحياناً[2]، طلباً للمساعدة

(1)- ميثاق حركة أمل، ص 7.
(2)- جوزيف أبو خليل: قصة الموارنة في الحرب، سيرة ذاتية، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ط 7، 2010، ص 206.

العسكرية في الحرب الداخلية اللبنانية، وتمّت زيارات متعددة لفلسطين المحتلة[1]، فما كان من العدو الإسرائيلي إلا أن دعم العديد من القوى المسيحية، على رأسها حزب الكتائب، بعد إبعاد بعض القيادات المسيحية الأخرى، وتوّجت تلك المساعدات باجتياح لبنان سنة 1982، فوصل بشير الجميّل إلى سدة الرئاسة بضغط إسرائيلي وموافقة أميركية أوروبية، على قاعدة سلخ لبنان عن بعده القومي العربي، وفك الارتباط بين أزمة لبنان وأزمة الشرق الأوسط[2]، وهو ما يعني تنازل لبنان عن هويته العربية والتخلّي عن القضية الفلسطينية. ثم تلاه وصول أمين الجميل إلى سدة الرئاسة بعد مقتل أخيه بشير بتاريخ 13/9/1982، ومحاولته إكمال ما بدأه أخوه، فوقّع اتفاق 17 أيار 1983 مع الاحتلال الإسرائيلي، حيث كانت أبرز بنوده إلغاء حالة الحرب بين لبنان والكيان الإسرائيلي، وإنشاء منطقة أمنية داخل الأراضي اللبنانية تتعهد الحكومة اللبنانية بأن تنفذ ضمنها الترتيبات الأمنية لمنع العمليات العسكرية، وتدخل العلاقات التجارية من باب التطبيع معها.

في تلك الأثناء، برزت بعض التنظيمات العقائدية الإسلامية على الساحة السياسية، أبرزها تنظيم حزب الله الذي وُلِد لحظة الاجتياح الإسرائيلي، مستنداً إلى أفكار إسلامية ثورية مدعوماً من الجمهورية الإسلامية الإيرانية بعد انتصارها عام 1979، بقيادة الإمام الخميني(قده)، بعيداً عن التجاذب الأميركي والسوفياتي معاً، والخارج عن سلطة الدولة اللبنانية بشقّيْها السياسي والعسكري، وبعيداً عن نفوذ القيادات اللبنانية والسورية، فشكّل حالة متمايزة وتجلّت أفكار الحزب بنشر المفاهيم الإسلامية، كما تصدى للعدوان الإسرائيلي على مدى 18 عاماً، إلى أن حقّق النصر بهزيمة إسرائيل وانسحابها من معظم الأراضي اللبنانية عام 2000، ونشر أفكاره في المجتمع اللبناني انطلاقاً من هويته الدينية المنسجمة مع اللبنانية – الشيعية، بعد إدخال مفهوم الحفاظ على لبنان بوحدة أراضيه وحماية شعبه بكل طوائفه، وهو مفهوم لا يتعارض مع المبادئ العقائدية الإسلامية للحزب.

لم تتوقف المواقف المؤيدة للعدو الصهيوني عند عتبة العام 1982، إنما تواصلت بشكل آخر عند اعتدائه على لبنان سنة 2006، ومحاولة اجتياحه الفاشلة نتيجة مقاومة حزب الله.

لقد أظهرت وثائق «ويكيليكس» مواقف عديدة لأطراف سياسية لبنانية منضوية في

(1)– جوزيف أبو خليل: قصة الموارنة في الحرب، مصدر سابق، ص 170.
(2)– المصدر نفسه، ص 209.

تحالف 14 آذار، أغلبها من مكوّنات الحكومة حينها، أثناء العدوان الإسرائيلي 2006، منها من هو سابق في التعامل مع العدو ومنها من استجد بالطلب من العدو بطريقة غير مباشرة عبر مندوبي الولايات المتحدة الأميركية، بتكثيف الضربات الإسرائيلية على حزب الله لإنهاء وجوده. أبرزهم رئيس الحكومة فؤاد السنيورة عندما حاول إقناع السفير الأميركي فيلتمان، باعتماد اقتراحه النقاط السبع[1]، التي أطلقها في مؤتمر روما في 26/7/2006، والتي تعطي إسرائيل «ما كانت تسعى إلى تحقيقه منذ عقود»[2]، كما أنه حذّر الحكومتين اللبنانية والإسرائيلية، من أنهما «تغرقان في التفاصيل، وتوشكان على خسارة الهدف الرئيسي: الأمن والسلام لإسرائيل، والسلام وحزب الله المنزوع السلاح للبنان»[3]، وقد علّق عليها أمين الجميّل، رئيس الجمهورية الأسبق، بأن «مشروع الرئيس فؤاد السنيورة، مشروع النقاط السبع، يرمي إلى إزالة مبرر وجود سلاح حزب الله»[4]. وكذلك الوزير وليد جنبلاط، رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي، حيث طلب أن «لا نعود إلى الماضي، وتبسط الدولة سلطتها ووصايتها عل كل الأرض اللبنانية ثم يكون وقف لإطلاق النار مع منظمة حزب الله. لا نريد الوطن في المجهول أو في معادلة جديدة»[5]، والوزير بطرس حرب الذي توقّع «أن يواجه لبنان والمنطقة كارثة إذا خرج حزب الله من الحرب أقوى مما كان عليه. وشدّد على أنه داخل طائفته المارونية، ليس هناك تأييد لأن تزداد قوة حزب الله في لبنان»[6]، إضافة إلى آخرين ممن تولّوا

(1)- المقترحات العملية التي حددها رئيس الوزراء اللبناني فؤاد السنيورة أمام المؤتمر الدولي في روما والتي أيدها مجلس الوزراء بالإجماع، وهي المقترحات المحددة في البنود السبعة بعد الوقف الفوري للنار، وهي الآتية:

1. تعهد إطلاق الأسرى والمحتجزين اللبنانيين والإسرائيليين من طريق الصليب الأحمر الدولي.
2. انسحاب الجيش الإسرائيلي إلى ما وراء «الخط الأزرق».
3. عودة النازحين إلى بلداتهم وقراهم.
4. التزام مجلس الأمن الدولي وضع مزارع شبعا وتلال كفر شوبا تحت سلطة الأمم المتحدة حتى ينجز ترسيم الحدود، وبسط سلطة الدولة اللبنانية على هذه الأراضي وعودة أهلها إليها.
5. تسليم «إسرائيل» إلى الأمم المتحدة خرائط الألغام المتبقية كافة التي زرعتها في جنوب لبنان.
6. بسط الحكومة اللبنانية سلطتها على كامل أراضيها عبر انتشار قواها الشرعية المسلحة ما يؤدي إلى حصر السلاح والسلطة في يد الدولة اللبنانية وحدها، كما نص اتفاق المصالحة الوطنية في الطائف، وتعزيز القوة الدولية التابعة للأمم المتحدة العاملة في الجنوب وزيادة عددها وعتادها وتوسيع نطاق عملها، واتخاذ الإجراءات الضرورية لإعادة العمل باتفاق الهدنة الذي وقعه لبنان و"إسرائيل" في العام 1949.
7. التزام المجتمع الدولي بدعم لبنان على الأصعدة كافة ومساعدته على مواجهة الأعباء المترتبة عن المأساة الإنسانية والاجتماعية والاقتصادية وخصوصا في ميادين الإغاثة وإعادة الإعمار وإعادة بناء الاقتصاد اللبناني.
8. نقلاً عن موقع الجماعة الإسلامية: www.aljamaa.net/ar/2006/08/09/النقاط-السبع-التي-أعلنها-السنيورة-في-م/.

(2)- الوثيقة الرقم 06beirut 2504، يوم 1/8/2006. أنظر جريدة الأخبار، 15/3/2011.
(3)- الوثيقة الرقم 06beirut 2504، يوم 1/8/2006. أنظر جريدة الأخبار، 15/3/2011، مصدر سابق.
(4)- جريدة النهار، 8/8/2006.
(5)- في مقابلة على التلفزيون المصري بتاريخ 18/8/2006، راجع: جريدة المستقبل، 19/8/2006.
(6)- الوثيقة الرقم 06beirut 2513، يوم 1/8/2006، مصنف من السفير جيفري فيلتمان.

مناصب حكومية وسياسية وحزبية، وهو ما يناقض روح القانون اللبناني. ثمّ جاء تصريح غابي أشكينازي لاحقاً، رئيس الأركان الإسرائيلي، الذي أكّد موقف تل أبيب الداعم لحكومة السنيورة، موضحاً أن سياسة إسرائيل هي تعزيز السنيورة وقوى 14 آذار من أجل تمكينهم من الوقوف في مواجهة حزب الله[1].

ومن جهة أخرى، اعتبر القانون العام اللبناني الكيان الصهيوني عدواً للبنان لا يمكن لأي مواطن أو أية جهة سياسية التعامل معه، في مختلف الميادين والمجالات كافة، واعتبر ذلك جرماً يعاقب عليه القانون. فنصّت المادة 273 من النبذة الأولى: «كل لبناني حمل السلاح على لبنان في صفوف العدو عوقب بالإعدام»، كذلك نصّت المادة 275 من النبذة الأولى: «كل لبناني دسّ الدسائس لدى العدو أو اتصل ليعاونه بأي وجه كان على فوز قواته عوقب بالإعدام».

ج. اتفاق الطائف 1989

توقّفت الحرب الطاحنة بعدما توصل الأفرقاء اللبنانيون إلى اتفاق الطائف عام 1989، برعاية إقليمية ودولية، ومعارضة شديدة من الجنرال ميشال عون[2]، وأنهى هذا الاتفاق الحرب الداخلية في الشكل دون أن يلغي أسبابها[3]، فأسند مسؤولية الحفاظ على الأمن اللبناني إلى سوريا بمباركة أميركية – سعودية، أطلقت بموجبها يد سوريا في إدارة الشقّ السياسي الداخلي وبعض الخارجي، في حين تولّت السعودية المسألة الاقتصادية والعلاقات الخارجية عبر ممثلها رفيق الحريري على رأس عدة حكومات.

جاء اتفاق الطائف، ومنح بموجبه المسلمين بعض الصلاحيات السياسية والإدارية لم تكن موجودة في ظل الدستور السابق، نظراً للحاجة السعودية في تعزيز موقع الطائفة السنّية في الحكم، وجعل رئيس الحكومة شريكاً أساسياً في إدارة البلاد بعد تقليص صلاحيات الرئيس الماروني. في حين سحب الاتفاق ذرائع الانقسام اللبناني بعد إزالة الغبن لدى المسلمين، وأنّ لبنان سيّد حرّ مستقلّ، عربي الهوية والانتماء[4].

ثمّ ما لبث أن عاد الانقسام من جديد إلى لبنان، عبر بوابة مفاوضات السلام التي حركتها الولايات المتحدة الأميركية بعد انهيار الاتحاد السوفياتي، وقيام مشروع الشرق الأوسط الجديد، ودفعت بلبنان نحو إجراء مفاوضات لتوقيع معاهدة مع إسرائيل في

(1)– أنظر جريدة الأخبار، 15/3/2011، مصدر سابق.
(2)– كريم بقرادوني: لعنة وطن، من حرب لبنان إلى حرب الخليج، دار عبر الشرق للمنشورات، بيروت، ص 37.
(3)– نجاح واكيم: **الأيادي السود**، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ط 35، 2016، ص 18.
(4)– الدستور اللبناني، الفقرة «ب» من مقدمة الدستور.

إطار مفاوضات السلام التي ابتدأت في مدريد 1991، أسوة ببعض الأطراف العربية، كمنظمة التحرير الفلسطينية في مؤتمر أوسلو 1993، والأردن بمؤتمر وادي عربة 1994، واستمرّت المفاوضات بتلازم المسارين اللبناني والسوري، دون الوصول إلى أية نتيجة تُذكر أو توقيع على أية معاهدة، إلى أن جاء التحرير في العام 2000، بضغط العمليات العسكرية التي شنهّا حزب الله على امتداد الشريط الحدودي المحتلّ.

ح. اغتيال الحريري 2005 والانقسام الجديد

لم يدم الهدوء طويلاً حتى دخل لبنان مرحلة سياسية وأمنية بالغة الخطورة، إثر صدور قرار مجلس الأمن الدولي الرقم 1559 سنة 2004، حيث وضع لبنان على شفير الحرب الداخلية، بتحالفات مختلفة. ثمّ جاء اغتيال الرئيس الحريري في 14/2/2005، استكمالاً للمخطّط المرسوم، فكان له الأثر البالغ في انقسام المجتمع اللبناني تبعاً للانقسام السياسي، ونشوء قوى 8 آذار الموالية لسوريا، على رأسها حزب الله وحركة أمل، وفي مقابلها نشأت قوى 14 آذار الموالية للولايات المتحدة الأميركية والسعودية، على رأسها تيّار المستقبل والحزب التقدّمي الاشتراكي والقوّات اللبنانية وحزب الكتائب، والدخول في سياسة المحاور الإقليمية والدولية، وانتقال الصراع بين المسلمين والمسيحيين إلى صراع ظاهره سني – شيعي مع تحالفات طائفية مختلفة، عملت عليه بعض الدول الغربية ومساندة بعض الدول العربية، وباطنه ضرب المقاومة اللبنانية وسوريا من أجل ولادة الشرق الأوسط الجديد الذي عبّرت عنه وزيرة الخارجية الأميركية، كوندوليزا رايس، أثناء العدوان الإسرائيلي على لبنان سنة 2006[1].

لكن ما يميّز هذا الانقسام هو الخروج من العباءة الطائفية بين المسلمين والمسيحيين، والدخول بتحالفات وصراعات عابرة للطوائف، بمعنى الانقسام داخل كل طائفة بنفسها من التحالف السياسي في المحور المنشود، مع العمل على تأجيج الصراع المذهبي بين السنّة والشيعة، ووقوف الأطراف المسيحية المنقسمة بدورها إلى جانب أحد الفريقين.

حمل كل فريق لبناني شعار التمسّك بالهوية الوطنية، من خلال الخطاب السياسي، وتصوير الحلف الذي ينتمي إليه على أنه الممثّل للهوية اللبنانية، في حين تجلّت مواقف بعض القوى أثناء العدوان الإسرائيلي على لبنان في تموز 2006، ووقوف الحلف المنتمي لقوى 14 آذار إلى جانب العدوان، في الجانبين السياسي والإعلامي،

(1) – من تصريح لوزيرة الخارجية الأميركية كوندوليزا رايس، لدى توجهها إلى منطقة الشرق الأوسط بتاريخ 22 تموز 2006، أثناء العدوان الإسرائيلي، للمزيد راجع:
رايس-تعلن-ولادة-شرق-اوسط-جديد/com.online-east-middle.www.

مع الدخول على خط عرقلة الإمداد اللوجستي والتسليحي للمقاومة، والانسجام التام مع الموقف الأميركي الداعم للعدوان، حيث يرى تقرير لـ»سي آي آيه» بأن لبنان هو أقرب «بلد عربي إلى الغرب والأكثر تفهماً لسياسات بلدانه وتقبّلاً للسير فيها دون ممانعة»[1]، مقابل قوى 8 آذار المعارضة للعدوان، حتى شكّل حزب الله بمقاومته الذراع الحامية لبنان في وجه الاعتداءات الإسرائيلية المتكررة.

وقد تعمّقت أزمة الهوية اللبنانية عمّا كانت عليه قبل اغتيال الحريري، بما لا يقاس بالانتماء العربي أو الكياني إبّان الانتداب الفرنسي، وقد اتخذت هذه الأزمة وجهاً جديداً في إطار الصراع العربي – العربي ضمن المحاور الإقليمية والدولية، وتداخل فيه المسلمون والمسيحيون منقسمين حول أنفسهم.

بعد أحداث الربيع العربي المفتعلة من قبل قوى إقليمية ودولية، برز التطرف السنّي في لبنان وفي غير منطقة بدعم تلك الدول، على حساب الهوية اللبنانية التي تمسّك بها الشيعة. وقد ساهم هذا التطرف في تشويه صورة الإسلام وصورة العرب أمام الرأي العام الغربي، واستُغلّت هذه الصورة القاتمة من قبل أطراف سياسية مناوئة، في أوروبا وأميركا، لتنفير الناس من الإسلام[2]، وتقديم المسلمين والعرب على أنهم سفاكو دماء، لذا لا يمكن الفصل بين التطرف وإشكالية الهوية، سواء بإسلاميّتها أو عربيّتها، بعد أن تحوّلت الهوية من هويّة مبدعة تعمل لصالح الحياة والإنسان، إلى هوية تبحث عن القتل والدمار والخراب[3].

الاستنتاجات:

من هنا يمكن القول إن لبنان لا يشكّل نموذجاً فريداً من حيث تعدّد الطوائف، فهو أسوة بالعديد من الدول العربية وغير العربية، يحوي طوائف متآلفة في النظرة إلى الكيان اللبناني، ولم تقم حرب دينية بالمعنى العقائدي المستند إلى الأصول الدينية والفقهية لدى تلك الطوائف، بيد أن السياسة المتّبعة من قبل القيادات السياسية والدينية على حدّ سواء، أوجدت الشرخ بين أبناء الوطن، لأهداف لا تتجاوز الحفاظ على المكتسبات السلطوية أو من أجل إخضاع الآخرين لمنعهم من فرض أفكارهم المتناقضة مع أطروحاتهم السياسية والفكرية، كما كان لعدد من المستشرقين، أبرزهم لامنس (1862 – 1937)، بصمات في بث الفرقة بين المسلمين أنفسهم، كي يخلقوا صراعات داخلية، لأنهم مكلفون بتعميق

(1)– ألبر داغر: أزمة بناء الدولة في لبنان، مصدر سابق، ص 44.
(2)– علي بن مبارك: التطرف الديني ومسألة الهوية الثقافية، مراجعات وتأملات، بحث منشور في مجلة الكلمة، العدد 98، السنة الخامسة والعشرون، شتاء 2018 م/ 1439 هـ، ص 42.
(3)– المرجع نفسه، ص 42.

الهوة بين المسلمين[1].

لقد كان الصراع الإسلامي – المسيحي على هوية لبنان يأخذ بُعداً طائفياً وعروبياً، في حين تمسّك المسيحيون بالهوية اللبنانية على قاعدة الحفاظ على خصوصياتهم وتسلّمهم مقاليد الحكم، بخلفية الحفاظ على الأقلية المسيحية في محيط عربي وإسلامي، وتحت حماية الدول الأجنبية في طليعتها فرنسا، التي أرست دعائم الحكم في لبنان بأيدي الموارنة في إطار هذا المضمون، بينما كان المسلمون، لا سيّما السُنّة منهم، يرتكزون على الامتداد السني في الجوار الجغرافي، الذي شكّل رافعة سياسية ودينية له، ما أثمر عن التوصل إلى اتفاق الطائف، بثقل سعودي وموافقة أميركية، نتيجة الوضع السياسي الإقليمي والدولي. في هذه الأثناء لعبت بقية الطوائف الأخرى أدواراً سياسية متفرقة ضمن المساحة المسموح بها، أو تبعاً لإحدى الطائفتين.

غير أن بدايات القرن الحادي والعشرين، شهدت انقلاب الصراع على الهوية بين المسلمين أنفسهم بصناعة أميركية، بين محوري سوريا والسعودية وحلفائهما، على العروبة والأسلمة، في حين أصبح المسيحيون في لبنان تبعاً لأحد هذين المحورين، وبات الدفاع عن الهوية الوطنية يلزمه محددات الوقوف في محور عربي مقابل محور عربي آخر.

لقد استطاعت القوى والأحزاب السياسية افتعال الحرب الطائفية سنة 1975، وتعبئة الجمهور اللبناني على قاعدة الطائفية السياسية، فأمّنت استمرار النظام السياسي برموزه وخياراته، وكذلك حال التيارات الجديدة والأحزاب القديمة بعد العام 2005، استطاعت أن تسير بنفس المنهجية الطائفية السياسية لفرض نفسها كجزء من المشهد السياسي واستقطاب الجمهور، ورفعت شعار الحفاظ على الهوية اللبنانية والطائفية معاً.

والجدير ذكره، أن الدول الأجنبية تنقل صراعاتها إلى لبنان وغيره من الدول العربية عبر مؤيّديها، وقد عبّرت عن ذلك شخصيّات عديدة في إدارة الولايات المتحدة الأميركية حديثاً، بشكل فاضح وصريح، عندما أعلنت مندوبتها كيلي كرافت، من على منبر الأمم المتحدة، أن «الاضطرابات ستتواصل في لبنان وسوريا واليمن، وفي أيّ مكان توجد فيه إيران ما لم تؤتِ حملة الضغط الأميركية ثمارها»[2]، وهذا ما يفسّر التدخّل الخارجي بشكل مباشر من أجل إثارة النعرات السياسية والطائفية، ومثال لبنان وسورية والعراق

(1)– زهوة مجذوب: الصراع على السلطة في لبنان، جدل الخاص والعام، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ط 1، 2011، ص 76.

(2)– من كلمة مندوبة الولايات المتحدة الأميركية إلى الأمم المتحدة، كيلي كرافت، بتاريخ 11/12/2019.

واضح للعيان.

لذلك فإن شعوب تلك البلاد تعيش أزمات سياسية واقتصادية نتيجة التحالفات الخارجية القائمة على الاستفادة الحصرية للقوى العظمى، وبالتالي فإن تلك القوى تعمل بشكل متعمّد على إنشاء الأزمات المتنوعة لإبقاء سيطرتها.

إن مثال لبنان ليس منفرداً في التجاذب السياسي والعسكري، وقد تكون معظم الدول العربية وحتى دول العالم الثالث وفق المصطلح الغربي، تعيش ذات الصراعات والنزاعات الداخلية.

ولا يمكن في هذه الحالة إلا أن تستقلّ شعوب هذه الدول عن الارتماء في الحضن الأجنبي الغربي، والعودة إلى جذورها العربية والإسلامية بمبادئها الفكرية والاجتماعية، فلو اتحدت فيما بينها لشكّلت قوة مهمة تكاد تفقد نظيرها، لأن الولايات المتحدة أو روسيا أو غيرهما من الدول الكبرى أو العظمى، ليست قدراً محتوماً لهذه الشعوب.

مكتبة البحث

أ. **الوثائق**

1. **الدستور اللبناني.**
2. Haut Commissariat: Bulletin des Actes Administrat– ifs.. « Recensement de 1921, Population du Grand Liban »
3. **جريدة لبنان الكبير الرسمية**، العدد 1946، تاريخ الجمعة 12 شباط 1926.
4. الإحصاء العام لسكان الجمهورية اللبنانية سنة 1932، مركز المحفوظات الوطنية التابع لمجلس الوزراء اللبناني، بيروت.
5. **محضر الجلسة الرابعة**، العقد العادي الأول، المجلس النيابي الخامس، المنعقدة في 31 آذار 1944.
6. «**أول بيان للكتائب**» نشرته **جريدة العمل** التابعة لحزب الكتائب، العدد الخاص الصادر في 18 تشرين الثاني 1971.
7. **ميثاق حركة أمل.**
8. خطاب كيلي كرافت مندوبة الولايات المتحدة الأميركية في الأمم المتحدة، بتاريخ 11/12/2019.

المصادر والمراجع

1. أبو خليل، جوزيف: **قصة الموارنة في الحرب، سيرة ذاتية**، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت.
2. الأمين، محسن: **الشيعة في مسارهم التاريخي، مقدمة أعيان الشيعة**، مركز الغدير للدراسات الاسلامية، بيروت، ط1، 1421هـ/ 2000م.
3. بقرادوني، كريم: **لعنة وطن، من حرب لبنان إلى حرب الخليج**، دار عبر الشرق للمنشورات، بيروت.
4. الجسر، باسم: **ميثاق 1943، لماذا كان؟ وهل سقط؟**، دار النهار، بيروت، ط 2، 1998.
5. جنبلاط، كمال: **حقيقة الثورة اللبنانية**، دار النشر العربية، بيروت، 1959.
6. الحاج حسن، حسين علي: **الإتجاهات السياسية لشيعة لبنان (بين عامي 1920-1960)**، دار الولاء، بيروت، ط 1، 1440هـ/2019م.
7. الحر العاملي، محمد بن الحسن: **أمل الآمل**، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط 2، 1403 هـ/ 1983 م.
8. حداد، حكمت ألبير: **لبنان الكبير**، دار نظير عبود، ط 3، 1996.
9. حديد، عطية مساهر؛ السياد، سامي صالح: **موقف لبنان من حلف بغداد**، مجلة آداب الفراهيدي، جامعة تكريت، العراق، العدد 15، حزيران 2013.
10. حلاق، حسان: **تاريخ لبنان المعاصر 1913 - 1952**، دار النهضة العربية، بيروت، ط 3، 1143 هـ/ 2010 م.
11. حمدان، كمال: **الأزمة اللبنانية، الطوائف الدينية والهوية الوطنية**، دار الفارابي، بيروت، ط 1، 1998.
12. خليفة، نبيل: **لبنان في استراتيجية كيسنجر، مقاربة سياسية وجيو - استراتيجية**، دار المتنبي، بيروت، 1993.
13. الخوري، بشارة خليل: **حقائق لبنانية**، منشورات أوراق لبنانية، لا ط، 1960.
14. خوري، منير: **ما هي علّة لبنان**، دار الحمراء، بيروت، ط 1، 1990.
15. داغر، ألبر: **أزمة بناء الدولة في لبنان**، دار الطليعة، بيروت، ط 1، 2012.
16. ربّاط، إدمون: **التكوين التاريخي للبنان السياسي والدستوري**، ترجمة حسن

قبيسي، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، 2002.

17. رياشي، اسكندر: **قبل وبعد 1918 – 1941**، دار الحياة، 1953.

18. زايد، أحمد: **سيكولوجية العلاقات بين الجماعات، قضايا في الهوية الاجتماعية وتصنيف الذات**، سلسلة **عالم المعرفة**، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 326، نيسان (أبريل) 2006.

19. سليمان، إبراهيم: **بلدان جبل عامل، قلاعه ومدارسه وجسوره ومروجه ومطاحنه وجباله ومشاهده، مؤسسة الدائرة**، لا ط، 1415هـ/ 1995.

20. السودا، يوسف: **في سبيل الاستقلال**، دار النهار للنشر، بيروت، ط 2، 1998.

5. الصليبي، كمال:

21. تاريخ لبنان الحديث، دار النهار للنشر، بيروت، ط 10، 2008.

22. منطلق تاريخ لبنان، مؤسسة نوفل، بيروت، ط 3، 2012.

23. بيت بمنازل كثيرة، الكيان اللبناني بين التصوّر والواقع، مؤسسة نوفل، بيروت، ط 5، 2012.

6. طه، غسان فوزي:

24. شيعة لبنان، العشيرة – الحزب – الدولة، بعلبك – الهرمل نموذجاً، نشر معهد المعارف الحكمية، بيروت، ط 1، 1427هـ/ 2006م.

25. هوية لبنان، عند الكيانيين – القوميين – الإسلاميين، صادر عن المركز الإسلامي للدراسات الفكرية، ط 1، 1430 هـ/ 2009 م.

26. عطية، عاطف: **الدولة المؤجلة، دراسة في معوقات نشوء الدولة والمجتمع المدني في لبنان**، دار أمواج، بيروت، ط 1، 2000.

27. فارس، وليد: **التعددية في لبنان**، الكسليك، لبنان، 1979.

28. كوثراني، وجيه: **الاتجاهات الاجتماعية والسياسية في جبل لبنان والمشرق العربي، 1860 – 1920**، معهد الإنماء العربي، بيروت، ط 1، 1976.

29. مجذوب، زهوة: **الصراع على السلطة في لبنان، جدل الخاص والعام**، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ط 1، 2011.

7. مراد، محمد:

30. العلاقات اللبنانية السورية، دراسة اقتصادية – اجتماعية – سياسية، دار

الرشيد للعلوم، بيروت، ط 1، 1993.

31. **التملّك والسلطة في الجنوب اللبناني (1920 – 1975)**، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، 2009.

32. **الانتخابات النيابية في لبنان 1920 – 2009**، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، لا ط، 2013.

33. نصر الله، حسن: **تاريخ بعلبك**، مؤسسة الوفاء، بيروت، 1984.

34. واكيم، نجاح: **الأيادي السود**، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ط 35.

أ. دراسة جامعية

إبراهيم، حسن: **الشيعة والدولة اللبنانية من خلال ممثليهم في المجالس النيابية 1920 – 1952، قراءة في المحاضر**، أطروحة أعدت لنيل شهادة الدكتوراه اللبنانية في التاريخ، الجامعة اللبنانية، 2015 – 2016.

ج. الصحف والمجلات و مواقع الكترونية

1. بن مبارك، علي: **التطرف الديني ومسألة الهوية الثقافية، مراجعات وتأملات**، بحث منشور في **مجلة الكلمة**، العدد 98، السنة الخامسة والعشرون، شتاء 2018 م/ 1439 هـ.
2. جريدة **الأخبار**.
3. جريدة **المستقبل**.
4. موقع **الشرق الأوسط أون لاين**:

www.middle-east-online.com.

5. موقع **الجماعة الإسلامية**:

www.aljamaa.net/ar.2006/08/09/

4- دور الاخوان المسلمين في الثورة اليمنية الدستورية عام 1948(الجزء الثاني)

The Role of Muslim Brotherhood in Yemeni Constitutional Revolution in 1948

بقلم م.م وجدان كارون فريح

قسم الدراسات التاريخية مركز دراسات البصرة والخليج العربي/ جامعة البصرة

wijdaniq04@gmail.com

Asst. Lecturer Wijdan Karoon Freeh

Basra and Arab Gulf Studies center

Department of Historical Studies

University of Basra

wijdaniq04@gmail.com

تاريخ الاستلام: 27/1/2021 **تاريخ القبول: 15/2/2021**

ABSTRACT

The Muslim Brotherhood presented the opportunity to reach North Yemen to end the power and rule of Imam Yahya. After their prominent role in the Yemeni opposition movement, they had

a role in the constitutional revolution in February 1948 that was no less than their role in the preparation for it. However, their pursuit was blocked by many internal and external obstacles. Therefore they showed another different position after the revolution.

This study is devoted to present the idea of the Muslim Brotherhood heading to Yemen and their interest in it especially, after they were prompted to do so by justifications and goals, some of which were declared, and others were hidden. The constitutional revolution had an impact not only on the Yemeni people and determining their future, but also constituted a very important factor in dissolving the Muslim Brotherhood organization in Egypt, and then the assassination of their Supreme Guide Hassan al-Banna in 1949.

Keywords: North Yemen, Imam Yahya bin Hamid al-Din, Yemeni Constitutional Revolution 1948, Muslim Brotherhood, Saif Al-Islam Ahmed.

الملخص

حظي جماعة الاخوان المسلمين بفرصة الوصول الى اليمن الشمالي لإنهاء حكم وتسلط الامام يحيى، فبعد الدور البارز لهم في حركة المعارضة اليمنية، كان لهم دور في الثورة الدستورية في شباط 1948 لا يقل عن دورهم في التهيؤ والاعداد لها. الا ان سعيهم اعترضته الكثير من العوائق الداخلية والخارجية. ليظهر لهم موقف اخر مختلف بعد قيام الثورة.

دارت هذه الدراسة حول فكرة توجه الاخوان المسلمين الى اليمن واهتمامهم بها تحديداً، بعد ان دفعهم الى ذلك مبررات وغايات بعضها معلن، والبعض الاخر مخفي. فالثورة الدستورية كانت ذا تأثير ليس على الشعب اليمني وتحديد مستقبله فحسب، بل شكلت عاملاً في غاية الاهمية لحل تنظيم جماعة الاخوان المسلمين في مصر، ومن ثم اغتيال مرشدهم الاعلى حسن البنا عام 1949.

الكلمات المفتاحية: اليمن الشمالي، الامام يحيى بن حميد الدين، الثورة الدستورية اليمنية 1948، الاخوان المسلمون، سيف الاسلام احمد.

المقدمة

بسط الامام يحيى بن حميد الدين سلطته على اليمن الشمالية كلها بعد كفاحه الطويل والناجح ضد العثمانيين، وبنى جيشه من القبائل الزيدية، معتمداً في ادارة البلاد على السادة الهاشميين، الا ان خوفه من تمتعهم بالسلطة قد يهدد حكم عائلته، فقام تدريجياً بنقل المناصب العليا في الحكومة من المساعدين السابقين الى ابنائه. وكان الامام يحيى يشك بشدة في قدوم الاجانب لاسيما الاوربيين الى اليمن، فحرص على حماية سيادة بلاده وطريقة حياتها الدينية التقليدية من خلال عزلها عن النفوذ الأجنبي. ورفض السماح بدخول البعثات الدبلوماسية أو الشركات التجارية الغربية إلى البلاد أو تشجيع أي شكل من أشكال الاتصال بالعالم الخارجي.

واجه الامام يحيى حميد الدين كل انواع المعارضين لسياسته التي تنوعت ما بين الطامحين الى الامامة، مع بعض شيوخ القبائل الساخطين، والحركة اليمنية الحرة التي حشدها شباب درسوا في بغداد او القاهرة؛ وهي معارضة سياسية سعت في الاساس الى اصلاحات اجتماعية وسياسية معينة، دفعهم استياؤهم من تخلف بلادهم، وعزلتها عن بقية العالم، والحكم الاستبدادي لعائلة حميد الدين، بعد اطلاعهم على العالم الخارجي. لكن اساس الثورة كان ذا طبيعة مختلفة بالتحالف مع المعارضين البقية. اذ واجه الامام تدخل خارجي في حركة المعارضة ضده؛ تمثلت بالضباط العراقيين وجماعة الاخوان المسلمين الذين كان لهم الاثر الكبير والواضح في تشكيل وتنظيم حركة المعارضة اليمنية[1].

ان الثورة الدستورية في اليمن هي اولى المحاولات الثورية في هذه البلاد، كما انها اول ثورة في الساحة العربية بعد الحرب العالمية الثانية (1945–1939)، وبالرغم من ان نظام الحكم في اليمن شيعي زيدي غير ان الثوار اليمنيين تبنوا مبدأ اخر بعيدا عنهم وعن عاداتهم وافكارهم، كما ان الثورة لم تكن يمنية خالصة، ومن هنا جاءت اهمية البحث.

ان هذه الدراسة تعد متممة للدراسة المعنونة «دور الاخوان المسلمين في حركة

(1)– ينظر: وجدان كارون فريح، دور الاخوان المسلمين في المعارضة اليمنية 1947–1929، مجلة وميض الفكر، العدد10 اذار 2021.

المعارضة اليمنية 1947–1929»، التي نشرت في العدد السابق من مجلة «وميض الفكر»، اذ ارتأت الباحثة ان يكون دور جماعة الاخوان المسلمين في الثورة اليمنية الدستورية على دراستين تتمم إحداهما الاخرى لأهمية الدور الذي قام به الاخوان المسلمين برئاسة حسن البنا في اليمن من خلال حركة المعارضة والترتيبات التي اعدت قبل وبعد الثورة الدستورية اليمنية لعام 1948، فضلاً عن كثرة الاحداث التاريخية والتي لا يمكن التغاض عنها.

تدور الاشكالية البحثية للدراسة حول الدور الذي قام به الاخوان المسلمون في ثورة اليمن الدستورية؛ بعد ما لمسنا دورهم الفاعل في حركة المعارضة اليمنية. كما تعتمد الاشكالية البحثية على دوافع ومبررات امتداد جماعة الاخوان المسلمين الى اليمن.

تم تحديد النطاق المكاني للدراسة باليمن وتحديداً اليمن الشمالية، اما النطاق الزمني فلم يتعد عام 1948 وهو عام الثورة.

قسمت الدراسة الى تمهيد وثلاثة محاور، فضلاً عن مقدمة وخاتمة وقائمة المصادر. جاء المحور الاول عن ثورة 1948 الدستورية، وبين المحور الثاني دور جماعة الاخوان المسلمين في الثورة اليمنية، واهتم المحور الثالث بدوافع ومبررات اهتمام الاخوان المسلمين باليمن.

تمهيد

وضعت الخطط في شمال اليمن لإسقاط حكم الامام يحيى (1948–1904) من قبل الفضيل الورتلاني مبعوث جماعة الاخوان المسلمين، وحسين الكبسي احد مستشاري الامام يحيى، واحمد بن احمد المطاع ورفاقهم[1]، واجريت الاتصالات في صنعاء بالنقيب جمال جميل، وانطلقت رسلهم تحمل المعلومات الى تعز والى عدن والى حسن البنا في القاهرة، وانتهت الاتصلات والمداولات بين رجال المعارضة اليمنية داخل المملكة اليمنية المتوكلية (1962–1918) وفي مستعمرة عدن بالموافقة على ان يكون عبد الله بن احمد الوزير اماماً دستورياً على رأس حكومة دستورية بعد موت الامام يحيى، وفي ضوء ذلك شُكلت الحكومة، ونص على اعضائها، ووضع دستورها «الميثاق الوطني المقدس»، الذي ارسلت نسخة منه بخط احمد الشامي الى محمد محمود الزبيري واحمد محمد النعمان بعدن ليطبع منه عدد كبير وتحفظ في سرية في عدن لتعلن مباشرة

(1)– تم تعريف شخصيات الدراسة في العدد السابق من المجلة. ينظر: وجدان كارون فريح، مجلة وميض الفكر، العدد 10 اذار 2021.

بعد موت الامام يحيى واعلان الثورة لقطع الطريق امام ولي العهد، كما ارسلت نسخة اخرى الى الاخوان المسلمين في القاهرة. وكان للفضيل الورتلاني الدور الاساس في وضع تلك الترتيبات، فضلاً عن صياغة «الميثاق الوطني المقدس» بشكل اساسي[1].

كان عبد الله بن احمد الوزير يرى انه يجب عليهم انتظار الموت الطبيعي للإمام يحيى قبل تنفيذ خططهم، الا انه غير رأيه عندما ادرك ان الامام بدأ يشتبه فيه وربما يضرب اولاً، كما شجعته الاجواء المتوترة التي احدثتها انشطة الاحرار، الذين قاموا بجانب توزيع المنشورات، بزرع بعض الالغام حول العاصمة[2].

قررت القوى الوطنية قيام ثورة يوم 14 كانون الثاني 1948 غير انها لم تنفذ[3]، فأشيع عن قيام ثورة بصنعاء وقتل الامام يحيى واقيم عبد الله بن احمد الوزير اماما، وفي الحال نقلت الاشاعة الى عدن، وارسلت حكومة عدن مندوباً الى سيف الحق ابراهيم تبلغه بموت ابيه وتعزيه، فاعلن الامير عن خبر الوفاة، وسارع الاحرار بعدن الى اذاعة الحادث ونشر الميثاق الوطني المقدس، واعضاء الحكومة الدستورية، وانتقل الخبر الى الخارج وحُمِلَ الى حسن البنا، وقامت صحيفة الاخوان بنشر خبر وفاة الامام يحيى والميثاق المقدس في عددها المرقم (525) بتاريخ 16 كانون الثاني 1948[4].

ارجع عبد الله السلال اذاعة النبأ الكاذب الى الفضيل الورتلاني الذي يعتقد انه هو من ارسل البرقية المتفق ارسالها الى عدن بعد موت الامام يحيى دون الاخذ في الاعتبار احتمال فشل او تأجيل المخطط، لاعتقاده ان اذاعة المخطط حتى في حالة عدم تنفيذه سيعجل بسرعة تفجير الثورة، لدأبه منذ وصوله الى صنعاء على سرعة قيامها لظنه بان الاوضاع في اليمن قد نضجت لها[5].

اما المبرر الاخر لانتشار اشاعة الخبر الكاذب؛ هو تمكن ولي العهد احمد من معرفة وكشف ترتيبات الثوار، ومعرفة قضية «الميثاق الوطني المقدس»، وقوائم اعضاء حكومة الثورة وموعد نشرها قبل حدوثها من خلال اعوانه المتواجدين مع الاحرار، فأخذها

(1) – حماده حسني، حسن البنا وثورة اليمن 1948، ط1، مكتبة بيروت، القاهرة، 2008، ص51؛ عبد الفتاح محمد البتول، خيوط الظلام، عصر الامامة الزيدية في اليمن (1382–284هـ)، ط1، مركز نشوان الحميري للدراسات والنشر، صنعاء، 2007، ص317–316؛ سلطان ناجي، دور جريدة فتاة الجزيرة في احداث سنة 1948 بصنعاء، ط1، منشورات مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية (5)، جامعة الكويت، الكويت، 1980، ص56.

(2) – A. Z. al–Abdin, The Free Yemeni Movement (1940–48) and Its Ideas on Reform, Middle Eastern Studies, No. 1, Vol. 15, Taylor & Francis, Ltd., 1979, P43.

(3) – عبد الله السلال واخرون، ثورة اليمن الدستورية، ط1، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، 1985، ص83.

(4) – سلطان ناجي، دور جريدة فتاة الجزيرة في احداث سنة 1948 بصنعاء، المصدر السابق، ص57–56.

(5) – عبد الله السلال واخرون، المصدر السابق، ص85.

فرصة لكشف «المؤامرة» ورجالها[1].

وفي ضوء ما نشر، قام الكثير من رؤساء الحكومات وغيرهم بارسال برقيات التهنئة الى عبد الله بن احمد الوزير يباركون له ارتقاءه عرش اليمن، ويعترفون بحكومته[2]. لكن الرياض في 16 كانون الثاني 1948 كذبت ما نشر في القاهرة وبغداد عن موت الامام يحيى، وقيام حكومة ديمقراطية، وان ابن الوزير اصبح رئيساً للوزراء، وسيف الحق ابراهيم اصبح رئيساً للجمهورية[3]. كما احتج علي المؤيد ممثل الحكومة اليمنية بالجامعة العربية على ما نشرته صحيفة الاخوان المسلمين من انباء مختلقة بحق الامام واخبار الوزارة الجديدة، وما ترتب عليه من دعوى قلب نظام الحكم، وبعد ظهور عدم صحة الخبر قام حسين الويسي وزير المواصلات في الحكومة الجديدة بنشر خبر التكذيب في صحيفة المصري يوم 17 كانون الثاني 1948[4].

وصلت برقيات التهنئة الى يد الامام يحيى، كما وصل اليه «الميثاق الوطني المقدس»، فوجدها فرصة سانحة لاعتقال عبد الله بن احمد الوزير وصحبه، وانها وثيقة يستطيع اقناع الملك عبد العزيز بها وغيره ان عارضوا قراره[5]، وفي 20 كانون الثاني وفي مجلسه قام الامام يحيى باعطاء ابن الوزير حزمة البرقيات[6]، لكن الاخير استطاع التنصل من صلته بمن في عدن ومن يتصل بهم وبالميثاق، وحلف الايمان المغلظة للامام يحيى بذلك، ولولا ذلك لقُضي عليه[7]، لاسيما ان شكوك الامام كانت تغلف علاقته بعبد الله الوزير الذي وطد علاقته بالفضيل ومن يتصل به[8]. ثم حرر عبد الله بن احمد الوزير كلمة اعلن فيها تكذيبه لما نشر، ونشر التكذيب بامر من الامام يحيى في جريدة الايمان، وتظاهر الامام يحيى باقتناعه بكلام ابن الوزير؛ الا انه امر باستعجال وصول ولي عهده من تعز الى صنعاء ليقوم بنفسه باعتقال عبد الله بن احمد الوزير وغيره من المشتبه بهم[9].

(1) سلطان ناجي، دور جريدة فتاة الجزيرة في احداث سنة 1948 بصنعاء، المصدر السابق، ص56.
(2) – محمد يحيى الحداد، التاريخ العام لليمن، اليمن الحديث والمعاصر، مج 3، ط1، مكتبة الارشاد، الجمهورية اليمنية، 2008، ص121.
(3) – سيد مصطفى سالم، تكوين اليمن الحديث، 1–اليمن والامام يحيى 1948–1904، ط4، دار الامين للنشر والتوزيع، القاهرة، 1993، ص498.
(4) – سلطان ناجي، دور جريدة فتاة الجزيرة في احداث سنة 1948 بصنعاء، المصدر السابق، ص57–56.
(5)– محمد يحيى الحداد، المصدر السابق، ص121.
(6) – عبد الله السلال واخرون، المصدر السابق، ص86.
(7) – سلطان ناجي، دور جريدة فتاة الجزيرة في احداث سنة 1948 بصنعاء، المصدر السابق، ص57.
(8) – حماده حسني، المصدر السابق، ص50.
(9) – محمد يحيى الحداد، المصدر السابق، ص122.

أولاً: ثورة 1948 الدستورية

خاف رجال المعارضة من رد فعل الامام يحيى بعد انكشاف خططهم ورجالهم، فوضع الاحرار خطة ثانية بعد الاشاعة الكاذبة[1]، ودبر الثوار امرهم واجتمعوا في صنعاء في منزل ابن الوزير بحضور الفضيل الورتلاني وجمال جميل وقرروا قتل الامام غداة اليوم التالي عند خروجه حول صنعاء، وقتل ولي العهد احمد بتعز بالتوقيت ذاته، وتم تعيين الاشخاص الذين سوف يقومون بالمهمتين[2]، وقرأ عبد الله بن علي الوزير على من اختاروهم لقتل الامام فتوى العلماء في قتل الامام يحيى. ويذكر اخرون انه قرأ عليهم حكماً شرعياً اصدره حاكم المقام محمد بن محمد الوزير وزيد الموشكي وصادق عليه عبد الله بن احمد الوزير[3].

قرر ولي العهد البقاء خارج صنعاء –مكان الخطر الرئيس– ففي ذلك نجاته في حالة قيام ثورة يمنية، واستطاع مراوغة ابيه بالوصول الى صنعاء الى ان قام الثوار بتنفيذ مخططهم. وتم قتل الامام يحيى يوم الثلاثاء المصادف 17 شباط 1948 في سواد حزيز وهو في طريق عودته من جولته التفقدية اليومية على بعد كيلومترات عدة من صنعاء، وقتل مع الامام كل من كان في سيارته وهم: كبير وزرائه القاضي عبد الله بن حسين العمري وحفيده الحسين بن الحسن وسائق الامام وخادمه، ونفذ المهمة علي بن ناصر القردعي ومحمد بن قايد الحسيني ورفاقهما. وفشل المكلفون بقتل ولي العهد في تعز، بل استطاع مغادرتها الى حجة استعداداً للمقاومة واخماد الثورة[4]. وقتل في اليوم ذاته ولدا الامام يحيى سيفا الاسلام الحسين والمحسن اثناء مواجهتهم مع القائد العسكري جمال جميل امام قصر دار السعادة بصنعاء[5].

كان للقائم باعمال المفوضية الامريكية في جدة ريفز شايلدز (Rives Childs) رأي اخر بشأن قتلة الامام، وهم بحسب ما ذكره في برقية: «**قام بالاغتيال ضابطان يمنيان و26 جندياً. والضابط الرئيسي هو المقدم غالب سري –من اصل تركي ومساعده ابن السلال، من اصل يمني درس في العراق– ودبر الاغتيال جمال جميل مدير الامن العام**

(1) – سناء محمد حسن، العلاقات اليمنية–البريطانية (1967–1948)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، 2010، ص32.

(2) سيد مصطفى سالم، المصدر السابق، ص499–498؛ احمد حسين شرف الدين، اليمن عبر التاريخ (من القرن الرابع عشر قبل الميلاد الى القرن العشرين)، ط2، مطبعة السنة المحمدية، مصر، 1964، ص320.

(3) – عبد الله السلال واخرون، المصدر السابق، ص90.

(4) – محمد يحيى الحداد، المصدر السابق، ص122، 148، 149.

(5) – سناء محمد حسن، المصدر السابق، ص33

في اليمن. وهو عراقي»[1].

ومن الاهمية بمكان القول ان لجمال جميل دور بارز في ثورة 1948؛ من خلال نشر الروح الوطنية، ونصحه للامام يحيى بإدخال الإصلاحات، وكان له دور في الاعداد للثورة وقام بدوره كقائد عسكري للثورة[2]. كما مثل جمال جميل الاتجاهات القومية، معتقداً ان وجود الامام يحيى كان يشكل عقبة في سبيل تطوير اليمن مما جعله يدبر بنفسه عملية اغتيال الامام[3].

اذاع راديو صنعاء في 18 شباط عن قيام الثورة وتعين عبد الله الوزير –الذي لقب بالهادي– اماما دستوري للثورة، واذيع اسماء مجلس الوزراء ومجلس الشورى وكبار موظفي الدولة، كما اذيعت بنود «الميثاق الوطني المقدس»[4]. وجمع ابن الوزير العلماء واشراف صنعاء وقادة الجيش في قصر الامام طالبا منهم الاعتراف به اماماً[5]، بعد ان اعلن ان الامام يحيى مات موتة طبيعية بالسكتة القلبية، الا ان الحقيقة عرفت بعد ذلك[6]. ومما يجدر ذكره ان سيف الاسلام البدر محمد ابن ولي العهد احمد قام بمبايعة عبد الله احمد الوزير اماماً لليمن[7].

اذيع اول بيان لحكومة الثورة في مساء الخميس المصادف 19 شباط 1948، واشار الى ما تم اتفاق الجماهير والعلماء والقضاة بتنصيب عبد الله بن احمد الوزير امام شرعي برضاهم واختيارهم، ومبايعة مشايخ القبائل ورؤساء العشائر له في السلم والحرب. وشكلت الحكومة الجديدة مجلس الوزراء برئاسة عبد الله بن علي الوزير، وشكل مجلس الشورى برئاسة سيف الحق ابراهيم، واختارت (60) شخصاً عالماً وفقيهاً من نخبة اليمنيين اعضاء فيه[8].

ارسل ابن الوزير كتبا كثيرة الى رؤساء الدول العربية وملوكها، فضلاً عن امانة جامعة الدول العربية اعرب فيها عن استعداده للاسترشاد بآراء جامعة الدول العربية في حدود ميثاقها، كما طلب منها فضلاً عن التأييد ارسال طائرات لاقرار الحال واستتباب الامن

(1) – محسن محمد، من قتل حسن البنا؟، ط2، دار الشروق، القاهرة، 1987، ص240.
(2) – عبد الله السلال واخرون، المصدر السابق، ص48.
(3) – فاروق عثمان أباظة، بريطانيا والحركة الوطنية في الشطر الجنوبي من اليمن 1967–1939م، دار المعارف، القاهرة، 1988، ص124.
(4) – عبد الله السلال واخرون، المصدر السابق، ص99.
(5) – سناء محمد حسن، المصدر السابق، ص33.
(6) – سيد مصطفى سالم، المصدر السابق، ص499.
(7) – جبار شيال فهد، اليمن في عهد الامام احمد بن يحيى حميد الدين، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية، جامعة بغداد، 2014، ص19.
(8) – سناء محمد حسن، المصدر السابق، ص34–33.

في اليمن. وطلب رجال الثورة من الامين العام لجامعة الدول العربية من خلال برقية ارسلها حسين الكبسي –وزير خارجية ابن الوزير– زيارة اليمن لمشاهدة البناء الجديد والحكومة الديمقراطية، لكن الامانة العامة فضلت ارسال بعثة تمهيدية الى صنعاء[1]. كما ابرق الكبسي الى حكومة عدن –البريطانية– برقية احتوت على ان الحكومة يسرها قيام علاقات صداقة مع بريطانيا دون غيرها[2].

ارسل ولي العهد احمد رسالة الى ابن الوزير وهو في طريقه من تعز الى حجة، جاء فيها: «**من امير المؤمنين المؤيد بالله الناصر احمد.. الى الناكث الذليل الحقير عبد الله الوزير. لقد ركبت مركبا صعبا عن طريق الغدر والخيانة وانك ستسقط الى الهاوية في القريب ذليلا حقيرا واني زاحف اليك بانصار الله التي سترى نفسك تحت ضرباتهم معفرا مزيدا ولا يحيق المكر السيّئ الا باهله والعاقبة للمتقين والله المستعان**»[3]. كما ارسل من الحديدة في طريقه الى حجة رسالة الى الملك عبد العزيز ابن سعود بواسطة حاكم الحديدة حسين الحلالي؛ اعلمه فيها بالحادث وخطورته التي لا تقف عند اليمن لان الثورة ومقتل ابيه وليد حركة: «**من يسمون انفسهم بالاحرار والاخوان المسلمين وكلاهما خطر على العروش والاسر والملوك وعلى الدين**»، وطلب من ابن سعود ان يتناسى عن ما كان بينهما من خلاف، وان اليوم غير الامس، وانه سيكون له ابناً اذا رضي ابن سعود ان يكون له اباً، واستمد منه النجدة والمؤازرة. فامر ابن سعود امير جيزان بان ينجد ولي العهد احمد بكل ما طلب[4]. ووصل ولي العهد حجة في 20 شباط 1948[5]، فلم يكد يصلها ويستقر بها الا وارسل اليه امير جيزان رسالة من الملك السعودي يبلغه فيها مؤازرته وحثه على خوض المعركة في استبسال، ووعده بالمساعدة الى اخر نفس وريال، وكانت الرسالة مصحوبة باول نجدة لولي العهد من امير جيزان وهي ذخيرة ومال وجهاز لاسلكي[6].

وصلت بعثة جامعة الدول العربية التمهيدية صنعاء في 22 شباط 1948[7]، وضمت البعثة عبد المنعم مصطفى احد كبار موظفي وزارة الخارجية المصرية رئيساً –اختير

(1) – سيد مصطفى سالم، المصدر السابق، ص500–499.
(2) – سناء محمد حسن، المصدر السابق، ص34؛ سيد مصطفى سالم، المصدر السابق، ص503.
(3) – سلطان ناجي، التاريخ العسكري لليمن 1967–1839، ط2، دار العودة، بيروت، 1988، ص183–182.
(4) – سلطان ناجي، التاريخ العسكري لليمن 1967–1839، المصدر السابق، ص183.
(5) – سعيد احمد الجناحي، الحركة الوطنية اليمنية من الثورة الى الوحدة، ط1، مركز الامل للدراسات والنشر، الجمهورية اليمنية، 1992، ص94.
(6) – سلطان ناجي، التاريخ العسكري لليمن 1967–1839، المصدر السابق، ص183.
(7) – جبار شيال فهد، المصدر السابق، ص13؛ دولة صالح علي حسن الورد، العلاقات الخارجية للمملكة المتوكلية اليمنية 1962–1918م، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة صنعاء، الجمهورية اليمنية، 2007، ص170.

فيما بعد امينا مساعدا للجامعة العربية– وحسن اسماعيل المستشار التجاري للمفوضية المصرية في برن عضواً، وقاد الطائرة قائد السرب عبد اللطيف البغدادي –احد اعضاء مجلس الثورة المصري بعد ثورة 1952–[1]. وفي 24 شباط 1948 ارسل الوفد برقية الى الامين العام لجامعة الدول العربية عبد الرحمن عزام باشا (1945–1952)[2]، نصحه فيها بقدومه مع وفد الدول العربية الى صنعاء، واوضح ان الحالة مستتبة للعهد الجديد[3].

استطاع ولي العهد احمد من تجميع القبائل الشمالية حوله مستغلاً فقرها وحاجتها، من خلال الاعفاءات الضريبية والاعانات السنوية، كما صدم اغتيال الامام يحيى بطل الكفاح ضد الاتراك اليمنيين بصدمة عميقة، حتى اولئك الذين كرهوا حكمه، ورفض رجال العشائر مثل ابناء أرحب الذين تعهدوا بدعم ابن الوزير عندما سمعوا بوفاة يحيى المأسوية، فضلاً عن تغيير والي الطويلة الحليف القوي للوزير من موقفه للقتال مع ولي العهد احمد[4] الذي لم يجد سبباً لتحشيد القبائل من اجله افضل من تهويل مقتل ابيه وانه كان مؤامرة «**نصرانية كفرية يراد بها بيع اليمن من الكفار الذين سيمحون الاسلام**». واباح للقبائل نهب المدن المختلفة ولاسيما صنعاء بما فيها من مخازن وقصور خاصة بالحكومة، فاحرز ولي العهد بذلك نجاحاً في زحفه الى صنعاء حتى حاصرها، واصبح مركز الحكم الجديد حرجاً للغاية[5].

وعلى اثر ذلك ارسل الامام عبد الله بن احمد الوزير برقية الى ملوك ورؤساء الدول العربية مستنجداً بهم [6]، وارسل الى الملك السعودي عبد العزيز لاقناعه بمساندة حكومته ومدها بالاسلحة والمدفعية بعد ان احاطت القبائل بصنعاء، كما استنجد بالجامعة العربية طالبا منها الاسراع بارسال الاسلحة والطائرات والدبابات لرد القبائل، لكنه لم يتلق

(1) – حماده حسني، المصدر السابق، ص74.

(2) – **عبد الرحمن عزام (1894–1976)**: اول امين عام لجامعة الدول العربية، ولد لعائلة من الفلاحين في محافظة الجيزة، شارك في حروب كثيرة مع العثمانيين في البلقان، وفي برقة وطرابلس. درس الطب، وكان صحافياً، ساهم في وضع ميثاق جامعة الدول العربية، ويعده البعض صاحب فكرة تأسيس الجامعة العربية، توفي في مصرعن عمر يناهز (81) عاماً. للمزيد ينظر: جميل عارف، صفحات من المذكرات السرية لاول امين عام للجامعة العربية عبد الرحمن عزام، ج1، المكتب المصري الحديث، القاهرة، (د.ت)، ص39 وما بعدها.

(3) – صفوت حسين، المصدر السابق.

(4) – A. Z. al–Abdin, Op. Cit., p45.

(5) – سلطان ناجي، التاريخ العسكري لليمن 1967–1839، المصدر السابق، ص183؛ سيد مصطفى سالم، المصدر السابق، ص500.

(6) – جاء فيها: «**صنعاء عاصمة اليمن في خطر عظيم من القبائل المتوحشة. وهم غير تابعين لاحد، هدفهم السلب والنهب والقتل، عقيدتهم ان صنعاء كنز ذهبي، فباسم الاطفال والنساء والشيوخ ندعوكم لانقاذهم باي وسيلة وبكل سرعة**». ينظر: سلطان ناجي، التاريخ العسكري لليمن 1967–1839، المصدر السابق، ص185.

استجابة لا من الجامعة العربية ولا من الملك السعودي[1]. وكان ولي العهد احمد قد سبقه في ذلك، اذ ابرق الى مندوب اليمن في الجامعة العربية برقيتين، امره في الاولى بان يبلغ» **«من يلزم ومن يهمهم الامر في مصر بانه يجب الا تقوم أية طائرة الى صنعاء لان القبائل كلها والجيش ثائرون معنا والحرب قائمة الان»**، واخبره في الثانية بان: **«صنعاء الان شبه محصورة من جميع الجهات واكثر الجيش النظامي قد وصل الينا بمعداته من جميع المراكز الخارجية وفرارها بالسلاح من صنعاء جار الينا»**[2].

غادرت بعثة جامعة الدول العربية مصر يوم 28 شباط 1948 برئاسة الامين العام لجامعة الدول العربية عبد الرحمن عزام[3] متوجهين الى جدة لمقابلة ابن سعود وثم المغادرة الى ميناء الحديدة اليمني، واستقبلهم في جدة الامير فيصل بن عبد العزيز آل سعود وزير الخارجية السعودي (1930–1960)، وابلغهم بخطورة الموقف في اليمن، واقترح عليهم اداء العمرة اولا، كما دعاهم ابن سعود الى زيارة الرياض[4].

في تلك الاثناء، وبعد 18 يوماً من الثورة، غادر وفد الامام عبد الله بن احمد الوزير الى المملكة العربية السعودية لمقابلة ابن سعود، ومقابلة وفد الجامعة لاستعجالهم بدخول اليمن. وكان الوفد برئاسة عبد الله بن علي الوزير وعضوية محمد محمود الزبيري والفضيل الورتلاني[5].

تم اللقاء بين وفد الجامعة العربية وابن سعود في 4 اذار 1948[6]، وكان هدف الاخير من هذا اللقاء عرقلة الوفد ومنعه من دخول اليمن في الوقت المناسب، وافهم الوفد بان الوضع في اليمن قد التهب بعدما بدأ ولي العهد بالاستيلاء على الحكم، وان مطار صنعاء حرقه البدو وبعض العناصر الفوضوية، ففضل الوفد ان ينتظر ليرى ما يستقر عليه الامر في اليمن. فنجحت خطة ابن سعود في تعطيل وفد الجامعة العربية لكيلا يقوى ساعد الثورة. ومنع وفد صنعاء؛ بالاتفاق مع القاهرة وعمان على الا يقابل الوفد امين الجامعة في الرياض بحجة مرض الامين، ففشل الوفد في توضيح اغراض الثورة ومطالبها، فضلاً عن ذلك فان الملك السعودي ساعد ولي العهد احمد بالمال

(1) – محمد يحيى الحداد، المصدر السابق، ص154.
(2) – سلطان ناجي، التاريخ العسكري لليمن 1967–1839، المصدر السابق، ص185.
(3)– كان اعضاء الوفد: الشيخ يوسف ياسين نائب وزير الخارجية السعودي، حسين حسني السكرتير الخاص للملك فاروق، وعبد الجليل الراوي عن العراق، ومظهر ارسلان عن سوريا، وتقي الدين الصلح عن لبنان، ومدحت جمعه عن المملكة الاردنية الهاشمية. للمزيد ينظر: محسن محمد، المصدر السابق، ص250.
(4) – جبار شيال فهد، المصدر السابق، ص13؛ صفوت حسين، المصدر السابق.
(5) – محمود عبد الحليم، الاخوان المسلمون احداث صنعت التاريخ رؤية من الداخل، ج، 1952–1948، ط5، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، الاسكندرية، 1994، ص405؛ سعيد احمد الجناحي، المصدر السابق، ص98.
(6) – محمود عبد الحليم، المصدر السابق، ص405.

والسلاح[1]. ليتمكن من حسم الامور لصالحه. واسرع ولي العهد احمد بارسال مندوب الى الرياض بهدف اللقاء بوفد الجامعة في الوقت الذي كان يفترض فيه انتظار وصوله الى صنعاء[2]. عاد الوفد الى جده يوم 12 اذار واستقر فيها.[3]

والحقيقة أن لمصر موقفا معادياً للثورة كان وراء عدم وصول البعثة في وقتها المناسب الى اليمن، اذ رأى القصر الملكي في مصر ان اشتراك احد الاخوان المسلمين في «المؤامرة» يعد دليلا على خطورتها بالنسبة لاوضاع مصر الداخلية[4].

وقف الملك ابن سعود من الثورة موقفاً عدائياً صريحاً، فهو بداية لم يرد على برقية ابن الوزير له بعد قيام الثورة، ثم قابل وفد ابن الوزير الذي زار الرياض طلباً للمساعدة ببرود شديد، اذ كان يخشى من انتشار هذه الافكار والاعمال الثورية في بقاع الجزيرة، فوقف موقفاً عدائياً من الثورة ورجالها، وبذكاء ابن سعود وسياسته سمح للوفد بالتكلم في اجتماع عام شارحا اعمال الثورة واغراضها، وفي نهاية حديثهم صرخ ابن سعود في وجه اعضاء الوفد غاضباً: «**كيف تستطيعون الحضور إلي وتطلبون معونتي وانا صديق سيدكم**» ثم اشار باصبعه اليهم وقال: «**انتم ايها الناس قتلة.. وقد اتيتم إلي كضيوف عندي، واسمعتموني ما عندكم، وانا لا استطيع الا ان اقول لكم: اتركوا بلادي**»[5]. رأى ابن سعود ان استخدام العنف في تغيير السلطة الشرعية يعد امرا ينذر بالخطر، لذلك عنف وفد ابن الوزير ووصفهم بـ «القتلة»[6].

ويتضح مما سبق ان ابن سعود كان يعلم أنه لو قدر لهذه الثورة النجاح فإن افكار الاخوان المسلمين سوف تنتشر تباعاً في المنطقة لاسيما ان الثورة اليمنية قامت بمساعدة الاخوان المسلمين وان اغلب رجال الثورة هم اعضاء في جماعة الاخوان، وبذلك لا يستطيع ايقاف الزحف الاخواني الثوري داخل العربية السعودية. كما ان الثورة اليمنية بحد ذاتها خطرة على النظم الملكية في الجزيرة العربية بخاصة وفي المنطقة العربية بعامة والذي جعلها غير محببة قيام الثوار بقتل الامام يحيى الطاعن في السن، فضلاً عن ذلك تشابه الانظمة الحاكمة في المملكتين لاسيما مسألة ولاية العهد.

وهناك سبب اخر لموقف الملك السعودي من الثورة وهو ان بريطانيا طلبت من ابن

(1) – سيد مصطفى سالم، المصدر السابق، ص501.
(2) – دولة صالح علي حسن الورد، المصدر السابق، ص172.
(3) – محسن محمد، المصدر السابق، ص251.
(4) – فاروق عثمان أباظة، المصدر السابق، ص127
(5) – سيد مصطفى سالم، المصدر السابق، ص501–500.
(6) – فاروق عثمان أباظة، المصدر السابق، ص127.

سعود وعداً مسبقاً بعدم تدخله في مشكلات اليمن بعد وفاة الامام يحيى، بهدف عدم فتح المجال للتغلغل الامريكي في اليمن[1]. غير ان الولايات المتحدة الامريكية اثرت بهذا الشأن على الحكومة السعودية القاضي ببقاء حكم آل حميد الدين في وقت كانت الولايات المتحدة الامريكية فيه على وشك توقيع اتفاقية مع الحكومة اليمنية عن طريق سيف الاسلام عبد الله بشأن التنقيب عن النفط في اليمن[2].

وبذلك، استطاع ولي العهد احمد من الحصول على الدعم الخارجي بتقديم الملك السعودي ابن سعود والملك المصري فاروق والاردني عبد الله الدعم المالي والعسكري له، اذ كان من مصلحتهم استقرار الانظمة الملكية[3].

يرى جماعة الاخوان ان الملك فاروق اشترك مع الملك السعودي على احباط ثورة اليمن التي رأوا فيها ثورة ضد الملكية، ومن ثم عدوا العدة للقضاء على «مدبريها وهم الاخوان المسلمون» الذين بلغت قوتهم لدرجة انهم «يقيمون الدول ويسقطونها»[4].

وبعد حصار دام عشرة ايام دخل ولي العهد احمد والسيوف الحسن والعباس مدينة صنعاء في 14 اذار 1948 برفقة الفرق القبلية التي وعدوها بنهب المدينة بعد الاستيلاء عليها، وفي 15 اذار بايع مجلس علماء العاصمة احمد اماماً وملكاً لليمن، وتخليداً لذكرى والده المتوكل على الله سمي اليمن رسمياً «المملكة المتوكلية اليمنية». وعوقب بالاعدام وزج في السجون الكثير من منظمي وانصار ثورة عام 1948، ومن بين الذين تم اعدامهم: عبد الله بن احمد الوزير واقرب اقربائه، وحسين الكبيسي، وزيد الموشكي، ومحيي الدين العنسي، وغيرهم[5]، وزج في سجن حجة كل من احمد النعمان، عبد الرحمن الارياني، احمد المروني، عبد السلام صبره، وعبد الله السلال، واخرين[6]. ونجا من الاعتقال محمد محمود الزبيري وعبد الله بن علي الوزير والفضيل الورتلاني لوجودهم في العربية السعودية لطلب المساعدة ولقاء وفد الجامعة العربية[7].

وهنا لابد من التشكيك بموقف الزبيري وعبد الله بن الوزير والورتلاني، فاذا كان

(1) – سناء محمد حسن، المصدر السابق، ص41.
(2) – دولة صالح علي حسن الورد، المصدر السابق، ص172.
(3) – مجموعة من المؤلفين السوفيت، تاريخ اليمن المعاصر 1917–1982، ترجمة محمد علي البحر، مراجعة محمد احمد علي، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991، ص86.
(4) – محمود عبد الحليم، المصدر السابق، ص407.
(5) – للمزيد عن شهداء 1948 ينظر: عبد الله السلال واخرون، المصدر السابق، ص155–143؛ عبد الفتاح محمد البتول، المصدر السابق، ص321.
(6) – مجموعة من المؤلفين السوفيت، المصدر السابق، ص87–86؛ احمد حسين شرف الدين، المصدر السابق، ص323–322.
(7) – محمد يحيى الحداد، المصدر السابق، ص154.

وصولهم الى المملكة العربية السعودية يوم 29 شباط 1948 وبعد لقائهم بابن السعود، ومعرفتهم بموقفه ازاء الثورة، فضلاً عن موقف الوفد العربي، فانهم وبلا شك آثروا البقاء في العربية السعودية وعدم العودة الى اليمن، وهو هروب صريح.

اما سيف الحق ابراهيم فانه سجن في قصر صغير بجوار قصر الامام في حجة، ومات بعد حوالي ثلاثة اشهر مسموماً[1]. واما جمال جميل فهو اول من عينته حكومة الثورة قائداً عاماً للجيش اليمني ومديراً للامن العام، كان من اوائل الذين قطع رؤوسهم سيف جلاد الامام احمد بعد انتصاره[2]. وعلى مدى ثلاثة ايام من سقوط صنعاء تم اعتقال ما يقارب (1000) شخصاً من العلماء والادباء والضباط والتجار والمثقفين والمشايخ وشباب المدرسة العلمية وطلاب الكلية الحربية والاشارة والفدائيين القادمين من عدن لنصرة الثورة، واستمرت الاعتقالات اياماً[3].

سار الامام احمد في الطريق والاسلوب ذاته الذي سار عليهما والده، فكان عهده امتداداً لعهد الامام يحيى، وهذا يدل على مدى اثر الامام يحيى في تاريخ اليمن الحديث[4].

ورداً للجميل الذي قامت به بعض الدول العربية ارسل الامام احمد اخاه سيف الاسلام عبد الله الى القاهرة في 18 اذار 1948 ليشكر الملك المصري فاروق، وارسله في 13 ايار من العام ذاته الى الرياض ودمشق للغرض ذاته. اما جامعة الدول العربية ففي اجتماع لها في بيروت في 21 اذار 1948 اعترفت بالامام احمد اماماً شرعياً على اليمن، خوفاً من امتداد خطر الثورة الى الدول الاخرى[5].

ان احد اهم اسباب فشل الثورة الدستورية ان عبد الله الوزير بعد مبايعته اماماً دستورياً، وتتابع برقيات التهنئة والتأييد عليه من الداخل والخارج، فضلاً عن الاعتراف بحكومته، وتوافد الثوار عليه لمبايعته جعله يتساهل في امر الخروج على ولي العهد احمد ومنازلته، الى ان استطاع ولي العهد احمد من دخول صنعاء مع القبائل[6].

وبالرغم من فشل الثورة الدستورية التي اعيد من جديد على اثر فشلها النظام الاتوقراطي الى البلاد لبيت حميد الدين المعتمد على القمة الدينية الاقطاعية الزيدية، وعلى قادة القبائل الزيدية في شمال وشرق البلاد، فان ثورة 1948 كان لها دور كبير

(1) – سيد مصطفى سالم، المصدر السابق، ص502؛ جبار شيال فهد، المصدر السابق، ص15
(2) – سلطان ناجي، التاريخ العسكري لليمن 1967–1839، المصدر السابق، ص122.
(3) – عبد الله السلال واخرون، المصدر السابق، 135.
(4) – سيد مصطفى سالم، المصدر السابق، ص505.
(5)– سناء محمد حسن، المصدر السابق، ص48.
(6) – محمد يحيى الحداد، المصدر السابق، ص124–123.

في تاريخ اليمن، اذ عدت اكبر تمرد بعد الحرب العالمية الثانية 1945–1936 لممثلي طبقات وفئات المجتمع اليمني، ومحاولتهم الاولى للقضاء على النظام المستبد. كما ايقظت الثورة وعي جماهير غفيرة من سكان اليمن بقدرة الشعب اذا اراد تقرير مصيره وتحمل المسؤولية[1].

واجمع اغلب الباحثين والاكاديميين على ان الحركة التي قامت عام 1948 على الصعيد السياسي هي ثورة من حيث الدلالات التاريخية التي احتملتها في تاريخ اليمن السياسي، وفي النتائج العميقة التي احدثتها في مسيرة الحركة الوطنية اليمنية بعد قيامها، وانها ثورة سياسية اصلاحية قام بها طلائع الاحرار، لكن لم يقدر لها النجاح حتى تصبح ثورة شاملة، ومع ذلك فانها تمتلك خصائص الحركة وخصائص الانقلاب. وعرفها الاحرار بانها ثورة لانها غيرت الاساس الايديولوجي للحكم من اساس فردي ديني الى اساس دستوري شوري، كما ان تركيب القوى التي قامت بالثورة وما كان يحتويه من متناقضات وتباين في المواقف كان يرمز الى احتمالات واسعة لتطورات كثيرة من شأنها تعميق هوية الثورة لو قدر لها النجاح[2].

ثانياً: دور جماعة الاخوان المسلمين في الثورة اليمنية

اعلن الاخوان المسلمون تأييدهم للثورة في اليمن منذ اليوم الاول، وهنأ المركز العام وصحيفة الجماعة «**الامة اليمنية الشقيقة بنظامها الجديد وامامها الصالح**»[3] ونشطوا في مصر والعراق وسوريا يحركون رجالهم لمطالبة دول الجامعة العربية بالاعتراف بعبد الله بن احمد الوزير وحكومته. وأبرق حسن البنا للإمام الجديد برقية تهنئة، واذيعت برقيته من اذاعة صنعاء. ومدحت صحيفة الاخوان الامام الجديد بافضل الصفات الحميدة، وقالت الصحيفة ان الثورة أُمنية الجميع لذلك لا ينتظر ان تحدث حروب اهلية او ثورات داخلية «**فان الوضع الجديد اختمر في النفوس والرؤوس من قبل**»[4].

ومن الجدير بالذكر ان منفذي قتل الامام يحيى كانوا يستقلون احدى سيارات شركة الفضيل الورتلاني التي هيأها لهم علي السنيدار ومحمد الكبوس[5].

واختارت الثورة احد اعضاء البعثة التعليمية المصرية في اليمن من جماعة الاخوان

(1) – مجموعة من المؤلفين السوفيت، المصدر السابق، ص87.
(2) – محمد يحيى الحداد، المصدر السابق، ص137، 140–139.
(3) – حماده حسني، المصدر السابق، ص72.
(4) – محسن محمد، المصدر السابق، ص245.
(5) – حماده حسني، المصدر السابق، ص67.

مصطفى الشكعة[1] مديراً للاذاعة، الذي جعلها تعمل اربع ساعات يوميا، وكان يقوم فيها بدور المذيع والمقرئ والمطرب ومعد الاحاديث ونشرات الاخبار[2]. وهنا يجب التنويه ان اخر بعثة مصرية ارسلت الى اليمن بناء على اتفاق مسبق تم بين حسن البنا والبدر محمد عندما كان الاخير في مصر للعلاج، ووصلت البعثة في بداية كانون الثاني 1948، مؤلفة من (14) مدرساً في التخصصات المختلفة وارسلت على دفعتين، وزعت الدفعة الاولى في صنعاء، والثانية وزعت في المحافظات الاخرى[3].

ونشرت صحيفة الاخوان المسلمين نص الميثاق الوطني للحكومة الدستورية الجديدة باليمن في 20 شباط 1948[4]، معلنة انها تنفرد بهذا النشر لا في مصر وحدها بل في بلاد الارض جميعها[5].

وهذا دليل واضح على وجود الميثاق الوطني المقدس لدى الاخوان المسلمين في القاهرة، وان ما ذكره الورتلاني كان صحيحا بأن الجماعة شاركت في اعداد الميثاق، ثم ارسل –كما بينا– نسخة منه الى القاهرة للجماعة.

نشرت احدى الصحف المصرية في 21 شباط 1948 في صفحتها الاولى: «**الحكومة اليمنية الجديدة تدعو الشيخ حسن البنا لاستشارته**»، وذكرت ان الكبسي ارسل برقية لعزام وفيها: «**نرجو تفضلكم بوصولكم ومن تستحسنون حضوره من رجال الحكومات العربية، وعباقرة رجالها مثل الاستاذ البنا ومن ترون**»[6]

اكدت صحيفة الاخوان في 22 شباط تأييدها للثورة مرة اخرى، وقالت: «**ليس موقف الاخوان غامضاً ولا غريباً في هذه القضية من أولها الى آخرها... واليمن هادئة مطمئنة الى عهد الشورى والى القائمين عليه ولا ينقصها –حتى تستعيد تاريخها المجيد– الا ان تؤازرها الجامعة العربية ودولها**»[7].

وفي اطار مساعي الاخوان المسلمين لتدعيم الثورة ومساندتها، قرر مكتب الارشاد ايفاد وفد الى اليمن برئاسة حسن البنا واربعة اعضاء يختارهم البنا بنفسه، وفي 23 شباط

(1) – د. مصطفى الشكعة:كان احد اعلام التعليم الجامعي في مصر وفي جامعة بيروت العربية بعد تأسيسها عام 1960م.
(2) – محسن محمد، المصدر السابق، ص241؛ حماده حسني، المصدر السابق، ص69.
(3) – دولة صالح علي حسن الورد، المصدر السابق، ص157.
(4) – دولة صالح علي حسن الورد، المصدر السابق، ص168.
(5) – حماده حسني، المصدر السابق، ص72.
(6) – صفوت حسين، الاخوان المسلمون وثورة اليمن عام 1948، الموسوعة التاريخية الرسمية لجماعة الاخوان، com.ikhwanwiki.www
(7)– محسن محمد، المصدر السابق، ص246.

قابل البنا امين عام جامعة الدول العربية للاتفاق معه على موعد سفر الوفد[1]. كما كان الاخوان في تلك الاثناء على اتصال بالامين العام للجامعة العربية لحثه على السفر الى صنعاء بالسرعة الممكنة؛ لكن دون جدوى، وعلى الرغم من ان الاخوان ارادوا ارسال وفد منهم الى اليمن لتعزيز مركز الحكومة الجديدة، الا انهم رأوا ان يعملوا جاهدين على قيام وفد من الجامعة بزيارة اليمن لان وجوده في صنعاء فيه كل التعزيز[2].

تحدث عبد اللطيف البغدادي قائد الطائرة الخاصة بنقل بعثة جامعة الدول العربية التمهيدية عن وجوده في اليمن قائلاً: «**استقرت البعثة اسبوعين في صنعاء عرفت خلالها ان جماعة الاخوان وراء الثورة**»[3]. اذ طلب منه حسن اسماعيل الذي كان من الاخوان المسلمين القاء منشورات على الاهالي في تعز والحديدة وغيرها من مدن اليمن لوجود ثورة مضادة، وكان سبب القاء المنشورات لتأييد الثورة ودعوة اليمنيين الى الهدوء والسكينة وتحكيم العقل، وانذار ولي العهد احمد ورجاله بان الثورة «ستصليهم نارا حامية»، ومجدت المنشورات –الحديث لا يزال للبغدادي– مبادئ الثورة في الحرية والعدالة والدستور، وان الثورة قامت ضد الظلم والطغيان وانقاذ البلاد من الاستبداد والجهل والفقر. ظن البغدادي ان تلك تعليمات عبد المنعم مصطفى، فالقى من الطائرة بالمنشورات ثلاث مرات في ثلاثة ايام، الا انه علم بعد ذلك ان حسن اسماعيل يعمل للثورة فابلغ عبد المنعم مصطفى بذلك قائلاً: «**قد اصبحنا طرفا في خصومات اليمن وثورته**». ونشرت صحيفة الاخوان في القاهرة ان الطائرة قامت بالقاء منشورات للجامعة العربية واخرى للحكومة في انحاء اليمن. الامر الذي ادى الى زعم البغدادي ان بالطائرة عطلا ولابد من الرحيل الى عدن لاصلاحها، وكان هدفه التوقف عن القاء المنشورات. وعندما عاد الى صنعاء وجد ان ولي العهد ورجاله قد اغاروا على صنعاء، وربما تصاب الطائرة بطلقات المهاجمين، كما قيل لهم انه: «**اذا دخل ولي العهد صنعاء فانه سيضع اعضاء الوفد في برميل مليء بالزيت المغلي**»، فعرض الامر على عبد المنعم مصطفى: «**ليس لنا دور في هذه العملية ويجب ان نرحل**». ورحلوا في اليوم التالي في ظروف جوية سيئة الى جدة ومنها الى القاهرة[4].

وهنا تجدر الإشارة إلى ان حسن اسماعيل المنتمي الى الاخوان المسلمين كان في زيارة الى اليمن يرافقه عبد العزيز محمود، كمندوبين للحاج سالم، لتأسيس شركة يمنية

(1) – صفوت حسين، المصدر السابق.
(2) – محمود عبد الحليم، المصدر السابق، ص405.
(3) – حماده حسني، المصدر السابق، ص74.
(4) – محسن محمد، المصدر السابق، ص250–249؛ حمادة حسني، المصدر السابق، ص74.

مصرية، والذي سبقهم الورتلاني الى اليمن لتأسيسها –كما سبق الاشارة– وانتهت تلك الزيارة قبل مدة وجيزة من قتل الامام يحيى. وفي 20 شباط اتصل حسن اسماعيل تلغرافيا بحسين الكبسي الذي اوضح خلال الاتصال ان السيف احمد غادر تعز وهو حاليا بدون مأوى، وان تعز خضعت للامام عبد الله، والاحوال هادئة وطيبة، وان ابن السيف احمد ارسل مبايعته للحكومة الجديدة[1].

التقى فيليب ايرلند (Philip W. Ireland) السكرتير الاول بالسفارة الامريكية في القاهرة في 27 شباط 1948 مع حسن البنا لبحث التطورات التي جرت في اليمن، ونقل فيليب عن البنا ان جماعة الاخوان المسلمين كان لهم دور في تنظيم الاحداث الاخيرة في اليمن، وانكر في المقابلة ان تكون السلطات البريطانية قدمت مساعدات لليمنين الاحرار؛ وان العمل الحقيقي كان من قبله هو ومنظمته، وليس للبريطانيين أي فضل اكثر من أي كان في اليمن[2].

وسأل فيليب، حسن البنا عن الاعلان الاول لوفاة الامام يحيى وكيف ان لائحة تشكيل الحكومة التي نشرتها صحيفة الاخوان المسلمين في 16 كانون الثاني 1948 جاءت مطابقة الى اللائحة الاخيرة التي نشرت في 19 شباط 1948، فاجاب البنا ان اللائحة الاولى لتشكيل الحكومة الجديدة ارسلت الى القاهرة وعدن قبل اشهر عدة مضت على اساس انه بتولي عبد الله الوزير السلطة في اليمن يتم نشر اللائحة والدستور[3].

وطلب البنا من السكرتير الاول فيليب ان تدعم الولايات المتحدة الامريكية للقوى الديمقراطية والليبرالية والحكومات الجديدة في الشرق الاوسط، ولذلك حثه على ان تعترف الولايات المتحدة الامريكية بالنظام الجديد في اليمن، كما ذكر له ان الاخوان المسلمين خططوا للثورة على مدى شهرين. بينما علق فيليب على ذلك، بانه يقترح على الحكومة الامريكية ان تعطي بعض الاعتبارات قبل ان تعترف بالنظام الجديد[4].

الا ان الولايات المتحدة الامريكية كان لها موقف اخر من احداث اليمن، اذ وصفت ما جرى في 17 شباط 1948 بانه اغتيال للامام واغتصاب قصير للسلطة من قبل زعيم المتمردين، الامر الذي ادى الى قطع اعتراف الولايات المتحدة باليمن منذ 4 اذار

(1) - صفوت حسين، المصدر السابق.
(2) – محمود محمد هملان الجبارات، العلاقات اليمنية الامريكية 1904م–1948م (عهد الامام يحيى حميد الدين)، ط1، (د.ن)، بيروت، 2008، ص300.
(3)– دولة صالح علي حسن الورد، المصدر السابق، ص182.
(4)– محمود محمد هملان الجبارات، المصدر السابق، ص301.

1946، وعدت الامام احمد هو الخليفة الشرعي للعرش بعد قمعه التمرد[1]، وان الحركة المضادة التي قام بها ولي العهد احمد ضد الثوار هي حرب اهلية قصيرة[2].

اعلن الامام عبد الله بن الوزير في حديث له في صحيفة «الاخوان المسلمين»: «**انه في غاية الشوق لرؤية المرشد العام. وانه –وإن كان قد رآه بالقلب– إلا أنه يود أن يراه رؤية العين. ولكم يكون مسروراً لو زار الشيخ البنا اليمن في عهد الشورى الدستورية ليستشيره ويستأنس برأيه تحقيقاً لايجاد الحكم الاسلامي الكامل**»[3].

كان من المقرر ذهاب حسن البنا الى صنعاء رغبة من الامام عبد الله بن احمد الوزير بحسب برقية ارسلها الكبسي بذلك الى البنا، جاء فيها: «**يرغب جلالة الامام في وصولكم شخصيا ونرجو ذلك بالحاح**» وقال «**الاسلام هو الصلة القوية التي لا تنفصم عراها ابد الابدين، واخوة الاسلام فوق كل أخوة**»[4].

ونظرا لذلك ذكر البنا الى فيليب ارلند بانه كان يتوقع السفر الى صنعاء بداية شهر اذار بالتعاون مع الجامعة العربية لاحلال السلام في اليمن، وانه يأمل وصوله قبل بعثة جامعة الدول العربية؛ ليتمكن من تهدئة القبائل «**التي تضم عدداً كبيراً من الاخوان المسلمين**» واقناعهم بدعم عبد الله بن احمد الوزير. ويحتمل ان احد اسباب ذهاب البنا الى اليمن محاولة اتمام المشروع الذي فشل الورتلاني في تنفيذه في اليمن، اذ حاول الورتلاني الحصول لشركة النقل المصرية على عقد احتكار للمواصلات في اليمن من الامام يحيى الامر الذي رفضه الاخير. لكن البنا لم يسافر الى صنعاء بسب منع الطيران المصري السفر الى اليمن، او هو الذي مُنع تحديداً من السفر الى صنعاء[5]، واكد على ذلك عبد القادر عودة وكيل الجماعة في مرافعته امام محكمة الجنايات في قضية اغتيال حسن البنا، قال: «**ان الحكومة المصرية نبهت على شركة مصر للطيران بمنع سفر المرشد العام**» وعلل ذلك «**بالخوف من ان تنتهي الامور في اليمن بغير ما يتمنى الجبابرة الطغاة**»[6].

---

(1)- Policy Statement Prepared in the Department of State, Foreign Relations of the United States, 1951, Secret, The Near East and Africa, Volume V, Document 682, Washington, February 8, 1951.P1194.

(2)- Recognition of Imam Ahmed of Yemen, Memorandum by the Secretary of State to the President, Foreign Relations of the United States, 1950, CONFIDENTIAL, The Near East, South Asia, and Africa, Volume V, Document 755, Washington, January 12, 1950, p1359.

(3)- محسن محمد، المصدر السابق، ص253.

(4)- حماده حسني، المصدر السابق، ص76.

(5)- دولة صالح علي حسن الورد، المصدر السابق، ص181، 184.

(6)-حماده حسني، المصدر السابق، ص77؛ محسن محمد، المصدر السابق، ص254.

وهذا ما اكد عليه وفد الاخوان بعد وصولهم الى اليمن في 3 اذار 1948؛ ان الحكومة المصرية منعت البنا من الوصول الى صنعاء، الذي كان سيأتي في تلك الطائرة، اذ ان الملوك مستاؤون من قتل الامام يحيى. لكن امين اسماعيل صرح ان مسؤولاً كبيراً –لم يذكر اسمه– نصح البنا بعدم السفر الى اليمن، لان سفره يعني عدم عودته، اذ سيدبر اغتياله في غمرة ما يحدث فيها من اضطرابات، وبهذا يتم التخلص من الاخوان بقضائهم على شخصه. ويبدو ان ابراهيم عبد الهادي الذي كان يشغل منصب رئيس الديوان الملكي آنذاك، هو المسؤول الذي قصده امين اسماعيل، اذ شهد ابراهيم عبد الهادي امام المحكمة في احدى قضايا الاخوان، ان حسن البنا جاء اليه وطلب ان يسافر الى اليمن في ايام ثورتها؛ ونصحه ان لا يسافر[1].

ولسبب او لاخر لم يسافر البنا الى اليمن، وهذه بداية الاخفاق للجماعة، اما مسألة انه اراد السفر الى اليمن لإكمال مشروع الورتلاني، فهو يبدو قليل الاقناع؛ فالمشروع في الاساس ما هو الا غاية للوصول الى اهداف سياسية في اليمن. ولكن هذا لا يعني ان المشروع ليس بفائدة اقتصادية للجماعة.

وصل وفد الاخوان الى اليمن برئاسة عبد الحكيم عابدين سكرتير عام جماعة الاخوان المسلمين في العالم الاسلامي، وكان في استقبالهم حسين الكبسي وزير الخارجية، ومحمد محمود الزبيري وزير المعارف، والفضيل الورتلاني مستشار الدولة العام[2]، فضلاً عن الامير محمد البدر ابن ولي العهد احمد، مما يدل على اهتمام الحكومة الجديدة بالاخوان، ورافق عابدين الى اليمن امين اسماعيل سكرتير تحرير صحيفة الاخوان، وعبد الرحمن نصر مدير وكالة الانباء العربية[3]. وكان الهدف من الزيارة تهنئة الامام الجديد الذي وعدهم بأنه سيلتزم حرفياً بالميثاق الوطني المقدس المتفق عليه، وتقديم الدعم المعنوي اللازم للحكومة، وإطلاع الإخوان على الوضع الحقيقي في البلاد[4]. وبرر الاخوان ان سفر عبد الحكيم عابدين الى اليمن كان تلبية لطلب حكومة الثورة، وفي كلتا الحالتين فان الاخوان استأجروا طائرة خاصة اقلتهم ومعهم مندوبو نقابة الصحفيين المصريين، ومكبرات للصوت بهدف مخاطبة القبائل والجماهير[5].

قام عبد الحكيم عابدين فور وصوله الى اليمن بدور خطيب الثورة عبر اذاعة صنعاء،

(1) – صفوت حسين، المصدر السابق
(2)– سعيد احمد الجناحي، المصدر السابق، ص95–94.
(3)– محسن محمد، المصدر السابق، ص247.
(4) – A. Z. al–Abdin, Op. Cit., p44.
(5)– محمود عبد الحليم، المصدر السابق، ص405.

وكان يساعده في الخطب ووضع برامج الاذاعة الاخوان المسلمون من المصريين الذي يعملون مدرسين في صنعاء[1]، وكانت غاية عبد الحكيم عابدين من ذلك العمل تحريض القبائل اليمنية للوقوف حول الامام ابن الوزير، وكان يعتقد ان البيوت اليمنية تمتلك جميعها اجهزة راديو وان صوته سوف يصل الى اليمنيين كافة، وحتى ان وصل لغايته فان الافكار الثورية لم تكن قد تبلورت في اذهان الناس[2]؛ وهذه احد اسباب فشل الثورة الرئيسة التي لم يراعها الاحرار.

ومن الاسباب الاخرى لفشل الثورة فكرة الاعتماد على الجامعة العربية، والقى هذه الفكرة عبد الحكيم عابدين من خلال ماكان ينقله للثوار من معلومات عن الجامعة العربية ونشاط الاخوان المسلمين الهادف الى تدعيم الوضع الجديد في اليمن[3]

وفي القاهرة تلقى سيف الاسلام عبد الله برقية من ولي العهد احمد يعترض فيها على نشاط الاخوان المسلمين في اليمن[4].

وفي الوقت ذاته ابرقت حكومة ابن الوزير الى الاخوان المسلمين تعلن عن تحويلها مبلغ مائة الف جنيه باسم الجماعة لشراء اسلحة ومعدات مختلفة –وقت كانت اليمن محاصرة من قبل القبائل– الا ان المبلغ لم يصل الى الاخوان نهائياً[5] واعترف المشرفون بذلك الاتفاق لكن نفوا استلام المبلغ المذكور[6].كما ارسلت الى عدن احمد حسين المروني من اجل الحصول على الدعم المالي من التجار اليمنيين فيها[7].

عندما شعر الاخوان بفشل الثورة طلب عبد الحكيم عابدين ان يلتقي بولي العهد احمد، الا ان ولي العهد احمد رد عليه بلغة فيها تهديد بان اللقاء سيكون في صنعاء، بسبب انشغاله انذاك[8].

تجمع المصريون من المدرسين وعوائلهم اثناء حصار صنعاء في منزل من طابقين وتسلحوا للدفاع عن انفسهم، وجعلوا من المنزل حصنا منيعا لهم[9]. كما انضم اليهم

(1)– محسن محمد، المصدر السابق، ص247؛ حماده حسني، المصدر السابق، ص73
(2) – دولة صالح علي حسن الورد، المصدر السابق، ص183.
(3)– احمد قايد الصائدي، حركة المعارضة اليمنية في عهد الامام يحيى بن محمد حميد الدين (1367–1322هـ – 1948–1904م)، ط1، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، 1983، ص218.
(4) – حماده حسني، المصدر السابق، ص77.
(5) – جبار شيال فهد، المصدر السابق، ص14.
(6)– دولة صالح علي حسن الورد، المصدر السابق، ص183.
(7) – جبار شيال فهد، المصدر السابق، ص14.
(8)– محمد ناجي احمد، الثورة اليمنية و «الاخوان»، موقع العربي، تاريخ النشر، 14 اذار 2017، اطلع عليه بتاريخ 22 ايار 2019، www.al-arabi.com
(9)– مركز الدراسات والبحوث اليمني –صنعاء، ثلاث وثائق عربية عن ثورة 1948، مصطفى الشكعة: مغامرات

عبد الحكيم عابدين وامين اسماعيل في ذلك المنزل الحصين[1]، وقاموا قبل دخول ولي العهد ورجال القبائل الى صنعاء بارسال نداءات واستغاثات الى مصر والدول العربية عن طريق موجات اثير اذاعة صنعاء والتي كان يلتقطها السفير المصري في جدة عبد الوهاب عزام الذي سارع بالاتصال بمصر التي ارسلت طائرتين حربيتين مصريتين لانقاذهم، لكن دخول القبائل الى صنعاء حال دون ذلك، اذ ملئت ارض المطار بالحفر ووضعوا فيه الخوازيق، كما اطلقوا طلقات الرصاص ضد الطائرتين التي اصيبت احداهما[2].

وبُلغ عبد اللطيف البغدادي بعد وصول الاغاثات من المصريين في صنعاء؛ بان عليه التحليق بطائرته فوق اليمن وان يطوف حول المطار لا أن يهبط فيه، فهي مجرد مناورة. والواضح من التعليمات ان حكومة مصر لم ترد انقاذ الاخوان المسلمين في صنعاء او انقاذ احد من الثوار، بل رأت ان تتظاهر بمحاولة الانقاذ فحسب[3].

وعند دخول القبائل الى صنعاء ونهبها دارت معركة بينهم وبين المصريين –البعثة التعليمية المصرية وبعثة الاخوان بعد الثورة– وانقلب المنزل الحصين الى سجن، وتعرض المصريون الى الجوع، الامر الذي ادى الى تأثر تلاميذهم الذي قاموا بجلب الطعام لهم سراً، كما تعاطف معهم اليهود الذين تفننوا في تهريب الطعام لهم، فضلاً عن بعض الاسر اليمنية. استمرت هذه الحال ثلاثة ايام كاملة حتى قيام احد السيوف بفك حبسهم واسعاف الاطفال بالماء[4].

ادعى البنا ان مبعوثه عبد الحكيم عابدين ورفاقه الى اليمن يقومون بمهمة اعلامية ووساطة الهدف منها وقف اراقة دماء المسلمين، والى تحقيق المصالحة بين الاطراف المتنازعة، وفي مناسبة اخرى قال ان الدور الذي قام به الاخوان في الثورة منذ اليوم الاول والى ذلك الوقت لم يكن غير دور الناصح الامين. ولكن عندما بدأت بوادر فشل الثورة تظهر بوضوح تغيرت حدة لهجة حسن البنا واصبحت كلماته منتقاة بحذر وتستخدم لصالح الجماعة ونفى أي دور مشبوه للاخوان في اراقة الدماء بين المسلمين. وحرص البنا امام جامعة الدول العربية والحكومات العربية على تأكيد الدور الحقيقي للاخوان المسلمين في اليمن، اذ ارسل الى امين عام الجامعة العربية والى الملك الاردني رسالة

مصري في مجاهل اليمن، ط2، دار العودة، بيروت، 1985، ص166.

(1) – حماده حسني، المصدر السابق، ص86.

(2) – مركز الدراسات والبحوث اليمني، المصدر السابق، ص180–179.

(3)– حماده حسني، المصدر السابق، ص87.

(4) – مركز الدراسات والبحوث اليمني، المصدر السابق، ص170، 176–175.

بتاريخ 14 اذار 1948 الهدف منها توضيح مهمة الاخوان المسلمين في اليمن وما يجب انجازه لاخماد نار الفتنة في اليمن، جاء فيها: «**كان من مهمة مندوب الاخوان المسلمين بصنعاء ان يقوم جاهداً باقناع رجال الحكومة اليمنية الجديدة بالعمل على اطفاء الفتنة باي وسيلة وتوحيد كلمة الامة وقد ابرق الي بالامس بانه وفق الى اقناع المسؤولين هناك بقبول تحكيم الجامعة العربية على اساس اعلان دستور يمني على قواعد الميثاق القومي واصدار عفو عام عن كل السياسيين الاحرار وغيرهم الى هذا التاريخ وتأليف الدولة الجديدة من الامير سيف الاسلام اماماً دستورياً اذا ما بايعه اهل الحل والعقد والسيد عبد الله بن الوزير رئيساً لمجلس الشورى وحكومة دستورية محددة التبعات والاختصاصات على النحو القائم مع حراسة الجامعة العربية لهذا النظام حتى تستقر الامور**»[1].

وابرق حسن البنا الى علي المؤيد برقية[2]، يطلب منه امكانية عودة بعثة الاخوان على نفقة المركز العام، وجاء فيها: « **أوفد المركز العام الأستاذ عبد الحكيم عابدين مندوبا عنه إلى اليمن العزيز، للتوفيق بين وجهات النظر وتقريب شقة الخلاف وحقن دماء المسلمين، وهو الواجب الذى يفرضه الإسلام كما تفرضه العروبة على كل مسلم عربي غيور على خير المسلمين وصالح العرب، كما أوفدت جريدة «الاخوان المسلمون» الأستاذ أمين إسماعيل مندوبا عنها لموافاتها بالأخبار، ونظرا لتطور الحوادث الأخيرة في اليمن واضطراب الأمن هناك، نرجو أن تتصلوا بالحكومة اليمنية لإحضار الأخوين المذكورين على نفقة المركز العام في أول فرصة**»[3].

اشتدت حملة سيف الاسلام عبد الله في القاهرة على الاخوان المسلمين، وندد بدورهم في الثورة، في الوقت الذي تحطمت فيه امال البنا في اقامة حكومة اسلامية في اليمن بعد قضاء الامام احمد على الثورة، فبدأت رسائل حسن البنا تتوالى على الامام احمد تحاول تخفيف اثار النكسة[4]، لا سيما بعد ان اتهم سيف الاسلام عبد الله صحيفة الاخوان بتأييد ابن الوزير، وقال لصحيفة البلاغ ان حكومة الثورة ارسلت مبلغ (100) الف جنيه الى الاخوان المسلمين[5].

(1)- دولة صالح علي حسن الورد، المصدر السابق، ص183.

(2) - ابرق قبلها برقية الى احمد خشبة وزير الخارجية المصرية احتوت على المضمون ذاته الذي ارسله الى علي المؤيد. للمزيد ينظر: جريدة الاخوان المسلمين اليومية، العدد 579، السنة الثانية، 8 جمادى الأولى 1367هـ- 19 اذار 1948، ص2. الموسوعة التاريخية الرسمية لجماعة الاخوان المسلمين، المصدر السابق.

(3)- المصدر نفسه.

(4)- حماده حسني، المصدر السابق، ص89.

(5) - محسن محمد، المصدر السابق، ص263-262.

فكانت البرقية الاولى من حسن البنا الى الامام احمد يشكره على حسن رعاية الامام لبعثة الاخوان في اليمن، واحتوت على رجائه للامام احمد لحث اخيه الامير عبد الله على عدم التأثر بتيار الحزبية المعادية للاخوان، ونصت البرقية على: «**أبرق إلي الإخوان الأستاذ عبد الحكيم عابدين والأستاذ أمين إسماعيل بأنهما في ضيافة جلالتكم ورعاية سيوف الإسلام الكرام بصنعاء حفظهم الله، فنشكر لجلالتكم ولسموهم كريم العناية بأمرهما، ونرجو التفضل بالاتصال بسمو سيف الإسلام عبد الله بالقاهرة، حتى لا يتأثر بالتيارات الحزبية المصرية ويدلى بأحاديث لا مصلحة فيها لأحد في مثل هذه الظروف الدقيقة**»[1].

فاجابه الامام احمد ببرقية اتهم فيه جماعة الاخوان بمشاركتهم بالثورة: «.. **يؤسفنا مع احترامنا لفضيلتكم ان يتهم حزب الاخوان المسلمين من قبل الشعب شعبنا اليمني بتهم خطيرة جداً وان ينكشف فضيل الورتلاني عن غدر وخيانة وهو رسولكم الذي ذكرتموه بالخير كما ذكره الحاج محمد سالم ولا قوة الا بالله**»[2] .

فما كان من حسن البنا الا ان انكر علاقة الاخوان المسلمين بالثورة ببرقية اخرى ارسلها الى الامام احمد بان ما وصل الى مسامع الامام ما هي الا وشاة من كاذبين يسعون للفتنة، كما انكر علاقة الفضيل الورتلاني بحركة الاخوان المسلمين، وادعى انه شهد للورتلاني بعدما رأى منه الخير في مصر، ونفى انه رسول للاخوان ولا حتى عضواً في الجماعة، فهو يعمل –بحسب قول البنا– مع كل الجماعات الاسلامية في القاهرة، ولا يعلم بالقلوب والسرائر الا الله، كما طلب في البرقية ذاتها من الامام موافقة جلالته على عودة الاخوان من اليمن لحاجة العمل اليهما[3].

اما الفضيل الورتلاني فله رأي اخر في علاقته بالبنا وانضمامه الى الجماعة: «**وكثرت الاجتماعات بيننا بعد ذلك، وتوطدت الصلة، فتعارفنا جيداً، وتصادقنا، ثم تآخينا في الله أخوة كاملة...**»[4].

يتضح من محاولات حسن البنا تلك انه كان يخشى انتباه مصر الى ان جماعة الاخوان دبروا ثورة؛ مما يفسر على انهم ربما يدبرون انقلاباً اخر في مصر. وبالفعل

(1) – جريدة الإخوان المسلمين اليومية، العدد 595، السنة الثانية، 27 جمادى الأولى 1367هـ– 7 نيسان 1948، ص2. الموسوعة التاريخية الرسمية لجماعة الاخوان المسلمين، المصدر السابق.
(2) - حمادة حسني، المصدر السابق، ص85.
(3) – حماده حسني، المصدر السابق، ص85.
(4) – حسن البنا، الدعوة والداعية، المصدر السابق، ص379.

اصبح الملك فاروق يخشى قيام ثورة ضده لمعرفته بدور الاخوان في ثورة اليمن[1].

ان حسن نوايا الاخوان المسلمين تلك لم تنف دورهم في احداث عام 1948، لذا فان الملك عبد الله رفض مقترحات البنا بشأن وضع دستور جديد لليمن. وقد اثر دور الاخوان ومواقفهم في الاحداث اليمنية لعام 1948 وما قبلها اثره السلبي على مستقبل الجماعة، اذ تبين للحكومة المصرية بما لا يقبل الشك خطر الاخوان المسلمين على الوضع السياسي في مصر، فأصدرت الاوامر بحلها في العام ذاته[2].

طلب سيف الاسلام عبد الله وهو في القاهرة من اخيه الامام احمد التسامح مع المصريين الذين وفدوا الى صنعاء بعد الثورة –وفد الاخوان المسلمين–، والعاملين في اليمن من قبل سواء اكانوا من الاخوان المسلمين ام من غيرهم، واطلاق سراحهم بدلا من تقديمهم للمحاكمة، ورأى الامير عبد الله ان يصفح عن من ذنبه يسير منهم مجاملة للحكومة المصرية وشعبها، لا سيما بعد اتصال الخارجية المصرية به بعد ان بلغها ان المصريين شبه مسجونين وتسأل عن ذلك، وعن امكانية ارسال طائرة لنقلهم والسماح بذلك[3].

ويذكر الشكعة في هذا الاطار؛ ان السيوف كانوا يكثرون من التردد عليهم للاستعلام عن الاحرار المختفين، فاستغلوا احد هذه الزيارات واستطاعوا اقناع احد السيوف بارسال برقية الى وزير الخارجية المصرية ليطمئن اهلهم في مصر، وتوسلوا اليه ان تكون البرقية منهم لا من الحكومة، الا انهم استعملوا في كتابة البرقية اساليب المكر والدهاء، وحينما قرأها الامير وافق على ارسالها في الحال، اذ كانت تحتوي على عبارات المدح، وجاء فيها: «**نحن المصريين في صنعاء بخير، نجونا من الاحداث بفضل ورعاية اصحاب السمو سيوف الاسلام الاماجد حرسهم الله تعالى وعلى رأسهم امير المؤمنين حفظه الله وايد ملكه. ايامنا جميلة كأيام طره ولياليا طيبة كلياليي الزيتون سلموا على اهلينا وطمئنوهم**»، الا انها كتبت بمصطلحات لا يفهمها الا المصريين، فالمعروف ان طرة تضم سجنا رهيبا، والزيتون تضم معتقلا شهيرا. وبعد اربعة ايام من ارسال تلك البرقية جاء الرد من السلطات اليمنية بالافراج عن المصريين ومغادرة اليمن. ويقول الشكعة انه عرف فيما بعد ان النقراشي استدعى سيف الاسلام عبد الله وعنفه وهدده وطلب اليه الاتصال باخيه الامام لاطلاق المصريين فوراً والمساعدة في عودتهم الى مصر والا سوف يضطر الى اتخاذ اجراءات عنيفة ضد اليمن، كما حدد النقراشي من

(1) - حماده حسني، المصدر السابق، ص89.
(2) – دولة صالح علي حسن الورد، المصدر السابق، ص184.
(3)– حماده حسني، المصدر السابق، ص84.

اقامة الامير عبد الله في مصر ومنعه من الخروج منها حتى يصل المصريين جميعهم من صنعاء[1].

ويبدو ان مصطفى الشكعة بالغ في ردة فعل النقراشي تجاه سيف الاسلام عبد الله وتهديده له، لاثبات اهميتهم. ومما لا شك فيه ان الحكومة المصرية بعد ان رأت نجاة المصريين واستنجادهم بها انه لابد من رجوعهم الى مصر والا بدت في تلك الحال تتعمد بقائهم في اليمن وربما قتلهم، لاسيما بعد رسائل البنا في هذا الموضوع.

حاول الاخوان التنصل من دور جماعتهم في الثورة بعد فشلها، على الرغم من الدور الاعلامي والحركي فيها –كما وضح سابقا– بل وعلى الرغم من دفعهم الحركة باتجاه العنف وتصفية الامام يحيى بناء على اقتراح الفضيل الورتلاني ودفعه لابن الوزير باصدار فتوى بقتل الامام لتكون مقبولة عند اليمنيين[2]. واكدت السفارة البريطانية من القاهرة على دور صحيفة «الاخوان المسلمون» في برقية لها الى لندن: «**هي الصحيفة الوحيدة هنا التي تقدم مساندة حارة وكاملة لنظام الحكم الجديد في اليمن**»[3].

ويمكن القول ان ما شهدته المدة القصيرة من وصول الفضيل الورتلاني الى صنعاء وحتى قيام الثورة من نشاط للمعارضة وتحديد لمهامها العاجلة وبلورة لشكل الحكم المطلوب، فضلاً عن اسهامه الفعال في عملية الثورة ذاتها؛ يعود بشكل رئيس الى شخصية الفضيل، نظراً لتجربته الحزبية وثقافته السياسية اللتين لم تكونا متوفرتين في اية شخصية يمنية معارضة، ولاهمية دوره القيادي على الرغم من المدة القصيرة لتواجده في اليمن تم تعيينه مستشاراً عاما للدولة[4]. وفي السياق ذاته طلبت حكومة الثورة من حسن البنا والفريق عزيز المصري[5] ان يكونا من المستشارين العموميين للحكومة[6].

(1) – مركز الدراسات والبحوث اليمني، المصدر السابق، ص183–182.

(2) – محمد ناجي احمد، المصدر السابق.

(3) – محسن محمد، المصدر السابق، ص256.

(4) – احمد قايد الصائدي، المصدر السابق، ص147.

(5) – عزيز علي المصري (1965–1877): عسكري مصر وسياسي، ولد بالقاهرة من اصل مصري–شركسي. تعلم بمصر ودرس العسكرية بتركيا وألمانيا، والتحق بالجيش العثماني وساهم في معارك عدة. استدعته الحكومة العثمانية لقمع ثورة اليمن عام 1910 فأجرى اتفاقاً مع الامام يحيى هناك. اشترك مع الشريف حسين في اول مراحل الثورة العربية الكبرى، وفي عام 1938 عين مفتشاً عاما للجيش المصري، وعين في العام التالي رئيساً لاركان حرب الجيش. احيل إلى التقاعد لاتهام الانجليز له بالاتصال بالالمان ولعدم تعاونه معهم. وفي أيار 1949 حاول مع اثنين من ضباط سلاح الطيران الهروب من مصر للاشتراك في ثورة رشيد عالي الكيلاني بالعراق –ثورة مايس– ففشلوا واعتقلوا. عينته ثورة 23 تموز المصرية سفيراً لمصر في الاتحاد السوفيتي في 1953 ثم تقاعد. وكان لشخصيته العسكرية السياسية، ولتاريخه في الكفاح السري، ولكراهة الانجليز، اثر بعيد في جيل الضباط الذي تشكل منه الضباط الاحرار بمصر، وعده العديد منهم اباهم الروحي. للمزيد ينظر: عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، ج4، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، (د.ت)، ص106.

(6)– حماده حسني، المصدر السابق، ص70؛ محسن محمد، المصدر السابق، ص241.

واكد احمد بن محمد الشامي على اهمية دور الفضيل الورتلاني في ثورة 1948، قائلاً: «.. **فلما جاء السيد الفضيل الورتلاني، عمل ما لم يعمله احدٌ من اليمنيين؛ فوحد شتات «المعارضة» في الداخل والخارج، وارشد المطالبين بالاصلاح والمناشدين بالتغيير والتطوير الى طرق العمل، وجمعهم في رابطة وطنية، وقارب بينهم وبين ارباب الطموحات السياسية، والزعامات العلمية والدينية والقبلية والتحفزات الاصلاحية؛ من الناقدين والمتبرمين، وصهر مجهوداتهم واهدافهم، واتجاهاتهم وامالهم وامانيهم في بوتقة «الميثاق الوطني المقدس»**»، واضاف: «**واوكد جازماً بان احداً من هؤلاء اليمنيين المناظلين الاعلام –لو فرضنا انه كان يستطيع– لم يحاول، ولا فكر في ان يحاول، بان يجمع شتات تلك القوى الوطنية، ويوحدها في جبهة متحدة لها ميثاق وطني مقدس قبل ان يصل الى اليمن السيد الفضيل الورتلاني! هذه هذه هي الحقيقة؟**»، كما اكد على ان الورتلاني هو من اقنع جمال جميل بتأليف جبهة من الضباط لتؤيد امام الدستور، وهو الذي جعل الموشكي والشامي يتعاونان من جديد مع الزبيري والنعمان، واستطاع اقناع الامراء والعلماء والمشايخ والتجار والضباط والادباء بمبايعة عبد الله بن احمد الوزير اماما ثوريا دستوريا. فهو اوجد شيئاً جديداً، ووحد القوى الوطنية وجندها لتأييده، واستطاع اقناع تلك القوى بالايمان به في تنظيم سياسي عملي موحد تحت راية «الميثاق»، ويستطرد الشامي: «**فالورتلاني هو مهندس ثورة 1948 حقاً. استطاع بعلمه، وقوة شخصيته، وبلاغة منطقه، ان يكسب ثقة وتقدير جميع الفئات، بل ومحبتها الصادقة الخالصة**»، وان: «**العالم المجاهد الجزائري السيد الفضيل الورتلاني هو الذي غير مجرى تاريخ اليمن في القرن الرابع الهجري (العشرين الميلادي)، وانه حين وضع قدمه على ارض اليمن كأنما وضعها على «زر» دولاب تاريخها، فدار بها دورة جديدة في اتجاه جديد؛ لان ثورة الدستور سنة 1367هـ/ 1948م هي من صنع الورتلاني**»[1].

بقي الفضيل الورتلاني لاشهر على ظهر الباخرة المصرية «الزمالك» –بعد خروجه من المملكة العربية السعودية– يتنقل من ميناء الى اخر، اذ رفضت الدول العربية جميعها نزوله من الباخرة واستقباله[2]. حتى نجح جماعة الاخوان في تهريبه الى بيروت ومنها الى باكستان، وبعد خمس سنوات نفى انه ينتمي الى جماعة الاخوان ببرقية بعثها الى محكمة الجنايات التي تحاكم قتلة حسن البنا، عندما اثير دوره في ثورة اليمن[3].

(1) – احمد بن محمد الشامي، رياح التغيير في اليمن، ط1، المطبعة العربية، (د.م) 1984، ص194، 198–197.
(2) – مركز الدراسات والبحوث اليمني، المصدر السابق، ص190.
(3) – محسن محمد، المصدر السابق، ص259.

حاولت الحكومة المصرية استغلال حوادث اليمن، وايجاد صلة بين حادث مقتل حسن البنا في 12 شباط 1949 ومقتل الامام يحيى والاحداث التي وقعت في اليمن «**هناك اتجاه اخر لم يفت جهات التحقيق وهو البحث عن صلة بين حادث البنا والحوادث الدامية التي وقعت في قطر عربي شقيق في مثل هذا الشهر من العام الماضي**». واعلنت الحكومة المصرية صراحة ان الاخوان ساهموا في اغتيال الامام يحيى، لتأكيد ان قتلة حسن البنا من اليمنيين، وان للامام احمد يد في مقتله[1].

ونتيجة للدور الذي قام به الضباط العراقيون في ثورة 1948، فلم ترسل اليمن اية بعثة الى العراق وتوجهت الى مصر ولبنان. وبدأت صفحة جديدة في العلاقات اليمنية–العراقية بعد تولي الامام احمد حكم اليمن. اما بالنسبة الى مصر فان الامام احمد منع استقدام مدرسين مصريين الى اليمن بعد الثورة، ولجأ الامام الى فلسطين لتغطية الاعداد اللازمة من المدرسين. كما امر الامام احمد باعادة الطلاب اليمنيين الذين كانوا يدرسون في مصر بعد الثورة 1948 لاسباب سياسية، بل ان العلاقات اليمنية–المصرية اصيبت بالفتور بعد احداث 1948 في اليمن حتى خمسينيات القرن العشرين[2].

ثالثاً: دوافع ومبررات اهتمام الاخوان المسلمين باليمن

رأى حسن البنا ان نقل الدعوة الى اليمن سوف تكون اكثر مناسبة لعوامل عدة، رسخت في عقله انطباعاً بأن أرض اليمن ممهدة لانتشار دعوة الإخوان وتحقيق أهدافها، منها[3]:

1 – إن اليمن طوال التاريخ ظل ملاذاً للدعوات الفكرية والسياسية التي تعرضت للاضطهاد في دولها، نظراً لبعد اليمن عن مركز الخلافة.

2 – طبيعة اليمن الجغرافية لاسيما المناطق الجبلية الوعرة، وعدم خضوع قبائله للحكام والولاة بسهولة.

3 – خلوه من الأقليات الدينية المؤثرة، التي تعد من العوامل المساعدة على نجاح دعوة جماعة الإخوان.

4 – لا يوجد في اليمن قوانين غير قوانين الشريعة الإسلامية، ولا سلطان للاستعمار عليه.

وفي ظل تلك المؤشرات؛ نظر الاخوان المسلمون الى اليمن بحكم مكانتها وتجربتها

(1)– محمود عبد الحليم، المصدر السابق، ص80، 83؛ محسن محمد، المصدر السابق، ص534–533.
(2)– دولة صالح علي حسن الورد، المصدر السابق، ص146، 148، 157.
(3)– حماده حسني، المصدر السابق، ص42.

التاريخية في تاريخ الاسلام، فضلاً عن موقعها الجغرافي البعيد الذي يعد عامل جذب لمعظم التيارات الفكرية والسياسية والعربية والاسلامية التي استطاعت ممارسة نشاطاتها واتيح للبعض منها تكوين دول ودويلات تطبق من خلالها مشاريعها السياسية. وهذا الاحتمال الكبير الذي يهدف الى تحقيقه الاخوان المسلمين في اليمن. ونظر حسن البنا الى اليمن من منطلق انها البلد العربي الوحيد الذي لم يدخله الاستعمار، كما ان اليمن لم تفسدها الحضارة المعاصرة لتمتعها بعامل الجهل والامية، فاعتقد مؤسسو الجماعة ان الوضع المناسب لانتشار دعوتهم يكون في مجتمع يسوده الجهل والتخلف كما هي الحال في اليمن[1].

فالتخلف والفقر والجهل –بحسب وصف حسن البنا– في اليمن من العوامل التي تمثل الارض الخصبة المساعدة على انتشار الاخوان المسلمون. وهنا توقف البعض بالتعجب من العلاقة بين انتشار فكر الاخوان المسلمين وبين عوامل الجهل والفقر[2].

وهذا يعني ان اليمن لتخلف مجتمعاتها سوف تكون عجينة سهلة بيد حسن البنا ليشكلها كما يريد بحسب الفكر الاخواني، وسوف يكون الشعب اليمني اداة طيعة يوجهها الجماعة الى أي اتجاه في المستقبل.

حاول حسن البنا والورتلاني جعل اليمن نواة لدولة الاسلام، اذا ما نمت ونشأت على مبادئ قرآنية، كما يمكن ان تكون اليمن منطلقاً لدعوة اسلامية صادقة صحيحة بانشاء دولة تحكم بما انزل الله وتستقطب زعماء وعلماء وعباقرة المسلمين. ورأى البنا ان اليمن انسب بلد عربي لتحقيق طموحه بقيام دولته الدينية التي تشمل العالم الاسلامي[3].

وعلق بنكني تورك (S. Pinkney Turk) المسؤول بالسفارة الامريكية في القاهرة، وهو الذي كتب رسالة التغطية لمذكرة مقابلة فيليب ايرلند لحسن البنا وارسلها للخارجية الامريكية؛ على المقابلة: «**ربما كان الشيخ حسن البنا يستفيد من النظام الجديد في تضخيم حجمه وقوة نفوذه هو ومنظمته**»[4].

وبرر جماعة الاخوان المسلمين توجههم الى اليمن الى ان رؤية الجماعة حول مفهوم الوطنية لا تقتصر على موطن الشخص بل ان أي بقعة يقول فيها مسلم «لا اله الا الله محمد رسول الله» هي وطنهم وواجب حمايته، لانه من حمى الله الذي يجب على

(1)– دولة صالح علي حسن الورد، المصدر السابق، ص175–174.
(2) – محمد ناجي احمد، المصدر السابق.
(3) – محسن محمد، المصدر السابق، ص232.
(4) – محمود محمد هملان الجبارات، المصدر السابق، ص300.

كل مسلم ان يذود عنه ويحافظ عليه ويعمل لخير اهله، وان الفكرة الوطنية هي ان يعمل المسلم للوطن وان يعمل للإنسانية كلها دون تعارض او اختلاف[1].

وتعهد حسن البنا في المؤتمر الذي عقد بدار المركز العام بمناسبة مرور عشرين عاماً على قيام تشكيلة جماعة الاخوان؛ بمسالمة الطوائف والملل جميعها، قائلاً: «**وليست حركة الاخوان المسلمين حركة طائفية موجهة ضد عقيدة من العقائد او دين من الأديان او طائفة من الطوائف**»[2].

ويتضح انه من هذه المنطلقات الفكرية استطاع الاخوان اقناع الطلبة اليمنيين بافكارهم، وبالتالي توجههم الى اليمن.

تعززت قناعة الاخوان المسلمون في منتصف الاربعينيات من القرن العشرين بان تكون اليمن مركزاً لنشر دعوتهم، واعادة مجد الخلافة الاسلامية، ومما ساعد على تعزيز تلك القناعات انضمام سيف الاسلام ابراهيم الى المعارضة، فرأى الاخوان في المعارضة اليمنية انها قريبة من وجهة نظرهم بعدها حركة اصلاحية دينية نهل افرادها من المنهل ذاته الذي اخذ منه الاخوان المسلمون، فضلاً عن ان بعض رجال المعارضة –ان لم يكن اغلبهم– كانوا منبهرين برموز الاخوان او المرتبطين بهم كالمرشد الاعلى للجماعة والفضيل الورتلاني[3].

فالزبيري مثلاً لم يكن غريباً عن مدرسة الإخوان المسلمين، فهو ارتبط بها روحياً وفكرياً وعضوياً منذ لقائه الأول بحسن البنا ومبايعته، وظل يحتفظ بمشاعر ود وتقدير وإكبار لرموزها وقادتها، فهي الهيئة الوطنية العربية الوحيدة التي اهتمت بالقضية اليمنية وأولتها مكانة متقدمة في جدول أعمالها السياسية والفكرية من خلال مركز الاتصال، وبواسطة وسائلها الإعلامية المطبوعة، لاسيما صحيفة «الاخوان المسلمين» وتكاد تكون أخبار اليمن شمالاً وجنوباً حاضرة في معظم أعدادها[4].

اسس حسن البنا مع تطور حركة الجماعة قسماً خاصاً اطلق عليه «قسم الاتصال بالعالم الاسلامي» عام 1944، فاصبح لجماعة الاخوان المسلمين عمل منظم ودور كبير في «دعم قضايا العالم العربي والاسلامي»، واتخذ هذا الدعم اشكالاً متعددة منها:

(1) – مجموعة رسائل الامام البنا، ط2، سلسلة من تراث الامام البنا الكتاب الخامس عشر، البصائر للبحوث والدراسات، مصر، (د. ت)، ص54.

(2)– علي السيد الوصيفي، الاخوان المسلمون بين الابتداع الديني والافلاس السياسي، ط2، دار سبيل المؤمنين، القاهرة، 2012، ص40.

(3)– دولة صالح علي حسن الورد، المصدر السابق، ص175–174.

(4) - مأرب بريس، قصة نشأة الاخوان المسلمين في اليمن، الحلقة الثانية، تاريخ النشر، 29 نيسان 2007، اطلع عليه بتاريخ 7 ايلول 2020، https://marebpress.com/articles.php

استضافة قادة حركات الجهاد في العالم الاسلامي بالمركز العام للاخوان المسلمين، وكان منهم: الشاذلي المكي والحبيب بورقيبه من تونس، اسماعيل الازهري واحمد خير من السودان، عبد الكريم الخطابي وعلال الفاسي من المغرب، احمد سوكارنو واجوس سالم من اندنوسيا، المفتي الحاج محمد امين الحسيني وصبري عابدين من فلسطين، الفضيل الورتلاني من الجزائر، واحمد النعمان ومحمود الزبيري من اليمن. كما اهتم القسم بالطلاب الوافدين للدراسة الى مصر بهدف تأهيلهم ليكونوا نواة لافكار الجماعة عند عودتهم الى بلادهم[1]. وهذا ما حدث فعلاً بعد عودة الطلبة اليمنين من القاهرة الى بلادهم، نتيجة لتأثرهم بالافكار القومية، لاسيما بعد التقائهم بشخصيات وطنية عربية.

كانت العلاقة بين جماعة الاخوان والمعارضة اليمنية ذات فحوى سياسي، تدخل ضمن المخطط العام لحركة الاخوان المسلمين الطامح الى اقامة دولة اسلامية تشمل العالم الاسلامي باكمله، فاصبح النشاط السياسي في اليمن بالنسبة للاخوان جزءا من هذا المخطط[2].

ورجح البعض ان قيادة الاخوان كانت تتطلع الى مد تيار الحركة الى جنوب جزيرة العرب «مهد الاسلام»، فبذلوا قصارى جهدهم للوصول الى اليمن من اجل خلق حركة تجارية في البلاد تمهد لهم التوغل السياسي في بلد نام كاليمن، لم تلوث معالمه براثن المدن الغربية. ولانجاح هذه المهمة الشاقة انتدب حسن البنا احد موجهي الجماعة النابغين؛ الفضيل الورتلاني ليصبح صمام الامان الذي كانت تفتقر له حركة الاحرار اليمنية، اذ وجد البنا في الورتلاني النبوغ والحنكة السياسية الامر الذي جعله يختاره لتحمل عبء الدعوة في اليمن. ولكن حسن البنا لم يتوقع ان الحماس الثوري لدى الورتلاني سيقوده مع جمال جميل في النهاية الى حركة مسلحة ضد النظام الامامي، بدلاً من تنفيذ الخطة التي رسمتها حركة الاحرار والتي تستهدف الاستيلاء على السلطة بطريقة سلمية في حال وفاة الامام يحيى –كان مرجح وفاة الامام وفاة طبيعية لكبر سنه، ومرضه[3].

كانت تلك مبررات ودوافع جماعة الاخوان للاتجاه نحو اليمن، الا ان البعض حول اظهار الحقيقة من بين طيات الكتب لمعرفة الدافع الرئيس لحسن البنا لاهتمامه باليمن.

من الأفكار التي امن بها الاخوان والواجب الوقوف عندها والتي تركت اثارها في

(1) – حماده حسني، المصدر السابق، ص16.
(2) – احمد قايد الصائدي، المصدر السابق، ص146.
(3) –عبد العزيز قائد المسعودي، المصدر السابق، ص322–321.

شخصية حسن البنا هي فكرة «المهدوية». وهي في الأصل عقيدة شيعية بالامام المهدي (عجل الله فرجه)، تعتقد ان الامام المهدي مولود، موجود، حي، شاهد، غائب عن الابصار. وتلك العقيدة موجودة في كتب السنة باختلاف بسيط مع كتب الشيعة، اذ يقولون ان الامام المهدي لم يولد بعد، وسوف يولد في زمن معين، وذكروا له اسم ووصف. كما توجد تلك العقيدة عند الصوفية التي يعتقد البعض منهم بعقيدة الشيعة نفسها، بينما البعض الاخر يعتقد بعقيدة السنة ذاتها[1]. وكما هو معروف ان حسن البنا سني صوفي سلفي.

حسن البنا التقط هذا الموضوع وحرفه؛ حرفه من كون الامام المهدي (اللهم عجل فرجه الشريف) شخصية حقيقية ثابتة، الى «فكرة المهدي»، أي: ان اماماً من المسلمين سيحكم العالم، وسيطبق الإسلام في انحاء الأرض جميعها، وسيطيعه الجميع. وحَوّلَ هذه العقيدة من شخص بعينه الى فكرة. فالتقط البنا صورةً لهذا الإمام الذي سينشئ دولةً في الأرض يزيح بها الظلم ويبسط العدل، وسيتبعه الجميع، وتلبس هذه الفكرة، وكان يطمح لها إلى حدّ ما، الا انه لم يفصح عن ذلك؛ لأن هذا الأمر سيعود عليه بالضرر، فهو ادعاء كبير، وستأتيهِ شُبهة التشيّع لو صرّح به، فاثر الكتمان حتى عن أقرب الناس إليه[2].

يظهر الامام المهدي في الاحاديث الشيعية في الحجاز ما بين الركن والمقام. وهناك احاديث سنية تخبر ان الامام المهدي يخرج من مكة ويقف بين الركن والمقام، ولكن يوجد أيضا في بعض كتب السنة الاخرى روايات تقول كما جاء في الحديث الشريف: **«يخرج المهدي من قرية باليمن يقال لها كرعة، وعلى رأسه عمامة فيها منادٍ ينادي أَلاَ إنّ هذا المهدي فاتبعوه»**[3].

ونظراً لان السلفيين لا يَميلون إلى الأحاديث التي تشابه أحاديث الشيعة التي تقول إن الإمام يخرج مِن مكة؛ لأنهم ينفرون منها، لذلك تمسكوا بالرواية التي تقول إنّ المهدي

(1)- الشيخ الغزي، السرطان القطبي الخبيث في ساحة الثقافة الشيعية، الحلقة السادسة، حسن البنا ج5، برنامج بث على قناة القمر الفضائية، تاريخ البث 29 ايلول 2017، https://www.alqamar.tv/arb/alsarattan-alqutt-bey-alkhabith

(2) - الشيخ الغزي، السرطان القطبي الخبيث في ساحة الثقافة الشيعية، الحلقة السادسة، حسن البنا ج5، برنامج بث على قناة القمر الفضائية، تاريخ البث 29 ايلول 2017، https://www.alqamar.tv/arb/alsarattan-alqutt-bey-alkhabith

(3) - أبو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان الذهبي، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، مج2، تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، (د.ت)، ص680؛ ابو احمد عبد الله بن عدي الجرجاني، الكامل في ضعفاء الرجال، ج5، ط1، دار الفكر، بيروت، 1984، ص1933؛ وفي مصدر اخر ذكرت كلمة « اليمين» لا «اليمن». ينظر: ابن المقرئ، المعجم، ط1، تحقيق أبي عبد الرحمن عادل بن سعد، مكتبة الرشيد، الرياض، 1998، ص58.

سيخرج من اليمن. فوجه حسن البنا عيونهُ صوب اليمن.

والنتيجة بشكل موجز هي ان تحول الامام المهدي الذي هو حقيقة ثابتة الى فكرة تُعد مضمون فكرة جماعة الاخوان المسلمين، فهم يريدون الوصول الى دولة اسلامية تحكم العالم، وتصل الى مقام الامامة التي لابد ان تكون بيد الاستاذ الاعلى وهو المرشد.

ومما يدل على ذلك ان الهدف المهم من توسع نشاط الجماعة الخارجي كان احياء للامة الاسلامية على امل اعادة الخلافة الاسلامية، اذ عد البنا ان الخلافة رمز الوحدة الاسلامية ومظهر الارتباط بين امم الاسلام، الا ان تلك الخطوة بحاجة الى الكثير من التمهيدات. واذا ما تمت تلك التمهيدات نتج عنها الاجتماع على «الامام» الذي هو مجتمع الشمل وواسطة العقد ومهري الافئدة وظل الله في الارض[1]. لذلك اعلنت الجماعة في مؤتمرها الخامس الذي عقد في كانون الثاني 1939 عن انتقالها من الاهتمام بالقضايا القطرية الى الاهتمام بالقضايا العربية الاسلامية في اطار العمل الاسلامي المنظم الذي غايته الدعوة الى النظام الاسلامي وعودة الخلافة الاسلامية[2].

ومما جاء في رسالة التعاليم لحسن البنا: «**اعادة الكيان الدولي للامة الاسلامية، بتحرير اوطانها، واحياء مجدها، وتقريب ثقافتها، وجمع كلمتها، حتى يؤدي ذلك كله الى اعادة الخلافة المفقودة والوحدة المنشودة**»[3].

كذلك، فان حسن البنا لا يعترف للانظمة التي كانت قائمة في وقته بانها إسلامية، فهو لا ينتقدها فحسب، بل ينفي شرعيتها ولو بطريقة غير مباشرة، اذ ان إحدى دعائمه السياسية للنهضة هي الحكم الإسلامي الذي يقصد به إقامة السلطة السياسية الوازعة التي تجعل «**نظام الحكم اسلامياً قرآنياً**» والحكومة «**إسلامية صحيحة الإسلام صادقة الايمان مستقلة التنفيذ والتفكير...**»[4].

ومما لاشك فيه ان الغاية الأساس من ظهور الامام المهدي «عجل الله فرجه»؛ دولة عالمية تحكم بالإسلام، وهو احد المبادئ التي تبنتها جماعة الاخوان.

ومن الدلائل على تلك الأفكار والغايات، انه في عام 1973 بعد وفاة المرشد الأعلى للجماعة حسن الهضيبي، بقي التنظيم من دون مرشد جديد للاخوان، «**لم يكن قادة الاخوان الكبار وخاصة أعضاء المكتب –مكتب الارشاد– يتصورون ان يظلوا هكذا**

(1)– حماده حسني، المصدر السابق، ص17.
(2)– دولة صالح علي حسن الورد، المصدر السابق، ص174.
(3) – مجموعة رسائل الامام البنا، المصدر السابق، ص217.
(4) – حماده حسني، المصدر السابق، ص10.

دون مرشد للجماعة، وكان حديث البيعة حاضراً في اذهانهم (من مات وليس في عنقه بيعة فقد مات ميتة الجاهلية) فكان لا بد لهم ان يبايعوا احداً مرشداً عاماً للاخوان». فاتفق القادة على اخذ البيعة للمرشد دون ان يكون هناك مرشد حقيقي للجماعة وفرضوا على جماعتهم منصب المرشد السري الغائب الذي لا يعرفه احد، ورفض بعض الاخوان لاسيما من كان خارج مصر ان يبايعوا المرشد السري دون ان يعلموا شخصيته، واستمرت تلك الحالة حتى عام 1975[1].

تكشف هذه الواقعة بشكل واضح الى أي مدى اخذهم حسن البنا منذ البداية، اذ رأى نفسه إماماً حقيقيّاً، ولهذا كان يحرص بشدة على أن يأخذ منهم البيعة. لذلك فانهم في السبعينيات بايعوا مرشداً لا وجود له لان جماعة الاخوان المسلمين بني اساسها على فكرة البيعة للامام «المرشد الاعلى»، وهنا أقروا مبدأ الغيبة، لكنهم في الوقت ذاته ينكرون البيعة لشخصية الامام الحقيقي الامام المهدي (عجل الله فرجه).

لم يكن حسن البنا اماما حقيقيا لدى الجماعة ويجب اخذ البيعة له فحسب، بل وصفه الشيخ الغزالي بانه: «**لقد عاد القرآن غضاً طرياً على لسانه، وبدت وراثة النبوة ظاهرة في شمائله...**»[2]. كما قال عنه: " **وأشهد أن حسن البنا كان مربيا صادق الفراسة ناجع الدواء، وكانت طهارة باطنه لا يساويها إلا رحابة أفقه وذكاء فكره... ورأيت من مواريث النبوة في أخلاقه أنه غزير الحب للناس وأنه يأسى لمخطئهم ويتمنى له المثاب**)"[3]. وهي صفات لا يتميز بها الا من كان من بيت النبوة.

اعطى شكري مصطفى روح لتلك الفكرة واعلنها صراحة، وهو من شباب الاخوان، شكل بعد ذلك تشكيلاً جديداً عرف بـ»التكفير والهجرة»، واسمتهم بذلك السلطة والاعلام لانها تكفر الناس جميعاً، وتلزم اتباعها بالهجرة، اما هم فقد اسموا انفسهم بـ»جماعة المسلمين»، وهو تحسين واشتقاق من اسم «جماعة الاخوان المسلمين». آمن شكري مصطفى بانه «المهدي المنتظر»، على الرغم من أن لا اسمه ولا صفاته تدل على ذلك لكنه –امن بفكرة– «**سأكون انا ولا احد غيري وسنذهب الى اليمن، فعنها تحدث رسول الله –صلى الله عليه واله وسلم– ان أهلها ألين قلوباً وأرق أفئدة والايمان يمان**

(1) – حسام تمام، عبد المنعم أبو الفتوح شاهد على تاريخ الحركة الاسلامية في مصر 1984–1970، ط2، دار الشروق، القاهرة، 2012، ص87.

(2)– محمد الغزالي، تأملات في الدين والحياة، ط4، (33)، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2005، ص39.

(3) – محمد الامين بلغيث، حركة الاخوان المسلمين وبداية طرح المشروع الاسلامي في العصر الحديث (دراسة تاريخية)، الموسوعة التاريخية الرسمية لجماعة الاخوان المسلمين، تاريخ الزيارة 17 تشرين الاول 2019، www. ikhwanwiki.com

والحكمة يمانية والفقه يمان، ولن يتم اعلان ظهور المهدي الا من اليمن»، وعاهد شكري احبابه على الذهاب الى اليمن بعد خروجهم من السجن، ويقول: «**سيعود الإسلام الى الدنيا باسرها، سيعود بعد ان غاب عن البشرية بعد انتهاء الخلافة الراشدة، كل الدنيا كانت تسير في طريق الكفر، حتى صحابة الرسول –صلى الله عليه واله وسلم– كفروا بعد انتهاء الخلافة، وارتدوا عن الإسلام، وانا الذي سأعلن عودة الإسلام من اليمن وسأملأ الدنيا عدلاً، انا شكري مصطفى ولا مهدي غيري**»[1].

ان «جماعة المسلمين» وليد شرعي من جماعة الاخوان المسلمين، وبالتالي فانها صرحت بما كان مخفياً في صدر البنا وفي صدر القريبين منه الذين كانوا يعرفون الحقيقة، فتصريح محمود شكري بانه المهدي وان جيشه سيخرج من اليمن لم يأتِ من فراغ، وانما هو ترجمة واضحة لفكرة حسن البنا التي تجلت في جماعة الاخوان المسلمين. وبذلك فان شكري مصطفى اثبت ان العقيدة الحقيقية المتجسدة بشخص حقيقي تحولت عند الجماعة الى فكرة يمكن ان تتمثل في أي شخص.

ومما يدعم هذا الرأي الدراسة التي نحن بصددها، اذ بينت كيف بدأ البنا يعمل بشكل سري على محاولة إزاحة الامام يحيى وأولاده عن حكم اليمن، والاتيان بإمام اخر منصب من قبله، والمخطط الذي وضعه بهدف السيطرة على اليمن وشعبها باستخدام أساليب ماكرة وشيطانية لنجاح مخططه. وحين نتفحّص فِكر حسن البنا ونُدقّق فيما قاله وفيما فَعَله وفي توجّهاتهِ سنُدرك هذه الحقيقة: وهي ان البنا امن بالمهدوية كفكرة وليست مواصفات؛ وبما ان المهدوية –في اغلب الكتب السنية– ستظهر في اليمن، حاول البنا ان يجعل اليمن قاعدته الإسلامية لاعادة الخلافة والاهم من ذلك سيدعي بانه المهدي المنتظر ووجد في اليمن الأرض والعقول الممهدة لهذه الانطلاقة، وسعى بكل ما امكنه من إمكانيات لذلك.

ومما يجدر ذكره، الصدفة التي جمعت بين اسم ابن حسن البنا الوحيد «احمد سيف الاسلام»، الذي كان عمره اربعة عشر عاماً عند قتل والده[2]، وبين ولي العهد احمد سيف الاسلام ابن الامام يحيى. ولان حسن البنا لا يتعامل بالصدفة فان الاسم يحمل معان عدة احدها التقرب للامام يحيى، اذ ان علاقته معه بدأت تنمو –كما سبق الاشارة– منذ بداية الثلاثينيات من القرن العشرين، والاخر ربما يكون دينيا مربوطا بفكرة

(1)– للمزيد ينظر: ثروت الخرباوي، سر المعبد الأسرار الخفية لجماعة الإخوان المسلمين، ط1، دار نهضة مصر للنشر، القاهرة، 2012، ص318–316.

(2)– كان للبنا اربع بنات هن: سناء، ووفاء، ورجاء، وهالة، وولد واحد، والخامسة كانت في بطن امها عند وفاته. للمزيد ينظر: محسن محمد، المصدر السابق، ص10.

توجهه الدينية الى اليمن.

اما المعارضة اليمنية فانها وجدت في مصر وعدن الملاذ الامن لها، لوجود العديد من الوطنيين الذين كانوا يناضلون من أجل استقلال بلدانهم في مصر، وعندما شكل أواخر الثلاثينيات من القرن العشرين الطلبة اليمنيون الدارسون في مصر النواة الأولى للمعارضة اليمنية في مصر، كان لنشاطهم أثر مهم في كسب الأوساط السياسية والدينية في مصر لمساندتهم في الدعوة لإنقاذ بلادهم من واقعها السيئ، فتميز رجال المعارضة اليمنيين الموجودين في القاهرة بانهم اكثر وعياً ونضوجاً سياسياً عن غيرهم من رجال المعارضة اليمنيين في داخل اليمن، إذ استفاد هؤلاء من الأفكار القومية والتحررية والإسلامية التي كانت رائجة في مصر انذاك، كما أنهم استفادوا من اتصالهم واختلاطهم بالحركات والتيارات السياسية التي كانت موجودة في الساحة السياسية المصرية، فضلاً عن تلقي البعض منهم العلوم في الأزهر وفي المدارس المصرية التي كانت منتشرة في ذلك الوقت[1].

خاتمة واستنتاجات:

توصلت الدراسة من خلال ما تقدم الى ان ثورة 1948 الدستورية اليمنية كانت غير معبرة عن ذاتها، ولم توضح اهدافها وغاياتها، نظراً لامكانياتها المحدودة والعامل الداخلي والتأثير الخارجي، فبدت كأنها انقلاب من اسرة آل الوزير ضد حكم اسرة حميد الدين ولم ينجح. لكن لو كتب لهذه الثورة النجاح لاصبحت ثورة دستورية ضد حكم الامام والاوضاع السائدة في اليمن، اذ كما اتضح ان حكم آل الوزير ما هو الا حكم انتقالي لمدة معينة من نظام الامامة الى النظام الدستوري. ومن هنا اخذت اسمها الثورة الدستورية.

وان الاخوان المسلمين قاموا بدور قيادي بارز في اليمن سواء في تنشيط حركة المعارضة، ام في بلورة افكارها وتحديد اهدافها السياسية، ام في الاعداد وتنفيذ ودعم ثورة 17 شباط 1948. فهي اول ثورة في العالم الاسلامي كان للاخوان المسلمين دور فيها. وان ما نشرته صحيفة الاخوان المسلمين خلال شهري كانون الثاني وشباط عام 1948، دليل واضح ومهم على الدور الذي قام به الاخوان لتغيير نظام الحكم في اليمن.

حسمت القبائل اليمنية مصير النظام الجديد على الرغم من عدم رضاهم بحكم الامام يحيى، الا انهم ومن الواضح لم يؤيدوا ابن الوزير لانه كان يد الامام في حملاته ضد

(1) – احمد جاسم ابراهيم، العلاقات السياسية اليمنية–المصرية 1952–1945، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية، جامعة بابل، العدد 1، المجلد 4، 2014، ص43.

القبائل بداية حكمه، فضلاً عن العامل المالي الذي وعدهم به ولي العهد احمد.

كان للملك السعودي عبد العزيز بن سعود دور خطير في تاريخ اليمن في تلك المدة، بنجاح خطته في تعطيل وفد جامعة الدول العربية عن مواصلة رحلته الى صنعاء، ومنع وفد ابن الوزير من مقابلة الامين العام للجامعة بالاتفاق مع موفدي الاردن والقاهرة، ثم طرد وفد المعارضة اليمنية ووصفهم بالقتلة. فضلاً عن مساعدته لولي العهد احمد بالمال والسلاح لاعادة السيطرة على صنعاء.

حاول حسن البنا الترويج للفكر الإخواني في اليمن نظراً لطبيعتها الجغرافية، وتعدد القبائل الذين يسهل السيطرة عليهم بالنزعة الدينية، الا ان السبب ذاته كان العامل الرئيس في فشل مخططات الاخوان، ليس لانهم ساندوا ولي العهد واباحوا صنعاء وفشل الثورة فحسب، بل طبيعة الشعب القبلي وعدم وعيهم للفكر الوطني والقومي، وهذا العامل الذي لم يلتفت اليه قادة الاخوان المسلمين عندما توجهوا الى اليمن، اذ ان جهلهم بقبائل اليمن العامل الرئيس لفشل ثورتهم.

رأى حسن البنا في اليمن ارضا صالحة لافكاره؛ لجهل وتخلف وفقر شعبه وان بالامكان صياغة فكرهم وارائهم من جديد، وان ظلم واستبداد نظام الائمة القائم آنذاك في اليمن يسهل من عملية تغيير السلطة والاتجاه من شيعي زيدي الى سني اخواني، وعودة الخلافة الإسلامية من جديد من خلاله، كما ان الموقع الاستراتيجي لليمن يجعل منه نقطة انطلاق جيدة للفكر الاخواني، فضلاً عن موارده الاقتصادية. وانه من خلال هذه العوامل يستطيع خلق قوة بشرية تكون يده الضاربة لتحقيق أهدافه. في الوقت ذاته، كانت مصر تضيق ذرعا بالاخوان المسلمين فكان لابد من مغادرتها الى مكان امن يلقى فيه القبول، وهذا ما جعله يفكر بالسفر الى اليمن بعد الثورة ومقابلة القبائل وتهدئتهم، وربما أراد بذلك سحب البساط من الامام الجديد عبد الله بن احمد الوزير. الا انه تنصل من ارتباطه بالثورة عندما لاحظ ان تحالفه مع الاحرار والثورة قد تعرضا للخطر، فقام بتغيير سياسته اتجاه النظام الامامي وتنكر للورتلاني ولدعوته في اليمن.

وفي الاخير يمكن القول انه على الرغم من فشل ثورة اليمن الدستورية لعام 1948 الا انها مثلت تاريخياً نقطة تحول لتدفق الافكار التي شكلت فيما بعد صعود الجمهوريات اليمنية الحديثة، اذ ليس بالامكان عودة اليمن الشمالية الى ما كانت عليه قبل الثورة.

المصادر

أولاً: الوثائق الأجنبية المنشورة

1- Policy Statement Prepared in the Department of State, Foreign Relations of the United States, 1951, Secret, The Near East and Africa, Volume V, Document 682, Washington, February 8, 1951.

2- Recognition of Imam Ahmed of Yemen, Memorandum by the Secretary of State to the President, Foreign Relations of the United States, 1950, CONFIDENTIAL, The Near East, South Asia, and Africa, Volume V, Document 755, Washington, January 12, 1950.

ثانياً: المذكرات

1 – عارف، جميل، صفحات من المذكرات السرية لأول امين عام للجامعة العربية عبد الرحمن عزام، ج1، المكتب المصري الحديث، القاهرة، (د.ت).

2 – تمام، حسام، عبد المنعم أبو الفتوح شاهد على تاريخ الحركة الاسلامية في مصر 1970–1984، ط2، دار الشروق، القاهرة، 2012.

ثالثاً: الرسائل والأطروحات العلمية

1 – حسن، سناء محمد، العلاقات اليمنية–البريطانية (1948–1967)، رسالة ماجستير، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، 2010.

2 – فهد، جبار شيال، اليمن في عهد الامام احمد بن يحيى حميد الدين، رسالة ماجستير، كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية، جامعة بغداد، 2014.

3 – الورد، دولة صالح علي حسن، العلاقات الخارجية للمملكة المتوكلية اليمنية 1918–1962م، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة صنعاء، الجمهورية اليمنية، 2007.

رابعاً: المصادر الاجنبية

1- al–Abdin, A. Z., The Free Yemeni Movement (1940–48) and

Its Ideas on Reform, Middle Eastern Studies, No. 1, Vol. 15, .Taylor & Francis, Ltd., 1979

خامساً: الكتب العربية والمعربة

1 – أباظة، فاروق عثمان، بريطانيا والحركة الوطنية في الشطر الجنوبي من اليمن 1967–1939م، دار المعارف، القاهرة، 1988.

2 – ابن المقرئ، المعجم، ط1، تحقيق أبي عبد الرحمن عادل بن سعد، مكتبة الرشيد، الرياض، 1998.

3 – البتول، عبد الفتاح محمد، خيوط الظلام، عصر الامامة الزيدية في اليمن (284–1382هـ)، ط1، مركز نشوان الحميري للدراسات والنشر، صنعاء، 2007.

4 – الجبارات، محمود محمد هملان، العلاقات اليمنية الامريكية 1904م–1948م (عهد الامام يحيى حميد الدين)، ط1، (د.ن)، بيروت، 2008.

5 – الجرجاني، ابي احمد عبد الله بن عدي، الكامل في ضعفاء الرجال، ج5، ط1، دار الفكر، بيروت، 1984.

6 – الجناحي، سعيد احمد، الحركة الوطنية اليمنية من الثورة الى الوحدة، ط1، مركز الامل للدراسات والنشر، الجمهورية اليمنية، 1992.

7 – الحداد، محمد يحيى، التاريخ العام لليمن، اليمن الحديث والمعاصر، مج 3، ط1، مكتبة الارشاد، الجمهورية اليمنية، 2008

8 – حسني، حماده، حسن البنا وثورة اليمن 1948، ط1، مكتبة بيروت، القاهرة، 2008.

9 – الخرباوي، ثروت، سر المعبد الأسرار الخفية لجماعة الإخوان المسلمين، ط1، دار نهضة مصر للنشر، القاهرة، 2012.

10 – الذهبي، ابي عبد الله محمد بن احمد بن عثمان، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، مج2، تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، (د.ت).

11 – سالم، سيد مصطفى، تكوين اليمن الحديث، 1–اليمن والامام يحيى 1904–1948، ط4، دار الامين للنشر والتوزيع، القاهرة، 1993.

12 – السلال، عبد الله واخرون، ثورة اليمن الدستورية، ط1، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، 1985.

13 – الشامي، احمد بن محمد، رياح التغيير في اليمن، ط1، المطبعة العربية، (د.م) 1984.

14 – شرف الدين، احمد حسين، اليمن عبر التاريخ (من القرن الرابع عشر قبل الميلاد الى القرن العشرين)، ط2، مطبعة السنة المحمدية، مصر، 1964.

15 – الصائدي، احمد قايد، حركة المعارضة اليمنية في عهد الامام يحيى بن محمد حميد الدين (1367–1322هـ – 1948–1904م)، ط1، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، 1983.

16 – عبد الحليم، محمود، الاخوان المسلمون احداث صنعت التاريخ رؤية من الداخل، ج، 1952–1948، ط5، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، الاسكندرية، 1994.

17 – الغزالي، محمد، تأملات في الدين والحياة، ط4، (33)، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2005.

18 – مجموعة رسائل الامام البنا، ط2، سلسلة من تراث الامام البنا الكتاب الخامس عشر، البصائر للبحوث والدراسات، مصر، (د. ت).

19 – مجموعة من المؤلفين السوفيات، تاريخ اليمن المعاصر 1982–1917، ترجمة محمد علي البحر، مراجعة محمد احمد علي، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991.

20 – محمد، محسن، من قتل حسن البنا؟، ط2، دار الشروق، القاهرة، 1987.

21 – مركز الدراسات والبحوث اليمني –صنعاء، ثلاث وثائق عربية عن ثورة 1948، مصطفى الشكعة: مغامرات مصري في مجاهل اليمن، ط2، دار العودة، بيروت، 1985.

22 – ناجي، سلطان، التاريخ العسكري لليمن 1967–1839، ط2، دار العودة، بيروت، 1988.

23 – ـــــــــــ، دور جريدة فتاة الجزيرة في احداث سنة 1948 بصنعاء، ط1، منشورات مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية (5)، جامعة الكويت، الكويت، 1980.

24 – الوصيفي، علي السيد، الاخوان المسلمون بين الابتداع الديني والافلاس السياسي، ط2، دار سبيل المؤمنين، القاهرة، 2012.

سادساً: البحوث المنشورة

1 – ابراهيم، احمد جاسم، العلاقات السياسية اليمنية–المصرية 1945–1952، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية، جامعة بابل، العدد 1، المجلد 4، 2014.

2 – احمد، محمد ناجي، الثورة اليمنية و «الاخوان»، موقع العربي، تاريخ النشر 14 اذار 2017، www.al–arabi.com .

3 – بلغيث، محمد الامين، حركة الاخوان المسلمين وبداية طرح المشروع الاسلامي في العصر الحديث (دراسة تاريخية)، الموسوعة التاريخية الرسمية لجماعة الاخوان المسلمين، www.ikhwanwiki.com

4 – حسين، صفوت، الاخوان المسلمون وثورة اليمن عام 1948، الموسوعة التاريخية الرسمية لجماعة الاخوان،

www.ikhwanwiki.com.

5 – فريح، وجدان كارون، دور الاخوان المسلمين في المعارضة اليمنية 1929– 1947، مجلة وميض الفكر، العدد العاشر اذار 2021.

سابعاً: المواقع الالكترونية

1 – الشيخ الغزي، السرطان القطبي الخبيث في ساحة الثقافة الشيعية، الحلقة السادسة، حسن البنا ج5، برنامج بث على قناة القمر الفضائية، تاريخ البث 29 ايلول 2017، www.alqamar.tv/arb/alsarattan–alquttbey–alkhabith

2 – مأرب بريس، قصة نشأة الاخوان المسلمين في اليمن، الحلقة الثانية، تاريخ النشر، 29 نيسان 2007، www.marebpress.com/articles.php

3 – الموسوعة التاريخية الرسمية لجماعة الاخوان

www.ikhwanwiki.com

باب النقد والأدب

1- الأبعاد الدلالية للمكان وربطها بالشخصيات في روايتي «بيروت لا تغفر» و «حي الأميركان»

الدكتور: علي سعيد أيّوب

أستاذ مساعد في الجامعة اللبنانية - كليّة الآداب والعلوم الإنسانية

Ali.ayoub@ul.edu.lb

تاريخ الارسال:29/7/2021 **تاريخ القبول:13/8/2021**

Research Summary:

Place setting is an important element of fiction especially in relation to characterization. This research studies the above issue in reference to the two novels: "**Beirut Does Not Forgive**" and "**The American Suburb**". Place setting in each of the two novels looks like a theater engineered carefully by the writer. It is a romantic one that reflects on the characters' psyche and creates a strong artistic relationship between its details and the humans who live on it. In any ways, the place setting conserves its role as

an infrastructural element in traditional novel writing. There is no predetermined place for action in a novel. It is rather a combination of how and where the characters act.

When the place is an artistic one, then it is portrayed through the interaction of characters and events reflecting social religious, political, moral and epochal issues. This is clearly observed in the two novels: "**Beirut Does Not Forgive**" written by **Carol Zia-deh Al-Ajami** and "**The American Suburb**" Written by **Jabbour Al-Douaihy**.

ملخص البحث

يُعتبر المكان عنصراً مهماً من العناصر الأساسية في دراسة الفضاء الروائي، وتحديداً ربط المكان بالشخصيات، واعتمدت في هذا البحث على دراسة الأبعاد الدلالية للمكان وربطها بالشخصيات في روايتي «بيروت لا تغفر» و «حي الأميركان»، بحيث يبدو المكان في الروايتين المذكورتين أعلاه مسرحًا تتحرّك عليه الشخصيات، وتقع فيه الحوادث، فهو مكان هندسي يلقى من الروائي عناية واهتماماً كبيرين، كما أنّه يظهر رومنسياً معبّراً عن نفسية الشخصيات، ويمثّل في مثل هذه الروايات مآلاً للأفكار والمشاعر التي تُنشئ بينه وبين الإنسان علاقة وطيدة يؤثّر فيها فنيّاً كل طرف في الآخر. وفي كلتا الحالتين يظل المكان في إطار المعنى التقليدي المعروف في الرواية. هذا المعنى يشكّل لها البنية التحتية. فالمكان الروائي لا يتشكّل إلّا باختراق الأبطال له، وليس هناك أي مكان محدد مسبقاً، وإنّما تتشكّل الأمكنة من خلال الأحداث التي يقوم بها الأبطال.

وإذا كان المكان روائياً فنيّاً، فإنَّ تصويره من خلال زاوية تفاعله مع الشخصيات والحوادث، يمثّل العديد من المنظومات الإجتماعية والدينية والسياسية والأخلاقية والزمانية. وهذا ما نراه في روايتي «بيروت لا تغفر» للكاتبة كارول زيادة العجمي و «حي الأميركان « للكاتب جبور الدويهي.

المقدمة

يعد المكان من العناصر المهمّة في بناء الشخصية الروائية، فلا يمكن أن توجد

شخصية من دون مكان. فالمكان فضاؤها وحيزها الذي تتحرّك فيه، فهو لا يقل أهميّة عن دور الزمان في بناء الشخصية، فكلاهما يشكل دوراً ذا أهمية كبيرة في البناء ذاته، وهما متصلان ومتلازمان، فلا يمكن تناول المكان بمعزل عن تضمين الزمان، كما يستحيل تناول الزمان في دراسة تنصبُّ على عمل سردي، دون أن ينشأ عن ذلك مفهوم المكان، في أي مظهر من مظاهره. ومن الجدير بالذكر أنَّ تجربة الإنسان التي يعيشها ضمن ظروف معيّنة، وعامل الحس الإنساني في نفس الإنسان، قد يدفعانه إلى الميل نحو الزمان والمكان.

يكتسب المكان في الرواية أهمية كبيرة ليس لأنّه عنصر من عناصرها الفنيّة، أو لأنّه يتحول في بعض الأعمال المتميزة إلى فضاء يحتوي كل العناصر الروائية، بما فيها من حوادث وشخصيات، وما بينهما من علاقات، ويمنحها المناخ الذي تفعل فيه، وتعبّر عن وجهة نظرها. فالمكان ليس عنصراً زائداً في الرواية، فقد يكون في بعض الأحيان هو الهدف من وجود العمل الروائي كلّه.

إنَّ للمكان الروائي فضاءات تتجاوز الواقع الخارجي، تصنّفه اللغة انقياداً لأغراض التخييل الروائي وحاجاته، فالمكان في الرواية قائم في خيال المتلقي، وليس في العالم الخارجي. وهذا المكان تثيره اللغة من خلال قدرتها على الإيحاء. ولذلك فإنَّ استعانة الروائي بوصف المكان أو تسميته لا يعني تصوير المكان الخارجي، وإنّما المكان الروائي لإثارة خيال المتلقي.

يبدو المكان في الروايتين مسرحًا تتحرّك عليه الشخصيات، وتقع فيه الحوادث، فهو مكان هندسي يلقى من الروائي عناية واهتماماً كبيرين. كما أنّه يظهر رومنسياً معبّراً عن نفسية الشخصيات، ويمثّل في مثل هذه الروايات مآلاً للأفكار والمشاعر التي تُنشئ بينه وبين الإنسان علاقة وطيدة يؤثّر فيها فنيّاً كل طرف في الآخر. وفي كلتا الحالتين يظل المكان في إطار المعنى التقليدي المعروف في الرواية. هذا المعنى يشكّل لها البنية التحتية.

أما المكان الذي يسهم في بنية العمل الروائي فيشكّل بنية فوقية يمكن أن نطلق عليها مصطلح الفضاء الروائي، وهنا يتسع المكان ليشمل العلاقات بين الأمكنة والشخصيات والأحداث. وفي مثل هذا العمل يُحدث المكان الروائي قطيعة بينه وبين مفهومه كتطبيق معيّن.

فالمكان الروائي لا يتشكّل إلّا باختراق الأبطال له، وليس هناك أي مكان محدد

مسبقاً، وإنّما تتشكّل الأمكنة من خلال الأحداث التي يقوم بها الأبطال، ومن المميزات التي تخصهم.

ويُعتبر الوصف الوسيلة الأساسية في تصوير المكان كما هو حادث في الروايتين، فهو محاولة لتجسيد مشهد من العالم الخارجي في لوحة مصنوعة من الكلمات، فإذا كان السرد يروي الأحداث في الزمان، فإنَّ الوصف يصوّر الأشياء في المكان، ولكنّه ليس غاية في ذاته، وإنّما هو لأجل صنع المكان الروائي أو بالأحرى لخلق الفضاء الروائي.

وإذا كان المكان روائياً فنيّاً، فإنَّ تصويره من خلال زاوية الرؤية يتم عبر التفاعل مع الشخصيات والحوادث، ولذلك يتم التمثيل على العديد من المنظومات الإجتماعية والدينية والسياسية والأخلاقية والزمانية. وهذا ما نراه في روايتي «بيروت لا تغفر» للكاتبة كارول زيادة العجمي و «حي الأميركان « للكاتب جبور الدويهي.

الرواية الأولى: بيروت لا تغفر

صفحة الكتاب:

- العنوان: بيروت لا تغفر.
- المؤلّف: كارول زيادة العجمي.
- ترجمة: جولي مراد.
- تقديم: بيار جان ريمي.
- الناشر: درغام للطباعة والنشر.
- تاريخ النشر: 2009.
- عدد الصفحات: 171.
- الطبعة: الأولى.
- النوع: ورقي غلاف عادي حجم 21×14.

ملخّص الرواية:

«**بيروت لا تغفر**» رواية للكاتبة «**كارول زيادة العجمي**»، تفتح من خلالها كتاب

بيروت الموجع، وتقرأ لبنان المتعدِّد طائفياً ومذهبياً، والقابل لأي حرب في أي ظرف مساعد بسبب هشاشة تركيبته، وتبدو خبيرة تاريخ وسياسية، مثلما هي على خبرة واسعة في بناء الشخصيات الروائيّة، ونسج العلاقات في ما بينهما.

كُتبت الرواية بالفرنسيّة، وعرّبتها «**جولي مراد**»، لكنَّ القارئ المتتبِّع فصول الرواية من ألفها إلى يائها، يشعر أنّها مكتوبة بالعربيّة، «**فمراد**»، عرّبت بلغة روائية، إذا صحَّ التعبير، وليس بلغة ترجمة ونقل، فأتى الكلام مرتاحاً، لما فيه من عفويّة، ودقة، وبساطة، وبراعة في تركيب الجملة، التي يأباها النّصّ الروائي، إن لم تكن منسابة بلا تكلّف أو صناعة ظاهرة. وربما «**مراد**» تتضامن أيضاً مع «**العجمي**» في وجعها البيروتي واللبناني، الأمر الذي يجعل المترجم من حيث لا يدري شريكاً للمؤلّف في النّصّ، وإن لم يجد بأيِّ فكرة من بنات خاطره، مكتفياً بأن يكون أميناً للوثيقة الأصليّة.

أوردت «**العجمي**» في مستهلِّ روايتها هذا القول «**لجاد دوبوربوت بوسيه**»: «**الحب هو حين لا يفرّقنا الإختلاف**». وهذا الكلام يظلِّل النّصّ الروائي كلّه، فالموضوع الرئيس هو الزواج المختلف دينياً بين امرأة مسيحيّة ورجل شيعيّ، وبين الحبِّ والافتراق كان أكثر من مدٍّ وجزر.

استطاعت الروائية أن تعرض في بدايات الرواية واقع لبنان المتعدّد دينياً فهو: «**الجنّة الغافية عل كتف بركان يُحتضر**»، والمهيأ دائماً للانتكاسات المؤلمة. وآخرها الحرب اللبنانية، التي عمّقت الهوّة بين الطوائف، وتحديداً بين المسلمين والمسيحيّن.

لم يكن سهلاً على بطلة الرواية، إقناع أمِّها بسفرها إلى فرنسا، وهي الصبيّة التي نما فيها ميل جامح إلى الأدب الفرنسي ولغته، غير أنَّ «**الحفاظ على التفرّد، على الهويّة، على الماهيّة الدينية**»، بقي هاجسها الأول والأخير. إلى فرنسا وصلت تاركة في لبنان أمّاً أرملة، وأختاً عزباء. والوالد كان توفيَ بذبحة قلبيّة، وغاب عن فصول السرد والأحداث. ووعدت أمَّها بمنِّ الطموح وسلواه: «**يوماً ما سأعود لأهديك انتصاراتي كلّها يا أمّي**». في متجر الثياب، التقت الدكتور «**فيكتور فاكي**»، وهي قاصدة المكان لشراء هدِّية لأمِّها بمناسبة عيد الأمّهات، وقد تخلّت عن هديتها له لأنّها أعجبته، وهو أيضاً يريدها هديّة لأمّه. وبدأت رحلة حبٍّ عاصفة بين «**فابيان**» و «**فيكتور**».

لم تكن «**فابيان**» تدري حقيقة اتجاه الرياح التي وجّهت أشرعتها، واعتقدت أنّها وطئت فردوسها المفقود، وأحبّت الفرنسيّ الحرَّ الذي يُحبُّ بلا قيود، بعيداً من الرجل اللبناني المقيّد بالإنتماء الديني، والاجتماعي، والعادات والتقاليد... وهكذا، استمرَّ الحبُّ بين

امرأة تقول: « **أحبُّ بالفرنسيّة، وأفكّر بالعربيّة**»، وبين رجل غربي فضحته عبارة كانت أقوى منه أمام جمال حبيبته: «**الله أكبر ما أجملك**». فانسحب الضباب الجميل، وتعرّت الأشياء لتظهر على حقيقتها،« **ففيكتور فقيه**»، رجل شيعيّ من لبنان، و«**فابيان**» امرأة مسيحيّة لبنانيّة. وبدأ الألم يأخذ مكانه في الرواية من خلال زيارة «**أم فيكتور**» لفرنسا، فهي لا تريد امرأة مسيحيّة زوجة لابنها، و«**أم فابيان**» لم تكن حالها أفضل، وفُرض على الحبيبين لتحدّي الصعب، واتّضح أنَّ ما يجوز في فرنسا لا يجوز في لبنان، وأنَّ صخرة الواقع ذات تأثير مأسويّ مهما بلغ نضج الفرد الثقافي والحضاري، فالعلمانية حلٌّ لم ينضج لبنانياً بعد، والمسلم لا يزال مسلماً، والمسيحي مسيحيّاً.

تمَّ الزواج المدني في فرنسا، ذهبت «**أم فابيان**» إلى ابنتها لتخدمها عندما أنجبت صغيرتها، لكن بداعي العادة والتقليد، وليس بداعي العاطفة وصفاء الروح. «**والدة فيكتور**»، احتجّت بقوّة على المولودة فحسب لأنّها بنت، و«**فيكتور**» شديد التأثّر بأمِّه، لكنَّ الصغيرة تلقّت سرَّ العماد على رغم الأجواء غير المؤاتية.

سعى «**فيكتور**» إلى مساعدة «**منى**»، التي تزوجت «**جورج**» الفاحش الثراء على الانجاب. لطّف مناخ العلاقة مع «**أم فابيان**» وأخنها، غير أنَّ الرياح جرت بما لا تشتهي «**منى**»، وتمَّ الانفصال بعد بضع سنوات. وصعّد دخول «**والد فيكتور**» المستشفى سلبية العلاقة بين «**فيكتور**» و «**فابيان**»، فانتهى الأمر إلى أمٍّ وابنتها تقيمان في ما بين جدٍّ، وأبٍ طبيب يقيم في منزل من الجهة الأخرى من المدينة.

قارئ«**بيروت لا تغفر**» يجد أنَّ أزمة الرواية تتخطّى الحرب فهي كامنة أصلاً في النسيج اللبناني المتعدِّد. فشروط اللعبة في فرنسا هي غيرها في لبنان، حيث ضغط المجتمع المباشر، والقادر كما اتضح في سير الرواية على أن يؤثِّر على مجريات الأمور جذريّاً. فنور «**الطفلة**» هي ثمرة مغايرة من المفترض أن تنتهي بإيجابية، لكنّها في حقيقة الأمر هي بنت مشكلة، لم تجد لها حلّاً، وهي في نهاية المطاف مسيحيّة، وكان من الممكن، لو بقيت مع أبيها، أن تكون شيعيّة. من هنا تكتسب الرواية صفة الواقعيّة إذ لم تحاول «**العجمي**» القفز فوق الواقع، إنّما تركت له المساحة الأكبر من النّصّ، فاللبناني خارج لبنان، ولا سيّما في الغرب، يستطيع الاستقلال من ذاته التي يصنعها المجتمع. ويتّجه نحو ذاته التي يريد هو صُنعها، إلّا أنَّه حين يعود إلى مجتمعه اللبناني، يجد نفسه مضطراً للتنازل لأسباب منها ما هو عاطفي ومنها ما هو ديني...

«**بيروت لا تغفر**»، رواية تحتضن مأساة وطن، تعترف بقدرة الواقع الاجتماعي في

الانتصار على الفرد مهما بلغ نضجه الحضاري والإنساني، وهي في الوقت نفسه تمجِّد الفرد مواجهاً المجتمع، مغامراً بأثمن ما لديه: حياته.

تمهيد:

إذا كان البعض يرى أنّنا نعيش اليوم زمن الرواية بامتياز، فإنَّ هذا الزمن للأسف، ما فتئ يقدِّم إنتاجه الروائي في مستوى إبداعي متفاوت، وخصوصاً في العقدين الأخيرين، حيث تصاعدت ظاهرة استسهال كتابة الرواية في مجتمعاتنا بشكل لافت ومتسارع. غير أنَّ ذلك لا يمنع من القول بأنَّ الرواية عموماً تعرف اليوم انتعاشاً ملحوظاً على مستوى مغايرتها الروائية المهيمنة والمؤطّرة لمحكياتها، بمثل ما تعرفه، أيضاً من تصاعد للكتابة فيها من قبيل رواية «**بيروت لا تغفر**» وغيرها من المغايرات الروائية، ما فتئت تعرف تحوّلاً وتنامياً ملحوظين، على مستوى إقبال الروائيين على تشييد متخيلهم الروائي فيها، بالنظر لما تحقّقه هذه المغايرات من حضور وتراكم روائي متزايدين.

غير أنَّ هذا التعايش بين هذه المغايرات الروائية المهيمنة، لا يعني أنّها تحتل المرتبة نفسها، وإنَّ لها الحضور نفسه في المشهد الروائي العربي، وإن بدا من المؤكّد أن ارتباط الرواية العربية بالمدينة، ما فتئ يتصاعد ويتطوّر عقداً بعد آخر، ليس باعتبار المدينة تشكِّل فقط فضاء للأحداث الروائية، بل أيضاً لما تطرحه رواية «**بيروت لاتغفر**» من قضايا وأسئلة إشكالية ومتشابكة في ماضيها وفي حاضرها.

ومن هنا لا يستطيع أحد أن ينكر الدور التاريخي الكبير الذي لعبته مجموعة من المدن العربية روائياً، بما حققته من تراكم تاريخي وروائي، ومن أسئلة تاريخية، وسياسية، واجتماعية، وثقافية، وبنيوية، وغيرها من المدن الأجنبية في تطوير الرواية العربية وازدهارها، ومدى مساهمتها أيضاً في بلورة متخيل روائي متنوّع ومؤثِّر.

وتبقى مدينة بيروت إحدى أكثر المدن العربيّة استثماراً من قبل الروائيين العرب والأجانب، بالنظر للدور التاريخي، والثقافي، والأدبي الكبير الذي لعبته هذه المدينة، هي التي وصفها «**سمير قصير**» في كتابه المهم«**تاريخ بيروت**»، «**بكونها جمهورية الآداب العربية**»[1]، عبر ما قدّمته مدينة بيروت من إنتاج أدبي عربي على مستوى كتابة الشعر والنثر، والترجمات، والمسرح، والفن عموماً، وما لعبه كتّابها من ناحية، ودورياتها ومطابعها، ودور النشر فيها، ومعارضها من ناحية ثانية، ومن أدوار طلائعية في هذا المجال، وأيضاً عبر ما وفّرته هذه المدينة من خدمات، وإمكانيات لافتة للإبداع والتجديد

(1) سمير قصير. تاريخ بيروت. بيروت، دار النهار للنشر، ط1426/2006،1، ص27.

منذ خمسينيات القرن الماضي، فضلاً عن كونها شكّلت، منذ فترة مبكِّرة، ملجأً مفتوحاً للعديد من الأدباء والكتّاب العرب والأجانب.

وفي صلب هذا الدور التاريخي والإبداعي الذي لعبته بيروت، يبدو أنَّ الرواية اليوم، هي الأكثر حضوراً وجاذبيةً للروائيين بشكل عام، بما تقدِّمه لهم المدينة من إمكانات وافرة الإبداع، ولإدراك التحولات في المجتمع، وبما تفتحه أمامهم من آفاق واسعة لاستعادتها في عديد صورها، وملامحها، ورؤاها، وأحداثها، وحكاياتها وفضاءاتها، فبيروت تعتبر في الوقت نفسه، مدينة للمتناقضات، ومدينة للحرب والدمار والموت، ومدينة للعشق والجمال والحياة.

دراسة المكان في رواية «بيروت لا تغفر»

إنَّ للمكان أهمية كبيرة في الرواية، حيث إنّه عنصر من عناصرها الفنّية، تجري فيه الأحداث، و تتحرّك الشخصيّات، فهو فضاءٌ يحوي كلّ العناصر الروائية، بما فيها من أحداث وشخصيّات، وما بينهما من علاقات، يمنحها المناخ الّذي تفعل فيه، و تعبّر عن وجهة نظرها. وهنا يرمي الناقد «**حسن بحراوي**» في كتابه:«**بنية الشكل الروائي**»: «**إن المكان ليس عنصراً زائداً في الرواية، فقد يكون في بعض الأحيان هو الهدف من وجود العمل الروائي كله**»[1].

ويقوم المكان بالتعبير عن نفسيّة الشخصيات و المشاعر و يُمثّل لها، ومن هنا تنشأ العلاقة الوطيدة بين الإنسان و المكان، حيث يؤثّر فيها فنّيا، كلّ طرف في الآخر. ومن هنا فإن المكان يشكّل بنية العمل الروائي الّذي يتسّع ليشمل أيضاً الأمكنة والأحداث.

إنَّ العالم الخارجي هو لوحة مصنوعة من الكلمات، يشكّل فيها الوصف، الوسيلة الأساسية في تصوير المكان، فإذا كان السرد يروي الأحداث في الزمان، فإن الوصف يصوّر الأشياء في المكان، ومن هنا يتبين لنا بأنّه ليس الغاية في ذاته، إنّما خلق الفضاء الروائي الذي من أجله صنع المكان.

ومع العلم بأنَّ رؤية الكون منسجمة مع الشخصيات ومعبّرة عن نفسيتها، ويظهر المكان حاملاً لبعض الأفكار على حد قول« **حسن بحراوي**» في كتابه:«**بنية الشكل الروائي**» :«**يبدو المكان كما لو كان خزاناً حقيقياً للأفكار والمشاعر والحدوس، حيث تنشأ بين الإنسان والمكان علاقة متبادلة يؤثّر فيها كل طرف على الآخر**»[2].

(1)– حسن بحراوي. بنية الشكل الروائي. بيروت، المركز الثقافي العربي، ط2، 1430/2009، ص33.
(2)– حسن بحراوي. بنية الشكل الروائي. ص31.

إنَّ المكان بوصفه مكاناً لوقوع الأحداث يتجاوز الوظيفة المحدّدة إلى فضاء يتّسع لبنية الرواية، و يؤثّر فيها من خلال الزاوية الأساسية التي ينظر الإنسان منها.

وللمكان في الرواية قيمة فنيّة لا يمتلكها إلّا من خلال تعدده واختلافه عن المكان في الواقع الخارجي، حيث أنَّ المكان في الرواية معروض من زاوية الراوي والشخصيات والأحداث والأفكار، ومن خلال تفاعلها فيما بينها. ويعبّر عن ذلك«**حسن بحراوي**» في الكتاب السالف الذكر بقوله:

«إنَّ المكان الروائي لا يشكّل باختراق الأبطال له، وليس هناك أي مكان محدّد مسبقاً، وإنّما تتشكّل الأمكنة من خلال الأحداث التي يقوم بها الأبطال وفي المميزات التي تخصهم»[1].

ولكن وجهات النظر المتعددة والتي ينشأ المكان من خلالها، تمرّ على عدّة مستويات من طرف الراوي، بوصفه كائناً مشخّصاً ومتخيّلياً، حيث إنّ اللغة منطلقاً أساسياً من طرف الشخصيات الأخرى التي يحتويها المكان، وفي المقام الأخير من طرف القارئ الذي يدرج بدوره وجهة نظر غاية في الدقة .

إنّ المكان في الرواية من غير تلك الآفاق (الشخصيات، الزمان، الأحداث) يغدو محضر زخرف أو زينة، حيث أنّه يساعد على الفهم والتفسير، مع العلم بأنَّ المكان لا يتحوّل إلى فضاء روائي لوحده، فهو معيار أساسي في بناء الفضاء الروائي.

ولعل خصوصية الخلق الفني لهذه الرواية «**بيروت لا تغفر**» تمنح المكان قيمة فنيّة تتجلّى في نجاح الروائي في هذا البناء. ومن الجهة الفكرية ليس المكان مكاناً موضوعياً محايداً، وإنّما هو مكان روائي فنّي، يتم تصويره من جهة نظره، ومن خلال رؤية، وعبر التفاعل مع الشخصيات والحوادث، وهو بذلك يحمل قيمة أو يمثلها أو يرمز إليها.

إنَّ« **كارول زيادة العجمي**» المتمثلة بالخبرة الواسعة في بناء الشخصيات الروائية ونسج العلاقات فيما بينها، تبدو خبيرة تاريخ وسياسة من حيث استهلالها الرواية «**بيروت لا تغفر**» بالتحدث عن الواقع اللبناني المتعدد الديانات والمذاهب وباعتباره قابلاً لأية حرب في أي ظرف مساعد بسبب تركيبته السياسية والفكرية والعقلية، فتعبّر عن ذلك بقولها واصفة لبنان بأنّه: «**الجنة الغافية على كتف بركان يحتضر**».

وتقصد بذلك الحرب اللبنانية التي فرّقت بين المسلمين والمسيحيين تحديداً، ومرت البطلة بكثير من التعب والمعاناة حتى تمكنت من إقناع والدتها بالسفر إلى فرنسا،

(1)– حسن بحراوي. بنية الشكل الروائي. ص 29

حيث إنّها أحبت الأدب الفرنسي ولغته إلى درجة العشق، ولكنّ هاجس أمها الوحيد هو «**الحفاظ على التفرد، على الهوية، على الماهية الدينية**». وغادرت الفتاة البطلة تاركة أماً أرملةً وأختاً عزباء، واعدة الأم بتحقيق الطموح المرجو «**يوماً ما ساعود لأهديك انتصاراتي كلها يا أمي**».

قصدت«**فابيان**» متجراً للثياب في باريس لشراء هدية لأمها في عيد الأم، حيث تم اللقاء بين «**فيكتور**» و«**فابيان**»، وبدأت علاقة الحب ورحلته بين الطرفين انطلاقاً من الإعجاب بذات الهدية، وانطلاقاً من هذه الحالة اعتبرت «**فابيان**» بأنّها بدأت ببناء فردوسها المفقود مع ذاك الرجل الفرنسي الحر الذي أحبته من دون قيود، وبعدت عن الرجل اللبناني المتقيد بالانتماء الديني والاجتماعي والعادات والتقاليد. وبقيت رحلة الحب مستمرة بين امرأة تقول:«**أحب بالفرنسية وأفكر بالعربية**» وبين الرجل الغربي الذي فضحته عبارة كانت أقوى منه أمام جمال حبيبته «**الله أكبر ما أجملك**». وظهرت الأشياء على حقيقتها «**ففيكتور فقيه**» رجل لبناني من الطائفة الشيعية وكذلك«**فابيان**» فتاة لبنانية مسيحية.

أخذ الألم في الرواية مكانه عند زيارة «**أم فيكتور**» لفرنسا، فهي لا تريد زواج ابنها من امرأة مسيحية، وكذلك«**أم فابيان**» لم يكن حالها أفضل.

وبدأت المشاكل والمصاعب بالظهور بين الحبيبين، لأن ما يجوز في فرنسا لا يجوز في لبنان، مهما بلغ نضج الفرد الثقافي والحضاري.

فالعلمانية حل لم يتم استخدامه في لبنان بعد، والمسلم لا يزال مسلماً والمسيحي لا يزال مسيحياً.

وبعد هذا كله أقيمت مراسم الزواج المدني في فرنسا، وعندما تمكنت «**فابيان**» من الإنجاب، قامت الأم بالذهاب اليها، ولكن ليس لصفاء الروح، بل بداعي العادات والتقاليد السائدة في المجتمع الشرقي.

وكان احتجاج «**أم فيكتور**» على المولودة لأنّها بنت، و«**فيكتور**» متأثر بأمه كثيراً. وبناءً على كل الأمور غير المؤاتية، تلقت الصغيرة سر العماد.

وكان «**لفيكتور**» الدور الأكبر في مساعدة «**منى**» التي تزوجت من «**جورج**» وهو رجل فاحش الثراء، لطّف مناخ العلاقة مع «**أم فابيان وأختها**» غير أنَّ الرياح تجري بما لا تشتهي «**منى**».

وبعد سنوات من الزواج تم الانفصال وتأزمت الأمور كثيراً عندما دخل «**والد فيكتور**» المستشفى، وازدادت العلاقة سلبية بين «**فيكتور**» و«**فابيان**»، وخلص الأمر إلى أم وابنتها تقيمان ما بين جد، وأب طبيب يقيم في منزل في الجهة الأخرى من المدينة.

بدأت العلاقة في باريس وتبلورت نهاياتها الروائية في بيروت، وبين بيروت وباريس يتأرجح المدّ والجزر، ويتداخل الخاص مع العام، و يخضع الأفراد لتأثير الأهل، وفي سياق هذا المسار تتطوّر المواقف، ويتحوّل قسم من الشخصيات، فيما يبقى الآخر ثابتًا عند مسبقاتها وعقائدها. ودوران الأحداث ما بين الفريقين، وظهور المواقف المختلفة هو ما صنع الأسرة الجديدة على شفا التفكيك.

كأن«**كارول العجمي**» تريد أن تقول:«**إنَّ العلاقات المختلطة الناجحة تحتاج إلى المكان الحضاري المناسب، وإلى الفضاء الاجتماعي المنتفع لتنمو وتؤتي ثمارها**».

وكان لعلم«**أم فابيان**» و«**أم فيكتور**» بأنّ مشروع الزواج هو مشروع خيانة، و إنّهما تعارضان المشروع كل على طريقتها.

وتم هذا الزواج المختلط، وترتب عليه من نتائج ومضاعفات، وكان لتأثير المكان والفضاء الاجتماعي الأكثر والأكبر في نجاح الزواج وفشله، وهو الأساس الّذي نسجت الكاتبة روايتها «**بيروت لا تغفر**»، ومكان هذه الرواية وأحداثها ما بين باريس وبيروت غداة الحرب اللبنانية، ترصد مسار العلاقة بين زوجين مختلفين دينياً، وترجّحها بين الهدوء والتوتر تبعاً للمكان الّذي تجري فيه الأحداث، وكان لتدخل الأهل أحلام في عادات وتقاليد وأفكار ثابتة عن الآخر المختلف في مجرى تلك العلاقة. وكان للحرب الدور الأكبر في تكريس الرواسب في النفوس والممارسات، جعلت الطرفين وعلاقتهما تترنّح في المواجهة والإشراف على السقوط.

«**بيروت لا تغفر**» فإنَّ قارئ هذه الرواية يعتبرها تتجاوز الحرب اللبنانية المتعددة فهي كامنة في النسيج اللبناني، ففرنسا غير لبنان ويسيطر المجتمع على مجريات الأمور حسب ما ورد في الرواية كما اتضح.

«**كارول العجمي**» قفزت فوق الواقع، فاللبناني خارج لبنان ولا سيما في الغرب، يستطيع الاستقلال من ذاته التي يصنعها المجتمع. ولكنّ العودة إلى المجتمع اللبناني تجعله يتخلى عن كثير من الأسباب العاطفية والدينية.

«**بيروت لا تغفر**» رواية تحوي بين دفتيها مأساة وطن، يظهر الواقع الاجتماعي

منتصراً على الأفراد، وإن تكن الحضارة والثقافة بلغت درجة عالية يمجّد الفرد مواجهاً المجتمع، مغامراً بأغلى ما لديه وهي: حياته.

وخلاصة القول:إنَّ العلمانية في المجتمع اللبناني تحتاج إلى المزيد من الوقت لتسمح بعبور اللبناني إلى الآخر بلا مشاكل، بلا عقد، بلا خلفيات، وبكامل القناعة التي لا تسقط مهزومة على صخرة الواقع.

خاتمة:

إنَّ شهرة بيروت روائياً، لا ترتبط فقط بما عرفته من حروب أهليّة، ومعارك ومجازر، وأحداث ساخنة، بل ثمّة اعتبارات أخرى مرتبطة بهوية هذه المدينة، وبتاريخها السياسي، والاجتماعي، والثقافي، والرمزي، ساهمت كلّها، وبشكل متزايد، في تصاعد كتابة مدينة «بيروت» روائياً، ولا أدلّ على ذلك من استمرار حضور «بيروت» في الروايات اللبنانية والعربية الجديدة، انطلاقاً من تمثّلها لأحداث، ووقائع، ومتغيرات راهنة، من دون أن يعني ذلك أن هذه الروايات قد شكّلت قطيعة مع الأحداث والوقائع الشهيرة التي عرفتها هذه المدينة، وتمثّلها الرواية العربية والأجنبية في العديد من نصوصها، وعبر أزمنة مختلفة.

تبدو بيروت في رواية «**بيروت لا تغفر**» مدينة صامدة، تراهن على الحياة والألم والأمل، وتبدو هذه الرواية بقدرتها المدهشة على التعايش، وعلى البزوغ بإشراق مكرور، وبقدرة فائقة على معاودة الحياة.

ورغم كل هذا الإرتباط المهيمن والمكثّف للرواية العربية والأجنبية في بيروت، فضاءً وشخوصاً وأحداثاً، يبدو أنَّ رواية «**بيروت لا تغفر**» لم تأتِ منغلقة ومتقوقعة على نفسها، وعلى محكياتها وأحداثها وشخوصها المحليّة فقط، بقدر ما جاءت، في كثير من نصوصها، منفتحة بشكل واسع على «الآخر» بمفهومه وصوره المتعدّدة، أي كريفي، وقروي، ومغترب، ومهاجر عربي، وأجنبي، ومحتل، وهو ما ساهم في تلوين متخيلها الروائي العام، بتلوينات حكائية ودلاليّة ورمزية مختلفة، بما لعبته تلك الشخوص المجسِّدة لصور هذا «الآخر»، في أدوار مؤثِّرة في شحن المتخيّل الروائي البيروتي، عبر تشييد الكثير من العلاقات الملتبسة والمتوترة والمنغلقة فيما بين «الذات» و «الآخر»، هذا الأخير الذي يتم تجسيده، في كثير من الروايات التي تتحدث عن بيروت، والإنسان الريفي، والقروي، والفلسطيني، واليهودي والمغترب، إذ تغدو «بيروت» في هذه الحالة

«**المعبر المحتوم**»، والمحطّة التي لا بدَّ لأبطال الروايات الريفيين من اجتيازها، في تنقلاتهم وأحلامهم، باعتبارها أيضاً هي: «**المكان الذي يحلو فيه للأبطال تذكّر الريف الذي أتوا منه**».[1]

من هنا، أهمية ما يمكن لبيروت، ولغيرها من المدن العربية، أن تقدمه كفضاءات روائية، لرواياتنا العربية ولإدراكنا ووعينا بالأمكنة، من إمكانات مهمّة لاستعادة الدفء والطمأنينة إلى علاقتنا الذاتية والنفسية والوجودية بمدننا وبإمكاناتنا المتلاشية، بفعل الحروب والخراب والتخلّف والشعور بالغربة عن الذات والعالم «**لأننا نحن أبناء هذا (المشرق العربي) نعيش في زمن تطوّر الرواية العربية (كجنس أدبي) زمناً خاصاً، زمن فقدان المكان أو زمن فقدان البيت الأليف**»[2]

الرواية الثانية: «حي الأميركان»

صفحة الكتاب

- **العنوان: حيّ الأميركان.**
- **المؤلف: جبور الدويهي.**
- **دار النشر: دار الساقي.**
- **تاريخ النشر: 2014.**
- **عدد الصفحات: 160.**
- **الطبعة: الأولى.**
- **النوع: ورقي – غلاف عادي.**
- **القياس» 21×14.**

(1) جورج دورليان، بيروت في ذاكرة الرواية اللبنانية، ضمن كتاب جماعي عن أشغال مؤتمر نُظم ببيروت، في موضوع « بيروت في الرواية، الرواية في بيروت»، ط1، 1431/2010، ص224.

(2)– يمنى العيد. فن الرواية العربية،بين خصوصية الحكاية وتميز الخطاب. بيروت، دار الآداب، لاط، 1419/1998، ص112.

ملخص الرواية

الرواية تقع في 160 صفحة من القطع المتوسط وتنقسم 6 فصول، أما من ناحية الموضوع فهي تنقسم جهتين: الحي«العشوائي الفقير» حيث يعيش الأبطال: «أم محمود» خادمة «القصر القديمة»، وابنتها «انتصار وزوجها بلال وابنها اسماعيل»، روح الرواية وقلبها، وفي الجانب الآخر، القصر القديم حيث تعيش عائلة «العزام»، مفتي المدينة، وأحد أعيانها الذين صنعوا تاريخها، ولم يبق في القصر الآن سوى «عبد الكريم» الشاب المثقّف الجديد، الذي ترك المدينة إلى باريس، إبان العنف والارتباك، وعاد بعد وفاة الوالد آخر أعيان العصر الذي يغرب، عاش «عبد الكريم» في« باريس» قصة غرام إنساني رائع مع راقصة باليه ملكت عليه قلبه وعقله وشكّلت صورة عكسية لواقع ضار في «طرابلس». في أول لقاء«لعبد الكريم» مع «فاليريا دومبروفسكا» راقصة الباليه البلغارية يقول الكاتب في نموذج لقدرته البلاغية الجديدة.

تركت وراءها دعوة خاصة لحضور(كسارة البندق) في«أوبرا الباستيل» وعينين زرقاوين واسعتين تقولان«لك إنها لم تكن تنتظر في الدنيا سواك معجبة وفرحة بكلماتك، قبل أن تخرج من فمك كأنك اكتشافها الثمين»

يصوّر هذا المقطع كل القصة والشخصيتين، والمصير الحتمي لقصة حب لا تنتمي لهذا العالم، يعود«عبد الكريم العزام» إلى« طرابلس» بعد اختفاء حبيبته لكي يعيش معنى في قلب عاصفة العنف، ودوامة الارتباك في «حي الأميركان» و«طرابلس» كلها، بطل الرواية الآخر «اسماعيل»، «ابن انتصار»، مدبِّرة المنزل الجديدة، التي ورثت عمل أمها« أم محمود»، وزوجة «بلال» المتشرد النموذجي الذي طعنته أحداث عنف مرّت بها المدينة،«جزرة باب الحديد»، وتركته الأحداث بلا عمل وقد اتهمه الرفاق بالهرب أو بالوشاية، فعاش زوجاً لانتصار بلا دخل وبلا كرامة، يبحث عن كرامته في انجاب أطفال، وممارسة عنف ضد زوجته الصامدة القوية.

«إسماعيل» ابن هذه الحياة الزوجية، وابن شوارع«حي الأميركان»، يهجر الدراسة ويشكّل مع أشباهه عصابة مراهقين يقومون بجرائم صغيرة حتى تأتي الانتخابات السياسية فيكسبون رزقهم من خدمة المرشحين والمرشحين المضادين، حتى يقع في براثن جماعة «الهداية الإسلامية» التي تتستر وراء الدعوة الدينية لكي تجمع شباباً لترسلهم للحروب مع رجال القاعدة: «أصابت اسماعيل تلك (الجمدة) التي تكاثرت الإصابة بها لدى شباب يهتدون في آخر العقد الثاني من العمر». وأصبح جاهزاً للمهمة المحوريّة في

الرواية أن يرتدي حزاماً ناسفاً ويذهب إلى العراق لتفجير أتوبيس في«المحمودية».

اعتنى المؤلف عناية خاصة برسم شخصية «إسماعيل» لكي يصنع منه بطلاً دراماياً بامتياز، فهو قبل «الجمدة» التي أصابته وأدخلته إلى التنظيمات المسلّحة: كان قد اكتسب ملامح خاصة فهو قد ترك بيت أبيه وأمه«انتصار»، بعد أن تشاجر مع والده الذي يضرب أمه وانتقل ليعيش مع جدته «أم محمود» راعية القصر القديمة التي تحمل بقايا قيم وتقاليد قديمة، وهو كذلك يرعى أخاه الأصغر المصاب في قدميه بعرج منذ الولادة ويدافع عنه ضد كل من يسخر منه ويشتري له الحلوى ويأخذه في نزهات خارج «الحي العشوائي» إلى ما بقي من المدينة من شوارع ومباهج بسيطة، كما أنه على علاقة بخال له مدرّس يجمع قروشه القليلة لكي يقوم برحلات سنوية إلى العالم الخارجي ويحكي «لإسماعيل» عن الدنيا وما فيها، ولكن ككل كائنات الأحياء العشوائية يقع الخال في إدمان الكحول ويحصل على شريط تسجيل لخطاب «جمال عبد الناصر» الذي يعلن فيه التنحي ويظل طوال الليل يشرب خمرته الرخيصة ويسمع الشريط ويبكي، كما أنه يراقب في الحي شيخاً قديماً، كان الناس يحبّونه ويصدّقونه دون عنف أو حديث مكرّر عن الجهاد، وكان» الشيخ عبداللطيف» يقول في أعقاب أحداث 11 سبتمبر في«نيويورك»:«ليس للإسلام أعداء أكثر من بعض المسلمين».

ليلة خاصة أكملت تشكيل شخصية «إسماعيل»، هي الليلة التي أمضاها في بيت«عبد الكريم عزام»، وحكى له العاشق الباريسي والإنسان المحب «لطرابلس القديمة»، عن حياته وغرامه وعن عودته إلى الوطن يحمل معه أشجاراً قزمية كانت لحبيبته الراقصه، وحملها معه إلى لبنان في حلم عبثي بأنها قد تعود يوماً ما لتلك الأشجار ولتخبره، عن مصير الطفل الذي قالت له في خطاب الوداع إنها حامل به.

كل هذه العناصر شكلّت شخصية الشاب«إسماعيل» الذي ارتدى حزاماً ناسفاً، وخرج في مهمة أخيرة من«طرابلس» هارباً إلى العراق لكي يفجّر نفسه في«أتوبيس ركاب في محطة عراقيه في مدينة المحمودية»، كانت هذه هي المهمّة التي كلفته بها الجماعة، لكي يصل إلى الشهادة وإلى الجنّة ولكي يثبت أنه مسلم صالح .

الرحلة إلى«العراق» هرباً في حافلة تنقل الخضار مع اثنين من الاستشهاديين «أبو عبدالله الصومالي»، و«المغاربي»، صاحب الطابع الحاد واللهجة الغريبة، كانت جحيماً وعذاباً خالصاً، وكانت أيضاً إنجازاً فنياً صوّره الكاتب تصويراً مثيراً ودقيقاً، وظل« إسماعيل» طوال الرحلة يصلي، ويردّد لنفسه أنه لا يريد أن يموت هنا .. ولكنّه يريد

أن يموت في الجهاد.

قالوا له: إن اللحظات الأخيره هي أصعب اللحظات، فكيف كانت، كان «إسماعيل» في آخر

«الأتوبيس»، وكان« الأتوبيس» مزدحماً، وبينما «الأتوبيس» يقترب من« محطة المحمودية»، خرج من بين الركّاب طفل يعرج ويمشي وسط ممر«الأتوبيس» ويعدُّ الركّاب، من هذا الطفل؟، ومن أين ظهر؟، إنّه يشبه أخاه تماماً، ويعدّ الركّاب واحداً واحداً حتى وصل إلى «إسماعيل»، ودقق في وجهه ووضع إصبعه الصغير في صدره، وقال سبعة وثلاثين.. هنا نادت عليه أمه .. يا«محمد». لقد وجد أخاً مثل أخيه، وأماً مثل أمه .

نزل«إسماعيل» في«المحطة» تخلص من الحزام بحذر في«مراحيض المحطة»، ونظر من النافذة الصغيرة، كان الأفق يمتد أمامه، أرض بلا بشر تتدرج من ألوان الصحراء إلى ألوان السماء.

كان اليوم يوم اعتقال«صدام»، وأعلنت المحطات عن عملية استشهادية في محطة «المحمودية» وعن استشهاد حامل حزام ناسف، ولكنَّ الخبر لم يتأكد بعد، أن أُعلن في «حي الأميركان» أن «إسماعيل بلال» شهيد الجهاد في«أرض العراق».

في إشارة ذات دلالة أخيرة ساعد «عبد الكريم» الشهيد الحي الذي عاد إلى «طرابلس» على الاختفاء بأن أعطاه. «البالطو الأسود» الذي كانت الراقصة تتدثر به.

تمهيد:

في لحظة ازدهار الرواية العربية، اكتمل انهيار المدينة العربية ودولتها. هذه مفارقة كبرى تعاكس التجربة التاريخية لفن الرواية. تلك خاصية عربية حتى الآن: رواية موت المدن وخراب العمران وتمزق المجتمع وانهيار الدولة الوطنية وهيمنة العنف وانحطاط السياسة.

يمكننا أن نتحدث أيضا عن خاصية استثنائية أخرى للرواية العربية المعاصرة، عدا عن تدوينها البارع للتحولات القاتلة التي أودت بالمدينة. ونقصد بالخاصية أنها ليست آتية من هناءة الريف ووداعته، ولا من أرصفة المدن وبورجوازيتها، بل هي الآن رواية

الضواحي البائسة والعشوائيات، التي نشأت على أطراف المدن، مع التعثر المديد للتنمية وفشل تطبيق شروط « الدولة الوطنية»، والتمزّق العنيف للنسيج الاجتماعي، وهجران الريف وبواره، وانتشار البؤس والبطالة، والانفجار السكاني المترافق مع فساد عميق في السياسة والاقتصاد، وانسداد الأفق، وحلول اليأس الذي سيتولى تلك «الصحوات» الدينية الغاضبة والانتحارية...

إنَّ الرواية تكتب مصائر مدينة«طرابلس اللبنانية»، سيرة اجتماعها وعمرانها. فيقول الكاتب في روايته: «**المدينة ميتة، تستيقظ متأخرة وتتحول إلى مدينة أشباح بعد الثامنة ليلاً، حاربت الإنتداب الفرنسي وتضامنت وتظاهرت مع كل قضية عربية، خرج أهلها عن بكرة أبيهم إلى الشوارع يوم استقال» جمال عبد الناصر، «وقاد رجل من عندهم جيش الإنقاذ الفلسطيني عام ،1948 فأمست اليوم لا تحرك ساكناً، يشتري الأغنياء أصوات أهلها في الإنتخابات، أغنياء تحوم الشبهات حول طريقة تجميعهم الثروات ...»**[1]. يتحدث الكاتب عن هجر مدارس الإرساليات للمدينة، عن الالتجاء إلى البلدات المسيحية لقضاء الأوقات الممتعة والتسلية والسهر، وعن سيطرة خطباء الجمعة المتطرفين على فضاء المدينة وعلى عقول شبانها ... تلك الأحداث المشابهة التي شهدتها معظم المدن العربية، ودلّت على الموت الذي بدأ يطغى عليها، وعلى «الزحف» الذي لا يرد لموجات النزوح من سكان فقدوا أريافهم ونظموا حياتهم ومصادر رزقهم وتقاليدهم، وزنروا المدن بالبؤس، وتغلغلوا فيها وقبضوا على مصيرها، وفيما تلك المدن ذاتها بسكانها وعائلاتها، كانت قد فقدت ديناميتها ومشروع «التحديث» الذي انطلق فيها على أقل تقدير في أواخر القرن التاسع عشر.

إنَّ رواية «حي الأميركان»، تجسّد مدلولاً في المسار الروائي عند «جبور الدويهي»، لا من حيث موضوعها وأجوائها ومناخاتها المتقاطعة، بل من حيث الأسلوب المتميز الذي شيدت به عوالمها ولغتها السردية الآسرة، وبلاغتها السردية الملتوية التي تعتمدها في حبك الأحداث وتوصيف العوالم والشخصيات.

وفي هذا العمل القصصي يشرَح الواقع العربي سياسياً واجتماعياً عبر قراءة واقع مدينة « طرابلس اللبنانية»، حيث يركّز على تصوير التجارب الإنسانية الصعبة والمنعطفات الحاسمة في تاريخ لبنان عبر بوابة مدينة «طرابلس»، وحي اسمه» حي الأميركان»، حيث تناول مستوى البنى الإجتماعية، وتصاعدًا في درجة التناصر الطائفي والمذهبي الذي تنامت معه عاصفة الإقتتال والتصفية وحرق الأخضر واليابس، فتموت المدينة

(1) – جبور الدويهي. حيّ الأميركان. بيروت، دار الساقي، طبعة أولى، 1434/2014، ص 95–94.

بموت القيم الحاضنة للجمال والتعايش ومحبة الحياة.

هذا الحي عرف» بحي الأميركان» نسبة إلى» المدرسة الإنجيلية» المهجورة والمنسية، وهكذا هم سكان الحي كانوا منسيين من قبل الدولة والمجتمع الغني والراقي.وهذه» المدرسة أصبحت لفترة زمنية مركزاً لفرع المخابرات الجويّة المرهوبة الجانب.

وهذا الحي يعيد الأحداث التي كانت سبباً في تدهور معالم»المدينة الفيحاء» إلى «الهداية الإسلامية»، حيث حياة جديدة لمتطوعين في المساعدة على الخدمات التي تقدمها الجمعية، والتي تتعرّض لها أمّة الإسلام في» العراق» من عدوان، أساسها واقع ما يجري في لبنان.

دراسة المكان:

«حي الأميركان» في الشمال اللبناني، الذي يتخذه الروائي بؤرة سردية أو صندوق صوت ليقدّم صورة شبه مأسوية عن منطقة أُريد لها أن تكون مهملة، وحين أراد أهلها أن يتمردوا في مراحل مختلفة، كانت تحركاتهم خاطئة تسير في طريق منعرج أو منحرف، أو صوبت عليهم البنادق وكأن هذا المكان قد كتب على أهله أن يظلوا تحت رحمة الجائرين غرباء كانوا أم ممن عمل الغريب على جعلهم ذوي صورة من الظلم والجور.

وعلى الرغم من كثرة القضايا التي عالجتها الرواية، حيث الحكاية تلد حكايات بعيدة زمانياً وقريبة، إلا أننا نستطيع أن ننطلق من الصراعات التي سيطرت على أجواء الرواية وعلى عناصرها الفنيّة من مكان وزمان وشخصيات، فيؤكّد لنا النّص أنَّ الصراع هو المحرّك الأساس لعجلات الحياة والوجود، وليس من مكان يخلو من هذه الصراعات سوى الأمكنة المثالية التي رسمتها لنا الأديان كالفردوس وما شابه. وتشير الرواية من خلال تضافر تقنياتها التي تشكل مرحلة الفهم والتأويل، إلى أنَّ الصراع الأكثر حضوراً كان ذا بعد نفسي قائم على الكبت الجنسي الذي ألمح إليه الكاتب من خلال حركات معظم الشخصيات على المسرح، بالإضافة إلى الصراع ذي البعدين الاجتماعي والاقتصادي الذي تحرّكه علاقات الإنتاج.

فالحي يشكّل حقلاً خصباً لتجارب الآخرين فوق التراب، لما فيه من بيئة مؤهلة لاستيعاب أشكال العنف لما تعانيه من كبت وفقر وعوز ليشكّل العاملان النفسي والإقتصادي السبب الأبرز لانجراف شباب الحي بتيارات مختلفة وصلت إلى مرحلة التطرّف الأصولي من خلال«إسماعيل» أحد أبطال الرواية الرئيسيين.

«كان سكن عائلتين معاً في منزل واحد ضيّق ومتداع قد حظي باهتمام مراسلة إحدى المحطات التلفزيونية التي تؤثر بتكرار الكلام حول البؤس المستشري في أحياء المدينة القديمة وعلاقة ذلك بالعنف وازدهار الحركات الأصولية»[1].

وعلى الرغم من ظاهرة النّص الذي يشير إلى التحولات التي أصابت أبناء هذا الحي، إلا أننا نجد ما يشبه الثوابت في تركيبة أهله، فالأبناء امتداد للأباء والأجداد، وكأن الرضوخ للمصائر أمر واقع، «فأم اسماعيل» ورثت الخدمة في البيوت عن أمها والعمل في الدار نفسها وهي دار» آل العزام» ذات السلالة الإقطاعية والسياسية.

«كذلك إسماعيل شكّل امتداداً واضحاً لوالده من خلال تسلمه مسدسه، وهذا ما حصل مع الابن الذي ذهب ليقاتل في مكان غريب من دون معرفة العدو الحقيقي.أما الشخصية الوحيدة التي كان لها صفة التمرد ومحاولة التغيير هي شخصية» عبد الكريم العزام» أحد أبناء العائلة الإقطاعية، إذ منذ صغره خالط الآخرين خصوصاً الفقراء، كما شارك خادمته اللعب وهما صغيران، نراه يخرج عن ما هو مألوف لدى عائلة لها بروتوكولات معيّنة «**هكذا بدأ معه باكراً هذا الشعور بأنَّ الدنيا هي حيث لا يكون، والدنيا لم تكن في مبنى المدرسة الذي أصرَّ والده على بقائه فيه** «[2].

وكون المكان له أهمية قصوى لا تقل عن الزمان والشخصيات في أي رواية، وبما أنَّه عنصر أساسي من العناصر الفنية، تجري فيه الأحداث، ويرتبط ارتباطاً وثيقاً بالشخصيات،

« فحي الأميركان» يدل على شخصية «اسماعيل وعائلته الفقيرة»، وعن العلاقة الوثيقة بينهما، حيث يمنحها المناخ الذي تفعل فيه وهذا المكان هو الهدف من وجود العمل الروائي.

وكون المكان يقوم بالتعبير عن نفسية الشخصيات، ويمثل لها، «فحي الأميركان» دليل على البيئة التي تتخبط فيها الصراعات والتخلّف والفقر والعوز. هذا الحي الصغير المليء بكل أشياء السوء من ظلم وتعجرف والدليل على ذلك شخصية « بلال» الذي يعيش اضطرابات نفسية.

والفرق بين هذا المكان و»قصر آل العزام»، رغم قصر المسافة بينها فهذا القصر الراقي يدل على رقي شخصية» عبد الكريم»، الذي عاش في «باريس» البلد الحضاري.

(1)– جبور الدويهي. حيّ الأميركان. ص24.
(2) – جبور الدويهي. حيّ الأميركان. ص39.

فكان إنساناً راقياً مثقفاً ومتفهماً، لذا كان المكان دليلا على نفسية وشخصية صاحب القصر «عبد الكريم»، والمكان يشكّل خزاناً حقيقياً للأفكار والمشاعر، حيث تنشأ بين الإنسان والمكان علاقة متبادلة يؤثّر فيها كل طرف على الآخر.

للمكان في الرواية قيمة فنيّة لا يمتلكها غلاَماً خلال تعدده واختلافه عن المكان في الواقع الخارجي، حيث إن المكان في الروايه معروض من زاوية الراوي والشخصيات والأحداث والأفكار.ويعبّر» **حسن بحراوي**» في كتابه» **بنية الشكّل الروائي**» :» **تتشكل الأمكنة من خلال الأحداث التي يقوم بها الأبطال وفي المميزات التي تخصهم** «[1].

ويعالج الدكتور «**نبيل ايوب**» في كتابه «**النقد النصّي**» دراسة عناصر الرواية فيقول :«**إنَّ الروائي قد يعتّم عن قصد صورة المكان، أو قد يشير إليه بشكل عابر، أو قد يسلّط الضوء عليه**»[2].والدليل على ذلك تسليط الضوء على «حي الأميركان وقصر آل العزام».

وبما أنَّ المكان يصنّف في دوائر تبعاث لمجريات نوع الأحداث الجارية فيه، وتحولها أو تعارضها، والإلهام بالواقع، عبر إدخال التفاصيل إلى عالم الرواية حيث ذُكر منزل» انتصار والدة إسماعيل» والأثاث القديم وغيره، كما أن الوظيفة الدلالية للوصف مقصودة، فتبعثر الأمكنة يشعر بدلالة خاصة بهوية الشخصية الوجودية.

إنَّ صورة المكان الواحد قد تتنوع حسب زاوية النظر التي يُلتقط منها، والرواية التي تحصر أحداثها في مكان واحد قد تخلق أبعاداً مكانية في ذهن شخصياتها، فتفتح النوافذ على أمكنة ذهنية أخرى. ومجموع الأمكنة سواء أكانت جغرافية أم ذهنية، تشكّل ما يسمى بفضاء الرواية. وعلى هذا يلف الفضاء أمكنة الرواية، ويشمل مجموع أحداثها، من دون أن تكون هذه الأحداث عنصراً تكوينياً له كما المكان يلف الفضاء أحداث الرواية، والأمكنة وحدها تشكّل كونيّة مستقلة، وهي ترتبط بالحركة السردية الروائية التي من دونها لا يمكن اكتمال تكوين الفضاء. إنَّ الخط الزمني ضروري لإدراك فضاء الرواية، بخلاف المكان الجغرافي المحدّد المعزول إذ يفترض الفضاء حركة ما داخله، أي استمرارية زمنية تؤكد حضور الزمان في المكان.

إنَّ المكان يسافر بك إلى أمكنة تطل من «حي الاميركان» وبالتحديد من» بيت انتصار» إلى «قلعة الصلبيين» العظيمة، وكذلك النهر الذي لا مهرب منه للوصول إلى الحي عبر صعود الأدراج، وهذا الحي المأسوي والمهمل يمثّل صورة واضحة عن

(1)– حسن بحراوي. بنية الشكل الروائي. بيروت، المركز الثقافي العربي، ط2، 1430/2009، ص29.
(2) – نبيل أيوب. النقد النصّي.بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، طبعة أولى، 1432/2011، ص81–80.

ساكينيه، هم أيضاً منسيون يعانون الفقر والإهمال حالهم كحال الحي الذي يعيشون فيه. وبالمقابل» قصر آل العزام»، رغم المسافة الضئيلة بينهما إلاّ أنَّ مسافات أخرى تفصل المكانين ليبدوا من عالمين مختلفين.

الخاتمة:

تتميّز رواية جبور الدويهي بالابتعاد عن الزخرفة الكلامية، لصالح محكي بسيط يهتم بالحدث ورصد انفعالات النفس الإنسانية بعمق وكثافة، كما يتميز بقدرته على التقاط التفاصيل البسيطة التي تشكّل معاشنا اليومي، فتبدو رواياته صورة عن حياتنا بعد تكبيرها بمجهر قلمه، كما يحسب له ابتعاده عن شرك النمطية في معالجة شخصياته وتوجهاتها.

«فحي الأميركان» قصة وطن، وحكاية أمّة سلّمت مصيرها إلى أعدائها، وأغمضت عينيها عمّا تكتنزه من خيرات وثروات. طافت بها الصحارى تبحث عن هويّة، وعن معنى عالج فيه الرواي، «الواقع الراهن»، وعن طريق تشكيل متخيل يتصل بالشخصيات التي أشرنا إلى بعضها، وهي تنسج علاقتها بعضها ببعض، من جهة، وبينها وبين ما يجري في الحياة من حولها، من جهة ثانية. ومن هنا، وانطلاقا من استراتيجية سردية جديدة، نرى السارد يضع، وبالتدرج، في بؤرة الأحداث شخصية من شخصياته يسلّط عليها الضوء ويغوص إلى أعماقها ليكشف عن أزماتها وتطلعاتها، أفراحها وأتراحها.. ومع ذلك تمضي المحكيات مترابطة متصلا بعضها ببعض من دون أن يحس القارئ بأن هناك نقلة أو انقطاعاً في مجرى الوقائع والأحداث، كما ألمحنا قبل قليل. وقد نجحت الرواية عبر هذه التقنيات السردية والخصائص الفنية في معالجة الواقع الراهن معالجة فنية جديدة تنتصر لما هو إنساني وتشجب الإرهاب وتمظهراته المختلفة. وقد استطاعت، أيضا، الكشف عن الجذور السياسية والإجتماعية وراء هذه الظاهرة التي صارت تتفشى وتهدد المجتمعات الإنسانية المعاصرة بالدمار والانهيار الحضاريين.

إنَّ الكاتب، ومن خلال هذه الرواية، خلق لنا نماذج بشريّة سرديّة، أمسكت بهذه الشخصيات، بدل تشتتها وضياعها وصوغها كأنّها جزء من الحياة نفسها، أدّت بنا إلى التعرف إلى البيئة المكانيّة في«حي الأميركان»، والمقابل للقلعة الصلبية في« المدينة الفيحاء طرابلس»، وتعرّفت أيضاً إلى بيت «بلال»، وهو من البيوت التي تنطلق منها الشخصيات والأحداث الرئيسة في الرواية.

«فحي الأميركان»، هو المكان الذي دارت حوله الرواية، هو أكثر من حي، وأبعد من

مكان، هي حالة تختزل مدينة وتبتعد إلى أبعد.

إنَّ الكاتب أراد لنا أن يروي ما يعيشه اليوم عالمنا العربي من امتداد «جهاد تكفيري» و«طرابلس»، تشبه العديد من تلك المدن العربيّة، و«حي الأميركان» يشبه الكثير من الأحياء، أأراد تقديم أنموذج لهذا الواقع دون التحليل والتنظير؟ تتداخل الوقائع مع ما يجري في العالم من دون التعمّد، هذا ما نعيشه اليوم في الوقت الراهن، فالكاتب لم يقرّر أن يقدِّم أنموذجاً، لكنّه أدرك أنّنا نعيش حالات متشابهة من تعاليم جهادية، وبؤس، وفقر تنطبق على العديد من البلاد، والمدينة الإسلامية المنتجة لهذه النماذج، هي همٌّ من هموم العالم. لكنّي أعلم جيداً بأنَّ مدينة طرابلس، ليست معملاً للإرهاب، هي مدينة طبقات وسطى، وتعايش كغيرها من المدن اللبنانية كافة، وليست بيئات للتطرّف.

وبهذا تكون رواية «حي الأميركان» قد قامت على الالتباس في الهويّة (الجنسية، الدينيّة، السياسية، الجغرافية، والثقافيّة...)، لكنّها تظلُّ شهادة انتماء أصيلة ومفعمة بالحياة، فطرابلس وما تضمُّ من أحياء وبخاصة «حي الأميركان»، مدينة لم يهزمها الموت بعد.

كلمة أخيرة:

لما كان المكان لا يعيش بمعزل عن باقي عناصر الرواية، وإنما يدخل في علاقة تفاعل مع المكونات الحكائية للسرد كالشخصيات والزمان والأحداث والرؤى السردية، فإن عدم قراءته ضمن هذه العلاقات والصلات يجعل من العسير فهمه داخل السرد الروائي. في حين أن قراءتنا له مرتبطة بالعناصر السالفة الذكر، وتظهر مدى وعينا به وقدرتنا على فهمه، ومن ثم قدرتنا على تلقي النص الروائي وفهمه.

وحتى يتسنى لنا قراءة المكان قراءة واعية تؤدي إلى فهمه على نحو صحيح، اقترح الباحثون ثلاثة محاور في هذا الصدد، يتمثل أولها في الرؤية (أو زاوية النظر أو المنظور) التي يتخذها الراوي أو الشخصيات عند مباشرتهم للمكان لأن الرؤية هي التي تقود «نحو معرفة المكان وتملكه من حيث هو صورة تنعكس في ذهن الراوي، ويدركها وعيه قبل أن يعرضها علينا في خطابه» [1].في حين يتمثل المحور الثاني في فهمنا للغة الموظفة لتشخيص أو وصف المكان» فكل لغة لها صفات خاصة في تحديد المكان أو رسم طوبوغرافيته وبها يحقق المكان دلالته الخاصة وتماسكه»[2]. أما المحور الثالث فيتمثل في المتلقي أو القارئ للمكان في النص الروائي فهو يتلقى جمالياته المنبثقة عبر

(1)– حسن بحراوي. بنية الشكل الروائي. ص 101.
(2)– حسن بحراوي. بنية الشكل الروائي. ص32.

النص السردي والتي لها أثرها في التلقي، كما أنه يساهم في إنتاج هذه الجماليات[1].

وفي النهاية يعد الجانب الجمالي للمكان «درجة من الجودة تحسب للروائي لقدرته على اختزان أمكنة مغايرة لما يعهده المتلقي أو تقديم المكان الذي يعيشه المتلقي في صورة فنية مختلفة[2].

المصادر والمراجع:

- أيوب نبيل. النقد النصّي. بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 1432/2011.
- بحراوي حسن. بنية الشكل الروائي. بيروت، المركز الثقافي العربي، ط2، 1430/2009.
- دورليان جورج. بيروت في ذاكرة الرواية اللبنانية، ضمن كتاب جماعي عن أشغال مؤتمر

نُظم ببيروت، في موضوع «بيروت في الرواية، الرواية في بيروت»، ط1، 1431/2010.

- الدويهي جبور. حيّ الأميركان. بيروت، دار الساقي، ط1، 1434/2014.
- العجمي كارول زيادة. بيروت لا تغفر. ترجمة جولي مراد، بيروت، درغام للطباعة والنشر، ط1، 1430/2009.
- العيد يمنى. فن الرواية العربية، بين خصوصية الحكاية وتميز الخطاب. بيروت، دار

الآداب، لاط، 1419/1998..

- قصير سمير. تاريخ بيروت. بيروت، دار النهار للنشر، ط1، 1426/2006.
- الضبع مصطفى. استراتيجية المكان. القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، أكتوبر 1998م.

(1)- مصطفى الضبع. استراتيجية المكان. القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، أكتوبر 1998م، ص 395.
(2)- مصطفى الضبع. استراتجية المكان. ص37.

2- فن الوصف عند الشيخ عبد الله بن فودي (دراسة فنية موضوعية)

Art of description in Sheikh Abdallah ben Fodio Objective and artistic study

إعداد:الدكتور أبُّو سليمانُو
أستاذ الأدب والنقد المساعد/ في المعهد العالي لإعداد المعلمين / جَامعة مرْوَا
جمهورية الكاميرون
Dr: Abbo Souleymanou
ENS UMa
Rep. du Cameroun
abbo.lawana@gmail.com
TE:(00237) 691024372 / 679612621

تاريخ الاستلام: 3/7/2021 تاريخ القبول 25/7/2021

مستخلص البحث: وليس هنالك من بين علماء إفريقيا جنوب الصحراء، من ترك تراثا ضخما في الأدب في القرن التاسع عشر الميلادي مثل الشيخ عبد الله بن فوديو؛ والمنطقة تفخر بمؤلفات هذا العبقري، لا لكثرتها، وقيمتها فحسب، ولكن لشمولها معظم العلوم من: تاريخ، ولغة، ونحو، وصرف، ومنطق، وعلم الكلام، وعروض، وأدب. ولم يكن في غرب أفريقيا أعلم منه في ذلك الزمن. فقصائده، تميل إلى اتباع القدامى في الأبنية والتراكيب، ومفرداتها ضاربة في القدم، وبعضها معبّر عن البيئة الإفريقية وأماكنها، مع تتعدد الأغراض داخل القصيدة الواحدة.

والبحث يهدف إلى دراسة أدبية لشعر الوصف لهذا الشاعر الإفريقي المثقف، ويسلط الضوء على أعماله وإسهاماته والوقوف على مستوى الفن الوصف في الأدب العربي الإفريقي. وقد وصل الباحث إلى بعض النتائج وهي: كثرة الإنتاج الأدبي في هذه البقعة من إفريقيا شعرا كان أو نثرًا، فيكفينا دليلا ما خلفه هذا العبقري من تراث علمي ضخم، في الأدب، والنحو والصرف، والعروض، والبلاغة.

الكلمات الإفتتاحية: الشيخ عبد الله بن فودي، فن الوصف، إفريقيا جنوب الصحراء، جيش الفتوح، وصف الصحراء.

Summary:

Art of description in Sheikh Abdallah ben Fodio Objective and artistic study

Abstract:

Sub-Saharan Africa is proud of the works left by that genius, not only by their value and quantity, but above all by the various disciplines they cover: History, language, logic, rhetoric, metrics and literature. He was the greatest scholar of his time in Sub-Saharan Africa.

His vocabulary reflects the African societal life and its environment with multiple objectives within his poetry. This presents an important development in the poetic method of African literature because it exposes the epic events without however leaving the subject. However, this was not known before the Fulani era, just as the description of the desert was not present in the Sub-Saharan Arabic poetry. The poet seems to be the only one in this position in his time. He is also the only one to describe war an d the desert with so few words.

This work also, and above all seeks to study the poetic texts of Abdallah ben Fodio in both sections; that is, the introduction and the conclusion. The first part of this eork will deal with a brief study of the poet's life, the second with the presentation of extracts from his descriptive poetry, and the conclusion, will be focused on the results reached by the researcher.

I had recourse to the analytical descriptive method to explain the text and to the historical method for the life of the poet, just as I have allowed myself, in one way or another, to use the inte-grative method, which seems to me more suited to the different parts of this study.

Keywords: Sub-Saharan Africa, Cheick abdallâh ben fodio, descriptive art, the liberation army, African literature.

1. مقدمة:

يجب أن تحتوي مقدمة المقال على تمهيد مناسب للموضوع، ثم طرح لإشكالية البحث ووضع الفرضيات المناسبة، بالإضافة إلى تحديد أهداف البحث ومنهجيته.

هذا وقد اتبعت المنهج الوصفي التحليلي عند دراسة النصوص، كما سلكت على المنهج التاريخي في دراسة حياة الشاعر، بما يمكنني أن أزعم أنني اعتمدت بشكل أو بآخر على المنهج التكاملي، حيث رأيته أوفى المناهج لحمل أعباء الدراسة في أقسامها المختلفة.

هذا وتهدف هذه المقالة، إلى تقييم الأعمال القيمة لهذا الشاعر الإفريقي المثقف، ويسلط الضوء على أعماله وإسهاماته في مجال الأدب العربي، وهو عالم إفريقي موهوب ولديه أعمال كثيرة.

تمثل إشكالية الدراسة: ما مستوى الفن الوصف في الأدب العربي الإفريقي؟ وهل في القصيدة وحدة العضوية؟

2. المطلب الأول: التعريف الشاعر

لست هنا في مقام البحث عن الشيخ عبد الله بن فودي وشاعريته، حتى أستعرض الآراء التي دارت حوله وتناولت شعره، ولكنني هنا في مقام البحث على القيم الفنية في شعر الوصف عنده، ولذا فإنني سأقصر تعريفي بالشيخ عبد الله على: نسبه، ومولده، ونشأته، ووفاته، لما لها من علاقة وثيقة بموضوع هذا البحث.

اسمه ونسبه: هو أبو محمد عبدالله بن محمد الملقب بـ»فودي»[1] بن عثمان بن صالح بن هارون بن محمد الملقب بـ» غُوْرِطِ»، بن جبّ بن محمد بن سمبو بن ماسران بن أيوب بن أبي بكر بن موسى جكل الذي وصل بقبيلته « تورب» إلى بلاد نيجيريا. ولغتهم هي لغة الفلانية، سبقوا الفلانيين إلى «**حوص** « بسبع سنين وجدّهم «**موسى جَكَلْ**» ينتمي إلى عشيرة (**التُورْبِيِّين**) الفَلَّاتَه الذين استقروا في إمارة «**غُوبِرْ**».

أمّا نسب والده من جهة أمه فكذلك ينتمي إلى العشيرة نفسها، إذ يقول: «والدي هذا أمه مريم بنت جبريل بن حمّ بن عال بن جَبُّ الجد المتقدم»[2].

أمّا والدة عبد الله فهي كذلك تنتمي إلى العشيرة نفسها فهي: حواء بنت محمد بن عثمان بن حمّ بن عال... إلى آخر النسب، وأمها رُقيّة بنت العالم المشهور في قبيلتهم محمد بن سعد جنادان بن إدريس بن إسحاق بن ماسران... الخ.

فالملاحظ أنه ينتسب إلى هذه العشيرة من كل الأطراف التي كونت أسرته[3].

1.2 **مولده:**

تضاربت الآراء حول زمان ومكان ميلاده، أمّا إذا ناقشنا هذه الآراء، ووضعنا في

(1)– كلمة «**فُودِي**» تعني الفقيه باللغة الفُلاَّنية، وقد ضبطها الشيخ عبد الله بن فودي (أخو عثمان) في فهرسته المسماة «إيداع النسوخ» فقال: «ولقبه فُودي (بفاء مضمومة ضمة إشمام، وبعد الواو دال مهملة مضمومة وبعدها ياء ممالة). وقد رأيت هذا الضبط موجوداً على عدد من عناوين كتب الشيخ عثمان المخطوطة على هذا النحو «فودي»، أي على نحو ما ترسم كلمات كثيرة في المصحف برواية ورش عن نافع مثل: الهدى . الضحى . الأولى . أي بياء بها علامة الإمالة، وهي ألف فوقها ونقطة واحدة تحتها. وقد جرت العادة على كتابة الكلمة في المطبوعات الحديثة بياء مثناة عادية «فودي». ولذلك صار يقرأها الكثيرون بدال مكسورة عوض المضمومة تيسيراً للنطق. أما الذين كتبوا عن الشيخ عثمان وعائلته باللغات الأجنبية، فهم تارة يكتبون: فوديو (Fudi)، وتارة أخرى، (Fodye) فوديي، أما المتداول حالياً على الألسنة في منطقة الهوسا وبلاد الفلان، فهو: «فُودْيُو".

(2)– **راجع:** إنفاق الميسور في تاريخ بلادالتّكرور، ص:211. والثقافة العربية في نيجيريا، ص:135، و مختارات من مؤلفات الشيخ عبد الله بن فودي، ص:85،

(3) – **راجع:** ترجمته في: نصوص عربية من صكتو.. قاريونس 1993م.ص:45، وعبد الله بن فودي وحياته العلمية/ حوليات الجامعة الإسلامية بالنيجر، العدد الرابع، سنة:1998م، ص:57. والدعوة الإسلامية في غرب إفريقيا وقيام دولة الفلاني، مكتبة الزهراء للإعلام العربي القاهرة 1991م.

الحسبان قول عبدالله نفسه إنّ الشيخ عثمان يكبره بحوالي اثنتي عشرة سنة، فهذا يجعلنا نرجّح أن يكون تاريخ ميلاده سنة: 1766م[1].

ومهما يكن من أمر فإنّ الاختلاف حول ميلاد الشيخ عبدالله لم يكن بالشيء الكبير؛ إذا ما عُرف من ظروف الحياة في تلك الفترة؛ من تنقل وعدم اهتمام بالتواريخ وضبطها لدى سكان تلك المناطق، فحتى وقت قريب كان الناس فيها يؤرّخون بالأزمات المشهورة التي تشغل بال المجتمع ككل، كأن يقال ولد فلان في عام مرض الجدري أو عام الجوع أم سدر، وغالبا أنّ مثل هذه الأزمات تستمر لأكثر من عام.

2.2 نشأتــه:

نشأ الشيخ عبدالله على المنوال نفسه الذي نشأ فيه أخوه عثمان؛ حيث ولد في بيت علم؛ فيه الأب المعلم والأم المعلمة والأخ والأخت والخال والعم كذلك. فلا تجد في أسرته من ليس له مؤلفان على الأقل، ويؤكد كلامنا هذا كثرة من أخذ عنهم العلم ممن ذكرهم في كتابه (إيداع النسوخ من أخذت عنه من الشيوخ) فقد ذكر فيه حوالي ثمانية عشر شيخا من أشهر الذين أخذ عنهم العلم فكان تسعة منهم من أهل بيته وعشيرته؛ كأبيه وأمه وأخيه وأعمامه وأخواله وأبنائهم.

ويقول الوزير جنيد: «إنّ بيت عال هو أكبر بني موسى وهو بيت مشهور بالصلاح والخير، ومعروف بحفظ القرآن والخير، ودرس العلوم والاطلاع على غوامضه، فكان ذلك السرى يسير فيهم قرنا بعد قرن حتى خرج وظهر والد الشيخ، محمد المعروف بفودي رضي الله عنه»[2]، فمنذ أن بلغ عبدالله الخامسة من عمره صار يتنقل بين الفقهاء إلى أن بلغ مرحلة النضوج العلمي ثم التأليف، وقد لاحظنا أنّ مراحله العلمية تنقسم ثلاث مراحل:

المرحلة الابتدائية: وقد بدأ هذه المرحلة على يد والده لما بلغ الخامسة من عمره؛ حيث علّمه القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم، وقد أسهمت والدته وجدته كذلك في هذه المرحلة بصورة فعالة.

المرحلة الثانوية: وتتمثل في الفترة التي أودعه والده لأخيه الشيخ عثمان، وله عندئذ من العمر ثلاثة عشر عاما، يقول: « وقد تركني أبي في يده، بعد قراءة القرآن، وأنا ابن

(1) – **راجع:** مصباح الدراسات الأدبية في الديار النيجيرية، ص:123.
(2) – **راجع:** عبد الله بن فودي وحياته العلمية، ص:67.

ثلاث عشرة سنة»[1] فهيأه الشيخ عثمان وأعدّه لخوض مرحلة التخصص والتعمّق، التي هي في المستوى الجامعي اليوم.

المرحلة الجامعية: وتبدأ هذه المرحلة من بداية خروجه للتعلم خارج نطاق عائلته وأسرته، وارتحل إلى العلماء سواء داخل مدينته أو خارجها، وهذه المرحلة تتسم باتصاله بالأساتذة الكبار المتخصصين في مجالات بعينها، أمثال شيخه صاحب التأثير الكبير فيه، جبريل بن عمر، والشيخ محمد المغوري، ومحمد راج، والشيخ محمد الفربري، من فحول الأساتذة الأفاضل، ومحمد ثَمْبُو، وغيرهم من العلماء.

ويبدو جليا من كلام الأستاذ عبدالله أنّه وصل مرحلة التخصص في عام: 1201هـ عندما بدأ دراسة صحيح البخاري على يد شيخه محمد بن راج. يقول أحد الباحثين: «وقد لحظت أنّ معظم الذين غرسوا الأستاذ الشيخ عبدالله بن فودي . من أسرته . شغلهم الشاغل التعلم والتعليم؛ الأمر الذي أثر فيه تأثيرا قويا وجعله ينكب على طلب العلم حتى أصبح فحلا من فحول علماء عصره يشار إليه بالبنان، يلقب بالنادر، وبعربي السودان، فالإنسان كما يقول علماء علمي النفس والاجتماع: ابن بيئته التي عاش فيها وابن ثقافته التي تثقف بها»[2].

وأما مذهبه وعقيدته: فكان الإمام الشيخ عبد الله . كما ذكر عن نفسه . مالكيا، أشعريا.

وقال محمّد البخاري بن الشّيخ عثمان يمدح عبد الله بن فودي ويصفه بعظيم فهمه وعلمه وبتقواه وتواضعه، فهو علاّمة القرآن، وحاوي السّبق في علوم الحديث، ومتبحّر في البلاغة، وبحرٌ محيط في النّحو فيقول:

ولقد حباك الدّهر شيخاً ما له ... في العلم في تلك الأراضي ماثل

أعني إمام العصر عبد الله من ... ساد الشّيوخ النّبل مُذْ هو شَابل

شيْخ العلوم خديمه تبّاعها ... خدنٌ التّقيّ الحبر النّبيل الكامل

علم الهدى سعد الزّمان عماده ... حانٍ رفيقٌ بالأنام حلاحل

ذو شدّةٍ في دينه متواضعٌ ... ذو هيبةٍ برٍّ أمينٌ عامل

علاّمة القرآن حاوي السبق في ... علم الحديث وفي البلاغة كافل [3]

(1)- **راجع:**نفس المصدر ص:70.

(2)- **راجع:** حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، ط2، المكتبة الإفريقية، سنة:1993م /1414هـ.صـ: 106.

(3)- **راجع:** عبد الله بن فودي وحياته العلمية، صـ:77.و حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، ص:105.

2.3 وفاته: كما كان الاختلاف في تاريخ ميلاده كان الاختلاف في زمن وفاته أيضا، لأنّ الباحثين لم يجدوا تاريخا محددا لوفاته، مثلما لم يجدوه لميلاده كذلك؛ ولذلك يستنبطونه من عمره الذي بلغ الستة والستين عاما، وقوله إنّ الشيخ عثمان يكبره باثني عشر عاما، توفي الشيخ عبد الله رحمه الله سنة 1246هـ، الموافق: 1830م، بمدينة (غُندُو، وله من العمر ستّ وستون عامًا) وهذا هو الرأي الراجح[1].

أما المصادر الذي اعتمدت عليها في نقل هذه القصائد فاثنان، الأول: النسخة الأصلية من كتاب تزيين الورقات لعبد الله بن فودي، وقد طبعت بمطبعة جامعة إبادن النيجيرية عام 1963م، والثاني: مجموعة من الدراسات الأكاديمية السابقة، والمقالات المحكمة، والتي كانت لي سندًا ودليلا وعونا في رسم خطة البحث وفي الوصول إلى المصادر والمراجع التي احتوت على المادة العلمية لهذا البحث.

3. نماذج لبعض نصوصه الشعرية في غرض الوصف:

المراد هنا الوصف الأدبى الذي يتناول الطبيعة والإنسان، والآثار القائمة، والمنشآت الجميلة، والحوادث الكبيرة، وكل ما يعنى للإنسان تسجيله باللغة، ويعتمد على الخيال وصدق التعبير.

وليس الوصف موضوعا جديدا فى الشعر العربي الإفريقي كما هو ظاهر لكل قارئ وباحث، بل إنه من الفنون التى تطرق إليها الشعراء في القرن التاسع عشر الميلادي في النيجيريا وغيرها من البلدان الإفريقية، وقد أورده الدكتور علي أبوبكر من الأبواب الشعرية التي طرقها الشعراء في تلك الفترة حيث قال معللا عن الشعر والشعراء في الفترة: «وليس لنيجيريا . في القرن التاسع عشر . شعراء على هذا المفهوم، وإنما لها علماء، وهؤلاء العلماء هم الذين قاموا بدور الشعراء، لأنهم هم وحدهم الذين استطاعوا أن يجيدوا اللغة العربية، ويتذوقوا سحرها وبلاغتها، ويتخذوها أداة للتعبير عن مشاعرهم وينظموا الشعر كما نظمه شعراء العربية وأدباؤها. وبالرغم من أن هؤلاء العلماء قد استخدموا بحور الشعر العربي إلا أن الأبواب التي طرقوها لا تزيد على سبعة وهي: الثناء على الله، والمديح، والوصف، والرثاء، والوعظ والإرشاد، والحكم والأمثال، والفكاهة" [2].

(1)– **راجع**: الثقافة العربية في نيجيريا من 1750 إلى 1960 م، صـ: 215.
(2) – **راجع**: الحصن الرصين، 185، وتزيين الورقات، صـ: 260.

وأما عن النماذج لشعر الوصف عند الشيخ عبد الله:

1.3 القصيدة البائية التي وصف بها حياتهم الاجتماعية في القرن التاسع عشر، فيقول:

وَلمَّا مَضَى صَحْبِي وضَاعَتْ مَآرِبِي ... وَخَـــلـــفت في الأخْلَاف أَهْلُ الأكَاذِبِ
يَقُولُون مـا لا يَفْعَـلُون وتَابَـــعُوا ... هَـــوَاهُـم وطَاعُوا الشُّحّ في كُلِّ وَاجِبِ
وَلَيْس لهُم عِلْم ولا يَسْـــــألُونَهُ ... وأعْـــــجَـــبَ كُـلٌّ رأيُهُ في المَذاهِبِ
وَقَطّع أرْحَـــامًا وأزْرَى مَـــــعَارِفًا ... وآثـــــر عـن قُـرْبَاه جَـمْعَ الأشَائِـبِ
وَما همّهم أمْرَ المَسَـــاجِدِ بل وَلَا ... مَـــدَارِسِ عِـــلمٍ بَلهَ أَمْـرِ الكتَـــائِبِ
وَهِمّتُهُم مُلْكُ البلَاد وأهْـــــلِـــهَا ... لِـــتَـــحْـــصِيلِ لَذّاتٍ ونَيْـلِ المَـــرَاتِبِ
بِعَادَات كُفّار وأسْمَاءِ مُلكِـــــهِم ... وتـــوْلِـــيَةِ الجُهّال أعْلَى المَـــنَاصِبِ
وَأكْلِ هَدَايَا الجَاهِ والفَيْءُ والرُّشَـــا ... وعُـــودٍ ومِـــزْمَارٍ وضَرْبِ الدّبَـــادِبِ
وَإن قَرِينَ السُّوء يُعْدِي قَرِيـــنَـــهُ ... بِـــمَـــا فيـه إعْدَاءُ الصِّحَاحِ الأجَـارِبِ
وَقد طَارَ قَلبي للمدينة ثَـــــاويًا ... سِـــنـــين بِـها شَـوْقًا وليس بـــآئِبِ
صرفتُ عِنانِي عنهـمو متوجِّـــهًا ... إلى خَـــيْـــر خـلق الله معطي الرَّغَائِبِ
وَكم ليْلةٍ بِتْنَا بها نَـــــابِغِيَّـــةٍ ... ولا نَـــــار إلا نـــــارنا فـي السّـبَاسِبِ
وَسمَّـــــــارنا جِيرانُنا أقْرِبَاؤنَـــا ... بَعُـــوضٌ وحيّـــاتٌ وجَـــمْعُ العَقَارِبِ
أوَنِـــسُـــنَا أقْـــوَاسُـــنَـــا وجِعَابُنَا ... رِمَـــاحٌ وأسْـــيَـــافٌ رِفَـــاقُ المَضَارِبِ[1]

وإذا أمعنا النظر في هذه الأبيات نرى أن عبد الله بن فودي قد نجح إلى حد كبير في تصوير الحالة الاجتماعية في أسلوب متين واضح جلي، ولكنه لا يسعنا هنا أيضا إلا أن نقول إن تأثره بالمعلقات وعلى الأخص ببائية النابغة الذُّبياني واضح، وهي:

كِلِينِي لِهَمٍّ يا أمَيْمَةَ نَاصِبِ ... وَلَيْلٍ أُقَاسِيهِ بَطِيء الكواكبِ

فكلتا القصيدتين بائيّ ومن بحر الطويل، وفضلا عن ذلك فهناك عشرة أبيات تنتهي بنفس الكلمات التي انتهت بها أبيات النابغة[2].

(1) – **راجع:** الثقافة العربية في نيجيريا، ص: 386.
(2) – **راجع:** الثقافة العربية في نيجيريا، ص: 389.

فإنّها امتداد للغة الشعر الجاهلي، حيث تعتمد على ألفاظ جزلة غريبة، لم تتغيّر إلاّ تغيّرا طفيفا جزئيا اقتضته طبيعة التغيّر الذى حدث فى العقيدة.وليس من شك أن الشاعر . في هذه القصيدة . تقليدي يقتفي أثر شعراء الجاهلية في أسلوبه.

وبناءً على هذا يمكن القول بأنّ الشاعر من أنصار لغة الشعر القديم، والعلّة في ذلك أنّ الشعراء لم يعرفوا . في تلك الفترة . عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة، ولا الأخطل، ولا جريرا، ولا الفرزدق، روّاد التجديد فى عهد بني أمية، ولم يسمعوا عن أبي تمام والبحتري والمتنبي، ولا عن أبي نواس وأبي العتاهية وبشّار وأمثالهم من روّاد التطوّر والتجديد في العصر العباسي، ولكن قرأوا لامرئ القيس والنّابغة وطرفة خصوصا زهير والحطيئة وغيرهما من الشعراء في العصر الجاهلي ممن أطلق عليهم اسم عبيد الشعر، كما عرفوا شيئا عن كعب بن زهير وحسّان بن ثابت وغيرهما من شعراء صدر الإسلام. ويرجع السبب في ذلك إلى أن دواوين أولئك لم تصلهم ودواوين هؤلاء وصلتهم[1].

2.3 ومنها قصيدة (جيش الفتوح):

هذه القصيدة قالها الشيخ عبد الله بن فودي في وصف الفتوح التي تحققت على أيدي الجيش الإسلامي تحت قيادته، وقد فتح الله لهم أكثر من عشرين حصنا من حصون الأعداء، ولهذا سمي جيشه في القصيدة بجيش الفتوح يبلغ عدد أبيات القصيدة 37 بيتا وكلها تدور حول الحديث عن النَّوَى، وفقدان الأحبة في الجهاد، ووصف الحرب، ويبدو من الكلام الذي جاء قبل القصيدة أنها قيلت بعد عام هجرة الفوديين، أي سنة 1805م.

هذا وللشيخ عبد الله قصائد كثيرة في الحرب وكلها على مستوى رفيع من البلاغة والروعة نذكر بعض منها:

بَدأتُ بحمْد الله والشّـــكر يتبع على قَمْعِ كُفّار علينا تَجمَّع

ودالیته التي مطلعها:

ألا مـــن مـبلغ عنِّي لدَادٍ وزيْـــدٍ وكـــل ثَاوٍ في بِلاد

هذا وتمثل قصيدة جيش الفتوح تطورا كبيرا في منهج شعر الوصف في الأدب العربي الإفريقي؛ لأنها أفردت لوصف الحرب وما جرى فيها من حصار، وقتل وتشريد، وإقبال

(1) – **راجع**: تزين الورقات، ص:30، وحركة الشيخ عثمان بن فودي في نهضة اللغة العربية والثقافة الإسلامية، ص:3، وانظر الإسلام في النيجيريا والشيخ عثمان بن فودي، ص: 109–107.

وإدبار، وأسر وغنيمة، من دون الاستطراد بالحديث خارج نطاق الموضوع، وهذه ظاهرة غير معهودة في الحقبة قبل العصر الفلانية، ويقول الشاعر:

تَـذكّرتُ والـذِّكْرَى تُثِيرُ لِذِي النَّوَى ... هُـمومًا وفي الـذِّكْرى تَهُـبُّ الـهَـوا

أَخِـلاَّءَ مَـاتوا في الجهاد وغيره ... وَبُـعْـدِيَ عن شَيْـخي فأَرَّقَـني الجَوَا[1]

فـمن مُـبلغٌ عـنِّي بَنِيَّ وإخْوتِـي ... وأهْـلي وجِـيـرَانِي ومـن مَعَهم ثَوَا[2]

بِأنِّي وَ دَنْـدَا مَـعَ عَـلِيٍّ وجَمْـعِنَا ... وأفْـرَاسِـنَـا في الـفتْح والعِزِّ والرِّوَا[3]

فَتَحْنَا حُـصُونًـا بين كُنْدَا وَكُنْـدُطَا ... يَـزيـدُ على عِـشْرين بِالقَهْرِ وَالقُوَا

وسـالمـنا رغـما سِوَاهَا فأسْلَمَتْ ... بِـظَـاهِـرها والله يـعلم ما انطَوَا

وفي اثنين مـع عَشْرِ المـُحَرَّمِ فَتَحْنَا ... عَظِيمَ الحُـصُونِ حِصْنَ فُودِ الذِي غَوَا

فـغَـادَرَ في ذَا الحِـصْنِ مَالًا كَأنَّه ... لـقَـارُونَ لـم يَأخُذْ بِزَادٍ إلى القِوَا[4]

سَـمَا جَيْـشنا جَيْشَ الفُتُوحِ فَكُلّنا ... حَـوَى من فُـتُوحَاتِ الغَنَائِمِ مَا حَوَا

ولـيْـس لـنا أمـر يُسِيءُ قُلوبنا ... من الدين والـدنيا سوى وِحْشَةِ النَّوَا

وفَـقْـدِ أحِـبَّـاءٍ كِـرام تَتَابَعُوا ... لِـجَـنَّـات عَـدْنٍ في فِرَارِي وَثُنْثُوَا[5]

مَـتَى مَـا تَـذكرت الإمـام وحِزْبَهُ ... تَـمُـوج في قَلبي بُحُورٌ من الدَّوَا[6]

فـمِـن قَـتْلاهم فِي جَـهَنَّم دَائِمًا ... ومَـن فِي جِنَانِ الخُلْدِ لَيْسُوا عَلَى اسْتِوَا

فَـلَـسْتَ تَـرى إلا مُـغِيظًا وَمُخْنِقًا ... كَـوَى غيْرَه عن نَزْعِ سَهْمٍ أوِ اكْتَوَى[7]

فَـوَ الله لَـولا خَـنـدَقٌ وَمُـمَرَّدٌ ... عَـمِـيـقٌ طَوِيلٌ لاسْتَحَالُوا هَبَا الكُوَى[8]

رحـلـنَـا إليهم بالعيال وما لنا ... حَـصـرنَـاهم شَهْرا بِبَابِهم الحِوَى[9]

---

(1) – **فأرَّقَني الجوا:** منعني الحزن من النوم.
(2)– **ومـن معهم ثوا:** أيْ سكن وأقام معهم.
(3)– **دَنْـدَا:** اسم فرسه. **الروا:** الارتياح.
(4)– **القوا:** أصله: **القواء،** فقصر للوزن، وهو الصحراء.
(5)– **فِرَارِي وَثُنْثُوَا:** اسمان لموضع في نيجيريا حاليا.
(6)– **الدوا:** المرض.
(7)– **ممرد:** مبنى عالٍ. **اكتوى:** طلب حرق غيره بالنار.
(8)– **هبا الكوا:** الهباء: هو الغبار المتناثر، والكوا: فتحة في الجدار.
(9)– **الحوا:** المسكن.

ولَـــم يَـبق بيت بين رِيم وحصنهم ... و مَـــازُم و مَـــازُوزِي لذلك ما خَوَى[1]

فَـــخَـــلوا لـــنا أقواتهم وبلادهم ... ونَـــحْـــن حِوَاءٌ بين زِرْوَ وَطَانْ رُوَى[2]

وَيَـــوم أتَـــونَـــا للقتال فأدْبَرُوا ... نُـــقَـــتِّـــلُـــهُم من تِلِّ مَاسُوا لِدَنْبَوَى[3]

وكَـــمْ مَـــرة جاءوا بيانا فأقشعوا ... ومـا فِـــيهم من صوب صاحبه ضَوَى[4]

وأخْـــرى أتوني فيه خامس خمسة ... فـــولّـــوا وما نَـالوا الذي جمعهم نَوَى

وطَـــوْرًا أتَـوا جمعا وحـينا توزعوا ... بِـــشَـــرق وغرب ثم خاب الذي غوى

ومَـــا سَـــاعة إلا يصـخ سماعنا ... صُـــرَاخ فـــتـــلقَاهم سِراعًا بِلَا التَّوَى[5]

عَـــلى كُـــل جـرداء وأجـرد شيظم ... تَـــراه كَـــصـــفْـــراء الجراد إذا اسْتَوَى[6]

قَـــد اعتاد غـــارات الصباح تخاله ... إذا ما جرى فوق الـرُّبى طار في الهَوى

فَـــلـــمَّـــا رأونَـا لا نمـل جهادنا ... لـــقـــتـــل وأسر جلهم خاف فارعوى

ففروا إلى البـلدان شتى وجمـعهم ... بِـــجَـــمْـــع أناس كان في سبإ بوى[7]

فَـــللـــه حَـــمْدا أولا ثـم آخـرا ... فَـــقَـــد تم تظمي وهو حال لمن رَوَى[8]

التعليق على القصيدة:

افتتح الشاعر هذه القصيدة بتسجيل حنينه إلى من مات في الجهاد من أخلائه، ثم ذكر أن النوم قد فارق عينيه لبعده عن شيخه. ثم طلب من يحمل أخبار فتوحاته العديدة، وانتصاراته المتكررة إلى بنية وإخوته وأهله وجيرانه، فقد فتح هو وفرسه «**دندا**» وخادمه «علي»، وفرسانهم بالقوة والقهر عددا كبيرا يربو على العشرين من حصون الأعداء المنيعة بين (قندا وكندطا) كما أرغموا آخرين على المسالمة فأسلموا في الظاهر، لكن الله يعلم ما يضمرون فقال:

(1)- **خَوَى**: خلا.
(2)- **زِرْوَ، وَطَانْ رُوَى**: اسمان لموضع في نيجيريا حاليا.
(3)- **تِلِّ مَاسُوا، ودَنْبَوَى**: اسمان لموضع في نيجيريا حاليا.
(4)- **من صوب صاحبه ضوا**: من مال نحو صاحبه أو لجأ إليه.
(5)- **يصخ سماعنا**: يضرها فيصمّها.
(6)- **أجرد شيظم**: **الأجرد**: هو الفرس الخالي من الوبر. **والشيظم**: الفرس الطويل.
(7)- **بوا**: سكن.
(8) – **راجع**: تزين الورقات، ص:30، وحركة الشيخ عثمان بن فودي في نهضة اللغة العربية والثقافة الإسلامية، ص:3، وانظر الإسلام في النيجيريا والشيخ عثمان بن فودي، ص: 109-107.

تَــذكّرتُ والــذِّكْرَى تُثِيرُ لِذِي النَّوَى هُــمومًا وفي الـذِّكْرى تَهُـبُّ الـهَـوا

إلى قوله:

فَتَحْنَا حُــصُونًـا بين كُنْدَا وَكُنْدُطَا يَــزيــدُ على عِـشْرين بِالقَهْرِ وَالقُوَا

ثم أخذ يعدد الحصون المفتوحة على أيديهم، وهي: «**كُندَا، وَلِيمْ، ومَاسُوَ، وزيم،** وحصنا **دِنكَا وبَانذَ**»، وغيرها من الحصون المنيعة، ثم انتقل إلى ذكر قائد جيش أهل **(كب)** قائلا إنه فر وترك خلفه مالا كثيرا يشبه مال قارون وذلك في الأبيات التالية:

وســالمــنا رغــما سِوَاهَا فأسْلَمَتْ بِــظَــاهِــرها والله يـعلم ما انطَوَا

وفي اثنين مـع عَشْرِ المُحَرَّمِ فَتَحْنَا عَظِيمَ الحُـصُونِ حِصْنَ فُودِ الذِي غَوَا

فــغَـادَرَ في ذَا الحِصْنِ مَالًا كَأنَّه لــقَــارُونَ لــم يَأخُذْ بِزَادٍ إلى القِوَا

ثم انتقل إلى وصف جيشهم الذي يسمى جيش الفتوح، وقال: إنه علا وسما حتى تمّ له فتوحات كثيرة ووجدوا من الغنائم ما ليس بقليل، وبين أنه ليس هناك شيء يقلقهم في الدين وفي الدنيا سوى وحشة فقدان الأحباء الكرام الذين سقطوا ضحايا الحرب، وخص بالذكر بين هؤلاء الإمام **محمد ثَمْبُو** وجماعته، فذكراهم تسبب له المرض، ثم رد على الأعداء من قبيلة غُوبِرْ والتَّوَارِقْ سرورهم من قتلى المسلمين، قائلا إن الحرب سجال ودولة، وأن مآب قتلى المسلمين ليس سواء مع مآب قتلى الكفار، فقتلاهم في جهنم وقتلى المسلمين في جنة الخلد وذلك من قوله[1]:

سَــــمَا جَيْشنا جَيْشَ الفُتُوحِ فَكُلّنا حَــوَى من فُــتُوحَاتِ الغَنَائِمِ مَا حَوَا

إلى قوله:

فــمِــــن قَــتْلَاهم فِي جَهَنَّم دَائِمًا ومَن فِي جِنَانِ الخُلْدِ لَيْسُوا عَلَى اسْتِوَا

وبعد ذلك عاد إلى ذكر أيامهم في القرى والحصون التي وقعت تحت أقدام جيش الفتح، والقرى وذكر أيضا سيرهم إلى مدن أخرى وحصارهم لها، ثم شرع في ذكر أحوال الغزاة وما دار في الحرب من القتل والطرد والهرب، ثم بين أنهم رحلوا إلى أعدائهم بعيالهم وأموالهم وحاصروهم شهرا كاملا مقيمين خلاله على بوابتهم ولم يبق بيت بين **رِيمِ** وحصنهم، وقد يكون ذلك بسبب تخريب الكفار لمنازلها، أما **مازم ومازوزي** فلم يتم تخريبهما، ولقد تم جلاء الأعداء حتى تركوا لهم أطعمتهم وبلادهم، على حين شيدوا هم أكواخهم بين زَرْوَ **وطَنْ رُوَا** وذلك من قوله:

(1)- **راجع**: نفس المصدر.

فَـــلَـــسْـتَ تَرى إلا مُغِيظًا وَمُخْنِقًا كَـــــوَى غيْرَه عن نَزْعِ سَهْمٍ أوِ اكْتَوَى

إلى قوله:

وَيَـــــوم أتَـــونَـــا للقتال فأدْبَرُوا نُـــقَـــتِّـــلُـــهُم من تِلِّ مَاسُوَا لِدَنْبَوَى

ثم قال إنه كثيرا ما يأتيهم الأعداء لقتالهم لكنهم يصدونهم صدا يرغمهم على الإدبار هاربين، ثم يقاتلونهم من **تِلِّ مَاسُوَا** إلى **دَنْبَوَى**. وكثيرا ما يهاجمهم الأعداء ليلا لكنهم ما يلبثون أن يفروا متفرقين، وكشف أن الأعداء ذات مرة هاجموا خمسة كان هو واحد منهم، لكنهم أرغموهم على الانسحاب خائبين. وكشف عن خطة الأعداء في الهجوم، فهم طورا يأتون جماعة وطورا آخر يأتون متفرقين من شرق وغرب، غير أنهم في كلتا الحالتين يخيب آمالهم، وأوضح أنه لا تمضي ساعة إلا ويقرع أسماعهم صراخ النجدة من المقاتلين، وأنهم ما إن يسمعوا ذلك حتى ينجدوهم بلا توان.

ثم انتقل إلى وصف الأفراس التي يقاتلون بها أنها عظيمة وصلبة حتى صارت جرداء من الشعر نتيجة كثرة خوضها للمعارك. وقد نظر في ذلك إلى قول عنترة بن شداد في معلقته:

وَالخَيْلُ تَقْتَحِمُ الغُبَارَ عَوَابِساً، من بَيْنِ شَيْظَمَةٍ، وأَجْرَدَ شَيْظَمِ

وشبهها في سرعة تنقلها بصفراء الجراد حين تطير، وأضاف أن الأفراس قد اعتادت غارات الصباح، وأنها حين تجري يخيل لك أنها تطير فوق الهضاب.

وانتقل إلى وصف الأعداء قائلا إنهم لما رأوا تجلدهم وعدم مللهم في القتل والأسر في سبيل الجهاد خافوا واضطربوا وتركوا أمر القتال وفروا جميعا إلى بلدان مختلفة، مثلهم مثل أهل سبأ، وهم قوم انقرضوا، وختم الشاعر القصيدة بالحمد لله أولا وأخيرا، وبشيء من الفخر بأن القصيدة تحلو لمن يرويها بقول:

فَفِرُّوا إلى البُلدان شَتَّى وجمعهم بِـــجَـــمْـــع أنُاسٍ كَان في سَبَإٍ بَوَى

فَـــللـــه حَـــمْدا أولا ثم آخرا فَـــقَـــدْ تَمَّ نَظْمِي وَهْوَ حَالٌ لِمَنْ رَوَى

وقد صور هذه القصيدة وصف الحرب في العصر االفلاني منهجا وأسلوبا ولغة وخيالا، فأول ما نلاحظ فيها أن الشاعر لم يبال بوصف دقائق الحرب، كوصف اكفهرار الغبار الذي نجده في مثل قول بشَّار بن برد:

كَأَنَّ مُثارَ النَقْعِ فَوْقَ رُءُوسِنا وأَسْيافَنَا لَيْلٌ تَهاوَى كَواكِبُهْ

أو وصف البسالة والتفتك والتمزق الذي نجده عند عنترة في قوله:

يُخْبِرْكِ مَنْ شَهِدَ الوَقِيعَةَ أَنَّنِي أَغْشَى الوَغَى وأَعِفُّ عِنْد المَغْنَمِ

فشَكَكْتُ بالرُّمحِ الطَّوِيلِ ثِيابَهُ لَيْـــسَ الكَرِيمُ على القَنَا بِمُحَرَّمِ

أو وصف خصائص السيف والرمح الذي نجده في قول الشنفري:

هَتُوفٌ من المُلْسِ المُتُونِ يَزِينُهَا رَصَائعُ قد نِيطَتْ إِليها ومِحْمَلُ

إِذَا زَلَّ عَنْهَا السَّهْمُ حَنَّت كأَنّهَا مُـــرَزَّأَةٌ ثـــكْـــلَى ترِنُّ وتُعْوِلُ

لكننا بدل من ذلك كله نجد الشاعر يقول إنهم فتحوا حصونا تزيد على العشرين بالقهر، وأن الأعداء فروا وتفرقوا في البلاد مثلهم مثل أهل سبأ، أما معمعة الحرب ونيرانها، فإن الشاعر لم يتعرض لذكر تفاصليها. وكما نلاحظ أيضا أنه لم يعتن بإيراد المعدات الحربية المتنوعة التي استعان بها الجانبان المتقاتلان لعل ذلك يساعدنا على الوقوف على مدى التطور الذي وصلت إليه الصناعة الحربية في تلك الحقبة من الزمن.

ولكن الحقيقة التي يجب التنبه لها أن الشاعر ربما لا يحتاج إلى تلك التفاصيل كما احتاج إليها الشاعر العربي الذي اتخذ قرض الشعر مهنة وحرفة، وذلك لأسباب عدة منها:

1- أن الذي يعني هذا الشاعر أكثر هو الإعلان عن قوة عساكر المسلمين، وتدوين الغزوات التي خاضوها ومواضعها في سجل التاريخ، حفاظا عليها من الضياع والنسيان، يدونها للأجيال القادمة كمواد تاريخية يتدارسونها، ولهذا لم يغادر غزوة أو موقعة من مواقع الحرب إلا وذكرها.

2- أن الشاعر كما ذكرنا آنفا عالم فقيه، وقائد حرب باسل، رغبته الأساسية في نظم القصيدة تدوين الوقائع الحربية باللغة العربية تقديرا وإحياء لها وحفاظا عليها، وهي اللغة التي تمثل جانبا مهما من ثقافته وشخصيته، وجانبا أهم من عقيدة الإسلام. ولا شك أن الشاعر قد وُفّق إلى تحقيق هذين الغرضين.

3.3 ومنها وصف الصحراء:

هذه القصيدة قالها الشيخ عبد الله بن فودي وهو في طريقه إلى بلدة **(كَانُو Kano)** يبلغ عدد أبيات هذه القصيدة 41 بيتا، مطلعها:

ولمَّا مَضَى صَحْبِي وَضَاعَتْ مَآرِبِي وَخلَّفَت فِي الأَخْلَاقِ أهْل الأَكَاذِب

وخاتمتها قوله:

عَلَيْكُم صَلاةُ الله ثُمّ سَلَامُهُ بِأَصْحَابِكُم وَالآلِ يَا كَهْفَ هَارِبِ

ويبدو أن الشيخ نظم القصيدة بين عامي: 1221هـ و1222هـ الموافق(1807م)؛ لأنه كما قال نظمها في طريقهم إلى خير خلق الله محمد صلى الله عليه وسلم ولم يخرجها لأحد حتى وصلوا بلدة **كَنُو** فألحّ عليه أهلها في إخراجها فكتبها لهم، ثم ألف لهم كتاب (ضياء الحكام) وكان ذلك في السنة الرابعة من هجرتهم؛ لأن هجرتهم بدأت يوم 10 من ذي القعدة عام: 1218هـ الموافق 21 من فبراير 1804م[1].

والقصيدة بائية تدور مواضيعها حول وصف أحوال الناس السيئة من جهل، وترك لطلب العلم، وتضييع للأمانة، وتولية المناصب للجهال، وغير ذلك مما حمله على صرف عنانه عنهم متوجها نحو مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم كما تدور حول وصف الصحراء ومدح الرسول الكريم.

هذا، ويعد وصف الصحراء من الأغراض التي لم تحظ باهتمام شعراء هذه الحقبة، ولعل الشاعر بهذه القصيدة فريد دهره في تناول هذا الغرض إذ لم نعثر على قصيدة أخرى تعرضت لوصف الصحراء، على الأقل بمثل هذا التفصيل. وسأختار من القصيدة الأبيات التي يصف الشاعر بها الصحراء وهي:

وَقَـدْ طَـار قَـلْبِي للـمَدِينَة ثَاوِيًا سِـنِـين بِهَا شَوْقًا وَلَيْسَ بِنَائِبِ

وَقَـيَّـدَ جِـسْمِي عنه ذَنْبي حائرًا بِـصَـدْرٍ هَـوَاءٍ فاقِدِ القَلْبِ ذَائِبِ

صَـرَفْـت عناني عنهم متوجها إلى خَـير خلق الله معطي الرغائب

وَصَبَّـرتُ نَفْسي في رُكُوبِ مَفَاوِزٍ خِـلال فُـيُولٍ كَالهِضَاب قَوَارِبِ

ولا أثَـرٌ في الأرض إلا الذي لها رَبِـيـعًا وصَيْفًا كَالبِنَارِ السَّوَاقِـبِ

أسِـيـرُ بِـلا علم ولا قَوْدَ قَائِدٍ وَنَيْلِ سَـبِيلٍ فـي الفَيَافِي العَوَاشِـبِ

بِـخَمْسَة أحْرَار كَذَاكَ الرَّقِيق مع ثَـلاثَـةِ أفْـرَاسٍ كَمثْل الرَّكَائِـبِ

نَـشِيمُ عُطَاشًا حِينَ حَانَ نُزُولُنَا ذَوَائِـبَ أشْـجَارِ المِيَاه الشـوَارِبِ

(1)– **راجع:** تزيين الوقارت عبد الله بن فودي، ص:74، و مصباح الدراسات الأدبية، ص:143، وحركة اللغة العربية، 243.

وَكَـــم لَـــيْـــلـةٍ بِـــتْنَا بِهَا نَابِـــغِيَّةٍ ولا نَـــارَ إلا نَـــارُنَا فـي الـــسَّبَاسِبِ
وَسُـــمَّـــارُنَـــا جِـيرانُنا أقْرَبَاؤُنَـــا بَـــعُوضٌ وَحَيَّـاةٌ وجَمْعُ العَـــقَارِبِ
خَـــمَائِلها والقَـــاعُ أثْمَارُهَا الأَضَا جِدَارٌ وَدَارٌ والـقَرَى كأْسُ شَـــارِبِ
أَوَانِـــسُـــنَا أقْـوَاسُنَا وَجِـــعَابُـــنَا رِمَـــاحٌ وَأسْيَـافٌ رِقَاقُ المَـــضَارِبِ
وَصَـــار لنا الآثَـــارُ للنَّاس بَعْد مَا قَـــربْـنَا لعُمْرانٍ عَجِـيبَ العَـجَائِبِ
وَأَولَى كـــلامُ النَّاس أحْرَى دِيَارُهُم وأنـــفُسُهُم صـارَتْ غَـرِيـبَ الغرَائِبِ
فَـــقُلتُ وَذَا أمـــرٌ يَسِيرٌ بِجَـنبِ مَا نُـــرِيـدُ إذَا مَـــا حُمَّ نَيْلُ المـنَارِبِ
أَحَادِي المَـطَايَا حُـثَّهَا للمَشَارِقِ ولا تَـــلْـــتَفِتْ فِـــي سَيْرِنَا للمَـغَارِبِ
فَـــإن حَـظِيَتْ بالوَصْلِ فالله واهبٌ وإن أخْفَقَتْ فَـــالـذنبُ فيـه لـذَاهِبِ[1]

التعليق على القصيدة:

تمثل هذه القصيدة نموذجا حيّا، وصورا متكاملة للوصف في هذه الحقبة، رسم لنا الشاعر خلالها لوحة فنية رائعة تعكس بوضوح البيئة الصحراوية الإفريقية، ولا شك أن الشاعر قد أجاد في هذا الوصف إجادة تجعله في صفّ واحد مع أبرز وصافي الصحراء من الشعراء العرب قديما وحديثا، فها هو ذا الشاعر ينقل لنا الفيافي بحيواناتها وأشجارها وغياهبها وآثارها، وغير ذلك من مظاهر الصحراء نقلا حيا صادقا، هذا وقد تأثر في كثير من معانيه بالقصيدة الجاهلية، ولكن لم يكن ذلك منه تقليد أعمى، بل كان صادق العاطفة والشعور، فقد جعل صحراءه، على سبيل المثال، معشبا وذلك طبعا لواقع بيئته الجغرافية، على خلاف الصحراوات القاحلة التي عاش فيها الشعراء الجاهليون مثلا.

يقول الشاعر إنه صرف فرسه عن قوم وصف أحوالهم في أبيات سابقة، متوجها به نحو خير خلق الله محمد صلى الله عليه وسلم وبما أنه كان عليه أن يقطع الفيافي الطروحة قبل وصوله مرماه. – وفي قطع الفيافي ما فيه من التعب والنصب–فقد صبر نفسه غير متعجل. ومن مغامرات السفر في الصحراء القاحلة مقابلة الوحوش وأنواع من الحيوانات الضارية وجها لوجه، مع قلة المحتمي. ومنها أيضا قلة المياه وعدم الأوانس مما يسير الذعر في نفوس الرحل، وكل هذا يحمل الراحل على الصبر أو التصبر.

والشاعر يسير بين فيول ضخام كالهضاب ملتمسا الماء في جوف الليل، ولم يجد في

(1) – **راجع:** نفس المصدر.

الأرض إلا آثار الفيول تلك، وقد وصف الآثار بأنها كالبئار في الشكل والصورة، إلا أنها غير عميقة، بل هي قريبة السقي.

ثم ذكر الشاعر عدد المسافرين معه في الفلاة، فهم خمسة أحرار، وخمسة أرقاء، وثلاثة أفراس، وثلاث من الإبل وهم جميعا يسيرون في متاهات الفلاة بل سابق علم، أو إرشاد قائد بل ولا أثر يسيرون على معالمه، ولما حان وقت نزولهم اشرأبت نفوسهم إلى ذوائب أشجار المياه وهم عطاش. ثم شبه الليالي التي قضوها في الفلاة بالليل الذي وصفه الشاعر الجاهلي المشهور النابغة الذبياني حين أثقلته الهموم، وذلك في قوله[1]:

كِـــلِيـــنِي لِهَمٍّ يا أُمَيْمَةَ نَاصِبِ وَلَـــيْلٍ أُقَـــاسِيهِ بَطِيءِ الكواكِبِ

تَطَاوَلَ حتى قلتُ: ليس بمُنْقَضٍ وَلَـــيْسَ الذِي يَهْدِي النجومَ بِآئِبِ

ثم شرع يعدد لنا أصدقاءهم وجيرانهم الجدد في الصحراء، وذلك على عادة الشعراء الجاهليين الذين يتخذون من بين الحيوانات أو أدوات الحرب جيرانا. فقال إن سمارهم بعوض، وجيرانهم حيات، أما أقرباؤهم فعقارب، وهذا يذكرنا قول الشاعر الصعلوك الشنفري الأزدي، في لاميته المشهورة:

وَلِي دُوْنَـــكُمْ أَهْلُون: سِيدٌ عَمَلَّسٌ وَأَرْقَـــطُ زُهْـــلُولٌ وَعَرْفَاءُ جَيْئَلُ

وأما عن الصور الفنية: فقد ذكر أربعة أشياء هي نادرة الوجود في الصحراء، وهي: **الخمائل** (الأشجار الملتفة)، والقاع، والثمار، والأضا (الغدير) وشبهها بأربعة أشياء مألوفة في الحضر، فأشجار الصحراء بمثابة الجدار، وقيعانها تقوم مقام الدار، وأثمارها قرى الضيف، أما أضياتها فكأس شارب، ونفهم من هذا أن المشبه به غير متوفرة في صحرائه، والمشبهات هي التي تقوم مقامها.

ثم استمر الشاعر في ذكر أصدقائهم الذين استأنسوا إليهم، وهي: «**أقواس، وجعاب، ورماح، وأسياف**». ثم قال إن آثار الناس التي رأوها بالقرب من البلاد لمن أعجب العجائب، بل كلام الناس، وديارهم وأنفسهم كل ذلك من غرائب ما سمعوا وشاهدوا، ولكن تلكم العجائب والغرائب أمر يسير لا يساوي شيئا إذا قورن بما كانوا يأملون ويرغبون فيه إذا تم لهم.

وأخيرا، طالب الشاعر حادي مطاياهم أن يحثها نحو المشرق غير ملتفت نحو المغرب، فإن أوصلتهم المطايا الغاية والمنى فتلك هبة من الله وتوفيق، وإن عجزت فلا

(1)– **راجع:** تزيين الوقارت عبد الله بن فودي، ص:74، و مصباح الدراسات الأدبية، ص:143، وحركة اللغة العربية، 243.

لوم إلا على الركاب المسافرين. وختم القصيدة بمدح الرسول صلى الله عليه وسلم.

4.3 وحدة البيت في قصائده:

يرى معظم نقاد العرب أن البيت في القصيدة ينبغي أن يستقل بمعناه، وألا يحتاج البيت إلى غيره ليستكمل هذا المعنى، وعدو من العيوب في الشعر أن يحتاج البيت إلى غيره ليتم معناه، ويسمى هذا البيت مبتوراً، لأنهم يفضلون استقلال البيت الواحد بمعناه، وهم في ذلك يستجيبون للطبيعة العربية التي تؤثر الإيجاز، بل إن من أسس المفاضلة عند النقاد أن يشتمل البيت الواحد على أكثر من معنى [1].

وإذا رجعنا إلى شاعرنا نجد ذلك في قصائده خذ مثلا قوله:

وعرش بلقيس من إيصاله عِبرٌ ما بين سُرْعة جِنِّيّ وإنسان

وترى أن البيت قد اشتمل على أكثر من معنى.

وكما نلاحظ أن عبد الله با فودي قد حاول في بناء قصيدته بناءاً فنيّاً، من حيث الموضوع وترابط بأجزاءها يقول:

وَلمَّا مَضَى صَحْبِي وضَاعَتْ مَآرِبِي وَخَـــلـــفت في الأخْلَاف أَهْلُ الأكَاذِبِ

يَقُولُون مـا لا يَفْعَـلُون وتَابَـــعُوا هَـــوَاهُـم وطَاعُوا الشُّحّ في كُلِّ وَاجِبِ

وَلَيْس لهُم عِلْم ولا يَسْـــــألُونَهُ وأعْـــجَـــبَ كُـلٌّ رأيُهُ في المَذاهِبِ[2]

ومن هنا نلاحظ وحدة الأبيات مجمعة من عناصر مترابطة، تصوغها فكرة الشاعر لتصور خبرته ومعرفة إزاء حدث نفسي، أو كوني، أو يومي، ولا تزال نفسه تنفعل به وتهتز إزاءه في خطوط واتجاهات مختلفة. وعلى هذا الاتجاه نجد عبد الله بن فوي قد اتبع الوحدة العضوية في قصائده سواء من مطلع القصيدة كما في قوله:

تَـذكّرتُ والـذِّكْرَى تُثِيرُ لِذِي النَّوَى هُـمومًا وفي الـذِّكْرى تَهُـبُّ الـهَـوا[3]

أَخِـلاَّءَ مَـاتوا في الجهاد وغيره وَبُـعْـدِيَ عن شَيْـخي فأرَّقَـني الجَوَا

فـمن مُـبلغٌ عـنِّي بَنِيَّ وإخْوتِي وأهْـلي وجِـيـرَانِي ومـن مَعَهم ثَوَا

أو من خاتمة القصيدة:

(1)– أسس النقد الأدبي عند العرب، صـ: 294.

(2) – عبد الله بن فودي: مختارات من مؤلفاته، صـ: 236.

(3) – **راجع**: تزين الورقات، ص:30، وحركة الشيخ عثمان بن فودي في نهضة اللغة العربية والثقافة الإسلامية، ص:3، وانظر الإسلام في النيجيريا والشيخ عثمان بن فودي، ص: 109–107.

ففروا إلى البـلدان شتى وجمعهم بِـــجَـــمْـــع أناس كان في سبإ بوى

فَـــللـــه حَـــمْدا أولا ثم آخرا فَـــقَـــد تم تظمي وهو حال لمن رَوَى[1]

وهذه القصيدة تتناول غرضا واحدا وهو وصف الحرب وهي مثال في الوحدة العضوية والأبيات.

4. خاتمة:

وفي نهاية هذا البحث أذكر أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها بعد كتابة هذا البحث وهي:

1. لقد ترك علماؤنا في إفريقيا جنوب الصحراء من الشعر العربي ما لايستهان به إذا عرض على ضوء النقد الأدبي، بحيث لو اطلع عليه العربي القح أو الناقد النزيه لما وسعه إلا أن يطأطئ رأسه، إعجابا بالقريحة التي جادت بها رغم بعد الدار بينهم وبين بلاد العرب، إضافة إلى عدم توفر التسهيلات الحديثة، وأهم الأغراض التي نظموا أشعارهم فيها: المدح، والرثاء، والشعر التعليمي، والوصف، والوعظ والإرشاد، والغزل والزهد والشكوى والحنين والتوسلات إضافة إلى شعر المناسبات.

2. كان عبد الله بن فودي فارس زمانه ووحيد عصره في كثرة التأليف والتصنيف للعلوم الإسلامية واللغوية وغيرها من العلوم، ولم نجد من يماثله أو يقاربه في هذا على مستوى المنطقة بأسرها، وكان تأثره بالإمام السيوطي جعله يتطلع إلى كثرة التأليف والتصنيف لعلّه يقارب الإمام السيوطي في هذا الصنيع.

3. تكثيف الجهود في خدمة مؤلفات الشيخ عبد الله بن فودي خاصة، وخدمة مؤلفات علماء إفريقيا جنوب الصحراء بصفة عامة، وإقامة مؤتمرات وندوات وإنشاء مجلات وحوليات عن هؤلاء العلماء الأجلاء.

4. تحقيق كثير من مؤلفات علماء صكتو الإصلاحيين المجددين التي لم تظهر، ولم تخرج إلى عالم الطباعة والنشر، لنستفيد بها في قراءة تراثنا والاستفادة بما وضعه سلفنا من العلوم النافعة، والفوائد الدقيقة التي تكشف تاريخنا وجهود أجدادنا في ميدان العلم والتأليف في شتى العلوم، لأن في مؤلفاتهم هذه علوما كثيرة ومنافع عديدة، الحمد لله قد قام بعضهم بهذا العمل حيث أنه حقق كثير منها، لكن حتى الآن هناك العديد من مؤلفاتهم غير محققة.

(1) – **راجع:** عبد الله بن فودي: مختارات من مؤلفاته، صـ: 237.

يوصي الباحث بأن تهتم المؤسسات والمراكز ومعاهد البحث العلمي بدراسة الأدب العربي الإفريقي، خاصة شعر الشيخ عبدالله بن فودي وطباعة الكتب التي تركها لإحياء التراث الأدبي العربي حتى يطلع الباحثون على ما قدمه الأدباءالأفارقة في المجال الأدبي، الذي ساعد على الوعي بقضايا الأمة الإجتماعية والثقافية والروحية.

5 – ندعو إخواننا الطلاب ولا سيما الذين في مراحل الدراسات العليا بالقيام بدراسة مؤلفات هؤلاء العلماء الأجلاء.

6 – معظم قصائد عبد الله بن فودي تتصف بالسهولة والرصانة، إلى جانب بساطة التراكيب وتسلسل المعاني، وجودة الأسلوب.

قائمة المصادر والمراجع:

1- آدم، عبد الله الإلورى: مصباح الدراسات الأدبية في الديار النيجيرية، ط1، 1967م.

2-شيخو، أحمد سعيد غلادنثي: حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، الطبعة الثانية، شركة العيبكان للطباعة والنشر، الرياض، السعودية.

2-**عبد الله ابن فودي:** «مختارات من مؤلفات الشيخ عبد الله بن فودي، غسو: دار إقرأ للطباعة والنشر، نيجيريا، سنة: 2013م،

3- عبد الله بن فودي: الحصن الرصين، تحقيق: محمد صالح حسين، دار الفكر بيروت لبان ط1، 1984م.

4- عبد الله بن فودي: تزيين الورقات، طبع على نفقة مودي حباري صكتو نيجيريا.

5- عبد الله بن فودي: مطية الزاد إلى المعاد، تحقيق: د/ سليمان موسى، دار إقرأ للطباعة والتوزيع، 2013م، جامعة عثمان بن فوديو صكتو نيجيرا.

6- عبد الباقي شعيب أغاك: أساليب بلاغية في ديوان الأستاذ عبد الله بن فودي مكتبة دار الأمة سنة 1429هـ 2008م، نقلا عن كتاب إيداع النسوخ لعبد الله بن فودي.

7- علي أبو بكر: الثقافة العربية في نيجيريا، كانو: نيجيريا، ط2، سنة: 2014م، دار الأمة.

8- غلادنثي، شيخو أحمد سعيد: حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، ط2، المكتبة الإفريقية، سنة: 1993م/1414هـ.

9- محمد كبير يونس: «عبد الله بن فودي وحياته العلمية» حوليات الجامعة الإسلامية بالنيجر، العدد الرابع، سنة: 1998م.

10- محمد بلو: إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور - وزارة الأوقاف - القاهرة 1964م.

3-نموذج المكار في الأدب الخرافي
بين شوقي ولافونتين
Model de trompeur dans les fables
Entre Ahmed Shawqi et Jean de La Fontaine

الدكتور إدريس باكاري
كلية الآداب والعلوم الإنسانية / جامعة ماروا/الكاميرون
Dr IDRISS BAKARY
Faculté des Arts, Lettres et Sciences Humaines
Université de Maroua/Cameroun
idrissbakry@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 13/8/2021 **تاريخ القبول:2021/9/3**

ملخص

تحت العنوان: «**نموذج المكار في الأدب الخرافي بين شوقي ولافونتين**» سجل هذا المقال، محتويا معلومات عن الشاعر العربي أحمد شوقي والشاعر الفرنسي جان دي لافونتين: عن مولدهما ونشأتهما وشيء من حياتهما الاجتماعية والفكرية والأدبية، لكي يكون ذلك تمهيدا مهما للحديث عن حكاياتهما الخرافية على ألسنة الحيوانات. يعد شوقي ولافونتين أبرز من أبدع في هذا المجال في الأدبين العربي والفرنسي، ثم عقبنا الحديث عنهما بالحديث عن الحكايات الخرافية نفسها قائلين: إنها شكل من أقدم أشكال الأدب الشعبي، وهي حكاية تتردد كثيرا على ألسنة الحيوانات والطيور التي تسلك سلوك

الإنسان، محتفظة بسماتها الحيوانية، وقد تجيء على ألسنة النبات والجمادات، وقد يكون الإنسان بطلا من أبطالها، وتقدم تلك الحكايات تفسيرا أو تعليلا أو ربما رؤية الإنسان الأول إزاء الظواهر الطبيعية، وقد ترتقي ليصبح الحيوان فيها قناعا للمنطق الإنساني، تطرح من خلاله قضايا أخلاقية أو تعليمية أو نقدية أو فكرية فلسفية. أما من حيث المقارنة بين الطرفين فقد جلبنا أربع حكايات عن المكار من كل طرف، علما بأن الثعلب هو الذي يقوم بدور المكار عند كل من الشاعرين، فأحيانا نجد الثعلب قد وصل بمكره إلى مأربه، وفي أحيان أخرى ينكتشف أمره ويحال بينه وبين ما يشتهي، وذلك رمزا إلى هذا النوع من الناس، الشبيه بالثعلب، والذي اتخد الخدعة ديدنا له في تعامله مع غيره من بني البشر.

الكلمات المفتاحية: المكار – الحكايات – الخرافية – الثعلب – الحيوانات.

Résume

Sous ce titre «**Model de trompeur dans les fables Entre Ahmed Shawqi et Jean de La Fontaine**» cet article a été écrit en contenant des informations sur le poète arabe **Ahmed Shawqi** et le poète français **Jean de la Fontaine**: leur naissance, leur éducation et leur vie social, intellectuelle et littéraire; pour que ce soit une introduction a parler de la littérature de fable entre eux, Ahmed Shawqi et Jean de La Fontaine sont considérés comme les plus célèbres poètes de ce domaine dans la littérature arabe et la littérature française; ensuite, on défini les fables: étant des histoires racontées sur les langues des animaux, de plantes et des objets inanimés, ils suivent le comportement humain… en les comparant, nous avons rapporté quatre récits sur le trom–peur, de part et d'autre, en sachant que le renard est celui qui joue le rôle de trompeur pour chacun des deux poètes; parfois nous trouvons que le renard a atteint ce qu'il veut par la ruse et a d'autres fois il ne trouve pas ce qu'il veut par sa ruse, mais il

échoue complètement.

Mots clés: Trompeur, Racontée, Fable, Renard, Animaux

مقدمة

يعتبر المجتمع الحيواني موازيا للمجتمع البشري، و ليس هذا الأمر تخمينا ولا ضربا من الخيال، بل إنه حقيقة ثابتة، وقد زود الخالق أفراد هذا المجتمع الموازي بقدرات تعينهم على البقاء والاستمرار؛ وقد ورد ذكر الحيوانات كثيرا في أساطير الشعوب، وبخاصة الشعوب الشرقية؛ ولقد تحدث العرب عن الإبل والخيول، والشياه والكلاب، وغيرها من الحيوانات الأليفة؛ ومن الحيوانات الوحشية تحدثوا عن الأسد والنمر والذئب والثعلب والضب وغيرها، ومن الطيور تحدثوا عن النسور والعقبان والحدأة والغراب والقطا والحجل ونحوها، وقد ورد ذكر هذه الحيوانات في أشعارهم وتأنسوا بذكرها في أسمارهم داخل سياق الأساطير والخرافات، فضلا عما دخل الأدب العربي منها عن طريق الترجمة والتعريب من الشعوب الأخرى، من أمثال حكايات كليلة ودمنة، وقصص ألف ليلة وليلة، ومغامرات السندباد؛ ولعل من اللافت للنظر أن أمير الشعراء أحمد شوقي لم يتأثر بما جاءه منها من المصادر العربية، كما تأثر بالمصادر الأجنبية (الفرنسية) التي تأثرت بدورها ببعض المصادر العربية!

لعل أهمية المقال تأتي من كونه قد طرق زواية من زوايا الالتقاء الفكري والفني بين الأدبين العربي الفرنسي؛ ومواكبة لذلك جاء عنوان المقال على هذا النحو «**نموذج المكار في الأدب الخرافي، بين شوقي ولافونتين**»، مع الملاحظة أن الجزء الثاني من العنوان هو الذي ينص على الغرض من المقال بشكل جلي؛ ومن دقق النظر في العنوان يتوقع أن تأتي صياغة المشكلة على هذه الشاكلة: ما أوجه الاتفاق والاختلاف في تصوير المكار بين أحمد شوقي وجان دي لافونتين في حكاياتهما الخرافية؟ وتتفرع من هذا السؤال الرئيسي عدة أسئلة، من قبيل: من أحمد شوقي؟ ومن جان دي لافونتين؟ وما المقصود بالحكايات الخرافية؟ ومن الممثل للمكار في تلك الحكايات؟ وهل يفلح المكار دائما بمكره؟ وفي ثنايا المقارنة نبه الكاتب إلى أن رمز المكار في الثقافتين العربية والفرنسية هو **الثعلب** مما ألقى بظلاله على الكتاب والشعراء من أمثال أحمد شوقي وجان دي لافونتين في حكاياتهما الخرافية.

يستخدم الكاتب في علاج الموضوع المذكور أعلاه المنهج المتعدد الأبعاد: **التاريخي**

الوصفي المقارن، حيث نتحدث بإيجاز عن حياة كل من شوقي ولافونتين، ثم نصف أعمالهما موضع الدراسة ونقارن بينها مع شيء يسير من التحليل، وفي حديثنا نبدأ دائما بشوقي (مصب التأثير) وننتهي بلافونتين (منبع التأثير)؛ لأن الكاتب اختار أن ينطلق من داخل الأدب العربي نحو خارجه. ومنذ البداية نفترض أن هناك علاقة فكرية وفنية بين أحمد شوقي وجان دي لافونتين في تصوير شخصية المكار في الحكايات الشعرية الخرافية، وتأتي هذه **الفرضية** بالنظر إلى إشكالية الموضوع التي سبقت صياغتها، علما بأن الهدف الأساسي للمقال هو كشف العلاقة الفكرية والفنية القائمة بين شوقي ولافونتين في الحكايات الخرافية؛ وثبت بالأدلية التاريخية أن الأول منهما تأثر بالثاني فيها.

أمير الشعراء أحمد شوقي 1868 – 1932

يعد الشاعر المصري أحمد شوقي من شعراء العصر الحديث في الأدب العربي، وحين يقارن بغيره من الشعراء العرب في مختلف القرون، يأتي اسمه في قائمة كبار هؤلاء الشعراء إلى جانب المتنبي والبحتري وأبي تمام وأبي فراس الحمداني وغيرهم من كبار شعراء العرب في العصر الذهبي (العصر العباسي) (**د. أحمد درويش**، دار الغريب، 2008: **135**). ولد **أحمد شوقي** بالقاهرة 16 من أكتوبر سنة 1868م لأب شركسي وأم تركية؛ وفي واقع الأمر أن شوقيا ينتمي نسبيا وثقافيا إلى عرقيات متنوعة، وهو عربي تركي كردي يوناني شركسي، وذلك بالنظر إلى أن جده كردي وأمه تركية، وأم أبيه شركسية، وأم أمه يونانية، وهو عربي الموطن، مما يشير منذ البداية إلى أنه سيكون متعدد الثقافة في مستقبل أيامه؛ وقد تثقف بعدة ثقافات: العربية والتركية والكردية واليونانية والفرنسية، وكان شوقي يفتخر دائما بانتمائه المزدوج، وتعدد منابع ثقافته، ومنذ الطفولة ارتبط شوقي بالقصر الملكي في مصر، وهو ارتباط كان له أثره البارز في حياته وشعره فترة طويلة من الزمن، حتى كاد يجعله أقرب إلى كونه شاعر القصر منه إلى كونه شاعر الشعب في الفترة الأولى من حياته على الأقل، وإن كان هذا لم يؤثر في القيمة الفكرية والفنية العالية التي يمتاز بها شعره في جميع مراحله وجميع اتجاهاته.

تلقى شوقي تعليمه الأول في القاهرة، وبعد تخرجه في مدرسة الحقوق التي درس فيها القانون والترجمة، بعثه الخِديو توفيق إلى مدينة باريس بفرنسا، لاستكمال دراسته وللاطلاع على الآداب والثقافات الغربية، بعد أن كانت موهبته الشعرية قد تفتحت؛ مع العلم بان الخديو إسماعيل كان قد لمح فيه الشاعرية، وأنه سيصبح شاعرا لخديو توفيق

الذي سيأتي بعده، وذلك منذ كان شوقي طفلا؛

وفي فترة وجوده في فرنسا أتيح له فرصة زيارة إنجلترا، وأكمل دراسته ي باريس، وحصل منها بعد عام على إجازته النهائية، ومكث بعد حصوله عليها يختلف إلى مسارح باريس نحو ستة أشهر **(د. شوقي ضيف، دار المعارف، 1987: 187)** ومن ثم ندرك أنه من خلال سنوات إقامته في فرنسا ازدادت صلته بالأدب الفرنسي وازدادت رغبته في تجديد الشعر العربي على ضوء قراءاته في الآداب الأجنبية استجابةً لموهبته وثقافته الواسعة. كان شوقي شاعرا نابها، وقد تقلد إمارة الشعراء في سنة 1927م، وأقيم لذلك حفل كبير حضره مندوبون عن الدول العربية وبايعوه بإمارة الشعراء، ومن ذلك اليوم لقب **بـ»أمير الشعراء»**؛ ولما قامت الحرب العالمية الأولى نفي أحمد شوقي إلى أسبانيا، ومكث في منفاه نحو خمس سنوات، ولما عاد إلى مصر ساير أحداث النهضة واستمر في عطائه الشعري والنثري إلى أن توفي في 13 من أكتوبر سنة 1932م، بعد حياة حافلة بالإبداع الأدبي.

يعد أحمد شوقي من أبرز شعراء الاتجاه التقليدي لا من حيث اهتمامُه الموضوعي بقضايا السياسة والمجتمع، بل من حيث جمالُ صياغته للعبارات الشعرية وإحساسُه المرهِفُ بإيقاع الألفاظ وتناغمها، وإبداعه الصور الفنية الدقيقة في إطار التراث العربي الأصيل، وكذلك قدم شوقي للشعر العربي الحديث أصولَ المسرح الشعري برواياته التي استوحى معظمها من تاريخ العرب أو تاريخ مصر متأثرا بالأدب الفرنسي في بعض تجاربه الشعرية؛ وذلك بالرغم من افتقاد مسرحياته بعض القواعد الفنية للبناء المسرحي، وقد لفت شوقي أنظار المبدعين في الأدب العربي الحديث إلى موضوعات، كاستعادة الماضي، وإلى نوع جديد للوقوف على الأطلال، والاهتمام بأحداث الواقع، ونظم القصص على ألسنة الحيوانات؛ وبهذا ندرك أنه لا خلاف في أن أحمد شوقي من أهم شعراء الاتجاه التقليدي، من حيث الألفاظ والمعاني والأخيلة والأساليب الفنية واستحداث الموضوعات الشعرية.

إن أحمد شوقي هو الذي أدخل في الأدب العربي الشعر على ألسنة الحيوانات، وهو فن تأثر فيه من خلال علاقته بالأدب الفرنسي، حين وجد هذا الفن قد تطور على يد الشاعر الفرنسي الكلاسيكي **جان دو لافونتين** فيما كتب من قصائد قصصية قصيرة على ألسنة الحيوانات، أطلق عليها «Fables»، وكان لا فونتين قد تأثر فيها بدوره بالأدب العربي النثري القديم ممثلا في كتاب «كليلة ودمنة» الذي يتضمن أكبر مجموعة من هذه القصص، كان عبد الله بن المقفع قد جمعها من التراث الفارسي نقلا عن التراث

الهندي، أعاد صياغتها في كتاب كليلة ودمنة الذي ترجم في العصور الوسطى الغربية إلى جميع لغات العالم الحية، وتأثر لافونتين بالترجمة الفرنسية له، فأعجب بها كثيرا فحاكاها في قصصه المؤثرة التي ذكرناها.

وبعد حين من الزمن جاء شوقي فتأثر به حينما أدخل إلى الشعر العربي قدرا من الحكايات جعلت الشعر يقترب من عالم الأطفال والشباب، إلى جانب ما يحمله من رموز عميقة سياسية واجتماعية وخلقية، وفي ديون الحكايات لشوقي نجد قصائد مثل: دودة القز، والثعلب، وضيافة القطة، والخنفساء، والأسد ووزيره الحمار، والنعجة وأولادها، والأسد والضفدع، وسليمان والهدهد، والغزال والكلب، والشاة والغراب، والنملة والمقطم، والثعلب والديك، ونوح والنملة، وغيرها من القصائد شكلت مذاقا جديدا لقارئ الشعر العربي في عهد شوقي وفي العهود التي تلت **(د. أحمد درويش**، دار الغريب، 2008: **146-147)**. وفي مثل هذه القصائد الحاملة للعناوين المذكورة تأثر شوقي بلافونتين الذي تأثر هو الآخر ـ من ضمن ما تأثر به ـ بمحتويات «**كليلة ودمنة**» لعبد الله بن المقفع المنقول أصلا من الأدب الهندي عبر الأدب الفارسي.

جان دي لافونتين 1621 – 1695

ولد الشاعر الكلاسيكي الفرنسي **جان دي لافونتين Jean de La Fontaine** 8/6/1621 في مدينة شتوتييرى الواقعة في وسط فرنسا، من إحدى الأسر الفرنسية المتوسطة، كان أبوه مديرا لشؤون **المياه والغابات والصيد** في هذا الإقليم، وفي هذه المدينة عاش لافونتين الأعوام الأولى من حياته، ولعل منذ ذلك الوقت لفت أنظار الشاعر الشاب حياة الحيوانات وتصرفاتها التي تتسم بخصوصيات مميزة؛ وقد تلقى لافونتين تعليمه الأدبي في إحدى مدارس تلك المدينة، وأتم تعليمه الابتدائي والإعدادي، ثم انتقل إلى باريس لمتابعة دراسته في القانون، حيث أسهم في النشاط الأدبي الكبير الذي تشهده فرنسا في هذه الفترة الذهبية من تاريخها، في عهد لويس الرابع عشر الذي كان يلقب بـ «ملك الشمس»، وكان نشطا في الوقت نفسه في مجال القانون حتى حمل شهادة المحاماة في البرلمان الفرنسي آن ذلك، وعمل بعدُ محاميا (Isabelle Perrot, Paris, PD: 12)

تزوج لافونتين سنة 1647 بإحدى الفتيات من الأسر الراقية في فرنسا، ورزق ببنت سنة 1653؛ وبالرغم من معارضاته الشديدة للنظام الشمولي فقد اختير عضوا في

الأكاديمية الفرنسية سنة 1684 حيث واصل إصدار قصائده على لسان الحيوانات وشيء من القصص القصيرة؛ توفي جان دي لافونتين في باريس 13/4/ 1695، بعد حياة أدبية حافلة بجمال الفن وعمق التفكير، أو بتعبير أوضح بالمتعة والفائدة، وبصفة خاصة أعماله القصصية والمسرحية الدالة على كونه أديبا طموحا إلى الهمم العالية؛ وقد يلاحظ القارئ ذلك حتى حكاياته التي نحن بصدد الحديث عنها هنا، تلك التي أصدرت تباعا بين عام 1668 و1694، والتي تأتي في مقدمة مؤلفات لافونتين شهرة (Casden, Paris, 2015: 2).

قد اشتهر جان دي لافونتين من بين أدباء فرنسا بهذا النوع من الأدب (الأدب الخرافي)، بل يعد من أشهر من أدخل القصص على ألسنة الحيونات إلى الآداب العالمية الحديثة، وأعطاه أبعادا شعرية ودرامية جديدة، وجعله ملائما لروح العصر، في الوقت الذي ربطه ربطا شديدا بكل تراث القدماء من قبل: أيسوب الإغريقي، ولقمان الشرقي، وفيدر اللاتيني، وبيديا الهندي من خلال الترجمة الفرنسية للنص العربي لكتاب كليلة ودمنة لابن المقفع (**د. أحمد درويش، دار الغريب، 2002: 107**)، ولقد هضم كل هذه المؤلفات في فكره ليخرج أعمالا أدبية شعرية تعد من أبرز ما ألف في الأدب الفرنسي في العصر الكلاسيكي، وقد حازت هذه الحكايات قيمة فكرية وفنية كبيرة في نفوس القراء في تلك الفترة (Isabelle Perrot, Paris: 17)، ويتلخص الأمر في أن جان دي لافونتين من الأدباء الذين قدموا هذه الحكايات إلى العالم باعتبارها مهمة ذات قيمة فكرية وفنية، في الوقت الذي اشتهر بها الشاعر، ولمع نجمه في سماء الأدب في العالم؛ أي أشهرها واشتهر بها في آن معا.

قصص الحيوانات

من أقدم الأنواع الأدبية

يذهب أغلب الدارسين في تعريفهم لحكاية الحيوان أو الحكاياب الخرافية كما يسميها البعض، إلى أنها **شكل من أقدم أشكال الأدب الشعبي، وهي حكايات تتردد على ألسنة الحيوانات والطيور التي تسلك سلوك الإنسان، محتفظة فضلا عن ذلك بسماتها الحيوانية، وقد تجيء هذه الحكايات على ألسنة النبات والجمادات، وتقدم في أبسط صورها تفسيرا أو تعليلا أو ربما رؤية الإنسان الأول إزاء الظواهر الطبيعية، وقد ترتقي ليصبح الحيوان فيها قناعا لمنطق إنساني، تطرح من خلاله قضايا أخلاقية أو**

تعليمية أو نقدية أو فكرية فلسفية (د. علي الشروش، القاهرة 2010، 19)؛ وزيادة في توضيح مضمون التعريف نذكر هذا القول للدكتور احمد درويش: «الأقاصيص التي تروى على ألسنة الحيوانات تشكل جنسا أدبيا يعد من أقدم الأجناس الأدبية وأكثرها شيوعا وشهرة في تاريخ الآداب العالمية في مختلف أنواعها، وهو يختلط في جذوره الأولى بمحاولات الروح الإنسانية للتعبير عن ذاتها في صور محسوسة» **(د. أحمد درويش، دار النصر 2006: 191)**. ثم أضاف الدكتور أحمد درويش في هامش الصفحة قائلا: «المصطلح الذي أطلقه العرب على هذا الجنس وهو مصطلح «**الخرافة**» يفتقد إلى الدقة من حيث إنه يختلط بالأسطورة، ثم إن كلمة «الخرافة» نفسها تحمل ظلالا معينة تقترب بها من معاني السفه والهذيان؛ والمصطلح الذي استخدمه بعض المحدثين، **القصة على لسان الحيوان** يشتمل على الدقة ولكنه يفتقد الإيجاز الذي ينبغي أن تتسم به المصطلحات الأدبية».

وينغي أن نشير هنا إلى أن شخصيات هذه الحكايات لا تقتصر على الحيوانات فحسب، بل تجري على ألسنة الناس والجمادات والنباتات، ومن هنا يميل الكاتب نحو المصطح «الخرافة» إذ يراه أكثر أكثر شمولا لجوانب هذه القصص وأبعادها مع كونه قد اقترب إلى معنى الهذيان والسفة. وبالرغم من جود هذا التردد في اختيار المصطلح العربي المناسب لهذا النوع الأدبي، فإن المقصود به قد اتضح وتبين، من أن هذا النوع من الحكايات جنس أدبي تعزى فيه الأفعال والأقوال غالبا إلى الحيوانات، ليكون ذلك قناعا يشف عما وراءه، ورمزا يومئ إلى المرموز إليه، علما بأن هذه الحكايات تنطوي على غايات أخلاقية ودروس اجتماعية وتربوية ومضامين سياسية ناقدة، إضافة إلى جمالها الفني.

وقد اختلف حول نشأة هذا الفن ومهاده التاريخي، فقيل: إن أصوله ترجع إلى اليونان، وقيل: بل إن الهند أسبق الأمم في حْلبة هذا الفن، وثمة من يرى غير ذلك. ولعلّ ارتباط هذا الفن بالحكاية أو القص الشعبي، والنشأة الأسطورية له، يكمنان وراء شيوعه لدى كثير من أمم الأرض، ذلك الذي يؤكده الدكتور أحمد درويش بقوله: ويدل هذا المصطلح الذي يطلق على الجنس Fable على القدم السحيق الذي تنتمي إليه بدايات هذا الجنس، حيث يدل أصول الكلمة الإغريقية واللاتينية، من بين ما تدل ـ على معنى الفعل «تكلم» وهو اختلاط قد يوحي بأن التعبير من خلال التجسيد القصصي الذي ينتمي إلى هذا الجنس قد صاحب محاولات التعبير الإنسانية الأولى كما يتضح ذلك في الكتابات المصرية القديمة **(المرجع السابق، في الصفحة نفسها)**. مع التنبه

إلى أننا لا نستبعد وجود هذه الحكايات في التاريخ الثقافي لجميع الشعوب البشرية مع الاختلاف في الرموز، إلا أن بعض الشعوب تميزت عن الأخرى بالكتابة والتدوين، ومن ثم اقتصرت هذه الحكايات لدى الشعوب التي لم تدون قصصها على مجرد تسلية ليس إلا؛ ولعل ذلك هو الذي حمل العرب على إطلاق لفظ «الخرافة» على مثل هذه الحكايات، إذ لم يروا فيها قيما تعبيرية وفوائد اجتماعية تستحق العناية والتبجيل.

وهذه النشأة الشعبية هي التي يؤكدها الدكتور محمد غنيمي هلال بقوله: «وحكايات الحيوان تنشأ فطريا في أدب الشعب قبل أن ترتقي من الحالة الشعبية الفولكلورية إلى المكانة الأدبية الفنية، وأدنى صورها في هذه الحالة (الحالة الأولى) أن تفسر ظواهر الطبيعة تفسيرا ميتافيزيقيا أسطوريا على حسب عقائد الشعب (الموروثة)، أو تبين ما سار بين العامة من أمثال، وحينئذ تجري هذه الخرافات والأساطير الشعبية مجرى الحقائق، ولا يكون لها معنى رمزي في صورته التي تحدثنا عنها، وإذن لا تندرج مثل هذه الأساطير والخرافات في الجنس الأدبي الذي نحن بصدد الحديث عنه مهما اجيدت صياغتها الأدبية، ولكنها هي الأصل البدائي لنشأته؛ أما حين ترتقي هذه الأساطير والحكايات، ويتوافر لها ما ذكرناه قبل من معنى رمزي، فإنها تؤلف الجنس الفني المقصود هنا» **(د. محمد غنيمي هلال، نهضة مصر، 2001: 148)**، وبذلك تدخل في الأدب بالمعنى الفني؛ ومعنى هذا أن الشعوب تتقاسم هذه الحكايات، وبخاصة في شكلها الفولكلوري البدائي، ومن ثم يتضح لنا أن النشأة التي نبحث عنها لهذه الحكايات هنا هي النشأة الأدبية الفنية، وليس النشأة المطلقة لها.

ويعتبر **الرمز** من أهم سمات القصة على لسان الحيوان، لا نقصد بالرمز هنا معناه المذهبي، بل نقصد به معناه اللغوي العام، وهو أن يعرض الكاتب أو الشاعر شخصيات وحوادث، على حين يريد شخصيات وحوادث أخرى عن طريق المقابلة والمناظرة، بحيث يتتبع القارئ في قراءتها صور الشخصيات الظاهرة التي تشف عن صور شخصيات أخرى تتراءى خلف تلك الشخصيات الظاهرة؛ وما رأينا في التعريف السابق من أنها تحكى على ألسنة الحيوانات والنباتات والجمادات يعتبر حالة غالبة وليست لازمة، بل قد تحكى على ألسنة شخصيات بشرية تتخذ رمزا للشخصيات الأخرى. ومن سمات هذه القصة أيضا **الحرص على التشابه بين الأشخاص الخيالية والأشخاص الحقيقية في سياق الحكاية**، فيختار الكاتب صفات أشخاصه الأولى بحيث تثير في ذهن القارئ الشخصيات الثانية (البشرية)، التي هي المقصودة أصلا **(المرجع السابق، ص 155)**.

ومما هو جدير بالذكر هنا أن جان دي لا فونتين تأثر بمصادر شرقية في حكاياته

الخرافية، ومن أبرز المصادر التي تأثر بها كتاب كليلة ودمنة الذي نقله عبد الله بن المقفع من الفارسية، بعد نقله من الهندية إلى الفارسية؛ وقد يكون أمير الشعراء أحمد شوقي قد تأثر بالمصادر الشرقية، لكن الأمر الذي قامت عليه الأدلة هو تأثره فيها بالمصادر الأجنبية (الفرنسية) وبحكايات جان دي لافونتين على الأخص، والتي تأثرت بدورها ببعض المصادر العربية المنقولة من الفارسية! وفي هذا المعنى قال بعض الدارسين: «وإذا قيل إنه (يقصد شوقيا) حاكى لافونين فكتب على ألسنة الحيوانات بعض القصص الشعرية القصيرة فمن الممكن أن نتلمس مثل هذا في تظم أبان بن عبد الحميد اللاحقي لكتاب «كليلة ودمنة» **(د. محمد السيد إسماعيل، الهيئة العامة للقصور الثقافية، القاهرة، 2014: 118)**، قال ذلك في سياق الحديث عن مصادر احمد شوقي من الأدب القديم.

أمثلة من نموذج المكار

في حكايات شوقي ولافونتين

المكار هو الذي يحاول دائما أن يصل إلى مآربه ولوازم حياته عن طريق الخدعة والحيلة، مكره ومكر به مكرا أي خدعه فهو ماكر ومكار ومكور أي خادع وخداع **(مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مكتبة الشروق الدولية، 2004: 881)**؛ ويختلف نموذج المكار في الحكايات الشعبية، فبينما نجد بعض الشعوب يرمز إليه في حكاياتها بالثعلب نجد بعضها يرمز إليه باليربوع مثلا، وهلم جرا؛ وعدد من الشعوب في الشرق والغرب يرمز إلى المكار **بالثعلب** في أساطيرها أو حكاياتها الخرافية، من أمثال العرب والفرس والهند والشعوب الأوروبية، وهذه من الأمور التي دفعت إلى محاولة الربط الفكري والفني بين طرفي المقارنة في المقال الذي بين يدي القارئ، إذ هذا النموذج المتمثل في الثعلب يعتبر من الأمور التي هي أكثر لفتا لنظر القارئ في حكايات شوقي ولافونتين، ولعل هذه الحكايات من هنا وهناك هي التي مكنت هذا النموذج في الأذهان، حيث أصبح الثعلب يطلق عند العامة على المكار الخداع.

وفيما يلي أمثلة للحكايات القصيرة عند كل من شوقي ولافونتين؛ وفيها يبدو الثعلب مكارا، فأحيانا نجد الثعلب قد وصل بمكره إلى مأربه، وفي أحيان أخرى يكتشف أمره ويحال بينه وبين ما يشتهي، وذلك رمزا إلى هذا النوع من البشر، الشبيه بالثعلب، والذي اتخد الخدعة ديدنا له في تعامله مع غيره من الآدميين؛ ومن الأمثلة التي حقق

الثعلب آماله من خلال المكر وحسن التدبير هذه القصيدة لأحمد شوقي بعنوان «**الثعلب في السفينة**» حيث مكر الثعلب بالديوك عندما صاحبهم في السفر البحري، فحلف لهم أن الثعالب قد اردعت عن ارتكاب الذنب المتمثل في ارتباط سيرتها بأكل الديكة، وذلك خوفا منها من غضب الله تعالى، وأكد لهم أنهم إن صاحبوه في السفر البري بعد النزول من السفينة فسيرون منه كل شيء يرضيهم، فلما نزلوا من السفينة وأخذوا الطريق البري في مسافة معقولة أكل جميع رفقائه من الديوك ولم يبق منهم أحدا، قائلا: إن نفوا عني التدين فإنني لست أول من حنث من يمينه، بل ذلك ليس عجبا، فهو يعيش بالمكر والدهاء وبهما يصل إلى مآربه، ثم أعطانا الشاعر هذه الحكمة الغالية في البيت الأخير، وهي: إن من تخاف أن يستبدل دينه بعرض الحياة الدنيا تكفيك منه ضرورة صحبة السفر داخل مركب عام؛ وفي هذه المعاني يقول الشاعر **(الأعمال الكاملة لأحمد شوقي، جـ4، دار العودة ـ بيروت، 1988: 164)**

أبو الحصين جال في السفينة فعرف السمين والسمينة
يقول: إن حاله استحالا وإن ما كان قديما زال
لكون ما حل من المصائب من غضب الله على الثعالب
ويغلظ الأيمان للديوك لما عسى يبقى من الشكوك
بأنهم إن نزلوا بالأرض يرون منه كل شيء يرضي
قيل: فلما تركوا السفينة مشى مع السمين والسمينة
حتى إذا نصفوا الطريقا لم يبق منهم معه رفيقا
وقال إن قالوا عديم الدين لا عجب إن حنثت يميني
فإنما نحن بني الدهاء نعمل في الشدة للرخاء
ومن تخاف أن يبيع دينه يكفيك منه صحبة السفينه

ومن هذه الأمثلة أيضا قصيدة شوقي بعنوان «**الأسد والثعلب والعجل**» التي تتضمن قصة تتلخص على النحو التالي: نظر الأسد فرأى عجلا سمينا يرعى قرب المنزل، واشتهى من لحمه، فقال للثعلب يا ذا الاحتيال إما رأسك وإما هذا العجل السمين، فمضى الثعلب نحو تحقيق أمر الملك بعد دعائه له بطول العمر، فوصل إلى العجل وقد غلب

ظلام الليل على بياض النهار، فألقى السلام على العجل، قائلا: يا أيها الوزير قد أراد الذئب الحاسد قتلي فوشى بي عند مولانا اللأسد، فهل لك في أن تشفع لي منه، فبكى العجل شفقة على حال الثعلب، فدنا منه يستوضح الخبر، ومن ثم استرسل الأخير في الحديث قائلا: أما سمعت أن أبا الأفيال الذي كان هو الوزير قد مات، ورأى السلطان أن يجعلك أنت خير خلف له؛ لأنك تمتاز بكبر الرأس، ويعتقد السلطان أن الرأس الكبير يحتوي الحكم والقدرة على حسن التدبير؛ وقد تم استعداد حفل كبير لتنصيبكم، حفل يحضره الوحوش جميعا، وطلبي الوحيد منكم أن تبرئوني عند السلطان حين يتم لكم الأمر، وأن تطلبوا لي العفو منه؛ فهب العجل بقرنيه الطويلين الحادين قائلا: أنت مذ الآن في جواري لا تنال بسوء، ثم اتجه الصديقان إلى موطن الأسد، وبمجرد وصولهما ابتلع الأسد العجل مناولا الثعلب شيئا يسيرا من لحمه، فرجع الثعلب ضاحكا من طيش العجول ومفتخرا بقدرته على نيل السلامة والفوز رغم صغره على حساب العجل رغم كبره! فهاك القصيدة (**الأعمال الكاملة لأحمد شوقي، جـ4، دار العودة ـ بيروت، 1988: 138**):

نظر الليث إلى عجل سمين ... كان بالقرب على غيط أمين

فاشتهت من لحمه نفس الأمير ... فكذا الأنفس يصبيها النفيس

قال للثعلب: يا ذا الاحتيال ... رأسك المحبوب أو ذاك الغزال

فدعا بالسعد والعمر الطويل ... ومضى في الحال للأمر الجليل

فأتى الغيط وقد جن الظلام ... فرأى العجل فأهداه السلام

قائلا: يأيها المولى الوزير ... أنت أهل العفو والبر الغزير

حمل الذئب على قتلي الحسد ... فوشى بي عند مولانا الأسد

فترامیت على الجاه الرفيع ... فهو فينا لم يزل نعم الشفيع

فبكى المغرور من حال الخبيث ... فدنا يسأل عن شرح الحديث

قال: هل تجهل يا حلو الصفات ... أن مولانا أبا الأفيال مات؟

فرأى السلطان في الرأس الكبير ... موطن الحكمة والحذق الكثير

ورآكم خير من يستوزر ... ولأمر الملك ركنا يذخر

ولقد عدوا لكم بين الجدود ... مثل آبيس ومعبود اليهود

فـــأقامـوا لمـــعاليكم سريـر عـــن يمين الملك السامي الخطير
واستعـــد العـير والوحش لذاك فـي انتـــظار السيد العالي هناك
فإذا قـــمتم بـأعباء الأمـور وانتـــهى الأنـــس إليـــكم والسرور
بـــرئونـي عـند سلطان الزمـان واطلـــبوا لـــي العفو منه والأمـان
فكـــفاكم أنـــني العـبد المطيـع أخـــدم المنـعم جهد المـستطيـع
فأحـد العـــجـل قـرنيـــه، وقـال: أنـــت مـــنذ اليوم جاري لا تنال!
فـــامض واكشف لي إلى الليث الطريق أنا لا يشقى لديه بي رفيق
فـمضـى الخـــلان تـوا للفـلاة ذا إلـــى المـــوت، وهـذا للحياة
وهـــناك ابـــتلـع الليث الوزيـر وحبـــا الثـــعلب منـه بـاليسيـر
فانثنى يضحك من طيش العجول وجـــرى فـــي حلـبة الفـخر يقول:
ســـلـم الثعلب بالرأس الصغيـر ففـــداه كـــل ذي رأس كبيـر

وقد رأينا في الحكايتين السابقتين أن الثعلب ـ رمز المكار ـ قد انتصر انتصارا تاما بحيله ومكره، وهما حكايتان رمزيتان تحملان الدلالة على أن الإنسان لكي يسلم من الضرر أو الهلاك لا بد أن يكون على حذر شديد في التعامل مع الآخر، ولا بد أن يتريث ويفكر قبل الدخول في أي تعامل، وعليه ألا يغتر بالكلام المعسول الذي يصدر في أغلب الأحايين من المنافقين الذين من صفاتهم الأساسية خلط السم بالعسل!

فلعل امير الشعراء شوقيا أخذ هذا التصوير الرمزي الهائل من الشاعر الفرنسي جان دي لافونتين الذي كثر مثل هذه الصور البديعة في حكاياته الخرافية، حيث نجد أمثال هذه القصيدة التي جاءت بعنوان «**الغراب والثعلب Le Corbeau et le Renard**»، والتي تحتوي قصة مفادها: أن غرابا قد حط على غصن شجرة، وكان يمسك بمنقاره قطعة جبن، فأثارت الثعلب رائحة الجبن، ومن ثم سلم الثعلب على الغراب قائلا: صباح الخير يا سيدي الغراب، ثم أردف قائلا: إن ريشك جميل، ولكنك ستبدو أكثر جمالا إذا أضفت إلى ذلك أغانيك المريحة، وعند سماعه هذا القول فتح الغراب منقاره لكي تغني فسقطت التفاحة من فيه، فأخذه الثعلب وهو يقول: يا سيدي إن هذا الكلام مجرد خدعة، وكثيرا ما يكون المستمع إليه ضحية من ضحاياه؛ ومن ثم نبه الشاعر على أن مثل هذا الكلام قادر على تحويل المِلك إلى الآخرين، وفي هذا المعنى الإجمالي قال جان دي

لافونتين (Casden, Paris, 2015: 24–25):

السيد الغراب كان على غصن شجرة من الأشجار؛

يمسك في منقاره قطعة من الجبن؛

أثارت شهية السيد الثعلب رائحة الجبن؛

فجاذبه أطرف الأحاديث قائلا:

آه، صباح الخير يا سيد الغراب؛

كم كنت لطيفا، وكم تبدو جميلا؛

وبعيدا عن الكذب، أقول لك إنك، إذا تغريدك؛

انضم أغيك إلى جمال ريشك؛

ستحظى بجمال لا يمكن تصوره، وأنت واقف فوق هذا الغصن؛

وبسماع الغراب هذا القول لم يعد يشعر بالسرور؛

ولإظهار جمال صوته؛

فتح منقاره الواسع، مما أدى إلى سقوط صيده (قطعة جبن)؛

فقبضه الثعلب قائلا: «يا سيدي العظيم،

تيقن أن هذا القول مجرد كلام خادع؛

طالما يكون ضحية لمن يستمع إلى مثله؛

ولا شك أن هذا الكلام الخادع قد ذهب بالجبن؛

فخجل الغراب وتحير؛

وكاد يهلك كمدا، ولات ساعة مندم.

ومن حكايات لافونتين التي نجد المكار قد أفلح فيها أيضا، هذه التي جاءت بعنوان «**الثعلب والتيس Le Renard et le Bouc**»، وتتلخص على النحو التالي: كان الثعلب والتيس رفيقين، وذات يوم اضطرهما العطش إلى دخول أحد الآبار حيث ارتوى كل منهما بالماء العذب الصافي، فقال الثعلب موجها كلامه إلى التيس: يا صديقي ماذا نفعل للخروج من هنا؟ ولا بد أن ترفع رجليك وقرنيك إلى الأعلى فأصعد فوقك فأخرج

من البئر ثم أجذبك بذيلي إلى الخارج، فأعجب التيس بهذا الرأي؛ ولما خرج الثعلب ترك التيس في البئر وذهب، مبررا ذهابه بأن له أعمالا تشغله عن القيام بمساعدة التيس للخروج من البئر. وهكذا جاء نص القصيدة (Casden, Paris, 2015: 68):

كبتين الثعلب ذهب مع صحبة

صديقه التيس اللطيف الأقرن،

ذلك الذي لا تتجاوز رؤيته حد أنفه؛

والآخر قد تمرس حتى صار معلما للمكر؛

واضطرهما العطش لدخول إحدى الآبار؛

حيث ارتوى كل منهما؛

وبعد أن وفر كل واحد منهما مبتغاه،

قال الثعلب للتيس: ماذا نفعل للخروج من هنا يا رفيقي؟

ليس الشراب فقط، بل لا بد أن نخرج من هنا؛

ارفع رجليك إلى الأعلى وقرنيك كذلك؛

ضعها مقابل الجدار، على امتداد ظهرك؛

أنا أتسلق أولا؛

وترفعني من على قرنيك،

ومن خلال هذه الوسيلة،

سأخرج من هذا المكان؛

وبعد ذلك أخرجك بواسطة الجذب؛

وأردف الآخر قائلا من خلال لحيتي؛ هذا أحسن، وسأنجر إليك بسهولة؛

لا يفكر مثل هذا التفكير الرائع إلا عقلاء الناس؛

ما كنت قد حصلت على هذا التدبير؛

حينما أحصل على مثل هذا السر اتمسك به؛

فخرج الثعلب من البئر بهذه الحيلة، وترك صاحبه؛

قد وجدتم وعظا في هذا التصرف،

لكي تتعلموا الحذر والتريث في التعامل مع الآخرين.

حينما تدركك السماء لا تبخل عليك بكرمها؛

من المنطقي، إذا كانت اللحية في ذقنك،

ألا تكون بذلك خفيفا؛

النزول في هذه البئر ذهب بالنسبة لي، أنا قد خرجت منها،

اجتهد للانجرار منها، واستخدم كل قوتك؛

لأن لي أعمالا أخرى تنتظرني؛

والتي لا تسمح لي بالتأخر في الطريق؛

وعلى أية حال لا بد من اعتبار النهاية.

فيما تقدم من الأسطر جاءت حكايتان لكل من شوقي ولافونتين، وقد رأينا المكار المتمثل في الثعلب فيها قد استطاع أن يتوصل إلى مآربه من خلال المكر والخديعة، لكن الأمر لا يدوم له على هذا المنوال، بل ينكشف أمره أحيانا. يقال: إنك تستطيع أن تخدع كل الناس بعض الوقت، أو تخدع بعض الناس كل الوقت، لكنك لا تستطيع أن تخدع كل الناس كل الوقت؛ إن المكار قد انكشف أمره وفشل في مسعاه فشلا ذريعا في الحكايات التي نذكرها بعد أسطر؛ وسنأتي بحكايتين من كل طرف من طرفي المقارنة، لكي يتبين لنا هذا المعنى؛ فلنأخذ هذه الحكاية من شوقي بعنوان «**الثعلب والديك**»، والتي يأتي مضمونها الإجمالي على النحو التالي: ظهر الثعلب في وقت من الأوقات لابسا ثياب الفقهاء الزهاد، وشاتما للماكرين، ويرفع صوته قائلا: يا عباد الله توبوا وازهدوا في أكل الطيور، واطلبوا من الديك أن يؤذن لصلاة الصبح، فلما حضر رسوله إلى الديك بهذا الطلب، رفض الديك واعتذر، قائلا: بلغ عني الثعلب ما نقلته من أجدادي من أن من اعتقد يوما أن للثعب دينا فهو مخطئ؛ وهذا نص القصيدة (**الأعمال الكاملة لأحمد شوقي،جـ4، دار العودة ـ بيروت، 1988: 150**):

برز الثعلب يوما في شعار الواعظينا

فمشى في الأرض يهذي ويسب الماكرينا

ويقـول: الحمـــد للـــ ـــه إلـه العـالمينـا
يـا عـباد الله تـوبـوا فهو كهـف التائبينـا
وازهـدوا فـي الطـير؛ إن الـعيش عيش الزاهدينا
واطلـبوا الـديك يـؤذن لصـلاة الصبـح فينـا
فـأتـى الـديـك رسـول مـن إمـام الناسكيـن
فـأجاب الـديـك: عـذرا يـا أضـل المهتدينـا
بلـغ الثـعلـب عنـي عـن جـدود الصالحين
مـن ذوي التيجانـي مـمن دخـل البطـن اللعينـا
أنهـم قـالـوا وخـيـر الـ ـقول قـول العارفـينا
مخـطئ مـن ظـن يوما أن للثـعلب دينـا

ومن الأمثلة على هذا النوع من الحكايات عند شوقي (حيث فشل الثعلب في تحقيق مبتغاه) هذه القصيدة بعنوان «**الثعلب الذي انخدع**»، يحكى أن ثعلبا سمع أهل القرى يطلقون اسم «**الثعلب**» على المحتال، ففرح فرحا شديدا بذلك، وافتخر بأنه أصبح يضرب به المثل؛ فقال في نفسه: ما المانع في أن أزور أهل القرية وأريهم من صفاتي أكثر مما يتخيلون، لعلهم يقيمون لي حفلا كبيرا يحضره الديك أو الأرنب، فأجد الفرصة سانحة لاصطيادهما؛ فذهب إلى القرية فسلم على أهلها فقام بينهم خطيبا، ولم يكن على علم أن أهل القرية في وعي تام بمكره وهو له بالمرصاد؛ ومن ثم أخذ باليمين وأعطي الكلب، وانتهي به مكره إلى الهلاك؛ ولذا، نصحنا الشاعر في البيت الأخير من القصيدة قائلا: علينا ألا نثق بالمكر للوصول إلى لوازم حياتنا وقد ينخدع الثعلب! وإليك نص القصيدة (**الأعمال الكاملة لأحمد شوقي، م2، دار العودة ـ بيروت، 1988: 180**):

قـد سـمـع الثعلب أهـل القرى يدعـون محتالا بـــ«يا ثعلب»
فقـال حـقـا هـذه غايـة فـي الفخر لا تؤتى ولا تطلب
من مثلي في النهى حتى الورى أصـبحت فيـهم مـثلا يضرب
مـا ضر لـو وافيـتهم زائـرا أريهـم فـوق الـذي استغربـوا
لعلهـم يحـيون لـي زينـة يحضرها الـديك أو الأرنب

فقـــصـد القـــوم فـحياهـم فقـام فيمـا بينهم يخطب
فـأخـــذ الـزائـر مـن أذنـه وأعـطـي الكلب بـه يلعب
فلا تثق يـــومـا بـذي حيلـة إذ ربمـــا ينخدع الثعلب

في الحكايتين الأخيرتين لأحمد شوقي وجدنا **المكار** قد خالفه الحظ ولم يحالفه، إذ وقف له الطرف الذي اعتقد أنه قد ينخدع له بالمرصاد، وهناك حيل بينه وبين ما يشتهي من نتائج مكره؛ ويمكن أن نجلب من حكايات جان دي لافونتين ما يشبه ذلك، فلنأخذ منها ـ مثلا ـ هذه الحكاية التي جاءت بعنوان «**الديك والثعلب Le Coq et le Renard**»، وقبل أن نذكر نص القصيدة نذكر هنا معناها الإجمالي، وذلك على النحو التالي: كان ديك طاعن في السن فوق غصن شجرة، فهو بطول تجاربه الحياتية ذكي حاذق، فبينما هو كذلك مر به ثعلب، فقال يا أخي مع صوت حسن: لم نعد خصوما الآن؛ لأن السلام قد استقر بيننا، إنزل لكي أنال السعادة بمعانقتك مفصلا الحديث في معنى الأخوة، فرد الديك عليه قائلا: هذا الخبر سار جدا، ولكي أستوضح الأمر قد أرسلت كلبين كبيرين ماهرين ليأتيا لي بالخبر، وهما سريعان، سيحضران بعد قليل؛ وعند سماع الثعلب ذكر الكلبين مضى بالسرعة معللا ذلك بأن له أعمالا كثيرة تنتظره، وترك الديك في ضحك متواصل فرحا على تمكنه من إلحاق الرعب بالمكار (الثعلب)؛ وهذا هو نص القصيدة Casden, Paris, 2015: **55**

فوق غصن شجرة كان على أهبة الاستعداد للحراسة،
ديك هرم حاذق ومحتال؛
فمر به الثعلب فقال يا أخي، مع تحسين الصوت،
«لم نعد خصوما الآن:
السلام العام في الوقت الحاضر.
جئت لأعلنه لك، انزل, لكي أعانقك؛
لا يفوتني إطلاقا هذه السعادة؛
يجب علي أن أعمل اليوم عشرين مركزا بلا تخلف؛
لأجلك، وأنت تستطيع أن تستوطنها؛
من غير خوف قط، في أعمالك؛

نحن جهزناها لإخواننا؛

بإمكانك أن تحرقها مذ هذا المساء،

وفي الوقت الحاضر تعال تلق مني؛

معانقة حب أخوي،

فقال الديك، صديقي، لا أستطيع إطلاقا،

أن أجد سعادة أحلى من هذه السعادة

ومن هذا السلام؛

قد تكون لي فرحة مزدوجة

وعندما كنت أتلقى هذا الخبر منك؛

أرى كلابين سلوقيين،

اللذين تأكدت من ما يحملانه رسائل يرسلانها إلي

والتي أرسلت إلي في شأن هذا الموضوع؛

وهما تجريان سريعا، وسيكونان عندنا حالا

وسأنزل: ونستطيع حينئذ أن نتعانق جميعا؛

قال الثعلب وداعا، لي أعمال كثيرة تنتظرني

منذ الوهلة الأولى وعلى الفور،

جمع المكار لوازمه وظفر بأعلى القمم،

ولم يفرح لعدم نجاح خطته،

وديكنا الهرم شرع بدوره

في الضحك لسبب الرعب الذي ألحقه بالثعلب؛

لأن من المتع المضاعفة خداع المكار.

ومن هذا النوع من حكايات لافونتين، هذه الحكاية «**القط والثعلب**» التي تتلخص على النحو التالي: ترافق الثعلب والقط في رحلة الحج باعتبارهما متدينين فيما يبدو،

وفي حقيقة الأمر أنهما خرجا للصيد عن طريق المكر والخديعة، وتنازعا في أيهما يجد الحظ الأوفر من الصيد بعد جمعه؛ ولما طال بهما السير، دخلا في الحوار لتقصير الطريق، ولم يتوصلا في رأي صائب يرضي الطرفين، ومن ثم التجأ كل منهما إلى حيله الخاصة، وتسلق القط الشجرة وترك الثعلب يولول ويطوف حول الشجرة إلى أن اختطفه كلبا الصيد؛ ومن هنا ندرك أن التردد كان وما زال من أسباب الفشل؛ وقد جاء نص القصيدة على هذا المنوال (Casden, Paris, 2015: 214

القط والثعلب، باعتبارهما متدينين

سافرا للحج؛

كانا منافقين حقيقيين محترفين في النفاق،

صاحبا القوائم الصوفية الصريحة التي كانت مصارف سفرهما:

بين فظ كثير اصطياد الطيور، ومختلس كثير جمع الجبن،

ويتنازعان في من الذي ينال الحظ الأوفر؛

والطريق كان طويلا، وقد سئما من السير،

ولتقصير الطريق يتحاوران؛

والحوار يعتبر فرصة عظيمة:

بدونه نظل نائمين بلا حركة إلى الأمام؛

حجنا برفع الصراخ

كان قد تمت فيه المنافرة والمشاجرة، نتحدث عنه في المستقبل؛

وأخيرا قال الثعلب للقط،

أنت تزعم أنك قوي ماهر؛

مع أنك واع أكثر مني؟ ولي مائة مكر في حقيبتي؛

فقال الآخر: لا، ليس لي غير آلة مستديرة في حقيبتي الصغيرة؛

لكنني أستطيع أن أراقب لك جيدا ما تريده؛

وعند استئناف الحوار بينهما إلى الرأي المتفق عليه،

حول المقبول والمرفوض، وبينما كانا على هذه الحال،

ارتفع نباح كلب من كلاب الصيد

قال القط للثعلب، فتش داخل حقيبتك، يا صديقي؛

ابحث أفضل حيلة،

استراتيجية مؤكد، وهذه هي استراتيجيتي أنا،

وعندما وصل إلى هذه القجملة تسلق شجرة بشكل جيد محكم؛

والآخر قام فأخذ يطوف حول الشجرة دون جدوى؛

دخل في الجحر، واعتبر بمئات المرات

جميع زملاء بريفوت،

في كل مكان يطلب الملجأ؛

واستنفر في كل مكان دون أي جدوى؛

شمل الدخان الموضع، والكلاب من وراء ذلك،

وحين خروجه من أحد الجحور، وجد كلبين خفيفين في السير،

واخطفاه وحنقاه منذ القفزة الأولى؛

المشاحنات كثيرا ما تحول دون النجاح،

نضيع الوقت، ونحاول أن نصل إلى كل شيء،

يا ليتنا لو اكتفينا بواحد مفيد بدلا من الكثير الذي لا يفيد.

إن ما ذكرناه من الحكايات تحمل في طياتها قيمة فنية شعورية وتعبيرية من حيث الصياغة الفنية، وقيمة اجتماعية تتمثل في النقد الاجتماعي والكشف عما يمارسه بعض أفراد المجتمع البشري من المكر في التعامل مع الغير، وذلك من خلال استخدام رمز المكر وهو «**الثعلب**»، وقد رأينا في استعراضنا لهذه الحكايات أن المكار يصل بمكره إلى ما يرمي إليه، وقد ينقلب خائبا من غير أن ينال ما يريد، وقد يؤدي به طول طمعه إلى الهلاك؛ ومما يمكن أن نلاحظه في الحكايات أن المكار عندما ينتصر لا يكتفي بالوصول إلى مآربه من خلال الخدعة، بل يردفه بالسخرية والاستهزاء.

الخاتمة

تحت العنوان: «**نموذج المكار في الأدب الخرافي بين شوقي ولافونتين**» جاء هذا المقال، محتويا معلومات عن الشاعر العربي أحمد شوقي والشاعر الفرنسي جان دي لافونتين: عن مولدهما ونشأتهما وما يحيط بحياتهما الاجتماعية والفكرية والأدبية، لكي يكون هذا الحديث تمهيدا للحديث عن الحكايات الخرافية بينهما، والتي يجري أغلبها على ألسنة الحيوانات؛ ويعد شوقي ولافونتين أبرز من أبدع في هذا المجال في الأدبين العربي والفرنسي، ثم عقبنا الحديث عنهما بالحديث عن الحكايات الخرافية نفسها قائلين: إنها شكل من أقدم أشكال الأدب الشعبي، وهي حكاية تتردد كثيرا على ألسنة الحيوانات والطيور التي تسلك سلوك الإنسان، محتفظة بسماتها الحيوانية، وقد تجيء على ألسنة النبات والجمادات، وقد يكون الإنسان بطلا من أبطالها، وتقدم تفسيرا أو تعليلا أو ربما رؤية الإنسان الأول إزاء الظواهر الطبيعية، وقد ترتقي ليصبح الحيوان فيها قناعا لمنطق إنساني، تطرح من خلاله قضايا أخلاقية أو تعليمية أو نقدية أو فكرية. أما من حيث المقارنة فقد جلبنا أربع حكايات عن المكار من كل طرف، علما بأن الثعلب هو الذي يقوم بدور المكار عند كل من الكاتبين، فأحيانا نجد الثعلب قد وصل بمكره إلى مأربه، وفي أحيان أخرى يكتشف أمره ويفشل في مسعاه، وذلك رمزا إلى الشبيه بالثعلب من الناس، والذي اتخذ يسلك طريق الخدعة دائما في تعامله مع غيره من البشر.

المراجع

1. الأعمال الكاملة لأحمد شوقي، دار العودة ـ بيروت، 1988
2. د. أحمد درويش، نظرية الأدب المقارن وتجلياتها في الأدب العربي، دار الغريب، 2002
3. د. أحمد درويش، الأدب المقارن دراسات نظرية وتطبيقية، دار النصر 2006
4. د. أحمد درويش، مدخل إلى الأدب العربي الحديث، دار الغريب، 2008
5. د. شوقي ضيف، في التراث والشعر واللغة، دار المعارف، 1987
6. د. علي الشروش، حكاية الحيوان عند أحمد شوقي، القاهرة 2010
7. مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، 2004
8. د. محمد السيد إسماعيل، شعرية شوقي، الهيئة العامة للقصور الثقافية، القاهرة، 2014
9. د. محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، نهضة مصر، 2001

1. Isabelle Perrot, les Fables de la Fontaine, Paris
2. Casden, Jean de La Fontaine, Paris 2015

باب الفلسفة:

مستقبل الإنسانية زمن الكورونا

بقلم الباحثة الدكتورة ريم منصور

جامعة المنار تونس

Rim.mansour86@gmail.com

تاريخ الاستلام: 17/6/2021 **تاريخ القبول: 13/7/2021**

مستخلص البحث:

في هذا المقال تم تبيان ملامح مستقبل الإنسانية زمن الجائحة الذي كان غامضا قبلها ولكنه تفاقم مع قدوم فيروس كورونا، حيث أصبح الإنسان يشعر بذعر شديد إزاءه نتيجة خوفه من الموت المفاجئ الذي لم يعد يفرق بين الأفراد على أساس اِنتماءاتهم وإيديلوجياتهم ومستوى عيشهم.

خلقت جائحة كورونا نمطا حياتيا غير نمط الحياة العادي، مما جعل الإنسان يفقد مكانته في هذا العالم ويعجز عن تحقيق أهدافه الوجودية والحيوية ويخاف من لقائه بالآخر لأنّه يمثّل ذلك الشر أو الخطر الذي يهدد كيانه.

ومن جهة أخرى، توصلنا في هذه الورقة البحثية إلى التنظير لمجموعة حلول مقتبسة من مجموعة نظريات فلسفية تساعدنا على الأقل على تجاوز تلك النظرة المقلقة تجاه المستقبل زمن هذا الوباء وتطبيقها لسن مجموعة مبادئ أخلاقية تحترم البيئة الّتي نعيش فيها وتمتين فكرة التضامن الكوني البشرى للتصدي لهذا الوباء.

كلمات مفتاحية: مستقبل الإنسانية، الجائحة، الذعر الشديد، الخوف من الآخر

Résumé :

Dans cet article, nous avons décidé de montrer les traits de l'avenir de l'humanité au moment de la pandémie, qui était ambigu avant elle, mais exacerbé avec l'avènement du virus Corona, car la personne en a eu très peur à la suite de sa peur de la mort

subite, qui ne différencie plus les individus en fonction de leurs appartenances, de leurs idéologies et de leur niveau de vie.

La pandémie de Corona a créé un mode de vie qui a changé le mode de vie normal, qui a fait perdre à l'homme sa place dans ce monde et ne parvient pas à atteindre ses objectifs existentiels et vitaux et craint de le rencontrer avec l'autre parce qu'il représente ce mal ou ce danger qui menace son être.

D'autre part, dans ce document de recherche, nous sommes arrivés à théoriser un ensemble de solutions empruntées à un ensemble de théories philosophiques qui nous aident au moins à surmonter cette vision inquiétante de l'avenir au moment de cette épidémie et à l'appliquer pour décréter un ensemble de principes moraux qui respectent l'environnement dans lequel nous vivons et renforcent l'idée de solidarité humaine universelle pour faire face à cette pandémie.

Mots-clés:avenir de l'humanité, pandémie, panique extrême, peur de l'autre

1. مقدمة:

يبدُو أنّ التساؤُل عن المستقبل في السياق الحالي لحالة الخراب التي نعيشها الآن يتولّد عن نوعيْن من حالات الهلع أو الخوف، أولا إزاء كلّ ما يحدث لنا من أزمات شتى، نذكر منها الإرهاب، المجاعات، الاِستعمار، وغيرها، وثانيا التطوّر العلمي أو التقني الّذي اِنبنى على تحوّلات وقطائع جذرية وتطوّرات كُبْرى مقابل تدمير الطبيعة. إنّنا نعيش في عالم يبدو لنا الآن كأنّه حقق ثورة أو تقدّما مذهلا، لكنّ دون التفكّر في اِرهصاته أو مزالقه التي تنطوي على تقهقر شديد وأزمات حادة أو خطر كبير قد يُهدد الإنسانية جمعاء.

إنّ حاضرنا الراهن يعيش أزمة، فهذا يعني أنّ ملامح اللاّيقين تكبر وحالة الغموض

تزداد أكثر فأكثر في كُلّ مكان وكلّ دولة موجودة في هذا الكون، فالحاضر في طور الهلاك، وكوكب الأرض يحيا ويترنّح، يتدرّج ويتجشأ[1]فهذا دليل على أنّنا ما زلنا نعيش أو نقيم في عالم مرتجّ، مشتت، فوضوي، يدّعِي كأنّه قد حقق ما يمكن تسميته بالعدالة والنّظام بواسطة فكرة التقدّم التي لن تخلق سوى قيم الاِنحطاط، الفوضى والتراجع[2].

لن يتوقّف تاريخ العالم أو البشرية عن الصدمات، الهزّات، والكوارث، ولاسيما عندما نتحدث عن الأوبئة والجوائح الّتي أصابت الإنسانيّة عبر التاريخ، ونذكر هنا مثالاً جائحة «الكورونا» التي زعزعت فكرة التقدّم التي تعدّ بمثابة الإنجاز البطولي لفلسفات التنوير والشعار الأساسي لفلسفة الذّات المفكرة، التي أصبحت تخاف من فنائها بواسطة فيروس مجهري لا مرئي.

بوسعنا أن نتساءل هنا عن بعض الإشكالات:

كيف يمكننا التفكير في مستقبل الإنسانية في ظل هذه الجائحة وبعدها؟

ما ملامح الحياة الجديدة زمن هذا الوباء؟

ألا يكون هنا المستقبل مستقبل النهاية أو العدميات أو حصر الإنسان داخل فضاء مغلق؟

1. الجائحة وقلق المستقبل

1.1. القلق من الوباء أو المستقبل المخيف:

تعيش الإنسانية حالة قلق وجودي إزاء ما يحدث أمامها من أحداث مفزعة سواء أكانت حروبًا، أم إرهابا، أم مجاعاتٍ، أم كوارث طبيعيةً، أم صراعاتٍ إيديلوجيةً، أم أزماتٍ اِقتصاديةً واِجتماعية شتّى، لكنّ هذه الحالة تفاقمت واَشتدت منذ مجيء وبروز «جائحة كورونا» التي جعلت الإنسان في حالة خوف رهيب تجاه هذا «الفيروس اللعين» الذي اِنتشر بسرعة كبيرة واضعًا حدًا لفكرة «اللاعدالة» أي أنّ البشرية جمعاء بمختلف اِنتماءاتها، إيديلوجياتها، هوياتها مهددة بفنائها دون مراعاة تميزاتها واِختلافاتها.

نعيش الآن في حالة فزع دائم زمن هذه الجائحة، وأصبحنا نتساءل عن ملامح مستقبل آتٍ إلينا زمن هذا الوباء وبعده. كيف سيأتينا ونحن نعجز عن مقاومة ذلك الوباء

(1)- (إدغار موران، 2009، ص: 41)
(2)- (إدغار موران، 2009، ص: 33)

وخصوصا إثر اِنتصاراته الكبيرة على تلك الإنجازات والاِكتشافات الرائعة التي كان يفتخر بها رواد فلاسفة التنوير وأنصار الحداثة؟

لا تستطيع أنظمتنا الحالية ضمان مستقبل شعوبها خصوصًا الشعوب العربية التي تعيش تحت سيطرة الجهل الممنهج، الفقر، التهميش، والبطالة، فهي تمكنت من القضاء على صفة الأمل نحو الأفضل والتفكير في الآتي بصفة إيجابية قبل مجيء وباء «الكورونا» وإثر قدومه أصبح التفكير في المستقبل يمثل قلقا كبيرًا[1]يلازم وجود النوع البشري الّذي صار خائفًا من فكرة الفناء أو الموت، وكأنّنا هنا نستدعي أطروحة «كيركغارد» عندما اِعتبر أنّ الإنسان هو الكائن الوحيد الذي يعيش في حالة قلق، فزع، ذهول، يأس، والإحساس بالعجز والاِكتئاب تجاه كلّ ما يقع في هذه الحياة، مدركا أنّ الإنسان لمْ يخْلق حتما للراحة والسعادة، فهذا يعني أنّ بحثه عن السعادة أو المتعة لن يكون سوى هروب من القلق أو الاِكتئاب الناتج عن الإحساس بالضياع؛ لكن الجديد بالنسبة إلى «الكوفيد» الذي لم يخلق للذوات القاطنة في هذا الوجود سوى العجز عن تجاوز هذه الحالة الوجودية المقلقة لأنّ العناء الناتج عن هذه الجائحة يمثل تلك الحقيقة المرّة التي جعلت الذات البشرية تعيش قلقا مفرطا وهو الخوف من اللاشيء أو العدم[2] .

جعلت «جائحة الكورونا» الإنسان يخاف من لقائه بالذوات الأخرى، من الركوب في الحافلة من أجل التنقل أو السفر إلى مكان أو بلد آخر، أو أن يرسل أبناءه إلى المعاهد، المدارس الجامعات، وكلّ هذا الحذر ناتج عن خوفه من الفناء وعن قلقه من المستقبل زمن هذه الجائحة الّذي أصبح مستقبلاً غامضا إثر تكاثر واِنتشار الفيروس، وتقول الباحثة الهندية «أرونداتي روي» في هذا السياق؛ «من يستطيع أن يفكر بتقبيل غريب أو بالقفز على متن حافلة، أو بإرسال أطفاله إلى المدرسة، دون أن يُداهمه خوف حقيقي؟ من يستطيع أن يفكر بمتعة عادية دون تقييم خطرها؟».

يسعى هذا الفيروس، عكس تدفق رأس المال، إلى التكاثر من أجل خسارة الكائن البشري، فقد أسهم في بروز تلك المأساة الحقيقية والملحمية التي اِنكشفت أمام أعيننا وجعلت أغلب المستشفيات تكتظ بعدد كبير من المصابين بهذا الوباء اللامرئي الذي جعل الأطباء يعلنون عن صيحة فزع كبيرة جراء اِنتشاره مقابل ضعف الإمكانيات الصحية لاسيما في الأقطار النامية والأكثر تخلّفا، والسؤال الذي يطرح نفسه هنا، كيف نستطيع التفكير في مستقبل الإنسان ونحن نعجز عن ضمان حقه في الصحة والعلاج

(1)- مجدي كامل، 2016، ص: 72.
(2)- أروناتي روي، 25/05/2021، ص: 1.

والحياة والبقاء؟

يصعب علينا في ظل هذه الكارثة الوبائية اِستشراف مستقبل بهيّ وجيد للإنسانية التي أصبحت تهيمن عليها فكرة الموت أو الخوف الشديد من الإصابة بمرض جرثومي أفقد الإنسان مركزيته ومكانته في هذا الكون، وبالتالي فإنّ التساؤل عن مستقبل البشر في هذا الحاضر الذي تهيمن عليه حرب جرثومية يجعلنا نعتبر أننا لم نعد نسكن في عالمًا تسوده تلك النظرة التفائلية، بل صِرنا نفقد صفة الأمل وندرك أنّ للعالم نهاية وأنّ الأقدار تحدد مصيرنا، حيث اِنتصرت علينا نزعة التشاؤم والعجز عن فعل التغيير والاِكتشاف العلمي ونذكر مثالاً أنّ الدول النامية ومنها العربية تنتظر اِكتشافات الدول المتقدمة دون التفكير في بذل أيّ جهود أو محاولة لإيجاد حلول جيّدة لمجابهة هذا الوباء.

تعيش الإنسانية حاليا حالة من الفزع الكبير جراء «وباء كوفيد» الذي خلخل نظام العالم أو المعولم المساهم في تقريب المسافات وتواقت الأزمنة، لكن هذه العولمة المنفتحة قد ساعدت أيضا على اِنتشار الجائحة بسرعة في أرجاء المعمورة التي أصبحت قرية صغيرة، ويقول المفكر التونسي «محمد محجوب» في هذا المعنى إثر حواره مع «إلتراتونس»؛ «صحيح أن العولمة قربت المسافات وجعلت الأزمنة متواقتة لكنها كشفت لنا أنّ هذا الآخر لا يكون بعيدًا حين نسيء إليه»[1] .

إنّ الخوف من اِنتشار هذا الوباء جعلنا ندرك أنّ مساحته غير المرئية المتخفية في أجساد الآخرين تحولت بدورها إلى دوائر حياونية ناقلة للعدوى دون أية قيود أو مواضع أخلاقية، أي أنّ الجديد هنا هو أنّ الجسد يحمل هذا المرض متجاوزًا هذه الموانع ومُهدّدًا وجود البشر بفنائه واِلتهامه بواسطة وباء أو جائحة عابرة كوحش هارب من المخابر لاجتياح العالم الذي نعيشه[2]وهنا نستطيع على الأقل اِعتبار أنّ النظام الرأسمالي المبني على العولمة أسهم في التقريب بين دول العالم على المستويين التكنلوجي والاِقتصادي، غير أنّه ساعد على تفشّي الجائحة بواسطة سهولة السفر[3] .

لا شكّ أنّ الاِنتشار السريع لفيروس كورونا قد عمق لدى الإنسانية جمعاء الشعور بعدم الاِطمئنان إزاء ما يحدث لنا من موت مفاجئ ومباغت جراء هذا المرض المجهري، فهذا القلق أصبح بمثابة الظاهرة اليومية الروتينية التي تصاحب الإنسان في وجوده وكأنّنا هنا قد فقدنا الأمل الكبير في زوال هذا الوباء الذي لن يغادر حياتنا التي صارت

(1)- (محمد محجوب، 2020، ص: 2).
(2)- (فتحي المسكيني، فبراير 2020، ص: 4).
(3)- إدغار موران، 12/04/2020، ص: 1

رهيبة ومقلقة ومفزعة.

قد أعاد وباء كورونا للعقول أو الذاكرة البشرية ذكريات سابقة مع الأوبئة التي فتكت بالعديد من البشر على مر العصور وتمكنت أيضا من طمس العديد من الحضارات، فهي تعتبر من أهم العوامل المساهمة في تغيير مجرى التاريخ وتحديد أقدار سكان العالم[1] .

يُعبّر مجيء وباء كورونا عن حالة عجز كبير أصاب العقل البشري منذ سنة فأكثر وهو يمثل عودة الموت الأسود الذي كان مع وباء «الطاعون» الذي عصف بالعديد من الأرواح– البشرية.

تتعاضد الكورونا مع وباء الطاعون رغم اِختلافها عنه في نشر الموت الأسود أي أنّ جميع المدن الموجودة في هذا العالم تحولت إلى مناطق أشباح مجهورة[2]، ولكن جائحة الكوفيد في ظرف سنة كانت أكثر عصفًا بالنوع البشر من وباء الطاعون. لا يوجد أي علاج مناسب وفعّال لهذا الوباء الذي يضر بالرئتين والجهاز التنفسي، فالخوف من اِنتشاره جعل البشرية في حيرة وسخط لأنّه قادر على حصد العديد من الضحايا في العالم أجمع، وتبعا لذلك فهو يرمز إلى أكبر حدث مأسوي في تاريخ البشرية لأنّه ساعد على اِنتشار حياة الرعب والفزع الذي اِنتاب كل شخص عندما ضرب هذا الوباء حياته وجعله يتأكد من أنّ هذا الفيروس ينتقل بسرعة مباشرة من شخص إلى آخر.

1.2. الحجر الصحي مستقبل الإنسانية الجديد:

لقد تمكن هذا الوباء بوصفة فيروس صغير لا يمكن رؤيته بالعين المجرّدة من تغيير وجه العالم وطبيعة الحياة البشرية التي تميل إلى العيش مع الآخر والتواصل معه، إذ أصبح العديد من البشر يخضعون للإقامة الجبرية في منازلهم واِلتجأت القوى العظمى إلى الاِنزواء على ذاتها خوفا من سرعة العدوى وبالتالي اِنقلب نمط الحياة العادية رأسًا على عقب في ظلّ جائحة تمنع لقاء الآخر بالآخر؟

يعيش الإنسان في حالة رعب هائل أمام هذه الجائحة التي ما زالت منتشرة رغم اِكتشاف عدّة لقاحات توظف لحماية الجسد البشري ضدها، فهذا الرعب كان نتاج الخطر البكتيري القادر على مسح الحياة من سطح الأرض، لذلك كان من الأجدر

(1)– محمود محمد علي، 14/03/2021، ص: 88
(2) – محمود محمد علي، 14/03/2021، ص: 91

اِعتماد مفهوم الحجر الصحي للحفاظ على الذات واِعتبار الآخر بمثابة العدو أو الشر الذي ينبغي نفيه وإبعاده.

ضربت جائحة الكورونا تلك النظريات الفلسفية التواصلية، المنفتحة على العالم والمتجاوزة لعزلة الذات ونذكر هنا مثالاً فلسفة «هسرل» التي تفرض على الأنا خروجها من العزلة وتجاوزها لفكرة الاِنطواء مقابل اِنفتاحها على العالم والآخر لأنّها لا تستطيع التفكير دون وجود الآخرين والاِجتماع معهم وفي هذا المعنى يقول هسرل؛ «ثم إنني لا يمكن أن أفكر ذاتي دون آخرين، دون اِجتماع معهم. إنني أولد داخل الجماعة، ولذلك فأنا مدين للتواصل الدائم مع الذوات الأخرى لمضمون تمثيلي للعالم[1] **(أدموند هسرل، 2008، ص: 29)**»

قضت كورونا على فكرة التواصل الواقعي وعلى اِحتكاك الإنسان بالعالم واِنفتاحه عليه بسبب الخوف من المرض وبالتالي جعلت الإنسان يتصرف تجاه الآخر بكيفية حذرة إلى حد تنتهي به إلى إقصاءه واِبعاده لأنّه أصبح عدوًا مخيفًا يهدد كيانه.

1.3. التعليم عن بعد وخلق التفاوت بين الدول والفئات:

اِلتجأت دول العالم للسيطرة على الاِنتشار الكبير لفيروس الكورونا وتأثيره في حياة المتعلمين والأساتذة، إلى «التعليم عن بعد» كحل أنسب للتصدي لهذه الجائحة غير المتوقعة لذلك سعت إلى اِتخاذ قرارات إغلاق المدارس والجامعات، فكان البديل هو التعليم الرقمي أو التدريس عبر الإنترنيت لمواصلة سير سائر الدروس والمحتويات العلمية في شكل نصوص متنوعة ومطبوعة ومحادثات ونقاشات بالاِعتماد على منصات اِلكترونية مثل «زوم» أو «واب باكس» أو «موديل». قد سلط زمن كورونا الضوء على ضرورة توظيف منظومة التعليم عن بعد وإعطاء الفرص للطلبة لمواكبة هذا النمط الجديد لعله يمثل الحلّ الأنسب للتصدي لهذا الخط الذي يهددهم.

يضمن التعليم الاِفتراضيّ عدّة إيجابيات نذكر منها: تيسير الوصول إلى المحتوى التعليمي المطلوب أي أنّ التعليم عبر الإنترنيت يُعدّ طريقة ملائمة لسائر الطلاب، خصوصًا، بالنسبة إلى الطلبة الذين يُقيمُون في دول أجنبية، فهذه الطريقة تساعدهم على الوصول إلى المحتوى العلمي الذي يريدونه دون التنقل إلى الدول التي يدرسون فيها، كما أنّ للتعليم الاِفتراضي فائدة أخرى تكمن في دعم عملية الاِستعاب ويتم ذلك

(1)-

بواسطة مشاهدة المحاضرات أكثر من مرة لمزيد اِستعابها وفهم إشكالاتها بعمق وبالتالي تعزيز فاعلية التعلم والمعارف. وأخيرًا نجد مزايا بيئية، فهذا يعني أنّه يُمثل وسيلة رقمية غير مستخدمة للورق الذي يتسبب في الإخلال بالوضع البيئي عكس التعليم التقليدي[1]، إلا أنّ هنالك عدّة حدود للتعلم عن البعْد، من بينها خلق تفاوت كبير من الطلاب أو الفئات أو الدول التي تعجز حتما عن تطبيق هذه الطريقة التي تتطلب اِعتماد برامج توجيهية وتدريبية لتعليم الطلبة وتنمية قدراتهم التكنولوجية، مع العلم أنّ دولنا العربية تشهد تأخرًا تكنولوجيا مقارنةً بالدول المتقدمة، وهنا تعتبر العدالة أكبر عقبة أو عائق في التعلم الإفتراضي، إذ لا ينطوي هذا على المشاكل التقنية كضعف الإنترنيت، بل أيضًا الصعوبات الاِجتماعية والمادية، لذلك هنالك عدّة متعلمين يعيشون تحت ضغط نفسي ناتج عن ضعف الإمكانات الماديّة وكذلك تدني مستوى البنية التحتيّة للاِتصالات و»النيت»، أضف إلى ذلك إرتفاع نسبة الجهل الإلكتروني[2].

خلق التعلّم عن بعد مستقبلا هشًّا بالنسبة للفئات التي تعيش الفقر والحرمان المادي، فهي لا تستطيع مواكبة هذه الدروس الإفتراضية والاِستفادة منها وهنا أسهم التعلّم الإلكتروني في تعميق التفاوت التكنلوجي بين الدول المتقدمة والنامية وإبراز المجتمعات الطبقية المتكوّنة من طبقات ثريّة برجوازية محظوظة تتمتع بمرافق حياة جيّدة وراقية وفئات فقيرة مهمشة غير قادرة على مواكبة هذا التطور التكنلوجي نظرًا لضعف إمكاناتها المادية.

إنّ مستقبل الإنسانية من خلال تطبيق طريقة «التعلم عن بعد» يتمثل في ترسيخ قيم اللاعدالة والتفاوت بين الأغنياء والفقراء، وكأنّ هذه الطريقة قد أعادت المشكل الّذي طرحه «ماركس» وهو أنّ المجتمع مقسم نوعين من الطبقات: الطبقة البرجوازية المتحكمة في المجتمع والتي تحتل موقعًا هامًا في سوق العمل من خلال اِمتلاكها لمؤسسات الإنتاج، والطبقة العمالية التي تعيش تحت وطأة اِستغلال الرأسماليين، فهي حتما طبقة ضعيفة وفقيرة[3] .

(1)- محمود محمد علي، 14/03/2021، ص: 18
(2)- محمود محمد علي، 14/03/2021، ص: 20
(3)- ألان تورين، 1998، ص: 148

2. فقدان مركزية الإنسان وقصوره الفكري والإيكولوجي

2.1. تدهور منزلة للإنسان وسيادته على الطبيعة:

يبدو أنّ أسئلة المستقبل في ظل هذه الكارثة التي نعيشها محرجة ومقلقة لأنّنا نعيش في حالة ذهول وعجز كبير عن إنقاذ البشرية من الخراب الذي ميز حياتنا التي تسود فيها أجندات الموت لأبناء هذه الحياة بسبب فيروس لا مرئي فرض علينا نظاما حياتيا آخر مخالفا لنمط حياة الإنسان المعتادة.

تشهد الحداثة الفلسفية منذ «ديكارت» على مولد مفهوم الذّات العارفة والمفكرة التي تبسط سيادتها على الأشياء والعالم أو الطبيعة، وفي الحقيقة يبدو أنّ هذا الإكتشاف كان بمثابة الإنجاز الرائع في الفكر الحداثي الذي أولى مكانة هامة لسيادة الإنسان بوصفه عقل مفكر وتميزه عن سائر الكائنات الأخرى المتواجدة في الطبيعة.

يقول كانط في نصه المشهور ما هي الأنوار؛ «إن بلوغ الأنوار هو خروج الإنسان من القصور الذي هو مسؤول عنه، والذي عجزه عن اِستعمال عقله دون إرشاد الغير»[1].

يعتبر الكسل السبب الرئيسي أو الأساسي الذي يجعل العديد من البشر قصرًا، إثر تحرّرهم منذ أمدٍ طويل، فهذا يثبت أنّ الفلسفة الكانطية تؤمن بحرية الإنسان التي تتحقق بواسطة الإستعمال الجيد للعقل المتحرر من جميع أشكال القسر والمراقبة، فهو يعول على تنصيب الإنسان وجعله متميّزًا عن أغلب الكائنات الأخرى لأنه الكائن الوحيد الذي له ملكة العقل، لكن للكورونا رأي آخر يظهر في قلب الإكتشاف الذي دشنته فلسفة الحداثة.

اِنقلبت الشجاعة التي جعل منها كانط شعارًا للتنوير إلى خوف ورعب سكنا العقول والقلوب وبالتالي يفتقد الإنسان مكانته وسيادته على الطبيعة. إنّ عصر الكورونا الذي ما زال في بدايته، قد أخضع فكرة الإنسان لخطر مربك[2]، لأنّه أصبح مهددًا في حياته مقارنةً بالكائنات الأخرى.

لا شك في ذلك، إنّ فيروس كورونا جعل الإنسان فاقدًا سلطانه على سائر الكائنات الأخرى وتعاليه عنها، إذ أصبح مهددا في مصيره أكثر من الحيوانات والنبات، وهنا يعجز الإنسان على توظيف قدرته على لِإستعادة الفرح أو التطوّر الذي عاشه مع فلسفات العقل والتفكير. منعت هذه الجائحة الإنسان من التصرّف وفق إرادته وتطبيق

(1)- إمانويل كانط، 2005، ص: 85
(2)- فتحي المسكيني، 25/04/2020، ص: 1

حريته حتّى في الفعل الإبداعي وخلق نمط حياة يليق بمستوى إرادته ونزوعاته وتصوراته للحياة. يفقد الإنسان سيادته على العالم وسائر الكائنات المتواجدة معه في الطبيعة لأنّه حُرِم بواسطة هذه الجائحة من فعل الحرية كحريّة التنقل، التجوّل، المشاركة في ملتقيات ثقافية خوفًا من العدْوى الناتجة عن لقاء الآخر بالآخر؛ تقول المفكرة أم الزين بن شيخة المسكيني؛ «إنّها وضعية وبائية خيالية أقحمت الجميع في زمنية وجودية مغايرة هي زمنية العبث أو الاِستثناء أو العدمية السالبة أو هي زمنية التوحد بامتياز»[1].

تتخذ الحرية مع الكوجيطو الحداثي معنى التعارض مع القسر المسلط على الذات البشرية وذلك عندما ينصبّ التفكير الفلسفي بعيدًا عن أيّة سلطة خارجية تعيق الفعل الإنساني المتحرر والمتجاوز فكرة القيود، غير أنّ هذه الجائحة وضعت حدّا إلى تلك المغالاة والثقة المتهورة للذات المفكرة التي تعتبر نفسها سيّدة الكون والمنزاحة عن أيّ قيد سواء أكان طبيعيا أو غير طبيعيّ، فتصير هذه الذات في هذه اللحظة غير جديرة بهذه الحرية جراء تلك النكبة التي أصابتنا والتي أفقدت كثيرًا من الأبرياء أبسط حرياتهم الحياتية.

لا ريب في ذلك، إنّ مستقبل الإنسانية زمن هذه الجائحة هو مستقبل غامض مقلق لاسيما عندما يعجز العقل البشري عن إيجاد حلول، سبل وأدوية تحدّ من وطأة هذه الجائحة، رغم اِكتشاف مجموعة لقاحات ببعض الأقطار المتقدمة كالولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة البريطانية وروسيا وكذلك جمهورية الصين الشعبية، أُعتمدت للتصدي لهذا الوباء ونذكر من أهمها «فايزر، سبوتنيك، أسترازينيكا» وغيرها، لكن المشكل هنا يطرح نفسه: هل تقدر هذه التلاقيح المُكتشفة على القضاء على هذه البكتيريا اللامرئية التي تطورت من سلالة إلى أخرى وهل تنجح في حماية البشرية جمعاء دون مضاعفات صحية؟

لم يتمكن العقل العلمي من اِكتشاف دواء أو مضاد فعّال ضد هذا المرض الخطير الذي لم يفتح له المجال للصمود ضده وتطوير بحوثه بسبب تحوّله إلى عدة سلالات أشد خطورة من السابقة، وتبعا لذلك نقول إنّ العقل البشري لن يفلح في تقديم حلول فعالة ضد هذا الوباء تضمن فعلا نهايته واِنقراضه رغم اِكتشافه لمجموعة تلاقيح قد تساهم في الحد من خطورته ولكن دون اِنقراضه. لقد زعزعت إذن جائحة الكورونا تلك الفكرة القائلة بانّ الحضارة عرفت تقدما كبيرًا عندما قطعت مع الدين واَكتشف مفهوم الذات المفكرة، إذْ أثبتت أنّ البشرية عجزت عن بلوغ التقدم لأنّها هُزِمت بواسطة فيروس جعلها

(1)- أم الزين بن شيخة المسكيني، 02/04/2020، ص: 2

تعيش حالة فزع، ذهول وقصور فكري، وكأنّنا هنا نستدعي القوْل الكانطي في جوابه عن سؤال التنوير عندما أثبت أنّ البشرية يلزمها الكثير لتحقيق فكرة التقدم الذي يبدو أنّه لن يتحقق بصفة نهائية، ووفقا لذلك نستطيع القول إنّ هذه الجائحة أبرزت لنا حدود العقل الإنساني الذي ينبغي عليه اِستعمال عقله بثبات حتى يعلن بواسطة اِكتشفاته العلمية عن نهاية هذا الوباء القاتل.

إنّنا أصبحنا نشتاق إلى تلك الحرية البسيطة التي أثبت عجزنا عن ممارستها دون اِعتماد الأقنعة الواقية، فليس للإنسان في هذه الجائحة حرية اِستنشاق هواء طبيعي لأنّه مجبر على اِرتداء هذه الأقنعة لِكيْ لا يصاب بالعدْوى الناتجة عن اِحتكاكه بالآخر، ويقول الأستاذ محمد محجوب لإلتراتونس: «إننا بتنا اليوم نشتاق تلك الحرية البسيطة التي كانت فينا كالآلية...هل أكثر من هذا تعبيرًا عن هشاشتنا وهشاشة اِنتمائنا إلى العالم؟ هل سنغادر من جديد هذا المحبس الذي اِضطررنا إليه؟ وهل سنكتشف من جديد بساطة حركاتنا وحرية اِستنشاق الهواء دون واق يحول بيننا وبينه؟[1].

هذه أسئلة تجعلنا نعجز عن التفكير في مستقبل البشرية التي فقدت حريتها العادية وبقائها في محبس أو سجن يمنعها من حرية التنقل وزعزعت فكرة الإنسان الذي يمشي فوق الأرض مشية الكائن المنتصر والمالك الذي لا يُسأل عن أفعاله. بينت أزمة كورونا ممارسة الاِحتقار تجاه الذات البشرية من قبل الأنظمة الرأسمالية التي قسمت الإنسانية إنسانيتين: إنسانية جديرة بالحياة وإنسانية مصيرها المحتوم الموت أو الفناء، وأصبحت الصحة أو الحياة تشترى بالمال وتكاد أن تكون اليوم فقط حق للطبقة العليا التي تملك الأموال والنفوذ والجاه بيد أنّ الإنسان الفقير أصبح يُترك بلا عناية يواجه قدره بصفة فردية، وعلى هذا الأساس تمكنت هذه الجائحة من إماطة اللثام عن السياسات الاِحتقارية التي تمارسها السلطة على الإنسان والتي يمكن تلخيصها في هذا الشعار المعبّر «المال قبل الرجال» وفي الجملة التالية: «اتركوهم يعيشون» و»اتركوهم يموتون» [2]. فقد الإنسان قيمته في هذه الجائحة حتى في طريقة الدفن أي أنّه يموت دون توديع، دون العودة إلى البيت، يُدفن مباشرة في المقابر بطريقة مأسوية، تلغي تلك القداسة التي فرضتها الأديان على طرق تشييع الجثامين ودفنها، وبالتالي فكأنّ هنا الإنسان أصبح يمثل خطرًا على الآخر عندما يكون جثة. أصبح الموت في هذا الوباء قدرًا محتما، قد يدخل من جميع المنافذ دون أن يميز بين بيت صغير وقصر كبير، وصار أيضا يجعل عددًا كبيرًا من الأشخاص يتحولون من حالة النشاط المنتشي بالحياة إلى حالة الخوف

(1) – محمد محجوب، 12/04/2020، ص: 2

(2)– فتحي التريكي، 12/04/2020، ص: 3

والقلق ووضعية الجثة الهامدة.

كشف لنا فيروس كورونا كونية الطبيعة وقوتها وكونية الإنسان وضعفه ويبرز لنا أنّ الحقيقة الإنسانية المشتركة هي الهروب والخوف من الموت، فهذا هو قدر الإنسان وهذه أيضا مأسوية الحياة التي لا نستطيع أن نعيشها بطمئنينة وفرح بل بخوف وألم نخشى فيه الفناء أو المرض.

2.2. التقدم التقني والكارثة البيئية وعلاقتها بالجائحة:

لم تفكر الحضارة الإنسانية التي تؤمن بالتقدم العلمي في مستقبل البشر على المستوى الإيكولوجي، فهذا يثبت لنا أنّ حضارتنا الصناعية تخفي في ذاتها تحطيمها الذاتي لأنّ كل تنمية تعيشها حضارة ما قد تبرز نقائضها من بربرية ووحشية إزاء الطبيعة أو البيئة.

تتجه حضارتنا التي تدّعي كونها قدْ بلغت التطور إلى فكرة التحطيم الذاتي، وإذا تحقق هذا التحطيم فإن للسياسة، العلم، التقنية والإيديلوجيا دورًا في بلوغنا مرحلة الوحشية الكاملة التي مُرست ضدّ كوكبنا بواسطة التصنيع، الآلة والحروب التي دمرت أنحاء المعمورة.

لن تسعى الأنظمة الرأسمالية المتقدّمة إلاّ إلى تحقيق مصالحها الذاتية التي تكمن في الإنتاج المضاعف والغزو غير المباشر عن طريق الأسواق العالمية والحروب المباشرة التي تمكّنها من اِكتساب عدد كبير من المستعمرات دون إدراك تأثيراته السلبية في المحيط البيئي.

لقد تبين لنا أنّ التطور التقني ليس مجرّد تطور متدرج لأنّه ينطوي على اِنحطاطات خاصة ينتجها بسبب النزعة الاِستعمارية للدول المهيمنة على العالم التي تؤمن بالكفاءة الصناعية والتقنوقراطية التي تعدّ غايتها الأولية، وبالتالي لا تصلح التقنية للأفضل بل للأسوأ[1].

إنّ الوعود الجميلة والمحرّرة لفلسفات التقدم لن تخلق إلاّ حالة من التقهقر البيئي قد يكون من الأسباب الهامة التي ساعدت على الاِنتشار السريع والمباغت لفيروس كورونا الذي يكون نتاج سوء تصرف اِقترفته البشرية ضد البيئة. خلقت الأنظمة المهيمنة على العالم أي الدول ذات الثروات الصناعية المتعاقبة، هذا الفيروس سواء أكان

(1)- إدغار موران، 2009، ص: 35

بكيفية مقصودة أم غير مقصودة لأنّها لم تفكر في توفير الإحترام للمكونات الأخرى للعالم مقابل سعيها إلى تحقيق منافعها الإقتصادية العالمية، وفي هذا المعنى يبرز لنا الفيلسوف وعالم الإجتماع «إدغارموران» في حوار له مع «صحيفة كوريري ديلاسير الإطالية» أنّ تطورات الإقتصاد الرأسمالي خلقت المشاكل الكبرى التي يواجهها الكوكب الآن، مثل تدمير البيئة[1] .

يبدُو أنّ الطفرة الإقتصادية الأوروبية قسمت العالم مناطق نفوذ وخلقت سوقا ضخمة دون الوعي بالمخاطر البيئية أو الأيكولوجية على الإنسان.

إنّ جائحة كورونا كشفت لنا أنّ إنسانية الإنسان الحقة لن تُكْتسب في ظل الأنظمة الليبرالية المتوحشة التي تبخس حقيقته وحقه في بيئة سليمة لأنّ الماهية الحقة للذات البشرية لا تجعل الإنسان مجرد ذات متمثلة تفرض سلطانها على الطبيعة بل تنسبه إلى محيط بيئي أو أرضي يسكنه وينفتح عليه[2].

لقد تصور فيلسوف مدافع عن البيئة (هانس يُوناس) الكارثة التي ستحصل للإنسانية جمعاء بواسطة الغزو التقني الذي دمر البيئة، فهذه الكارثة مضمونها الآتي ضرورة التخلص من فكرة الأمل بوصفها «يطوبيا» وتعويضها بفكرة أو قيمة سيكلوجيّة سالبة وسوداوية تتلخص في بروز مجموعة أحاسيس ترتكز على الخوف والرعب واليأس أي أنّ هذا الفيلسوف أسس لإتيقا الخوف من الكارثة التي ستحل بالبشرية إثر التقدم العلمي الكبير الذي عرفته الحضارة والذي أصبح يُهدد بِاستنفاذ الموارد الطبيعية وتشويه المحيط وإنقراضه [3] .

لم تحترم سرديات التقدم المحيط أو البيئية لأنّها لن تفكر إلا في غزو العالم الذي نعيش فيه وبالتالي يكون إنسان مهددا في حقه الحياتي لأنّ هذا التلوث قد يساهم في بروز الجوائح والجراثيم البكتيرية، وبالتالي يمثل بروز جائحة كورونا حدثا صادما مقلقا ومرعبا، قد يصل حسب التنبؤات والتقديرات إلى أنّه أكثر فداحة من أيّة حرب مرّت بها البشريّة لأنّه طال الحياة الإنسانية في جميع مظاهرها السياسية، الإقتصادية والتربوية، الصحية والإجتماعية.

(1)- إدغار موران، 2009، ص: 1
(2) - محمد الشيكر، 2006، ص: 126
(3)- أم الزين بن شيخة المسكيني، 2006، ص: 121

3. كيفية الخروج من حالة الذعر التي خلقها فيروس كورونا

3.1. التفكير في مستقبل الإنسانية لغد أفضل بواسطة الفن الذي يحد من وطأة شعور الإنسان بالخوف الناتج عن هذه الجائحة:

عندما نمرض نحن، يمرض الوجود معنا، ومن ثمة تمرض الطبيعة، وتعتل الحياة ويضعف أملنا في الحياة وإرادتها لذلك ينبغي علينا أن ندرك أنّ هذه الهشاشة التي تكتسح هذا العالم تفرض علينا ضرورة تجاوزها بتغير هذا الروتين الذي ظل ملازما لنا خصوصا مع قدوم جائحة كورونا.

ربما قد يكون الفن بجميع أنواعه كالرقص، الموسيقى، الأدب الهزلي، والسينما هو الحل الأنسب لهذه المحنة الوبائية التي تهدد كياننا لأنه قد يمنحنا فسحة من الأمل نستطيع من خلالها استعادة قدرتنا على الفرح.

إنّ الفن في زمن الكورونا مثل الحب في زمن الكوليرا يحررنا من العدمية السالبة التي تهدد حياتنا لذلك كان من الأجدر هنا العودة إلى فيلسوف كبير «كنيتشه» عندما أثبت لنا أنّ الفن يمثل أكبر دافع على الحياة ونشوتها وفرحها [1] .

لعلّ هذا هو الحلّ الأنسب الذي يساعد البشرية على تجاوز حالة الإستسلام التي رافقت الإنسان زمن هذه الجائحة لأنّها لن تكون إلاّ في خدمة نزعة التشاؤم التي تعدّ طريقة رقيقة في رفض السعادة، الأمل وإرادة الحياة.

رغم خطورة هذا المرض المنتشر بسرعة غير أنّه يعبر عن إنذار ينبهنا إلى أشياء أكثر أهمية قد فرطنا فيها لأنّنا كنا منشغلين بأشياء أخرى تجعلنا ننسى قيمتها في هذه الحياة لذلك يجوز لنا أن نؤسس تجربة وجودية تليق بنا وتحرّرنا من كابوس المرض الذي عمق مخاوف الإنسان المعاصر من المستقبل، فهذا يعني أنّ اِنعدام الأمل يساهم في اِستفحالها وتفشيها.

إنّ الفنّ يقنعنا أنّ الكارثة الوبائية التي لازمتنا ليست قادرة على هزم قدرتنا التخيلية، لأنّ الخيال هو أعظم ما يكتسبه الإنسان فهو يساعده على التحرر من قسوة الواقع وهشاشته وأحداثه الموحشة والمرعبة ويجعل من الواقع متحوّلاً إلى قصة منتصرة على جميع الأوبئة والكوارث المتنوعة[2].

يكمن الهدف من الفن زمن هذه الجائحة في إنتاج صورة جمالية رمزية تعبر عن قيمة

(1) – أم الزين بن شيخة المسكيني، 2006، ص: 133
(2)– أم الزين بن شيخة المسكيني، 02/04/2020، ص: 2

حب الحياة وتجاوز صعوباتها من خلال تخطّي حالات التيْه والضياع المرعبة، تلك هي إذن مبررات الحاجة إليه زمن هذا الوباء الذي وضع الأفراد في وضعيات العجز دون رغبة التحرر من المخاوف وهيمنة النضرة السودانية التي لازمته منذ بروز هذه الفيروس الجرثومية في الصين.

يساعد الفن البشرية على المحافظة على الأمن أو الاستقرار النفسي للإنسانية في أصحب أزماتها وأقوى محنها وحمايتها من الوقوع في الفراغ، فهو يخبرنا أنّ الحياة ما زالت ممكنة وأن كلّ ما حدث لا يمكن أن يكون حدثا سجله أو دوّنه التاريخ، في حين يمكن أن يعدّ لنا المستقبل قصصا وأحداثا مغايرة[1].

يظل الفن على حد تعبير «نيتشه» تلك الوسيلة التي تحرر الإنسانية من عدمية الحياة والقيم الإرتكاسية التي تدعو إلى التشاؤم مقابل دفعها نحو الإنفعالات الإثباتية والجميلة التي تقول نعم للحياة في آلامها الأكثر فظاعة[2] .

يتعلق الأمر بضرورة تجاوز هذا الوضع الوبائي الكارثي وذلك من خلال نشر قيم الأمل، المحبة، الإعتراف بالجميل إزاء الأرض والحياة وتعميق إرادة الفعل لدى الإنسان التي تمكنه من التحرر من الضغوط النفسية التي فرضتها جائحة كورونا، فهذا التحرر يعدّ أجمل هدية لأبناء المستقبل كي يبقوا أوفياء لهذه الحياة رغم قسوتها.

لقد ساهم وباء كورونا في فرض العزل الإجباري على سكان العالم وسلبهم أبسط حرياتهم العادية، وفي هذا الوضع يكون الفن هو الوجه المشرق من هذا الوضع الكارثي أي أنّه يُعتبر السبيل الوحيد الذي يخرجنا من هذه الأزمات لأنّه يمثّل تلك الفسحة القادرة على تفكيك عزلتنا وكسر الحصار الذي فرضته هذه الجائحة، فلا مستقبل لدينا إلاّ بالفنّ الذي يريح النفس من حالة الخوف الرهيب من هذه الكارثة البكتيرية.

3.2. ضرورة اِحترام الإنسان للطبيعة من أجل مستقبل أفضل للبشرية:

طالما بقي الخطر الوبائي لدينا أمرًا مجهولاً من حيث المسببات، فإننا سنبقى نجهل مجموعة الإجراءات التي نتبعها لحماية أنفسنا من هذا الوباء المتحوّل من سلالة إلى أخرى.

يجوز لنا اِتخاذ القرارات التي تساعدنا على اِجتناب الأضرار المتواصلة لهذه الجوائح

(1)- أم الزين بن شيخة المسكيني، 02/04/2020، ص: 2
(2)- أم الزين بن شيخة المسكيني، 2010، ص: 134

التي عصفت بنا وبالتالي تكون العودة إل الذات الإنسانية أمرًا ضروريا لكي تعرف حدودها وتثبت مسؤوليتها إزاء هذا الخطر الوبائي.

قد يكون الإنسان طرفًا رئيسيا ومساهما أساسيا في بروز جائحة «كورونا» لأنه يجهل حتما قيمة الطبيعة ويفتقد فكرة اِحترام الوسط البيئي الذي يعيش فيه، لذلك كان من الأجدر على الإنسانية أن تأخذ الوجهة الكفيلة التي تحميها في المستقبل من خطر الأوبئة واِجتناب وقوعها كما حدث مع «الكورونا».

يبدُو أنّ أغلب الفيروسات أو الأوبئة كالطاعون، أنفلونزا الخنازير، الكوليرا ناتجة عن سوء تصرف الإنسان الحديث مع البيئة بسبب التكنولوجيا العمياء التي ألحقت الضرر بالطبيعة وفي هذا السياق تكهن الفيلسوف «هانس جوناس» في كتابه مبدأ المسؤولية الكارثة التي ستحصل للإنسانية جراء هذا التقدم الذي سيضر الإنسان بِاعتباره هو الكائن الذي يقدر على التصدّي للكارثة [1].

يؤسس هذا الفيلسوف لإتِيقا تحترم الكائنات المتواجدة مع الإنسان لذلك فهو يحمّل الإنسان مسؤليته إزاء النبات أو الحيوان الذي كان يوظفه لتحقيق مصالحه الذاتية.

يكون الإنسان مسؤولا أمام الطبيعة لأنّه أصبح مهددًا في حياته جراء هذا التعسف الأداتي عليها الذي أسس فينا على حد تعبير جوناس حالات الخوف من المرض أو الألم من الموت وقلق كوني من النتائج المجهولة للتكنولوجيا المهددة لحياة البشرية في هذا الكوكب[2].

يبدُو أنّ العودة إلى فلسفة «جوناس» الإيكولوجية تساعدنا على تخطي الأزمة الوبائية التي اِنتشرت بسرعة دون توقف وهي تعطينا البوصلة التي تمكننا من كيفية العمل المسؤول إزاء الطبيعة لضمان شروط إمكان إقامة مستقبلية في هذا العالم المهدد بِاستنزاف موارده وتشويهه بواسطة تصرفات الإنسان اللامسؤولة.

إنّ سوء التصرف مع محيطنا البيئي جعل البشرية تعاني من خطر الأمراض الجرثومية ونذكر هنا مثلا الاِستعمال المفرط للمضادات الحيوية الذي أسهم في تربية الجراثيم الفتاكة داخل المستشفيات، لذلك يعدُ هذا الوباء نتيجة لهذا الإفراط في سوء التعامل مع الوسط الذي نحيا فيه[3]، وبالتالي ينبغي على البشرية في هذه المرحلة من الوباء أن تفعّل مجموعة قوانين تدافع عن البيئة من التلوّث لكي نشرع لوجود مستقبل جيّد للإنسان

(1)- Hans Jonas, 1997, pp : 211-212.
(2)- أم الزين بن شيخة المسكيني، 2006، ص: 136
(3)- أحمد القاسمي، 27 أكتوبر 2020، ص: 2

دون أوبئة وجوائح قاتلة.

3.3. التضامن البشري كقيمة كونية:

لا يُفرّق «وباء كورونا» بين الأجساد ولا يَكْتَرث بكلّ التميّزات الثقافية التي أقامتها الحضارات البشرية على أساس الدين، الهوية، اللغة، الجندر والسلط، وهذا دليل يثبت لنا أنّ هذا الفيروس لا يعترف بالفُروقات، ولا يحبّذ أية مجاملة، ويتعلق الأمر هنا بضرب فكرة الهوية التي أسهمت في نشأة الصراعات الإيديلوجية والعرقية مقابل تأسيس فكرة المساواة بين كافة البشر الّذين يسكنون هذا العالم الفسيح، أي أنّ هذا الوباء يطُول ويخترق جميع الأجساد غير مكترث بالإنتماءات الإجتماعية ولا أصل الهوية الذي يُميز طائفة عن أخرى.

إن أخطر ما يُهدد البشر هو تفشي هذا المرض وتطوّره مع اِنعدام الأمل الذي يُساهم في اِستفحاله وتفشيّه، فالخوف من هذا الفيروس هو خوف من صيرورته وحركته ومن تعامله العادل مع بني «أدم» لذلك يَجُوز للإنسانية تجاوز هذه الحالة المرهقة بواسطة توحّد سكان العالم ونشر قيم التضامن الكوني لتجنّب الأخطار الوخيمة لوباء كورونا.

يثبت لنا «إدغار موران» أنّ طفرة الإقتصاد والعلاقات التجارية بين الدول يبدو أنّها قد وحدت العلاقات الإنسانية القائمة على الإعتراف والتآزر الكوني غير أنّها لم تفعل سِوى خلق سوق ضخمة دون وعي بقيمة العلاقات الإنسانية الكونية، أي أنّ البشر أصبحوا مجرد زبائن في هذا العالم وليس مجموعة أفراد منتمين إلى العائلة الإنسانية[1].

يجوز للدول القاطنة في هذه الأرض أن تغيّر سياستها النفعية الإستعمارية، وأن تنظر إلى البشرية كغاية في ذاتها وليْست كوسيلة تحقق بواسطتها مطامحها الذاتيّة وهذا من منطلق إيماننا الراسخ بأنّ البشر هم إخوة في هذا العالم الذي أصبح قرية، وبالتالي فإنّ التشريع إلى ضرورة التضامن الكوني قد يُساعدنا على الأقل على الحدّ من هذه الكارثة التي أصابت الإنسان العالمي.

وقد تُولّدُ الروح الجماعية التي ستمكننا من تجاوز أخطاء الماضي التي من أهمها نجد: إقصاء الآخر واِحتقاره، وإعطاء أهمية كبرى للحسابات المالية على القيم الإنسانية وغياب سياسات دولية تحدّ من وطأة الحروب التي تفرض علاقات تصادُمية بين دول العالم، مجموعة علاقات تعاون بين مختلف الدول لمجابهة هذا الوباء القاتل الذي

(1)- إدغار موران، 2020، ص: 1.

عصف بالعديد من الأرواح البريئة.

وقد بين «إدغار موران» (فيلسوف المستقبل) وجود جانب مشرق في هذه المحنة العالمية يكمن في اِنخراط مجموعة من الباحثين من أنحاء العالم في تضامن دولي للتغلّب على هذا الوباء وبروز بعثات طبية من مختلف أنحاء العالم إلى المناطق الموبوءة، ونذكر أمثلة وصول أطباء صينيين، تونسيين، كوبيين إلى إيطاليا التي اِنتشر فيها الوباء بسرعة في السنة الفارطة، وفي هذه السنة تم اِكتشاف تلاقيح متنوعة في بداية هذه السنة، تبرز لنا مظاهر التكافل الدولي بين الدول لمجابهة هذا المرض الجرثومي. نحن نعيش في عالم موحّد بواسطة فكرة العولمة، لذلك كان بإمكان الدول القاطنة في هذا العالم تقوية علاقات التضامن الكوني والعالمي للقضاء على هذا الفيروس وذلك بواسطة خلق علاقات تعاون بشري وبحث علمي مشترك لإيجاد حلول مناسبة تمكنها من التغلّب على جائحة كورونا وإعلان الاِنتصار عليها.

خاتمة

قد فرضت جائحة كورونا رسالة جديدة للإنسانية مضمونها الفكرة التالية: إنّ البشرية أصبحت مهددة في حقها الأساسي الذي كان بمثابة الشعار الأساسي لأصحاب النزعة الإنسانيّة الذين يَعْلُون من قيمة الإنسان وسيادته على الطبيعة، وهذا الحق يتجسد في ضرورة المحافظة على الذّات البشرية. فالتساؤل عن مستقبل الإنسان في ظل هذا الوباء خصوصا في مراحله الأولى يجعلنا نقول إنّنا أصبحنا موجودين في عالم مفزع، رهيب تسوده الأخبار المحزنة التي جعلت البشرية تفقد صفة الأمل وتدْرك أن للعالم نهاية وأنّ الأقدار تحدد مصيرها ممّا دفع بالعديد التخلي عن حريتهم ومكانتهم المعهودة والاِنزواء على الذوات والخوف من الآخر بوصفه عدوًا يقتلهم ويهدد وجودهم.

لا تزال معركة الإنسانية طويلة ومريرة مع هذا الفيروس الأوّل من نوعه رغم وجود أو اِكتشاف تلاقيح متنوعة، غير أنّها لا تكفي للقضاء عليه نهائيا لذلك كان من الأجدر لنا أن نفكر في مستقبل مغاير للإنسان لتجاوز حالة الفزع الدائم الملازم له وذلك بواسطة الفن الذي يمكّنه على الأقل، من التحرّر من حال الروتين المقلق وبعث مشاعر الفرح ومقاومة نمط الحياة الاِرتكاسية والسلبية وكذلك بواسطة تأسيس نواميس أو قواعد أخلاقية تجعل الإنسان مسؤولا تجاه الطبيعة وحمايتها من التلوث الذي قدْ يكون السبب الرئيسي في ظهور الأوبئة الفتاكة. وأخيرا يجب على الإنسانيّة إنشاء علاقات تضامنية من خلال

دعم البحث العلمي المشترك بين دول العالم لمزيد إنشاء أدوية مضادة لهذا المرض العويص رغم اِكتشاف التلاقيح وكذلك تمتين علاقات التآزر والتعاون وخصوصا مساعدة الدول التي لازالت تعاني من مشكل هذا الفيروس نظرا لعجزها عن توفير عدد ممكن من التلاقيح ومعاناتها من قلة التجهيزات الصحية.

تصبح إذا جائحة كورونا موضوع تأمل فلسفي يطرح بواسطتها عدّة إشكالات تبدُو عويصة ومقلقة بالنسبة إلى المشتغلين بالقضايا الوجدانية والحيوية، لذلك فإن تناول هذا المرض من جهة نظر الفلسفة يبدو ضروريا لأنه طرح عدّة مسائل خاصة بالوجود الإنساني مثل حتمية الموت ومشكل المستقبل والاِنزواء الذاتي الذي يمثل موضوع جدال بين الفلاسفة بوصفه يمنع حرية الإنسان ويجعله محصورًا ومقيدًا في فضاء مغلق، لكن تنتهي الفلسفة على الأقل بمدنا بمجموعة حلول لا يمكن أن نقول عنها إنّها نهائية، بل على الأقل تعلمنا تجاوز حالات الهلع والفزع المتعلق بنمط الحياة الجديد المفروض في ظل هذا الوباء، لأنّها تشرع لوجود تلك التصورات الفكرية، الإتيقية، والاِستطيقية التي تساعدنا على تجاوز وطأة هذه الجائحة والدعوة إلى مراجعة الذات لتطويرها والتفكير في حلول مناسبة.

قائمة المصادر والمراجع

1) الشيكر محمد، **هيدغر وسؤال الحداثة**، المغرب: إفريقيا الشرق، 2006.
2) المسكيني، أم الزين بن شيخة، **كانط راهنا أو الإنسان في حدود مجرّد العقل**، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 2006.
3) المسكيني، أم الزين بن شيخة، **الفن يخرج عن طوره أو جماليات الرائع من كانط إلى دريدا**، تونس، دار المعرفة والنشر، 2010.
4) تورين ألان، **نقد الحداثة**، ترجمة أنور مغيث، المجلس الأعلى للثقافة، 1998.
5) كامل مجدي، **الوجودية تعريفها نشأتها أشهر أعلامها وموقفها من الإنسان والحرية والاِختيار والمسؤولية والكون والدين وسر الاِتهامات والاِنتقادات التي توجه لها**، دمشق– القاهرة، دار الكتاب العربي.
6) كانط إمانويل، **تأملات في التربية ما هي الأنوار؟ ما التوجه في التفكير، ترجمة محمود بن جماعة**، صفاقس، دار محمد علي الحامي للجنوب، 2005.
7) محمد علي محمود، **فلسفة ما بعد الكورونا**، مكتبة النور، 2021-03-14.

8) موران إدغار، إلى أين يسير العالم، ط 1، ترجمة أحمد العلمي، بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون، 2009.

9) Jonas Hans, le principe responsabilité, trad, Jean greisch, Pris : cerf, 1997.

أهم المقالات الإلكترونية

1) أحمد القاسمي، جائحة كورونا من منظور الفلسفة والسياسة والاقتصاد، عربي 27 أكتوبر 2020.www.m.arabi

2) المسكيني أم الزين بن شيخة، الفن زمن الكورونا تأملات سينمانهاية العالم، أخبار المواطنة.

https : //akhbarmouwatna.com .8

26/04/2020 .9

3) المسكيني فتحي، الفلسفة والكورونا من معارك الجماعة إلى حروب المناعة، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، فبراير 2020،

www.mominoun.com

4) المسكيني فتحي، الرهان على تنصيب الوباء عدوًا لا مرئيا يضللنا وفكر «آدم» التوحيديّة في خطر 612، الأوان www.alawan.org، حاورته ريتا فرج، 25/04/2020.

5) روي أروناتي، حول زمن الجائحة، موقع القنطرة، http://ar.qantra.de، 25/05/2021.

6) محمد محجوب، فتحي التريكي، محمد علي الكبسي، مها بشيري، حوارات كيف يفهم كبار أساتذة الفلسفة في تونس أزمة كورونا، حاورهم رمزي العياري، إلتراتونس، www.ultratunisi aultraswat.com.12/04/2020 ،

باب الإعلام:

1 – دور الإعلام الكردي في تطوير العلاقات العربية –الكردية بين (القومية والعولمة)

The role of the Kurdish media in developing Arab–Kurdish relations between (nationalism and globalization) .

د.خالد ممدوح العزي
الجامعة اللبنانية
محاضر في كلية الاعلام والاتصال الفرع الاول
Dr_izzi2007@ Hotmail.com

تاريخ الاستلام: 17/6/2021 **تاريخ القبول:17/7/2021**

مستخلص البحث:

يسعى البحث الى التطرق للعلاقة بين مفهوم القومية الواحدة والتي يسعى الاكراد للوصول لها وبين توزعهم في دول عديدة، حيث توجد تطبيقات عن أسس العلاقات المشتركة لكل قومية او اثنية معينة من خلال وجودها في منطقة محددة تفرضها لغتها وعلاقاتها المشتركة وحدودها الطبيعية وقوانينها الخاصة.

نحاول في بحثنا التوقف امام القومية الكردية الموزعة والسعي الدائم لبناء دولة مستقلة واحدة لهذه القومية تفرضها العوامل الجغرافية والبشرية والحياتية، ولكن تداخل المصالح

الدولية ورسم خرائط جيوسياسية وافق لمصالح الدول الكبرى تعيق تحقيق ذلك مما يجعلنا نقف امام معضلة هذه القضية المتراكمة منذ سنوات حتى معرفة وكيفية تناولها من قبل الاعلام الكردي الذي لا يزال بعيدا كل البعد عن التغطية الحقيقية لهذه المشكلة وربطها بالتطورات الدولية ورسم الخرائط الجيوسياسية للدول الصغيرة.

Abstract

The research seeks to address the relationship between the concept of a single nationalism, which the Kurds seek to reach and their distribution in many countries, where there are applications that met the foundations of the common relations of each particular national or ethnic group through their presence in a specific region imposed by their language, common relations, natural borders and their own laws.

We are trying in our research to stop before the distributed Kurdish nationalism and the constant pursuit of building a single independent state for this nationalism imposed by geographical, human and life factors, but the overlap of international interests and the drawing of geopolitical maps in agreement with the interests of the major countries impede the achievement of this, which makes us stand in front of the dilemma of this accumulated issue for years to the extent of knowing how to deal with it before. The Kurdish media, which is still far from the real coverage of this problem and linking it to international developments and the geopolitical mapping of small countries.

Key words: (Kurds, nationalism, globalization, the state, media, the Kurdish issue, geology)

أهداف البحث :

يحدد الباحث العديد من الاهداف الذي يجب اظهارها في الدراسة من خلال التالي:

– تحديد مفهوم القومية وعلاقتها بالحاضر والمستقبل.

– حق الشعوب في تقرير مصيرها وبناء دولها.

– مشاركة الأقليات السياسية في تركيبة الدولة الوطنية.

–العلاقة المنهجية بين القومية والعولمة .

–تأثير القومية على العولمة .

–المصالح الجيوسياسية العالمية ومكان القوميات في حلبة الصراع الدولي.

أهمية البحث :

يشكل الوجود الكردي نقطة مهمة تعبر عن كيان متكامل، لكن الانقطاع او القطيعة موجودة بين مفاصل حياتهم بظل الظروف التي تعيشها المنطقة وخاصة بعد الاستفتاء الاخير الذي حصل في شمال العراق وما يترتب عليه من ازمات ومخاطر تعيشها المنطقة، وبخاصة بعد توافق دول الطوق حول الإقليم، بالاهتمام والتوافق على إنهاء حالة التمرد التي عاشها الإقليم بحسب سياسة تلك الدول ،وهنا يمكن القول بان الاستفتاء نجح بكل معنى للكلمة لكن الاقليم خسر حق تقرير المصير للمجتمع الكردي العام .

نقطة الانطلاق الفعلية تبدأ من دراسة العوامل التي تعيشها وحدة المجتمع الكردي في المجتمعات ذات التعددية القومية والإثنية، في ظل فرض الحواجز السياسية والحدود المصطنعة التي رسمت تلبية لمصالح تجارية واقتصادية خاصة على حساب فئات، ولصالح فئة بالرغم من انتشار العولمة مع نهاية القرن العشرين. لكن، في المقابل تعزز دور القومية التي انتشرت بشكل واسع مع انهيار الاتحاد السوفياتي السابق والتي لم يستغلها الاكراد لوحدتهم رغم التغلغل التي أدت الى عودة فكر القومية والشعوبية من جديد، وقد بات واضحا للجميع أن القومية أضحت معاكسة للعولمة التي تنمو وتنتشر على حسابها .

مشكلة البحث :

في ظل الانفتاح العالمي الجديد، والسيطرة الاقتصادية والانتشار الثقافي بواسطة التطور التقني والتكنولوجي وفتح الحدود وسهولة التنقل بين الدول، تبقى مشكلة القومية من أهم المشاكل التي تبرز بشكل جدي في العلاقات الدولية الحديثة، حيث لم تتمكن العولمة من القضاء عليها او صهرها ضمن مشاريعها المبنية على الهيمنة بكافة اشكالها، في ظل غياب البدائل التي تساعد على تخطي حواجز القوميات التي باتت في العديد من الاماكن تشكل القنبلة الموقوتة والتي تنذر بحروب قادمة ومن هنا نطرح التساؤلات العديدة:

– ماهي القومية وما تأثيرها على الدول الحديثة؟

–دور الإعلام الكردي في نشر الوعي .

– القومية ومفهوم العلاقات الدولية .

–طبيعة العلاقات العربية –الكردية الحالية .

– القوميات وموقعها في مناطق الجو–سياسي و(القومية الكردية نموذج).

– القومية وعلاقتها بالعولمة في ظل التغيير العلمي الجديد

– العولمة الاقتصادية ودورها في نشر الثقافات القومية والمحافظة عليها.

منهج البحث :

يعتبر هذا البحث من البحوث الوصفية التاريخية والتحليلية المستقبلية التي اعتمدت على منهج المسح ودراسة العلاقة بين المتغيرات والثوابت لغرض الوصول الى اجابات عن التساؤلات السابقة.

ابرز النتائج :

– لايزال الاعلام الكردي بعيدا كل البعد عن الاستقلالية وفتح باب الحوار مع دول الجوار حول مستقبل العلاقات القادمة مع العرب والعالم .

– الإعلام الكردي مطالب بالخروج من الكنف المناكفة السياسية والدخول في عالم المنافسة المهنية في وضع استراتيجية جديدة لتطوير الخطاب السياسي والخروج من عباءة الأحزاب السياسية.

كلمات مفتاحية: (الاكراد، القومية ، العولمة، الدولة، الاعلام، القضية الكردية، الجيوسية)

المقدمة :

ان القومية هي الرابطة التي تربط أبناء الأمة الواحدة في الوطن الواحد، واساس القومية الوحدة الحضارية التي تصنعها ارادة الشعب تعبيرا عن مجموعة عوامل موجودة.

إذن، القومية مفهوم اجتماعي يصعب تعريفه لأنه يصعب تحديده بالمهمات والعوامل والأسباب ولكنه مفهوم لا تصعب الاشارة اليه ولا الحديث عنه، ولا إدراك وجوده[1]. ويمكن القول إن القومية هي ثقافة حضارية من خلال شعوب تعيش وتنتج على أرض معينة، تتكلم لغة مشتركة، وتمارس حضارة وتقاليد مشتركة[2] .

ان القومية موجودة وقائمة، مهما اختلفت أسباب قيامها. والقومية هي شعور ابناء الأمة الواحدة بأن ثمة ما يجمعهم ليكونوا أمة واحدة، وما يميزهم عن الأمم الأخرى، سواء أكانت هذه الميزات حضارية، تاريخية، اقتصادية أم سياسية».

القومية وجدت عبر التاريخ مع بداية المجتمع المتحضر نفسه، والقومية شيء موجود عبر التاريخ ومستمر قد تشتد، اي يشتد الشعور بها، وتكتسب قوة تجعلها فعالة في التاريخ، ظاهرة واضحة، حتى انها تطغى على بقية الروابط التي تجمع بين الإنسان والإنسان وتفرق بين الإنسان والإنسان، وقد تضعف فتظهر عليها قوى أخرى تكون اشدّ فعالية فيتوارى الشعور بالقومية لتحل محله روابط اخرى ولكنها لا تنعدم، ولا تغيب ابدا. حاول العديد من المفكرين والفلاسفة ربطها بالدم والعرق والعصب ما عزز الشعور بالخوف لدى الاقليات التي تعيش الى جانب الفئات الاخرى والتي دائما ما تنتهي بحروب دموية، تعكس نفسها على الكثير من الشعوب والفئات التي تذهب للتفتيش عن حكم خاص بها او اقامة دولتها الخاصة التي تحافظ من خلالها على وجودها وحماية نفسها من الأكثرية التي لا تحترم وجودها وحقوقها، وهذه اخطاء المفكرين القوميين الذين اطلقوا شعاراتهم الاولية ان كل من يعيش على الاراضي العربية هو قومي عربي، مما افزع هذا الشعار القوميات الاخرى التي باتت تفتش عن وجودها وحقوقها واقامة نظامها ودولها الخاصة.

1-المفهوم العام للقومية :

تعتبر القومية nationalism مذهبا سياسيا قوامه إيثار المصالح القومية على كل شيء، ويظهر هذا الإيثار في منازع الأفراد، أو في منهج حزب سياسي، يناضل في سبيل قومه، ويدافع عنهم، ويعتز بهم، والقومية قوميتان: ضيقة وواسعة. الأولى تضع

نفسها فوق كل شيء، وتتعصب لجنسها أو دينها أو لغتها أو ثقافتها أو تاريخها تعصباً أعمى؛ والثانية تمد بصرها إلى العالم للاقتباس منه أو للإسهام في تقدمه الحضاري. وبين هذه القومية الواسعة والإنسانية الكاملة وحدة عميقة، إذ لا يمكن للفرد أن ينمّي ذاته إلا داخل الإطار القومي، كما أنه لا يستطيع أن يكون مخلصاً لقوميته بحق إلا إذا عمل على توكيد إنسانيته الكاملة. في هذا الاطار يذكر أنور الجندي انه لابد من التوقف امام مفهوم معنى القومية، فعند الحديث عن القومية أو بالأحرى لفظ كلمة قومي أو قومية [3]، أو عند وصف شخص ما بأنه ذو توجه قومي، أو القول إن بلدا ما قام بعمل ما من منطلق أو دافع قومي يكون وقع الكلمة على أسماعنا مقبولا جدا ومفهوما بشكل جيد ولا يحتاج إلى أي توضيح، ولكن لو طلب منا إعطاء تعريف محدد لهذا المفهوم فسنجد أنفسنا وقد دخلنا متاهات منهجية معقدة[4]، وبالتالي لا نقدر على الخروج بمفهوم محدد وشامل يغطي فكرة ومعنى هذه الكلمة، وقد يكون من المستحيل التوصل إلى تعريف علمي قصير ودقيق يتألف من جملة أو جملتين، ويتضمن كل ما تنطوي عليه الفكرة القومية ويستثني ويستبعد كل ما هو خارج عنها.

يعود ذلك باعتقادنا إلى أن قومية كل أمة من الأمم قد عبرت عن نفسها بشكل يخالف الآخرين كما أنها تغيرت وتعدلت بمرور الزمن. القوميات الأمريكية، لا تشابه القوميات الأوروبية والآسيوية مشابهة تامة لفقدانها الأصول التاريخية العميقة، ولاختلاف ظروفها المادية والسياسة والاقتصادية والاجتماعية والجغرافية، بالإضافة إلى العوامل التاريخية المتباينة التي دخلت في تكوين كل أمة وفكرتها القومية، فتأخّر الوحدتين الألمانية والإيطالية من حيث الزمن واختلاف تاريخهما أدى الى اختلاف نوعيتهم القومية مقارنة بالقومية البريطانية والفرنسية ،اللتين سبقتاهما، ونرى أن الشعور القومي[5] الذي ظهر في فرنسا الثورية بين 1789 و1790 والذي تأثر بتفكير القرن الثامن عشر كان أشد إنسانية من شعورها القومي في سنة الإرهاب (1793) ،كما أن قومية ألمانيا في عهد بسمارك (1871) تعتبر معتدلة إذا ما قورنت بالقومية في عهد رايخ هتلر (1939).

لقد حاول الباحثون في جميع أنحاء العالم إيجاد مفهوم محدد للقومية يساعد ولو بدرجات بسيطة بتقديم تعريف مقبول ولو منهجياً وذلك لأغراض الدراسات السياسية ولكنهم في النهاية اضطروا من اجل النهوض بدراستهم السياسة أو تأثراً بفلسفتهم السياسية إلى وضع تعاريف خاصة بهم ،ولما كانت الأغلبية الساحقة من الباحثين في القومية هم أيضا من دعاة قومية معينة سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، فإن كلا منهم تأثر بطبيعة الحال بالقضية التي يدعو إليها وجاءت مواطن التركيز في تعريفه بما

يتفق والظروف الموضوعية المحيطة بهذه القضية، وبذلك لم يتحقق الوضوح اللازم إلا نادرا حيث نشأت عقبات كثيرة عرقلت سير عملية البحث العلمي.

ومن التعريفات التي حاولت تحديد مفهوم القومية التعريف الذي اتفق عليه كل من رينان Renan و تريتشكهTreitschke وباري BarresوزنكويلZanguill الذي ينظر إلى الأمة على اعتبار أنها كائن عضوي هيغلي، أي عبارة عن روح أو مبدأ روحي ينبعث من تاريخ الإنسان وطبيعته[6].

وقد يدل هذا التعريف على رمزية خالصة مرفوضة موضوعياً إلا أن الأهمية التاريخية المعاصرة لهذا الرمز لا يمكن إغفالها، لأن القوميين في كل مكان يعتبرون الأمة كائناً سامياً يعلو على الطبيعة، أو شيئا يسمو على الأفراد والمؤسسات التي يتألف منها .

أما هكسليHuxle وهدون Haddon فيعرفان الأمة[7] على أنها (مجتمع ألف بينه اعتقاد مشترك بالنسبة لأصول، مشاعر عدائية مشتركة بالنسبة لجيرانه).

ويعرف الإيطالي مانشينيMancini القومية بأنها (مجتمع طبيعي من البشر يرتبط بعضه ببعض بوحدة الأرض والأصل، والعادات واللغة من جراء الاشتراك في الحياة وفي الشعور الاجتماعي) [8]، ويعتبر هذا التعريف من أهم وأشهر التعريفات التي قدمت للقومية باعتباره حدد السمات والعناصر الأساسية للقومية .

أما بالنسبة للمفكرين العرب فقد حاول العديد منهم وخصوصا دعاة القومية العربية وضع مفهوم محدد للقومية يتناسب مع الحالة العربية ومعطياتها، ومن هذه التعريفات يعرف الدكتور جورج حنا [9] القومية بأنها (عقد اجتماعي في شعب له لغة مشتركة، وجغرافية مشتركة، وتاريخ مشترك، ومصير مشترك، ومصلحة اقتصادية مادية مشتركة، وثقافة نفسية مشتركة، وهذا العقد يجب أن يكون فيه كل هذه المقومات مجتمعة).

1-1 المفاهيم المشتركة للقوميات :

ترادف «الجنسية» nationality مفهوم القومية أيضاً، حين تتخذ صفة حقوقية تنشأ من الاشتراك في الوطن الواحد، أي الجنسية الأصلية التي تكتسب بالانتساب إلى أمة، أو إلى أقلية قومية ملحقة بدولة قومية، وتقع ضمن حدودها الرسمية، كالقول: الجنسية الألمانية، والجنسية الفرنسية؛ أو حسب حقوق اكتساب الجنسية التي ينص عليها القانون في كل بلد، كالجنسية الأمريكية. وتغلب الجنسية في هذه الحالة على القومية، على الرغم من تباين الأصول الإثنية للسكان.

يعرف د. منيف الرزاز[10] القومية بأنها (الرابطة التي تربط أبناء الأمة الواحدة في الوطن الواحد). ويلاحظ من خلال التنوع في هذه التعريفات الإشكالية الكبيرة في وضع مفهوم محدد يمكن اعتماده كأساس للانطلاق في دراسة قومية ما، حيث يظهر المنحى الذاتي أو الخصوصية القومية في كل ما ذكر من تعاريف، ويظهر ذلك وبشكل أوضح إذا ما تناولنا ما يسمى بالمفهومين الألماني والفرنسي في تعريف القومية حيث يركز المفهوم الألماني على مسألة اللغة وأهميتها في بناء القومية، بينما ترى القومية الفرنسية مشيئة العيش المشترك هي محور القومية ومعيارها، ويظهر من هذين المفهومين الهدف الذي يسعى إليه دعاة كل قومية من هاتين القوميتين، حيث تسعى القومية الألمانية إلى ضم جميع المتكلمين باللغة الألمانية في أوروبا، ومنهم سكان الألزاس إلى الدولة الألمانية، بينما نرى في الجانب الآخر أن القومية الفرنسية وهي التي سبقت القومية الألمانية بقرن من الزمان قد أتمت وحدتها السياسية بالاستيلاء على بعض البلاد التي لا يتكلم أهلها الفرنسية ومنها طبعا منطقة الألزاس[11].

خلاصة الأمر أن القومية تظهر بالشكل الذي يريده القوميون لها، وقد لا تكون فكرة خالصة ثابتة، وإنما تجمعات متباينة من العقائد والظروف، لها أساليبها الخاصة في الاحتفاظ ببقائها وفي التحول لا إلى مجرد حقيقة، بل إلى أمر واقعي كذلك، والحقيقة أن الخيال والواقع والصواب والخطأ عناصر تختلط مع بعضها اختلاطاً شديداً في القومية الحديثة، ولذلك فإن الأسلوب الوحيد لإدراك فحوى القومية هو تحديد العقائد، بغض النظر عن صحتها أو عدم صحتها، والظروف المتوافرة فيها، وكما يقول هيرتز في تعريفه للقومية:(إن القومية فكرة ترى وجود شخصية جماعية للدولة تتباين من حيث إيحائها والشعور بذاتها وكثافتها وضخامتها بالنسبة للدولة، فقد تمثل دولة متحدة منقرضة أو دولة متحدة قائمة، وقد تتجه نحو إقامة دولة متحدة في المستقبل وهي تعتمد في هذا كله على الخصائص الطبيعية الأصيلة التي تكون شخصيتها وتبرر ادعائها)[12].

لم يختلف الباحثون في تعريف القومية فحسب بل اشتمل الاختلاف على تاريخ بدايتها الأولى وتفسير نشوء الأمم، فهناك في هذا الصدد مجموعتان من الآراء :

–الأولى يعتبر أصحابها أن الشعور القومي ظاهرة طبيعية ملازمة للإنسان منذ أن وجد المجتمع البشري وأن بعض سمات القومية قديمة قدم الإنسانية نفسها، فيذهب كون مثلاً إلى أن التاريخ على مر العصور شهد بذور الشعور القومي في التمسك العميق من جانب الناس بأرضهم وتقاليدهم والسلطة القائمة في إقليمهم، ويذهب أرنست باركر إلى

القول بوجود أمم في أوروبا قبل بداية التاريخ المكتوب[13].

–أما أصحاب المجموعة الثانية من الآراء فيذهبون إلى أن القومية ظاهرة حديثة نسبياً لم تعرفها المجتمعات البشرية القديمة، فيقول برنارد رسل مثلاً: إن معظم الناس في العصر الحديث يقبلون القومية على أنها طبيعية ولا يدركون إلى أي حد هي جديدة، ولعلها بدأت أول ما بدأت بجان دارك (في حرب المائة عام) ثم تلاشت في فترة الحروب الدينية وولدت من جديد في عهد الثورة الفرنسية، وينكر هذا الفريق أن الرومان مثلا كانوا يعرفون القومية أو أن الإغريق كانوا أمة واحدة [14]، ويختلف أصحاب هذا الرأي في ما بينهم حول البدايات الحقيقية للقومية في أوروبا، فمنهم من يرى أن المشاعر التي ظهرت في أواخر القرون الوسطى في الممالك التي توحدت في أوروبا أو كانت في طريقها إلى الوحدة داخل حدود إستراتيجية معينة تضم أقواماً تسود بينهم لغة رئيسية واحدة هي البداية الحقيقية لظاهرة القومية .

منهم من يذهب إلى أن القومية بدأت تظهر قبل ذلك، فيذهب أوجست تيري إلى القول إن الروح القومية الفرنسية كانت قد استيقظت فعلا في القرن التاسع الميلادي، ويعزو ولنجتون بداية اليقظة إلى أوائل القرن الثاني عشر ويؤكد رانكه أنها بدأت بعد ذلك بقرن كامل ،أي في القرن الثالث عشر.بينما يؤكد جيزو و ميشليه وكثيرون غيرهم أهمية حرب المائة عام في القرنين الرابع عشر والخامس عشر[15].

ربما نجد انه من الصعوبة القول إن أحد الآراء السابقة أقرب إلى الموضوعية من الآخر فكلاهما يحدد بداية القومية وفق مفهوم مختلف عن الآخر لفكرة القومية نفسها، فإذا ما قلنا باستحالة قيام الدولة الفرعونية أو البابلية أو الكنعانية على أسس قومية فكيف نفسر إذن الروح الجماعية التي كانت تقود هذه الأقوام للدفاع عن أرضها وسيادتها ضد الغزاة من الأقوام الأخرى؟ وكيف نفسر الصراعات القديمة بين الإمبراطوريات المختلفة؟ وما الدافع الذي كان يقودها في تلك الصراعات؟، إلا أننا وبنفس الوقت لا نستطيع القول إن تلك الأقوام كانت تمتلك رؤيا سياسية متكاملة حول مفهوم القومية.

إن فكرة القومية هي فكرة قديمة حديثة إذ إن الحضارات القديمة قد امتلكت شعوريا قومياً، ربما بمفهوم تلك الحقبة الزمنية، وهذا المفهوم اتخذ صورا متعددة مثل الولاء للحاكم، أو التعلق بالأرض، أو الشعور الجماعي بالسمو على الأقوام الأخرى، أو الاعتقاد بديانة واحدة، أو مذهب معين ضمن هذه الديانة.

يمكن اعتبار ما سبق هو بداية تبلور مفهوم للقومية أو بعبارة أدق (قومية مبتدئة)،وبما أن التطور التاريخي للعالم قد شمل كل مظاهر الحياة فليس من المغالاة الفكرية أن نقول إن مفهوم القومية قد واكب التطور التاريخي حتى وصل إلى صورته الحالية، حيث إننا نستطيع القول إن كل ما أضافه مفكرو القومية الحديثة هو بلورة مفاهيم موجودة ومطبقة فعلا وتحويلها إلى أفكار نظرية مطالبين بتطبيقها على الواقع ،فباعتقادنا الشخصي جداً فإنهم لم يأتوا بجديد .

لو تناولنا أي دراسة قومية حديثة لوجدنا أنها تدعو إلى فكرة قديمة كمثال يجب الاقتداء به أو محاكاة فكرة لأقوام أخرى، وعلى سبيل المثال، كان ميكافيللي يستوحي أفكاره في الدعوة إلى الوحدة الإيطالية من التاريخ العظيم للإمبراطورية الرومانية وأمجاد روما، بينما استوحى الفرنسيون أفكارهم القومية من مملكة الغال القديمة وأمجاد شارل مارتل، واستوحى الألمان و الإنجليز أفكارهم من ممالك القبائل الجرمانية القديمة ،وركز القوميون العرب في أفكارهم على التاريخ المجيد للعنصر العربي ابتداء بالوحدة العربية الأولى في معركة ذي قار، واستكمالاً في بناء الإمبراطورية العربية العظيمة من الصين شرقاً حتى فرنسا غرباً، بينما ركزت الحركة الصهيونية الحديثة في دعوتها إلى وطن قومي، على أمجاد دولة اليهود القديمة وأمجاد الملوك داود وسليمان ،وهناك أيضا الدولة الإيرانية التي قامت على الأمجاد الفارسية القديمة وحاولت إحياء صراعها القديم مع الإمبراطورية العربية في حربها مع العراق، وأيضا الدولة التركية الحديثة التي تستمد بعدها القومي من أمجاد آل عثمان ومحاولتها إعادة استعمار الدول العربية، ونرى أيضا أن بعض القوميات الحديثة التشكيل فعلا ،قد اضطرت إلى محاكاة القوميات الأخرى كنموذج لوحدتها القومية وذلك لافتقادها البعد القومي التاريخي وأكبر مثال على ذلك القومية الأمريكية الحديثة التي تبنت الأفكار القومية للثورة الفرنسية كأساس لانطلاقها .

هذه الأمور يمكن اعتبارها مدخلاً للفصل الثاني من هذا البحث والذي يتناول أثر البعد القومي في تشكيل العلاقات الدولية عبر التاريخ .

وبناءً على ما سبق لا يستطيع أحد إنكار قِدم مفهوم القومية بغض النظر عن مفهومه في تلك الحقب من الزمن، ولكن تبلور بعض المفاهيم الحديثة كمبدأ السيادة والكيان السياسي ومفهوم المواطنة، ومفهوم سيادة الشعب ،قد ساهم بفرض مفاهيم حديثة للقومية أي بمعنى القيام بعملية تحديث لهذا المفهوم للسلوكيات الدولية الناتجة عنه لتوائم متطلبات التقسيمات الدولية الحديثة ،حيث ظهرت فكرة الدولة التي تعتمد أساسا على وجود مجموعة من الأفراد يعيشون على أرض معينة وتحت سلطة معينة تحكمها

مجموعة من المبادئ كالحرية والديمقراطية والمؤسسات السياسية وسيادة القانون والمشاركة الشعبية، وبذلك تحولت معظم القوميات القديمة إلى دول قومية تسعى إلى تنظيم علاقاتها مع بعضها البعض ضمن إطار من التفاعل الدولي يؤدي بالتالي لخدمة الأهداف القومية لهذه الدول .

مهما كان الاختلاف في تحديد قدم أو حداثة مفهوم القومية فإننا في هذا البحث لسنا معنيين بتحديد تاريخ محدد لبدء هذا المفهوم بقدر ما نحن معنيون بتحديد دور هذا المفهوم وأثره في تطور العلاقات الدولية، وهذا الأمر لا يحتاج إلا لملاحظة نوع السلوك الدولي في أي زمان والحكم عليه إن كان يجوز وصفه بأنه نابع من بعد قومي أم لا وذلك باعتقادنا يساعد بالضرورة في تحديد البعد الزمني لهذا المفهوم .

2-القومية الكردية وفكرة الدولة.

لم يكن الاكراد بعيدين عن تلك الافكار القومية والتطلعات نحو بناء الدولة القومية السيادية التي حرموا منها بسبب المصالح السياسية والاقتصادية العالمية وفي ظل تقسيم مناطق وممتلكات الدولة العثمانية الى دويلات وعلى حساب الشعب الكردي، ومع قيام الدولة التركية الحديثة، ولدت آمال الكرد بدولتهم الموحدة المستقلة، وذلك بعد إعلان مبادئ ولسون، ومعاهدة سيفر لكن كل ذلك لم يكن غير ستار لإخفاء مآرب الدول الكبرى[16].يرى الباحث سالم توفيق النجفي[17]بأنه من المفيد القول إن نهاية الحرب العالمية الأولى قد شكلت المنطلق الحقيقي لنمو الشعور الكردي المطالب بالحقوق القومية، إذ أخذت آمال الكرد في بناء دولتهم الموحدة في كردستان تتصاعد إثر إعلان الرئيس الأميركي ودرو ويلسون عام 1918 في مبادئه الأربعة عشر حول تقرير المصير لأبناء الأقليات الموجودة في الدولة العثمانية (الكرد، الأرمن، الآشوريين). وقد جاءت معاهدة سيفر 1920 لتؤكد دور الحلفاء في ضمان حق الكرد بالتمتع بالحكم الذاتي تمهيدا لإقامة دولتهم المستقلة بعد سنة واحدة من إبلاغهم عصبة الأمم المتحدة برغبتهم تلك، إلا أن الواضح من سياق الأحداث التي مرت بها القضية الكردية فيما بعد أن تلك الاتفاقات والمبادئ لم تكن أكثر من ستار يخفي حقيقة المآرب السياسية للدول الكبرى في المنطقة، فقد استثمرت القضية الكردية وغيرها من قضايا القوميات بذكاء لإعادة تركيب الشرق الأوسط وبما يتوافق مع مرامي القوى المنتصرة في الحرب العالمية لتقطيع أوصال الدولة العثمانية المتهالكة.

وقد أثبتت أحداث المنطقة اللاحقة أن لغة المصالح تعلوعلى الثوابت الأخلاقية، وأن أي تعارض بينهما سيحسم قطعا لحساب مصالح القوى المهيمنة حتى وإن دفعت الشعوب المستضعفة ثمن ذلك، وهو ما حصل مع الشعب الكردي وغيره من شعوب المنطقة .

تمكنت تركيا الكمالية في نفوذها المتعاظم من التفاهم مع بريطانيا وفرنسا على استبدال معاهدة سيفر 1920 بمعاهدة لوزان 1923 التي لم تأت على أي ذكر للكرد وحقوقهم القومية، وهكذا كانت نتائج الحرب العالمية الأولى كارثية لحقوق الكرد وتطلعاتهم القومية، فوجدوا أنفسهم بعد حين من التطلع والترقب مشتتين بين دول حديثة وحدود مصطنعة وبواقع اجتماعي وسياسي، حتم عليهم الاندماج ألقسري بمشاريع وطنية مستحدثة سعت منذ البدء إلى قضم تطلعاتهم السياسية ووأد أي نزوع لبلورة هويتهم القومية عبر أساليب الإقصاء والإلغاء ومصادرة الحقوق والحريات والدمج الإجباري في إطار مجتمعات لم يألفوا العيش معها في ظل كيان سياسي واحد.

حدث هذا بشكل استفزازي حينما جحد مصطفى كمال أتاتورك بجهود الكرد ودورهم في تحرير تركيا الحديثة عام 1922 واسترسل في تبني كل ما من شأنه أن يمحو الهوية الكردية وثوابتها في اللغة والعادات والرموز الثقافية الأخرى، مثلما ورد في المادة (88) من الدستور التركي التي أقرت بأن جميع سكان تركيا هم أتراك أيا كانت ديانتهم أو قوميتهم وتأكيدا لهذا التصور يكتب موسى مخول[18]:» لا يمكن للمرء ان يتجاهل وضوح وتأثير تعاليم الدين الإسلامي في أذهان الأكراد وانعكاسه على الحياة الكردية»، ولا شك أن الطبيعة المتنوعة التي نشأ فيها الكرد قد تركت اثرا قويا على ارتباطهم بالدين[19].

1-2 الواقع يفرض شروطه:

مما لا شك فيه أن سياسة القوة التي مارستها الحكومات في الشرق الاوسط وغياب مفهوم الانتماء الى المواطنة التي تسعى أي دولة الى تطبيقها حيث يصبح المواطن فيها من الدرجة الاولى ويتمتع بكل الحقوق والواجبات ويمارس عادته وتقاليده ولغته وعقائده الايديولوجية والدينية تبتعد عنه العودة الى القومية التي تشكل حماية له ولكل الموروث البيولوجي والمكاني الذي حملها الإنسان منذ الطفولة وتناقلتها الأجيال من جيل الى جيل، تصبح العودة الى القومية وتجسيدها هي الهدف الاساسي لتطلعات الشعوب بغض النظر عن هويتها الاثنية او العرقية او المذهبية.

هذه الحالة المناخية التي كانت تعيشها كل دول الشرق الاوسط ودول البلقان من فرض قوميتهم بالقوة على كل المكونات والشرائح الاجتماعية قد حدت بدورها من تطلعات شعوب وقوميات عديدة، كما حالت دون تطلعات الشعب الكردي، وقد ساهمت هذه الحكومات غير الديمقراطية، والدكتاتورية، إلى حد بعيد في القضاء على النشاط الكردي العسكري، وهو ما انعكس لاحقا على سقف مطالبهم السياسية التي أخذت بالتراجع شيئا ما، حيث أخذت مرحلة الستينيات والسبعينيات تشهد تغافلا كرديا عن لغة الانفصال والاستقلال وتركيزا على الحلول الوسطية القائمة على الحكم الذاتي الذي يحفظ للكرد شيئا من المنعة ضد سياسات الدمج والتهجير التي يواجهونها[20]."عاد الكرد إلى الحلول الوسطية و تغافلوا عن فكرة الانفصال بعد عقود من سياسة القوة ضدهم وحصلوا على تطمينات بلغت قمتها في بيان آذار 1970 في العراق."

حصل ذلك في العراق إبان العهود الجمهورية التي ابتدأت عام 1958 والتي عبر فيها كل من الزعيمين عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف عن رغبتهما في منح الكرد حكما ذاتيا يبدد هواجسهم القومية من هيمنة الغالبية العربية، وقد بلغت قمة تلك التطمينات في مارس/آذار عام 1970 حينما وقعت حكومة الرئيس أحمد حسن البكر اتفاقا مع الملا مصطفى البارزاني لإعلان الحكم الذاتي في إقليم كردستان حيث مثل ذلك الاتفاق رغم الاعتراضات التي وردت عليه داخليا وخارجيا، نقلة نوعية في ترجمة الحقوق القومية الكردية إلى واقع ملموس[21].

لقد شكل الحكم الذاتي في العراق أحد مفاتيح الحل السياسي التي بدأت حكومات المنطقة تعي أهميته لحل أزمة الهوية التي تعانيها مجتمعاتها، وهو ما أدركته الحكومة التركية كذلك مع منتصف الثمانينيات، حينما أعلنت عن خطة اقتصادية لتنمية مناطق جنوب شرق تركيا التي تموج بالثورة والتمرد.

شكل مشروع الأناضول والذي قدرت كلفته بأكثر من (20) مليار دولار أهم الآليات التي استندت إليها الحكومة التركية لخلق بنية زراعية وتنموية في المناطق الكردية وتوسيع فرص العمل لنسبة كبيرة من الكرد العاطلين عن العمل بهدف التخفيف من آثار التمرد الكردي على الأمن التركي، وقد تعزز هذا التوجه في عهد رئيسة الوزراء السابقة تانسو تشيلر 1995 وعهد رئيس الوزراء الحالي رجب طيب أردوغان الذي زار المناطق الكردية أكثر من مرة وشدد على ضرورة الحل السلمي لمعالجة الفقر والإهمال اللذين يقفان وراء تأجيج مشاعر الحقد والتمرد في المناطق الكردية، وقد ترافقت تلك الخطوات مع إجراءات عملية كان أولها رفع القيود على تكلم الكرد بلغتهم القومية عام 1992

والسماح لهم الاحتفال بمناسباتهم القومية.

شهد العام 2005 افتتاح أول فضائية تركية ناطقة باللغة الكردية وشهدت أنقرة في مارس/آذار 2006 إقامة أول مؤتمر أكاديمي في تركيا لمناقشة سبل حل المسألة الكردية من قبل أساتذة جامعات تركية وأجنبية مما يمهد الطريق أمام تواصل الحلول السلمية للمسألة الكردية نظرا للتكلفة العالية التي استنزفتها الحلول العسكرية والأمنية طيلة العقود الماضية، ولكن دون أن يعني ذلك بالمطلق التخلي عن الجهود العسكرية الرامية إلى تشذيب الآثار العسكرية لهجمات حزب العمال الكردستاني التركي على الأمن التركي، وتداعيات التقدم السياسي والأمني الحاصل لكرد العراق، والتخوف التركي من انتقال عدواه إلى مناطقها الكردية الملتهبة لا سيما بعد الاحتلال الأميركي للعراق في أبريل/نيسان 2003.

3- الاعلام الكردي والقضية القومية:

يشهد الإعلام الكردي نوعا من التخبط واختلاف الرؤى والتوجهات، تجاوز المبادئ والأعراف الصحافية. غياب المهنية وفقدان التأثير و ضياع الهوية، هي ابرز سماته، فضلا عن التسييس الذي أصبح يلازم حتى المؤسسات الاعلامية التي طالما كانت تفخر باستقلاليتها وتعتبرها فارقا يميزها عن غيرها.

قد تكون القنوات والوسائل الاعلامية التي عرفت نفسها بالمستقلة أو الاهلية هي المعنية بهذه الحالة المتهالكة اكثر من غيرها من القنوات الحزبية التي حسمت مسبقا أمر» هويتها ونهجها» المتبع منذ انطلاقها، فهذه الاخيرة لم تخف سعيها لهدف سياسي نابع من رؤية وبرنامج الحزب والكيان السياسي الممول لها كما لم تتوان عن تسخير جل عملها الصحافي خدمة لذلك النهج دون استحياء باعتبار انها تتبنى نوعا اعلاميا معينا يفرض عليها ذلك، والامثلة في هذا المضمار كثيرة في بلدان العالم وفي الحقب التاريخية المختلفة حتى الان.

3-1 تطور الصحافة الكردية :

مع ان الصحافة الكردية فتية (اول صحيفة كردية صدرت في 22 نيسان 1898)، إلا أنها شهدت انفتاحا لافتا ونقلة نوعية منذ عام 1991 بعد الانتفاضة في كردستان ضد النظام العراقي السابق. لقد بدأت الصحافة المكتوبة تزدهر وتعددت الصحف والمجلات والدوريات وفي شتى المجالات والاختصاصات حتى التي كانت محظورة في السابق[22].

اما الصحافة في تركيا فقد امتدت عقودا طويلة، وظلت الصحافة الكردية الحرة مدرجة ضمن خانة المحظورات، لا سيما في تركيا التي ظلت حتى بداية العقد الماضي تتنكر لوجود الأكراد فيها، وتصفهم بأتراك الجبال المتمردين. وكذلك الحال في سوريا.

أما إيران فعمدت دوماً، ولا تزال، إلى خلق صحافة كردية تابعة لها، فأطلقت منذ أواسط القرن الماضي إذاعات وقنوات كردية مملوكة للدولة، كنوع من سياسة ترويض الأكراد، واستقطابهم سياسياً[23].

فالصحافة في سورية بقيت ضمن التوجهات السياسية للدولة السورية الممثلة بحزب البعث السوري وبات منفس الكرد الاعلامي من خلال صحافة الحزب الشيوعي السوري والأحزاب السرية من الخارج حتى انتفاضة العام 2011 حيث ظهر الاعلام الكردي بشكل علني في توجهات سياسية شعبوية.

أما ما يُطلق عليه الإعلام المستقل، فهي جهات صغيرة نسبياً ولدت في أعقاب الثورة السورية. ويترتب على ذلك بالضرورة قراءة الاقتصاد السياسي الذي يحكم نشاطهم ضمن سياق ظاهرة الاعلام المستقل على الساحة السورية الأوسع.

إن تجربة الاعلام الكردي بشكل عام لم تقتصر على الصحافة المكتوبة فحسب، بل شملت المسموعة والمرئية والالكترونية ايضا، كما افتتحت كليات الإعلام والصحافة والمعاهد المتخصصة التي تخرج سنويا المئات من الطلبة الذين يدخلون بدورهم المجال الإعلامي من اوسع ابوابه. كما انشئت نقابة للصحفيين تضم آلاف الاعضاء من الصحفيين ومن جميع التوجهات والأيديولوجيات الفكرية والسياسية، فيما توسعت دائرة نشاطات المنظمات المدافعة عن الصحافة والصحافيين وحرية التعبير وهي ترصد باستمرار جميع الانتهاكات التي ترتكب في هذا المجال.

لكن مع تشكيل حكومة إقليم كردستان في 1992، بدأت مرحلة جديدة من مسيرة الإعلام الكردي، فكثرت الإذاعات والقنوات التلفزيونية والصحف والمجلات الكردية في عموم مدن الإقليم، ولكن ببصمات وسياسات حزبية بحتة.

لم يقتصر الإعلام الكردي في كردستان العراق على انتشار الوسائل الاعلامية بل ذهب الى سن قوانين وتشريعات قانونية، فقد صادق برلمان كردستان عام 2007 على قانون تنظيم العمل الصحافي الذي يكفل حق الاعلاميين ويحظر اعتقال اي صحفي تحت اية ذريعة كانت، وإن كانت السلطات تتعامل بخلاف القانون في بعض القضايا بدواعي واهية لا تمت الى الواقع بصلة فيما اعربت المنظمات الدولية مرارا وتكرارا عن

قلقها من وضع حرية التعبير والصحافة في تقاريرها المختلفة محذرة من التأثيرات السلبية والعواقب المترتبة على تلك الانتهاكات.

كل هذا التطور والانفتاح والنمو الاعلامي لم يسعف الصحافة الكردية في عرض القضية من الجانب الإعلامي للعلم، واقتصرت على أنها قضية حصرت بين العرب والدول الإقليمية التي تسببت بأبعاد كردستان عن الخريطة الكبرى وبالتالي الاعلام كان بعيدا كل البعد، اذا ألقينا النظر على تطور مسيرة الاعلام الكردي فإن من الصعب إيجاد وسيلة إعلام مهنية كُرديّة واحدة تعمل بشكل محترف في إقليم كُردستان العراق والمناطق تحت السيطرة الكردية في سوريا (روج آفا باللغة الكردية)[24].

2-3 غياب الاستقلالية والخبرة الاعلامية في نشر القضية:

كما يبدو لافتاً أنّ معظم مالكي وسائل الإعلام الكردية لا علاقة لهم بالصحافة والإعلام لكنهم يحصلون بسهولة على تراخيص عمل لارتباطهم بالسلطات الحاكمة في إقليم كردستان، والأمر مشابه في روج آفا أيضا، لكن بعددٍ أقل بكثير من وسائل الإعلام الكردية في إقليم كردستان، ووفقا لذلك فإن وسائل اعلام كردية كبرى تدعي الاستقلالية والحياد بدأت في الآونة الاخيرة تستسلم كليا لأهواء مالكيها وممولييها دون ان تبقي للعمل الصحافي معنى، فهي لا تنشر خبرا دون ان يصب بشكل من الاشكال في مصلحة من يقفون خلفها، وان نشرت شيئا خارج ارادتها، ستحاول جاهدة ان تجعله نقطة قوة ووسيلة لدعم توجه المالك والممول، او تحوله الى اداة لضرب المنافسين (سياسيا او اقتصاديا او اجتماعيا) ووسيلة للإظهار مساوئهم والتقليل من شأنهم.

كما يشكل التحريض السلبي احد الأنماط المتبعة في عمل هذه القنوات وغالبا ما تأخذ قالبا شعبوية يؤدي دورا سياسيا أبعد ما يكون عن الصحافة، وكل ذلك من اجل تغليب التصورات التي تؤمن بها هي او من يقفون وراءها والترويج لأفكار ومعتقدات ليس من شأنها ولا تصب في خانة نشاطاتها. والامثلة على ذلك كثيرة في احداث لعبت فيها وسائل الإعلام دور المحرك والمحرض باتجاه معين ولاسيما خلال الأعوام القليلة الماضية.

وفي السياق ذاته ابعد انشغال هذه القنوات بالمنافسة فيما بينها اهتمامها عن أمور أساسية في العمل الصحافي في التحرير واللغة، فقد غلبت على محرريها الركاكة واللحن والأخطاء المهنية الفاضحة، دون ان يبالي المسؤولون فيها بإصلاح الخلل والاتفاق فيما بينهم على اتباع لغة تحريرية شبه موحدة تفاديا للوقوع في حالات تربك

المتلقي بسبب الاختلاف الكبير في التعابير والمصطلحات والسبك اللغوي فيما بينها.

ولا يخفى على أحد من متابعي الشؤون الإعلامية، أنّ الضعف المهني للإعلام الكردي، يعود بشكل رئيسي إلى هيمنة الذهنية السياسية، واعتباره لسان حال الجهة الممولة والتي غالباً ما تكون حزبية، وإن لم تكن كذلك فهي ممولة من أطراف مقربة من حزب كُردي ما، والتي تتخذ من الإعلام أداة لتلميع صورة أحزابهم، وكذلك لتغطية قضايا فسادهم في بعض الأحيان.

يشير الباحث الكردي كاظم حبيب [25]:» إلى أن الإعلام الكردي الحكومي والحزبي قد فشلا تماماً في الوصول إلى العرب، ويشدد حبيب على أن القضية الكردية قد خسرت الكثير من اصدقاء الكرد من العرب خلال الفترة الأخيرة بسبب هذا الإعلام غير الناضج والفج أحياناً من جهة، وبسبب التشويش على هذه القضية من قبل أعداء القضية الكردية أصلاً.

إن الاعلام الكردي في هذه المرحلة احوج ما يكون لتدخل المختصين من أصحاب الشأن وتحشيد كل الطاقات للضغط من اجل تغيير الوضع وتخليص الصحافة من شوائبها وإعادة الروح اليها والابتعاد عن مخاطبة نفسه[26] ، بل فتح مجال لنقاش القضية الكردي وعلاقتها مع الجوار العربي.

3-3 العلاقة الكردية- العربية وغياب الإعلام:

لم تكن أي مشكلة تذكر في فترة الإسلام بين المكون الكردي والعربي، وتشير الادبيات العربية اغلبها الى وجود الامة الكردية الى جانب الامة العربية. هي أمة عريقة وشقيقه وعريقة راسخة ومتلاصقة الى جوارنا [27]، ولكن مع بروز القومية وتطورها في العالم وظهور مفهوم الدولة الحديثة باتت العلاقات العربية الكردية تسير نحو التصادم التدريجي بسبب نمو الروح القومية لدى الطرفين وظهور الصقور والرغبات الخارجية للسيطرة والتلاعب بين الشقيقين، وهذه الظاهرة باتت ظاهرة بسبب عدم مناقشة المشاكل الحيوية للأقليات من قبل الانظمة الحاكمة[28]. إن قراءة التاريخ ومراجعة دروسه والاستفادة من عبره تعطينا حصانة ازاء بعض الأخطاء والسلبيات والخطايا التي شابت تاريخ العلاقات العربية – الكردية، ولقد ظل العرب والكرد اخوة ولم يتقاتلوا ك « شعوب « وأمم على مرّ التاريخ وعاشوا بحسن جوار وسلام وصداقة ومودة، مختلطين مع بعضهم البعض و متعايشين ومتزاوجين، بل انهم تصدّوا مشتركين لموجات الغزو والتحديات الخارجية لفرض الهيمنة والاستتباع،

كما وقفوا ضد محاولات الاخضاع والقهر وتطويع الارادة على الصعيد المحلي. وبزوال النظام الدكتاتوري العربي وازالة الكثير من الحواجز التي تعترض طريق العلاقات العربية – الكردية، رغم تعقيد الأوضاع ووجود مشاكل جديدة أفرزها الواقع الجديد، وجعل الحوار العربي – الكردي يكتسب أهمية خاصة في الوقت الحاضر، بل يكتسب طابع الضرورة اضافة الى الاختيار في آن، وذلك بهدف درء المخاطر وتجاوز التحديات الخارجية والداخلية التي تقف حجر عثرة أمام المضي في طريق السلم الوطيد والديمقراطية والتنمية والتقدم واستعادة السيادة الوطنية كاملة وغير منقوصة. ومع ظهور ثورات الربيع العربي تجدد لبعض القومين الكرد تحقيق احلامهم التي تسببت في شرخ كبير في العلاقات العربية الجديدة وخاصة أن هؤلاء يحاولون فرض شروط بواسطة عوامل خارجية على حساب العرب وليس على حساب التفاهم والاستفادة من الواقع الجديد الذي فرضته التغيرات الجديدة. اذن الحوار في الظرف الراهن بات مطلوبا ويستهدف أيضاً مناقشة المشكلات والاشكالات القديمة والجديدة بروح الشعور بالمسؤولية وإيجاد الحلول المناسبة والإنسانية لها وتطويق ما يعترضها من عقبات وتداعيات قد تكون خطيرة اذا استفحلت وتفاقمت حيث سيكون من شأنها تعكير صفو العلاقات بما يؤثر سلباً على مستقبلها وبالتالي مستقبل الشعبين الشقيقين.

تاتي مسؤولية النخب الفكرية والثقافية والسياسية العربية والكردية في ادارة حوار معرفي وثقافي وحضاري متواصل بعيداً عن التشنّجات والمجاملات، تلك التي لا يمكنها إرساء دعائم علاقات ذات صدقيّة ومسؤولية وخيارات حرة في اطار المشترك الإنساني القاسم الأعظم للمصالح المشتركة والمنافع المتبادلة لكلا الشعبين. يلعب الإعلام دورا رياديا في نقل المعلومات وتوضيح المواقف والأخبار والعمل على بلورة الصورة الدعائية المناسبة التي تؤمن جمهورا وتوافقا واسعا على احتضان القضية الكردية في العالم العربي لكن الاعلام الكردي للاسف منشغل في ازماته الداخلية مما يفرض صورة قاتمة عن الحالة الكردية لدى الجمهور العربي .

4-3 المشاركة السياسية للأقليات :

يعتبر وضع الأقليات في المجتمعات السياسية العربية وضعا ملتبسا وموسوما بالقلق، كما ان المسمى في حد ذاته ،اي الاقليات ،وهو مسمى ظالم ومظلوم في ان واحد ويحمل في طياته كل الخوف على المستقبل وقد يكون هناك مبالغة في تصور للمستقبل مع وجود للأقليات في ظل استمرار الأوضاع الراهنة التي تعيشها الدول العربية والشرق

اوسطية ،فكل المراجعات والتفسيرات التي حاولت تفسير كل ما يجري في العالم العربي ،واعادته الى اسباب سياسية واقتصادية واجتماعية اثبتت عقمها ،ولم تساهم في إرساء شراكة لا في التاريخ ولا في بناء المستقبل، بل أنتجت المزيد من التسويغات الثقافية والفكرية التي أدت الأكثريات والأقليات الى حمل السلاح والانخراط في حروب إبادة متبادلة حتى فكرة طليعة الاقليات وحملها مشعل التنوير والتقدم وفتح ابواب العلم والعالم، انقلبت دعوة صريحة لاستدعاء قوى الخارج وترويجا للانغماس في العنف والحروب الاهلية[29].

يعرض الكاتب خالد حمادة بان المسالة من وجهة نظر قانوني وسياسي هي اعادة حقوق طبيعية وسياسية الى مواطنين ،حقوق سلبت منهم ،اسوة بالأخرين، وليس البحث عن سبل حمايتهم لاكتساب شرعية ،لان مصدر الشرعية هو الدساتير والقوانين وليس حماية هذه المجموعة من تلك أو تقديم الامن الاجتماعي[30].

هنا نتوافق مع الكاتب الكردي عدالت عبدالله[31] الذي يرى بان الكرد محكوم عليه بالتصدي للمساعي الطامحة لتشويه حقيقته وتقويض شرعية كيانه في المنطقة ولا سبيل له الى ذلك الا بمخاطبته للعالم ،لاسيما العالم العربي والاسلامي الذي ينتمي اليه حضاريا وسياسيا ودينيا بل جيو– سياسيا، كما عليه التعبير عن واقعه ومشروعه في منطقتنا «الشرق الأوسط» والسعي لإقناع الآخرين بعدالة قضيته وتطلعاته فضلا عن تجنب الفتن والنزاعات مع العرب والعالم الاسلامي او التورط في النعرات القومية».

كما مطلوب من الكرد ان يتلقوا بالدرجة الاولى مع موقف المثقف العربي والإسلامي وحثه على مناصرة القضية الكردية من خلال القوانين والمواثيق الدولية التي تفرض الالتزام بالدفاع عن الحقوق والحريات وحق تقرير المصير .

هذه المشكلة تسيطر على العديد من الدول لذلك يشدد د. برهان غليون :»بان ليس الحالة التعددية الدينية أو القومية التي هي السبب بإضعاف الدولة القومية او الوطنية وإنما غياب الطابع الوطني والقومي الحقيقي لهذه الدولة وهو السبب الرئيسي في تثبيت التمايزات العشائرية والطائفية والاثنية واحيانا في اعادة احيائها وفي الاستثمار الرمزي والسياسي والاجتماعي المبالغ فيه، وتحويله الى ادوات واطر للصراع الاجتماعي والسياسي . اي دول داخل الدولة وعصبيات خاصة تتنافس العصبية القانونية العامة التي تجسدها الدولة ،فغياب الدولة الأمة يعني غياب دولة المواطنة التي تعني قبل اي شيء اخر ضمان الحياة الكريمة للجميع ،والحرية لكل فرد ،والمساواة الفعلية امام

القانون والمشاركة العملية في القرار» [32].

4 تعريف العولمة :

وهنا لابد من الاشارة الى أن العوامل المؤثرة بالقومية وفي امكانية صمودها وبقائها الطويل هي المؤثرات كما هي حال:(اللغة، والدين، والعرق، والارض والتاريخ، والعادات والتقاليد)، ووفقا لذلك تم نشوء القومية في منتصف القرن التاسع عشر، فإنها تختلف عن العولمة اختلافا شاسعا بحيث تعتمد على بناء الدولة القومية، وبحسب الباحث الكردي مثنى امين نادر [33]: «فإن الجميع قد اتفقوا على ان القومية هي مجموعة من الخصائص المعبرة عن وجود امة، وهي ايضا هي حركتها السياسية والثقافية المعبرة عن القطاعات ذات المصالح فيها بالوحدة ازاء الخطر الخارجي او مخاطر الاستبداد الداخلي في سبيل تطوير هذه الوحدة وتقدم هذه الأمة» .

إن تعريف العولمة يرجع إلى ترجمة المصطلح الإنجليزي (Globalization) . لقد اشتهر بين الباحثين مصطلح العولمة وأصبح هذا المصطلح من أكثر الترجمات شيوعاً بين أهل السياسية والاقتصاد والإعلام.

العولمة تعني في معناها اللغوي «تعميم الشي» وتوسيع دائرته لتشمل العالم كله ،وفي المجال السياسي تعني العمل على تعميم نمط حضاري يخص بلدا بعينه.

ومن الناحية الايديولوجية فهي تعني بشكل مباشر الهيمنة على كل العالم، وقد اعطاها الصندوق العالمي تعريفا سريعا بانها الاندماج السريع للاقتصاد المنتشر في العالم.

العولمة تستعمل للتعبيرعن مفهوم الأحداث والإضافة عليها، وهي مماثلة في هذه الوظيفة في صيغة التفعيل» حيث أن الأقوال كثرت حول هذا التعريف وهو تعريف معنى العولمة، حتى أنه لا يوجد تعريف جامع مانع يحوي جميع التعريفات وذلك غموض مفهوم العولمة، والاختلافات وجهة الباحثين، فتجد للاقتصاديين تعريفا للعولمة، وللسياسيين تعريفا للعولمة، وللاجتماعيين تعريفا للعولمة، ويمكن تقسيم هذه التعريفات إلى ثلاثة أنواع : (ظاهرة اقتصادية هيمنة أمريكية ثورة تكنولوجية واجتماعية).

العولمة ظاهرة اقتصادية حيث عرفها الصندوق الدولي بأنها :» التعاون الاقتصادي المتنامي لمجموع دول العالم والذي يحتّمه ازدياد حجم التعامل بالسلع والخدمات وتنوعها عبر الحدود إضافة إلى رؤوس الأموال الدولية والانتشار المتسارع للتقنية في أرجاء

العالم كله.

عرفها «روبنز ريكابيرو» الأمين العام لمؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والنمو بأنها «العملية التي تملي على المنتجين والمستثمرين التصرف، وكأن الاقتصاد العالمي يتكون من سوق واحدة ومنطقة إنتاج واحدة مقسمة مناطق اقتصادية وليس اقتصاديات وطنية مرتبطة بعلاقات تجارية واستثمارية، هي: تعني بشكل عام اندماج أسواق العالم في حقول التجارة والاستثمارات المباشرة، وانتقال الأموال والقوى العاملة والثقافات والتقائها ضمن إطار من رأسمالية حرية الأسواق، وتاليا خضوع العالم لقوى السوق العالمية، مما يؤدي إلى اختراق الحدود القومية وإلى الانحسار الكبير في سيادة الدولة، وإن العنصر الأساسي في هذه الظاهرة هي الشركات الرأسمالية الضخمة متخطية القوميات».

وفي هذا الشأن يقول الباحث السوري منذر الشرع في بحثه المنشور في كتاب العولمة واثرها على المجتمع والدولة:» إن ظاهرة العولمة كانت الأكثر انتشارا في نهاية القرن العشرين وبداية الالفية الثالثة، وتعتبر شكلا من أشكال الاتصال الاقتصادي العالمي الهادفة بالأساس الى الهيمنة على السيادة الوطنية وإلغاء مكان الدولة الوطنية والقومية، وبهذا التعريف للعولمة ركز الباحث على أن العولمة تكون في النواحي التجارية والاقتصادية التي تجاوزت حدود الدولة مما يتضمن زوال سيادة الدولة»[34]، حيث إن كل عامل من عوامل الإنتاج تقريباً ينتقل بدون جهد من إجراءات تصدير واستيراد أو حواجز جمركية، فهي سوق عولمة واحدة لا أحد يسيطر عليها كشبكة الإنترنت العالمية. وكذلك عند الكاتب السوري صادق جلال العظم فإنها:» حقبة التحول الرأسمالي العميق للإنسانية جمعاء في ظل هيمنة دول المركز وبقيادتها وتحت سيطرتها، وفي ظل سيادة نظام عالمي للتبادل غير المتكافئ. إنها الهيمنة الأمريكية : قال محمد الجابري [35]:» العمل على تعميم نمط حضاري يخص بلداً بعينه، وهو الولايات المتحدة الأمريكية بالذات، على بلدان العالم أجمع».

بهذا التعريف تكون العولمة دعوة إلى تبنى إيديولوجية معينة تعبرعن إرادة الهيمنة الأمريكية على العالم.ولعل المفكر الأمريكي « فرانسيس فوكوياما « صاحب كتاب « نهاية التاريخ «يعبر عن هذا الاتجاه فهو يرى أن نهاية الحرب الباردة تمثل المحصلة النهائية للمعركة الإيديولوجية التي بدأت بعد الحرب العالمية الثانية بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية وهي الحقبة التي تم فيها هيمنة التكنولوجيا الأمريكية. إنها ثورة تكنولوجية واجتماعية : يقول الاجتماعي «جيمس روزناو» في تعريفها قائلاً :» العولمة علاقة بين مستويات متعددة للتحليل : الاقتصاد، السياسة، الثقافة، الأيديولوجيا،

وتشمل إعادة تنظيم الإنتاج، تداخل الصناعات عبر الحدود، انتشار أسواق التمويل، وتماثل السلع المستهلكة لمختلف الدول، نتائج الصراع بين المجموعات المهاجرة والمجموعات المقيمة».

عرفها بعضهم بأنها : «الاتجاه المتنامي الذي يصبح به العالم نسبياً كرة اجتماعية بلا حدود، أي أن الحدود الجغرافية لا تعتبر، حيث يصبح العالم أكثر اتصالاً مما يجعل الحياة الاجتماعية متداخلة بين الأمم» .

يؤكد د. محمد منذر[36]:»أن العولمة شكل جديد من أشكال النشاط، فهي امتداد طبيعي لانسياب المعارف ويسر تداولها تم فيه الانتقال بشكل حاسم من الرأسمالية الصناعية إلى المفهوم ما بعد الصناعي للعلاقات الصناعية. ملخص: تعتبر العولمة نظاما عالميا حديثا فهي تقوم على أسس عديدة منها الإبداع في العلوم بالإضافة الى التطوير التقني، كما انه بعد ثورة الاتصالات أصبح العالم قرية صغيرة، وتم ذكر عولمتين حدثتا في الحياة؛ الاولى كانت بعد انطلاق الثورة الصناعية واعتبرت العولمة القديمة، حيث قامت أوروبا بتصدير منتجاتها الى أسواق خارجية جديدة، كما ان بعض الدول سمحت استعمار بعض الدول، وذلك لأخذ خيراتها وتطوير بلدها صناعياً واقتصادياً، اما بالنسبة للعولمة الحديثة فهي عولمة حققتها أوروبا وذلك بدون شمل حملات عسكرية بهدف الاحتلال، فقد حققتها بعض الدول الاوروبية عن طريق التجارة والتنافس الدولي والسبب **الأساس كان في انتشار التكنولوجيا**.

2-4 مظاهر العولمة :

إن أهم مظهر من مظاهر العولمة هو الهيمنة ،وقد تكون أهمية سياسية[37] ،او اقتصادية، او عسكرية ،او تكنولوجية، او اعلامية ،او جميعها، أو غير مجتمعة تشكل قوة الهيمنة ،وفي ظل انهيار القطبية الثانية التي كان الاتحاد السوفياتي يمثلها، وبظل استقالته من دوره بانهيار وجوده من داخله، نصبت الولايات المتحدة نفسها حامية للمجتمع الدولي الراهن حيث لجأت الى الحصار الاقتصادي والتهديد العسكري لتغيير الافق الايديولوجي ومواقف القوى الاقليمية.

العولمة تقدم نفسها على أنها حامية الحريات، بل رديف للحرية والديمقراطية وحرية الاقتراع وحرية السوق وتبادل المعلومات ،ولكنها في حقيقتها ليست كذلك، بل ليست هي سوى هيمنة القوى أسلحته على الضعيف في تكنولوجيته، وان بروز هيمنة الولايات المتحدة الامريكية كقوة مهيمنة عالمية لا منافس لها كان سببها الفراغ العالمي في الثنائية

القطبية والتي ترجمتها افعالها بالعديد من الممارسات، ويمكن الإشارة في هذا الصدد إلى نماذج صارخة، منها احتلال العراق في 2003، ومن قبله أفغانستان في 2001 سواء بقرار من مجلس الأمن أو من دونه.فماذا ينتظر بعد سيادة الدولة القومية أمام زحف العولمة بجميع أشكالها؟

3-4 السياسة ما بين القومية والعولمة :

ترافقت العولمة السياسية مع تصاعد العولمة الاقتصادية [38]، وأصبح ما بين الاثنين تكامل يكاد يقضي على استقلال الدولة القومية وسيادتها. فما هي ظواهر العولمة السياسية وما هي الأحداث الهامة التي واكبت نشوءها؟ الطرف الذي أنتج العولمة، وبالذات الغرب الصناعي المتقدّم وفي الصدارة منه الولايات المتحدة الأميركية، سعى إلى محاولة دمج أقاليم أخرى في تلك العملية (العولمة). وكان طبيعياً ومنطقياً أن تكون البداية مع شرق أوروبا والاتحاد السوفياتي السابق والذي كان يمثّل المعسكر المواجه المناهض للمعسكر الغربي.

قبل عصر العولمة كانت الدولة القومية صاحبة الاختصاص في ممارسة السيادة الوطنية على الأرض والشعب داخل حدودها الوطنية، كما كانت الدولة القومية هي الفاعل الرئيسي في العلاقات الدولية.

لقد تغير الوضع كثيراً في ظل العولمة، فلم تعد الدولة القومية تملك اختصاص ممارسة السيادة المطلقة داخل حدود إقليمها منفردة، بل أصبحت هناك كيانات كثيرة أخرى تزاحمها أو تنافسها أو تشاركها في مباشرة تلك السيادة. ومن هذه الكيانات بعض المنظمات الدولية أو الشركات العالمية عابرة القوميات أو حتى الجماعات العرقية أو الدينية التي لا تقوم على مبدأ الانتماء الوطني داخل الدولة. ولقد حدث الأمر نفسه فيما يتعلّق بتطور مفهوم الفاعلين الدوليين (International Actors) أي القوى المؤثرة في حركة العلاقات الدولية. وفي عصر العولمة، لم يعد بإمكان الدولة أن تعزل نفسها عن حركة التجارة العالمية.

ومن هنا فإن «قومية الإنتاج « التي كانت معروفة حتى الثمانينيات من القرن العشرين تكاد تخلي مكانها لعالمية الإنتاج للسلعة الواحدة أو الخدمة الواحدة، مما يضعف من قوة تأثير أية دولة قومية على إدارة شؤون الاقتصاد والتجارة.

وفي كثير من الحالات، استدعت حالة الدولة الفاشلة أو المهترئة تلك تدخّل المجتمع

الدولي، أو بعض دوله، أو دولته العظمى الوحيدة لإدارة شؤون تلك الدولة، أو لإعادة صياغتها سياسياً، أو لتغيير هويتها، أو لاحتلالها، وأحياناً لتحقيق كل ذلك، وعادة ما كانت مبررات التدخّل جاهزة . بغض النظر عن مدى جديتها أو صدقها . ولدينا في هذا الصدد مبررات من قبيل: « حق التدخّل الإنساني» في حالة تعرّض شعب دولة أو جزء منه لسياسات تطهير عرقي أو لجرائم ضد الإنسانية، ومكافحة الإرهاب، ونزع أسلحة الدمار الشامل، وأخيراً . وليس آخِرا . تحقيق نموذج للإصلاح السياسي الديموقراطي.

الاستنتاجات :

من خلال البحث الذي تناولنا فقرته فإننا نجد انفسنا في ظل سيطرة العولمة على الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية والفكرية والاقتصادية، ولابد من الوقوف امام مسائل عديدة تتعلق بتركيبة المكونات البشرية التي تحاول اثبات هويتها القومية وتاريخ حضارتها وعلاقتها بالمكونات الاخرى في المجتمعات البشرية المتطورة او العادية، فإننا نرى التالي:

1–ان التعايش ليس كافيا لشرعنة علاقة التعاقد بين المكونات السياسية في الإطار الجغرافي الواحد مع أنه شرط ضروري لوجودها. العلاقة التعاقدية تفترض مشروعا مشتركا وقد تكون احيانا اطارا لعدة مشاريع متوازية واحيانا متناقضة. ينتهي مشروع وحدوي تساهم النخبة في توحيد اجزائه.

2–ان أحد معوقات الانظمة السياسية التعددية يكمن في تحديد حصص ثابتة لجميع الطوائف فيما الديمغرافيا والسياسة هما المعطيان المتحركان، وهذا يؤدي الى انتاج لعبة مقفلة اذ لا تستطيع اي طائفة او مكون ان تزيد حصتها إلا اذا تقلصت حصة الاخرين.

3–ليس من حق أحد منع اقلية إثنية من النزوع الى حكم نفسها بنفسها ،والى إنشاء دولة لها، اذا وجدت صيغة الحكم الذاتي الذي يرضيها، وان الفدرالية غير كافية وإذا تحقق لها شروط الحصول دون منازع على القاعدة الارضية الصالحة.

4–مسؤولية النخب الفكرية والثقافية والسياسية العربية والكردية في ادارة حوار معرفي وثقافي وحضاري متواصل بعيداً عن التشنّجات والمجاملات، وإيجاد قواسم مشتركة يمكنها إرساء دعائم علاقات ذات صدقيّة ومسؤولية وخيارات حرة في اطار المشترك الإنساني القاسم الأعظم للمصالح المشتركة والمنافع المتبادلة لكلا الشعبين.

5- لا يزال الاعلام الكردي بعيد كل البعد عن الاستقلالية وفتح باب الحوار مع دول الجوار حول مستقبل العلاقات القادمة مع العرب والعالم .

6- الإعلام الكردي مطالب بالخروج من الكنف المناكفة السياسية والدخول في عالم المنافسة المهنية في وضع استراتيجية جديدة لتطوير الخطاب السياسي والخروج من عباءة الأحزاب السياسية.

7-ان انشاء دولة بالمعنى العام هي قضية مصيرية ولها مستلزمات كثيرة ونتائج هائلة، سواء على صعيد المجتمع المنشأ للدولة و على صعيد المسرح الدولي.

8-العولمة شكل من أشكال الهيمنة والاحتكار الدولي تحت شعارات وطروحات مغلفة للوصول للأهداف الحقيقية التي تكون على حساب الدولة القومية التي تعاني من مشاكل داخلية .

9-العولمة تقدم نفسها على انها حامية الحريات، بل رديف للحرية والديمقراطية وحرية الاقتراع وحرية السوق وتبادل المعلومات ،لكنها في حقيقتها ليست كذلك ،بل ليست سوى هيمنة للقوي بأسلحته على الضعيف في تكنولوجيته.

10-ان مشكلة الحدود المصطنعة التي تجاهلت المطالب الاثنية والقبلية ،كانت سببا اساسيا في العودة الى طرح فكرة الدولة القومية وتنمية الشعور القومي بظل غياب شعور المواطنة وشعور الانتماء للدولة الجديدة المركبة بحسب المصالح والنفوذ السياسي.

11-العنف والحرمان وغياب التنمية ورسم الحدود السياسية كانت من أسباب الحروب الجديدة في العالم ونمو شعور القومية بظل تمدد وانتشار العولمة التي ابتعدت عن معالجة الأسباب الحقيقية لهذه الأزمات.

12-تعتبر القضايا الاثنية والقومية هي من أهم العوامل المؤثرة في السياسة الخارجية والعلاقات الدولية ،وان قضية الشعب الكردي كقومية موزعة بين اربع دول هي من ابرز واقوى العوامل التي ساهمت في رسم ملامح العلاقات الدولية لدول المنطقة بأسرها لأن استقرار المنطقة وانجاحها للتكامل والتعاون يكمن بحل هذه القضية بشكل عادل يرضي كل الأطراف جميعا.

13- ان القرن الواحد والعشرين يعيش صحوة قومية جديدة تجتاح اوروبا بشكل عام وتعيد النظر بتركيبتها السياسية على اساس العودة للدولة القومية والتي تبرز في دول

مثل بلجيكا واسبانيا وبريطانيا وروسيا ودول اخرى .

14 – اخطر الاسباب التي تركها الاستعمار الغربي في منطقة الشرق الأوسط وأشدها على المنطقة والمنذرة بالاشتعال هي قضايا القوميات الذي تتطلب حلا جذريا واصيلا وخاصة بظل الحدود السياسية التي رسموها حسبما يشاؤون ،وطبقا لمصالهم فإن ثقافة سيكس بيكو، ووعد بلفور، ومعاهدة لوزان هي المسؤولة الفعلية والمباشرة عن كل القضايا التي تعيشها منطقة الشرق الاوسط سواء القضية الكردية او القضية الفلسطينية وهي المسؤولة عن مشاكل الحدود الموجودة في المنطقة بين الدول التي حكموها ورسموا خرائطها.

خاتمة:

إشكالية تجاوز وتخطي الواقع هي من التحديات والشروط المطلوب البدء فيها لدى النخبة والإعلام الكردي في تقديم وصف واحد لمفاهيم الانتماء الكردي بين الوطني والديني وبين عدم الاتفاق لصور واحد لمفهوم الامة الكردية والتي تمنعها ثقافيا من تعدد اللغات المحكية في كل جماعة، وبالتالي خلقت إشكالية وحدة المجتمع المتنوع داخل البيت الكردي.

ان المسؤولية التي تقع على عاتق المفكرين والباحثين بالعمل على نشر ثقافة المواطنة الوقوف الفعلي امام المطلب الحقيقي للجميع والضمني ل»المواطنة « الحقيقية في الدولة السيادية التي تتعرض بظل العولمة للتهديد الحقيقي لإزالتها واعادة التفكير في تركيبتها بالرغم من إصرار البعض على ان شكل الدولة لم يتغير في عالم العولمة ولا تزال تجمع الضرائب وتسير الامور المالية والحياتية والادارية للدولة ،لكن الكثيرين يفكرون جديا بانه لابد من اعادة النظر بأمور كثيرة كانت تسيطر عليها الدولة السيادية [39] «بالاعتراف بأشكال سياسية غير وطنية تحديدا مهما للاعتقاد السائد في الفكر السياسي بكون الدولة الوطنية هي الموضوع النهائي للهوية السياسية، فهذه الدعوة التي ظهرت في بعض الدوائر السياسية والعلمية التي مفادها أن المواطنة تفقد شيئا فشيا الصفة الوطنية،والرسمية، وإن القومية على العكس من ذلك يشتد منظروها والمنادون بها في العالم حيث يعيش العالم موجهة جديدة من المطالبين ببناء الدولة القومية في كل العالم الغربي والشرقي.

يكتب الكاتب اللبناني محمد السماك [40]:» إن المجتمعات لا الطائفية ولا العرقية

النشطة سياسيا اليوم تعيش حالة من العودة الى مفهوم القومية ،واغلب هذه الفئات المتضررة من الانظمة والدول المسيطرة حيث بلغ عددهم بحوالي 900 مليون شخص منذ بداية انتشار مفهوم العولمة سنة 1990 والتي لم تساعد هذه الفئات بحل مشاكلهم بل زادت اعدادهم مع بداية القرن الواحد والعشرين».

وهذا ما يؤكده حازم البيلاوي لنا: امام كل ماجرى فإن العولمة ليست الجنة [41] او وصفة سحرية او حزمة معرفة بقدر ما هي لحظة من لحظات التطور ارتفع فيها معدل توسيع الأسواق والترابط في الاقتصاديات على مستوى رقعة متزايدة من العالم وخاصة فيما يتعلق بتداول المعلومات والأموال وتجارة السلع والخدمات ،يعمل لمصلحة المركز وتفرعاته وليس معنى ذلك ان العالم قد اصبح فعلا:» قرية كونية»، او ان الحدود السياسية قد اختفت وان الدولة تلاشت، وليس معنى هذا أن التطور وصلت اجزاءه الى كافة انحاء المعمورة بالدرجة نفسها، فإن العديد من الدول تعيش بظل هذا التطور اما الجزء الاخر من البشرية يكاد لا يعرف عنها شيء.

لا شك أن الاعلام يتميز بالأهمية بوصفه يصوب ويفعل الاهداف التاريخية في مسيرة الحركة الكردية وتطلعاتها وتياراتها في جعل القومية مشكلة في كيان له حضوره، وخريطته ومؤثر بالقضايا الفكرية والسياسية التي تشغل تحقيق الحلم وتوحيد نقاط الاختلاف والعمل على اتفاق يسهل قيام هذه الامنية في المستقبل .

المراجع والمصادر:

1- معن زيادة ،الموسوعة الفلسفية العربية(بيروت، معهد الانماء العربي 1988).
2- أنور الجندي، سقوط مفهوم القومية الوافد،(القاهرة، دار الأنصار،1980).
3- بويد شيفر، ترجمة عدنان الحميري، القومية، عرض وتحليل، (بيروت، دار مكتبة الحياة ،1966).
4- ساطع الحصري، ما هي القومية، (بيروت، دار العلم للملايين، 1963) .
5- جورج حنا، معنى القومية العربية (بيروت، دار الثقافة، 1959).
6- منيف الرزاز، تطور معنى القومية (بيروت دار العلم للملايين ،1960).
7- ساطع الحصري، آراء وأحاديث في القومية العربية (بيروت دار العلم للملايين، 1959) .

8- عبد الكريم أحمد، القومية والمذاهب السياسية (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للنشر ،1970).

9- احمد عوض الرحمون، واخرون، الدولة الوطنية المعاصرة بين الاندماج والتفكك، (سالم توفيق النجفي، ازمة الدولة القومية المعاصرة التفكك والاندماج)، سلسلة كتب المستقبل العربي 58 (بيروت ،مركز دراسات الوحدة العربية ،2008)،

10- العميد خالد حمادة مسألة الأقليات ومأزقه المشاركة السياسية، مجلة الدبلوماسية بيروت، أيار\مايو 2015 .

11- عدالت عبدالله، الكرد الحالة العراقية والاخر العرب (بيروت، دار العلوم العربية للنشر 2016).

12- برهان غليون، المسألة الطائفية ومشكلة الاقليات ،(بيروت، المركز العربي للبحوث ودراسة السياسات 2012) .

13- مثنى امين نادر، قضايا القوميات وأثرها على العلاقات الدولية القضية الكردية نموذجا،(السليمانية، مركز كردستان للدراسات الاستراتيجية ،2003)

14 منذر الشرع، الفضل الخامس عولمة الاقتصادات الوطنية والتحديات والفرص المتاحة ،(العولمة واثارها في المجتمع والدولة، ابو ظبي ،مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ،2002).

15- محمد عابد الجابري ،عشر أطروحات حول العولمة والهوية الثقافية، بيروت جريدة السفير اللبنانية 24 كانون الأول 1997.

16-د.محمد منذر، مبادئ في العلاقات الدولية من النظريات الى العولمة ،(بيروت المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 2012).

17 -جيروم شاهين، العولمة السياسية والدولة القومية، جريدة المستقبل اللبنانية ،11 أيلول\سبتمبر 2012، ص ،19.

18- سعيد الصديقي، الدولة في عالم متغير الدولة الوطنية والتحديات العالمية الجديدة (ابو ظبي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية 2008).

19- محمد السماك ،الاقليات بيت العروبة والإسلام (بيروت، دار العلم للملايين 1990).

20- حازم الببلاوي، الاقتصاد العربي في عصر العولمة (ابو ظبي، مركز الإمارات العربية للدراسات والبحوث و الاستراتيجية 2003).

21–الحوار العربي الكردي وثائق مؤتمر القاهرة مايو 1998، تقديم عدنان المفتي(القاهرة، مكتبة مدبولي 1999).

22–عبد الكريم الزيباري ،سؤال الهوية الكردية(بيروت، دار الفارابي 2012).

23–جليلي جليل»، م،ا، حسرتيان، واخرون، ترجمة د. عبدي حاجي، الحركة الكردية في العصر الحديث(بيروت ط2، دار الفارابي، 2012).

24–موسى مخول، الاكراد من العشيرة الى الدولة (بيروت ،بيسان للنشر والتوزيع والاعلام ،2013).

25– اوموت اوزكيريملي، نظريات القومية مقدمة نقدية، ترجمة معين الإمام(بيروت، المركز العربي للبحوث ودراسة السياسيات، 2013).

26– هاني عواد،،تحولات في مفهوم القومية العربية من المادي الى المتخيل (بيروت، الشبكة العربية للبحوث والنشر، 2013) .

27–جوان سوز، تحديات يواجهها الإعلام الكردي في تطوره، مركز رفيق الحريري للشرق الاوسط،(10 يونيو 2016)

http//:www.achariricenter.org/challenges–facing–kurd–ish–media–ar/

28– كاظم حبيب ، الإعلام الكردي والعرب، موقع المدن الالكتروني، 11 اغسطس، 2012،

http//:www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid&331513=r0=

29– ناظم الكاكئي، الإعلام الكردي يكتفي بمخاطبة جمهوره،موقع الجزيرة الالكتروني،12 تشرين الثاني،2013.

https //:www .aljazeera .net /news /reportsandinter–views/2013/11/12/

30– إحسان عزيز، الإعلام الكردي من «ثورية» الجبال إلى «فوضى» المدن، صحيفة الشرق الأوسط اللندنية ،(12 آذار، 2018).

– سوران علي، الاعلام الكردي تخبط وتسييس وضياع الهوية، موقع ايلاف،31 https//:elaph.com/Web/Opinion.2018/3/1193051/4 اذار 2018، html

2. سياسة استقطاب الوفود الاعلامية والفنية العربية الى العراق ودورها في فضح الفكر الإرهابي المنحرف لتنظيم داعش

بقلم كل من الباحثين:

د. عماد مطير الشمري

الجامعة التقنية الجنوبية

الباحثة سجى لعيبي كاظم

الجامعة المستنصرية

تاريخ الارسال 11/5/2021

تاريخ قبول النشر :17/6/2021

الملخص

ما بين 2014 و2017، خسر تنظيم الدولة (داعش) جميع ما اكتسبه من الأراضي التي يُسيطر عليها في العراق. وعلى الرغم من إنّ الخطر المادّيّ الذي شكّلته داعش على العالم كان حقيقيًّا بلا أدنى شكّ، إلا أن خطره الإعلامي لا زال قائماً حتى الآن. ويمتلك "داعش" أكثر من أربعين ألف حساب على تويتر ولديه صفحات عديدة على فيسبوك، عدا عن المواقع الإلكترونية وسبع مراكز إعلامية نشيطة مثل مؤسسة الفرقان ومؤسسة الحياة ومجلة دابق... وهنا لابد من مواجهة داعش بسياسة إعلامية متكاملة، تكون على رأس أولويات هذه السياسة غسل أفكار داعش التي ترسّخت في عقول الكثير من الجمهور العربي باعتبار داعش هو المدافع الوحيد عن الأمة الإسلامية من الغزو الصفوي المحدق بها، وفضح الأفكار الإجرامية للتنظيم بمختلف السبل خاصة اعتماد سياسة استقدام الوفود الإعلامية والفنية العربية لزيارة العراق ونقل حقيقة الصراع، وإماطة اللثام عن ما اقترفته أيدي التنظيم ضد العراقيين بمختلف انتماءاتهم الطائفية والعرقية.

Summary

Between 2014 and 2017, the Islamic State organization (ISIS) lost all the lands it had gained from control of in Iraq, and despite the fact that the material threat posed by ISIS to the world was undoubtedly real. More than forty thousand accounts on Twitter and he has many pages on Facebook, except for websites and seven active media centers such as Al-Furqan Foundation, Al-Hayat Foundation and Dabiq magazine... Here, ISIS must be confronted with an integrated media policy that will be at the top of the priorities of this policy, washing the ideas of ISIS that have been entrenched in the minds of ISIS. Many of the Arab public consider ISIS the only defender of the Islamic nation from the imminent Safavid invasion Exposing the criminal ideas of the organization in various ways, especially the adoption of the policy of bringing in Arab media and technical delegations to visit Iraq, conveying the reality of the conflict and unveiling what the hands of the organization committed against Iraqis of various sectarian and ethnic affiliations.

المقدمة

ابتداءً من حزيران عام 2014 وتحت قيادة زعيمها أبي بكر البغدادي، انتشر تنظيم داعش بشكل ملحوظ، وحصل على الدعم في العراق بسبب التمييز الاقتصادي والسياسي المزعوم ضد السنة العراقيين العرب، وتم له وجود كبير في المحافظات السورية بعد الدخول في الحرب الاهلية السورية إلا أن هذا التقدم توقف بعد إنشاء تحالف من عدة دول لمحاربة التنظيم يشمل دولًا عربية وإسلامية وأجنبية من بينها السعودية وإيران، وما بين 2014 و2017، خسر تنظيم الدولة (داعش) جميع ما اكتسبه من الاراضي التي يُسيطر عليها في العراق. وعلى الرغم من أنّ الخطر المادّيّ الذي شكّلته داعش على العالم كان حقيقيًّا بلا أدنى شكّ الا ان خطره الاعلامي ما زال قائما حتى الان، ومع أنّ الجهودَ الآيلة إلى كبح مكاسبه على الأرض قد أثبتتْ نجاحَها، فإنّ هذه الجهود لا بد أن تتساوقَ مع إعادة دراسةٍ جدّيّةٍ لدور وسائل الإعلام في نجاح داعش الإيديولوجيّ، ومع استعدادٍ لمواجهة حركاتٍ متطرّفةٍ مماثلة في المستقبل فتنظيم

«داعش» يمتلك استراتيجية اتصالية غير عفوية أو تلقائية، وهي أكثر تماسكا وفعالية من تلك التي تبناها تنظيم القاعدة، وغيره من منظمات الإسلام السياسي التي اتخذت منحى العنف والإرهاب. أما تنظيم القاعدة فقد التفت مبكرا جدا لأهمية استعمال وسائل الاتصال الحديثة، حتى أن الرجل الثاني في التنظيم آنذاك أيمن الظواهري، بعث برسالة مناصحة إلى «أبو مصعب الزرقاوي» زعيم «تنظيم القاعدة في بلاد ما الرافدين» عام 2004 قال له فيها حرفيا: تذكر يا أخي أن نصف معركتنا في الإعلام. أتصور أن هذا هو التوجه الإعلامي لـ «داعش» أي أن نصف المعركة في الإعلام [1]، ويمتلك «داعش» أكثر من أربعين ألف حساب على تويتر ولديه صفحات عديدة على فيسبوك، ما عدا المواقع الإلكترونية وسبعة مراكز إعلامية نشيطة مثل مؤسسة الفرقان ومؤسسة الحياة ومجلة دابق. وهنا لابد من مواجهة داعش بسياسة اعلامية متكاملة تكون على راس اولوياتها غسل افكار داعش التي ترسخت في عقول الكثير من الجمهور العربي باعتبار داعش هو المدافع الوحيد عن الامة الاسلامية من الغزو الصفوي المحدق بها وفضح الافكار الاجرامية للتنظيم بمختلف السبل خاصة اعتماد سياسة استقدام الوفود الاعلامية والفنية العربية لزيارة العراق ونقل حقيقة الصراع واماطة اللثام عما اقترفته ايدي التنظيم ضد العراقيين بمختلف انتماءاتهم الطائفية والعرقية.

المبحث الأول: الإطار النظري

1. مشكلة الدراسة

استخدم تنظيم «داعش» وسائل الاتصال الحديثة بفعالية كبيرة، واعتبرها وسيلة من وسائل الاتصال بين أعضاء التنظيم في مواقع عديدة، و آلية من آليات الحشد والتعبئة، كما اعتبرها في مستوى ثالث وسيلة من وسائل التجنيد لدرجة أن مركز بحوث الجماعات الراديكالية في بريطانيا، خلص إلى أن حوالي 80% من الذين تم تجنيدهم من أوروبا للقتال في سوريا والعراق، جاؤوا عبر وسائل التواصل الاجتماعي. وهناك استخدام آخر يتعلق بصنع الصورة وبعث الروع في نفوس الخصوم أو الأعداء أو المستهدفين، حيث ينشر التنظيم صورا ويبث أشرطة تشير إلى قوة مطلقة وكفاءة كبيرة ورغبة في إلحاق الأذى والدمار لكل من يعاديه. وبالتالي فإن عناصر «داعش» الاتصالية هي عناصر متكاملة تؤدي وظائف تحولت إلى أداة قتال رئيسية. وأمام هذا التحدي كان لابد للعراق من اتخاذ استراتيجية اعلامية مضادة لمواجهة تضليل هذا التنظيم للجمهور العربي

(1) –عواطف كريم الطحان واخرون، تحليل المضمون في الدراسات الإعلامية، قادس للنشر والتوزيع، تونس، 2020,ص23

والعزف على البعد الديني الطائفي وقد تمثل جانب من هذه الاستراتيجية في دعوات وجهتها الحكومة العراقية الى مجموعات من الاعلاميين والفنانين العرب لنقل الصورة الحقيقية لما يجري في العراق ورفع اللبس الحاصل لدى اغلبية الجمهور العربي ومحاولة تغير الصورة المشوشة وبالتالي فان هذه الدراسة تحاول ان تستجلي مقدار الاثر الذي احدثته هذه الزيارات على الجمهور العربي من مثقفي وتدريسي الجامعات العربية.

2. أهمية الدراسة:

تأتي أهمية هذه الدراسة من ندرة الدراسات التي تناولت سياسة استقدام الوفود الاعلامية والفنية للتأثير في الراي العام ونقل الصورة الحقيقية للواقع بعيدا عن التزوير والتهويل وبعيدا عن استغلال الافكار الدينية بشكل مشوش مغاير للحقيقة، خاصة في ظل التجهيل الذي تعاني منه كثير من فئات الشعب في اغلب المجتمعات وخصوصاً المجتمع العربي، بفعل تأثير الديني والطائفي وتأثير الاعلام الموجه والتغطية الإعلامية المشوهة التي تعمل على قلب الحقائق وفق اجندات سياسية اقليمية ودولية، وبالتالي فإن سياسة استقدام الوفود الفنية والاعلامية خاصة التي تضم وجوه فنية واعلامية بارزة يؤدي اكتسابها الى اكتساب جمهور واسع من خلال حصولها على ثقتهم ومتابعتهم لآرائهم ونتائج زياراتهم ومعرفة الحقائق منهم لاسيما في ظل تعددية وسائل الإعلام وغياب القوانين والمحددات والمواثيق الاخلاقية الإعلامية التي تنظم عملها خصوصاً في أوقات الأزمات و التباين في التغطية الإعلامية بين وسائل الإعلام المختلفة لقضايا الإرهاب، وبذلك فإن أهمية هذه الدراسة تنطلق من تأثير ظاهرة انتشار التعاطف مع الفكر الداعشي في الاوساط الشعبية في بعض الدول العربية وتأثير ذلك التعاطف سلبيا على نظرة الشعوب العربية للواقع العراقي وفهمهم الخاطئ، للكيفية التي تعاملت بها القوات الامنية العراقية مع تنظيم داعش الإرهابي.

3. اهداف الدراسة: تسعى هذه الدراسة إلى معرفة جملة من الأهداف ومنها:

أ- التعرف إلى دور السياسة الاعلامية للمؤسسات العراقية في استقطاب الوفود الاعلامية والفنية في مكافحة ظاهرة الإرهاب والتطرف.

ب-معرفة العلاقة التي تربط بين زيارات الوفود الفنية والاعلامية العربية الى العراق وبين وقنواته الفضائية ومدى متابعة الصحف والقنوات الفضائية العربية لحرب العراق على تنظيم داعش الإرهابي ومدى تغير نظرة تلك القنوات والصحف للفكر الداعشي بعد هذه الزيارات

ت- معرفة دور زيارات الوفود الاعلامية والفنية العربية في تبصير الرأي العام العربي بأن الإرهاب يستهدف ترويع الآمنين وسفك دماء الأبرياء، وتدمير المنشآت الحيوية، وتكوين رأي عام مناهض للغلو والتطرف بصوره المختلفة وإزالة اللبس الفكري الحاصل عن الشعوب العربية في ما يخص الوضع الامني في العراق وكذلك التعرف على مدى تأثر الجمهور العربي بزيارات الوفود الاعلامية وحجم التغير الذي طرأ على نظرة الجمهور العربي للحرب على داعش بعد تلك الزيارات.

ث- معرفة العلاقة بين درجة تعرض الجمهور لأخبار زيارات الوفود وتصريحاتهم الصحافية والتلفزيونية بعد الزيارات ودرجة الوعي والمعرفة بفكر داعش الإرهابي لدى عينة من الجمهور العربي.

ج- الوقوف على فهم عينة البحث لفكر تنظيم داعش من خلال متابعتهم للبرامج التي تقدمها القنوات الفضائية العربية والتي دافع فيها الاعلاميون والفنانون العرب عن صحة قراراتهم بزيارة العراق ودعم شعبه واجهزته الامنية في حربهم على داعش.

ح- تقديم جملة من المقترحات لتفعيل دور استقطاب الوفود الاعلامية والفنية العربية في مكافحة ظاهرة الإرهاب والتطرف وفضح زيف الفكر الداعشي المنحرف.

4. اسئلة الدراسة:

أ. ما مقدار الاثر الذي احدثته زيارات الوفود الاعلامية والفنية العربية الى العراق في الراي العام العربي.

ب. ما مقدار التغير في قناعات الجمهور العربي في فكر تنظيم داعش الإرهابي بعد استماعه للتغطيات الاعلامية للزيارات الفنية والاعلامية عبر الصحف والمجلات والقنوات الفضائية العربية ومتابعته اللقاءات الصحفية والتلفزيونية للإعلاميين والفنانين العرب وهم يدافعون عن مشاركاتهم في دعم القوى الامنية العراقية؟

ج. معرفة ابرز الزيارات الفنية والاعلامية وابرز الاعلاميين والفنانين المشاركين في المهرجانات والمؤتمرات الداعمة لحرب القوى الامنية العراقية ضد تنظيم داعش الإرهابي.

د. معرفة اهم الجهات الاعلامية العراقية المشاركة في صناعة السياسة الاعلامية الخاصة باستقدام الوفود الاعلامية والفنية العربية وتقيم أدائها.

5. مجالات الدراسة:

يقصد بمجالات البحث الحيز الزماني والمكاني للبحث. وعلى هذا فكانت اخبار زيارة الفنانين والاعلاميين العرب الى العراق اثناء وبعد حرب تحرير المحافظات العراقية المحتلة من داعش وصداها واثرها في دحض اكاذيب تنظيم داعش الإرهابي وفكره الاجرامي في الصحف والقنوات الفضائية وبين عينة مختارة عمديا من مثقفي واساتذة الجامعات العرب هي المجال المكاني، اما المجال الزماني للبحث فقد تحدد من خلال المدة الزمنية للدراسة والتي بدأت منذ شهر من اعلان عناوين البحوث وتسجيلها وتتناول فترة احتلال داعش للمحافظات العراقية الشمالية والغربية ما بين عامي 2014 و2019، وقام الباحثان بسحب عينة منتظمة لبعض الصحف العربية الرئيسية التي تناولت الزيارات كما اختارت عينة من الاعلاميين والفنانين الزائرين كما قاما بدراسة ردود عينة مختارة بشكل عمدي لعدد من المثقفين واساتذة الجامعات العربية لقياس ردود افعالهم على الزيارة واثر تلك الزيارات على موقفهم من تنظيم داعش الإرهابي.

6. منهج الدراسة:

يعد هذا البحث من البحوث الوصفية التي تهدف إلى اكتشاف الوقائع ووصف الظواهر وصفاً دقيقاً وتحديد خصائصها تحديداً كيفياً أو كمياً؛ وانسجاما مع مقتضيات البحث وطبيعته الإجرائية وتحقيقاً لأهدافه فقد استخدمت الباحثة المنهج المسحي، للوصول إلى النتائج المرجوة؛ لاسيما أن الدراسة تهدف إلى وصف الاهتمام من قبل وسائل الإعلام بزيارات الوفود الفنية والاعلامية العربية الى العراق ودور تلك الزيارات في تغير تفكير ووجهة نظر الكثير من الجمهور العربي بفكرة الحرب على داعش في العراق وفضح جرائم التنظيم وضحالة تفكيره واعتمدت الباحثة على الوصف الكمي والذي يعد من سمات منهج المسح في الإطار الوصفي، خصوصاً أن البحث يتعامل في إجراءاته مع عدد كبير من المفردات يصعب معها استخدام الوصف الكيفي.

7. مصطلحات البحث:

أ. السياسات الإعلامية:

للسياسة الاعلامية الكثير من التعاريف، فالتعريف الذي اعتمدته اليونسكو وصفها بانها «مجموع المبادئ والمعايير التي تحكم نشاط الدولة تجاه عمليات تنظيم وادارة ورقابة وتقييم ومواءمة نظم واشكال الاتصال المختلفة، على الاخص منها وسائل

الاتصال الجماهيري، والاجهزة الرئيسية للمعلومات، من أجل تحقيق افضل النتائج الاجتماعية الممكنة، في اطار النموذج السياسي والاجتماعي والاقتصادي الذي تأخذ به الدولة» كما انها تعرف ايضا بانها «مجموعة المبادئ والمعايير والقواعد التي تحكم وتوجه سلوك الأنظمة الإعلامية، والتي عادة تشتق (تستنبط) من شروط الايديولوجيا السياسية والقيم التي ترتكز عليها في بلد ما» [1] ويذهب الدكتور إبراهيم إمام إلى أن السياسة الإعلامية هي خطة العمل اللازمة للتأثير في الجماهير، وحملها على السلوك بطريقة معينة [2] ويؤدي غياب سياسة إعلامية واضحة للإعلام إلى عرقلة قضايا التنمية والتحول ووضع عقبات في طريقها خصوصاً في ظل عمليات التحول السريعة التي تمر بها المجتمعات. [3]

ب. الاتجاه:

يعرف بانه (الاستعداد او الميل المكتسب الذي يظهر في سلوك الفرد، او الجماعة عندما تكون بصدد تقييم الشيء او موضوع، ويشتمل على نوع من التقييم الايجابي او السلبي او المحايد، وتظهر اهمية اتجاه القائم بالاتصال في تحديد مدى ايمان القائم بالاتصال بفكرة الموضوع واقتناعه بها وسريان هذه الانطباعات الى الجمهور)، كذلك عرف الاتجاه بوصفه (ترابطا واتساقا بين عدد من الاستجابات ومجموعة مشابهه من المثيرات والمواقف بحيث يمكن التنبؤ باحتمال صدور استجابة معينة اذا واجه الفرد موقفا او منبها معينا)[4]

ج. الإرهاب:

هو الممارسة المنظمة لأعمال العنف بأشكالها ومستوياتها المختلفة (اغتيال، ترهيب، تهديد، استخدام القوة، القاء متفجرات...الخ) والتي تصيب أيا كان من افراد المجتمع الآمن مما يؤدي إلى حالة من عدم الاحساس بالأمان والطمأنينة والاستقرار وزيادة مشاعر التوتر والقلق فينجم عن ذلك حالات من الخوف الجماعي كرد فعل لتلك الاعمال الاجرامية المنظمة والمخطط لها. [5]

د. تنظيم داعش:

تعرّف هذه الدراسة تنظيمَ داعش بأنّه دولةٌ افتراضيّة (virtual state a). سعت

(1) – عبد اللطيف خلف الرجا، المعتقدات والاتجاهات في السياسة الاعلامية، عمان، دار الثقافة للنشر، 2019،ص165

(2) – جلال الدين راقي, اعلام تنظيم داعش الالكتروني ،القاهرة، دار المعارف 2019،ص209

(3) – المنصف العياري وآخرون، المعالجة الخبرية التلفزيونية العربية بين المتطلبات المهنية والتوجهات، الطبعة الثالثة،تونس2020،ص315

(4) – عبد الفتاح عبد النبي، سيسيولوجيا الخبر الصحفي، العربي للنشر والتوزيع،ط2 القاهرة، 2018،ص195.

(5) – هويدا مصطفى، دور الفضائيات العربية في تشكيل معارف واتجاهات الجمهور نحو الإرهاب، اتحاد اذاعات الدول العربية، سلسلة دراسات وبحوث اذاعية،63، تونس 2008،ص55.

داعش، من أجل كسبِ القلوب والعقول، و تأسيس شرعيّتها من خلال تزامنيّة الأعمال والتواصل [الإعلاميّ] المبنيّ على مشهديّات الإرهاب. وأعمالُ الهجوم العنيفة هذه يجري تبريرُها ضمن سرديّةٍ دينيّةٍ رؤيويّة [قياميّة] تشدِّد على صدامٍ وشيكٍ بين الحضارات يعيد مجدَ الإسلام الغابرَ، ويثأر للمسلمين على امتداد العالم انبثق تنظيم داعش الإرهابي من الفرع العراقي لتنظيم القاعدة،[1] وازدهر في العراق اعتبارًا من عام 2006، ثم في سورية بفعل حالة الفوضى الناجمة عن القمع الذي لم ينفك النظام السوري يمارسه منذ عام 2011. ثم سعى التنظيم إلى نشر نظام الرعب الذي يتّبعه خارج المشرق العربي وصولًا إلى ليبيا ومصر وأفغانستان وجنوب شرق آسيا. وفي 10 حزيران عام 2014 اجتاح تنظيم داعش المحافظات العراقية الشمالية والغربية للعراق وربطها مع الاراضي السورية التي سيطر عليها مسبقا معلنا تشكيل دولة اسماها دولة الخلافة الاسلامية في العراق وبلاد الشام ويتّبع أفراد تنظيم داعش ممارسات وحشية منحرفة عن الدين الذي يجاهرون به كالإعدام بقطع الرؤوس والاسترقاق والقتل الجماعي. والحقيقة أن المسلمين، شيعة وسنّة، يمثّلون النسبة الكبرى من ضحايا تنظيم داعش، إذ يفرض عليهم سياسة رعب لا ترحم لا النساء ولا الأطفال، كما يمارس اضطهادًا منهجيًا على أبناء الأقليات العرقية والدينية. وإضافةً إلى ذلك، خطط التنظيم عدّة اعتداءات إجرامية ونفّذها في الخارج، كالاعتداءات التي وقعت في باريس في تشرين الثاني/نوفمبر 2015 وفي بروكسل في آذار/مارس 2016 وفي لندن في آذار/مارس 2017 وبدءا من عام 2014 ولغاية عام 2019 شنت الاجهزة الامنية العراقية مدعومة بقوات التحالف الدولي حرب شرسة ضد تنظيم داعش انتهت بالفضاء على التنظيم في العراق وتحرير المحافظات العراقية التي كان يحتلها التنظيم.[2]

المبحث الثاني

سياسة استقدام الوفود الاعلامية الى العراق بين الماضي والحاضر

اولاً: سياسة استقدام الوفود الاعلامية والفنانين للعراق قبل عام 2003:

بدأ العراق سياسة استقدام الوفود الاعلامية للترويج لسياساته الاعلامية والفكرية منذ العهد الملكي حيث كان الديوان الملكي العراقي يلجأ الى توجيه الدعوات للفنانين العرب لزيارة بغداد من اجل الترويج لسياساته، وقد تطور الامر في عهد الملك غازي الى

(1) – حسن علوان، موضوعة الإرهاب في الفضائيات العربية، اطروحة دكتوراه غير منشورة، الأكاديمية العربية المفتوحة في الدنمارك، 2018،ص387

(2) – هويدا مصطفى، دور الفضائيات العربية في تشكيل معارف الجمهور واتجاهاته نحو الإرهاب. اتحاد إذاعات الدول العربية، سلسلة بحوث ودراسات إذاعية، 63، تونس، 2018.ص89

استقطاب كفاءات انجليزية ومصرية ولبنانية لإدارة اذاعة الزهور التي انشأها الملك في قصره [1] كما ان العراق كان مقصدا لأساطين الغناء العربي آنذاك كام كلثوم وفايزة احمد، وعند استلام حزب البعث للسلطة عام 1968 كثف من سياسة استقطاب النجوم من الاعلاميين والفنانين حتى غدت بغداد قبلة للشعراء والادباء والكتاب والفنانين، وكان النظام يغدق عليهم بالعطايا والهبات وهو الامر الذي حول مجلات وصحف عربية معتبرة الى منابر اعلامية تصدح بتمجيد النظام في كل شاردة وواردة فكانت مجلة الوطن العبر لوليد ابو ظهر وجريدة السياسة الكويتية لأحمد الجار الله تصدر ومانشيتاتها الرئيسية لا تكاد تميز عن مانشيتات صحف الثورة والجمهورية التي كانت تصدرها الحكومة العراقية في بغداد. اما الشعراء فكان لهم اكثر من مهرجان لاستقطابهم كمهرجان المربد [2*] الذي بدأت تقيمه وزارة الثقافة في العراق منذ عام 1971 ويشارك فيه العديد من الشعراء والادباء العراقيين والعرب. وقد استقطب خلال سنوات اقامته قامات عربية كبيرة كنزار القباني والبردوني ومحمد الفيتوري ومحمود درويش وسعاد الصباح. اما في مجال الفن فإن بغداد استضافت جميع نجوم الفن السينمائي والتلفزيوني العربي تقريبا عبر اقامة المهرجانات الفنية المسرحية كمهرجان بغداد المسرحي كما قام العراق بتنشيط العمل التلفزيوني والسينمائي المشترك فتم انتاج مسلسلات تلفزيونية كالكبرياء تليق بالفرسان والمتنبي وافلام كالقادسية والمسالة الكبرى ومطاوع وبهية بمشاركة نجوم عرب كبار [3] وبعد عام 1990 واجتياح العراق للكويت استمرت سياسة استقطاب النجوم للترويج لسياسة رفع العقوبات على العراق ونشطت ما عرف فيما بعد سياسات كوبونات النفط التي فيها كان يعطي النظام العراقي كوبونات لتصدير النفط عبر مذكرة التفاهم(النفط مقابل الغذاء) من اجل شراء مواقف الاعلاميين والفنانين العرب، وهو الامر الذي تكشف فيما بعد وشهدت فترة التسعينيات استمرار مهرجان المربد وان كانت الاسماء التي شاركت فيه بعد عام 1990 اقل اهمية كما زار العراق فنانون كبار كالفنان المصري عادل امام والفنان يونس شلبي والفنانة السورية رغدة.[4]

(1) – محمد سالم، اعلام الكوبونات النفطية في العراق, المجلة المصرية لبحوث الرأي العام. كلية الإعلام، جامعة القاهرة، العدد الثالث، 2001.

(2) – ويستمد المهرجان عنوانه من سوق المِربَد التي كانت تقع في قضاء الزبير ضمن محافظة البصرة، وهي أشبه بسوق عكاظ قبل الإسلام، وكانت السوق مخصصة لبيع الابل والبغال قبل أن تتحول خلال العصر الأموي إلى ملتقى للشعراء والأدباء والنحاة الذين كانوا يجتمعون فيها وينظمون مناظرات شعرية وحلقات نقاشية وفكرية، وبخلاف الأسواق الأدبية الأخرى التي كانت مخصصة لأقوام الجزيرة العربية، كانت سوق المربد متسعاً لأعراق مختلفة من فرس وصينيين وهنود وأقباط وعرب، ومن أبرز شعراء المربد جرير والفرزدق وبشار بن برد وأبو نواس، كما أن الجاحظ والكندي وسيبويه والأصمعي والفراهيدي كانوا من أشهر رواد السوق التي تعرضت إلى الاندثار قبل قرون .

(3)– عزوز، هند، مطبوعة بيداغوجية (محاضرات في النقد الإعلامي)، مجلة جامعة محمد الصديق بن يحيي–جيجل، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2016ص4– 7.

(4) – زغيب، شيماء ذو الفقار، سطوة المال في السياسات الإعلامية، (الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2009)،

ثانياً: سياسة استقدام الوفود الاعلامية والفنية بعد عام 2003

بعد عام 2003 شهدت العلاقات بين العراق ومحيطه العربي جفاء كبيرا حيث كانت الدول العربية تنظر الى العراق على انه بلد محتل من قبل الامريكان وان الحكومة والنظام السياسي الذي انبثق بعد عام 2003 نظام احتلال، ومن ثم اتهم العراق بانه اصبح محمية ايرانية بفعل فوز احزاب اسلامية مقربة من ايران بالانتخابات البرلمانية عام 2005، وشهد العراق بعد عام 2006 حربا طائفية طاحنة كان المحيط العربي ينظر لها على انها حرب تشنها ايران على المكون السني في العراق، وبالتالي كان العراق مقصدا للعرب مرة اخرى وهنا لم يأت شعراء وفنانون عرب انما جاء إرهابيوهم كمجاهدين في تنظيمات إرهابية نشأت قبل وبعد عام 2003 ووجدت في العراق بيئة مناسبة لبث أفكارها وسمومها، وبعد عام 2014 وبدء الحرب على تنظيم داعش بدأت بعض المؤسسات العراقية تطرق باب استقطاب العرب مرة اخرى حيث نشطت في هذا المجال شعبة الاعلام في هيئة الحشد الشعبي ووزارة الثقافة وشبكة الاعلام العراقية وبالتالي عادت سياسة استقطاب الاعلاميين والفنانين العرب مرة اخرى للواجهة حيث قام فنانون كبار بزيارة العراق مثل الفنان المصري فاروق الفيشاوي والممثلة الهام شاهين وغيرهم الكثير، وقد قاموا بزيارات ميدانية للجبهات وزاروا مناطق شهدت جرائم قام بها تنظيم داعش كما رتبت لهم لقاءات مع مسؤولين عراقيين بارزين. [1]

ثالثاً: الانتقادات التي وجهت لزيارات الوفود الفنية والاعلامية الى العراق

انتقادات كثيرة أيضا تعرض لها فنانون مصريون كانوا قد توجهوا للعراق للمشاركة فى فعاليات واحتفاليات فنية، هم محمود الجندي، وأحمد ماهر، وحنان شوقي، ووفاء الحكيم، ولكنهم تورطوا فى اتهامات كثيرة بعدما توجهوا إلى بلدة تكريت بالعراق وفوجئوا وقتها أنهم يشاركون فى إحياء مراسم شعبية على أرواح ضحايا مجزرة سبايكر واتهموا وقتها بتأييدهم للشيعة ومشاركتهم مع ميليشيات الحشد الشعبي الشيعي وارتداء زيهم وفعالياتهم كنوع من التأييد لهم. وبرغم دفاع الفنانة حنان شوقي عن مشاركتها ومشاركة الوفد المصري وتبريرها أن الحشد الشعبي العراقي كان يضم مواطنين سنة وشيعة ومسيحيين دون أن يكون هناك أي عنوان طائفي، وأنها ارتدت الزى الرسمي للجيش، لأنه رأت أنه الأنسب، [2].

ص90-89

(1) – كاتيا مكرم ,الوفود الفنية تتقاطر على بغداد, مجلة روز اليوسف, عدد 12456,القاهرة 7كانون الثاني 2018,ص35

(2) – سعد الوكيل ,زيارات الفنانين المصرين الى العراق بين الحقيقة والتهويل, موقع نقابة الفنانين المصرين على صفحة التواصل الاجتماعي الفيس بوك

الاعلام الموالي لداعش شن حملة اعلامية كبيرة على الفنانين، وتقدم وقتها الشيخ ناصر رضوان مؤسس ائتلاف أحفاد الصحابة السلفي ببلاغ للنائب العام متهما الفنانين بحصولهم على مقابل مادي بالدولار الأمريكي نظير تلك الزيارة [1] وردّ أحمد ماهر، على الشائعات في مقابلة تلفزيونية بأنه ذهب إلى العراق دعمًا للشعب العراقي وليس لدعم طائفة الشيعة، لافتًا إلى أن دعوة السفر كانت من الحكومة العراقية، للمشاركة في إحياء ذكرى مقتل جنود عراقيين على يد داعش.على ذات المنوال جاءت شائعة اتهام الفنانة المصرية وفاء الحكيم، بالانتماء للمذهب الشيعي بعد ظهورها مع حنان شوقي وأحمد ماهر، في احتفالات أقيمت بالعراق.

وكان رد وفاء الحكيم، على تلك الشائعات، أن الدعوة وجهت لها من الحكومة العراقية لدعم الثقافة والفن في مواجهة الإرهاب، موضحًة أنها رأت مشاركة عربية ودولية، وأقيمت الفعاليات الفنية والثقافية في العاصمة بغداد، وأشارت إلى أنهم ذهبوا إلى مدينة تكريت بصحبة الجيش العراقي والحشد الشعبي، كممثلين لكافة طوائف وفصائل الشعب العراقي، وليس الشيعة فقط. ودافعت «حنان»، عن موقفها، ونفت انتماءها للشيعة، لافتًة إلى أنها رأت مواطنين سنة وشيعة ومسيحيين دون أن يكون هناك أي عنوان طائفي، وأنها تعاملت مع بشر يخافون على وطنهم، ويهاجمون داعش، ومن هنا أرادت إظهار تأييدها لهم لمواجهة الإرهاب.[2] وأشارت وفاء الحكيم إلى أن زيارة الوفد تستهدف مواساة الأمهات العراقيات اللائي فقدن أولادهن في الحرب ضد الإرهاب، وقالت إن المرأة العراقية قوية وصامدة، وهي مصنع الرجال، لافتة إلى أنها قابلت اليوم إحدى الأمهات التي ولد لها حفيد عقب استشهاد ابنها وأطلقت عليه اسم أبيه، وقالت إنه سيكمل مشواره من أجل أن يتحرر العراق من الإرهاب. وأكدت تضامنها مع الشعب والمرأة العراقية التي تعمل كما نعمل جميعا في المنطقة العربية على تربية جيل جديد يواجه مخططات التقسيم وتمزيق الدول العربية من خلال ترسيخ الوسطية والاعتدال والتسامح والتعايش ونبذ الفرقة والتطرف، وهذ دور المثقفين والفنانين في توصيل هذه الرسائل للجمهور العربي.[3]

وبالمثل فإن فنانا اخر هو الفنان المصري محمود الجندي، تعرض لنفس الهجمة الاعلامية بعد ان قام بزيارة مدينة تكريت العراقية للمشاركة في إحياء الذكرى السنوية لمذبحة سبايكر، وهو ما أثار شائعات انضمامه للشيعة، واكتفى محمود الجندي،

(1) – عتيقة برعي,ليس دفاعا عن حنان شوقي,مقال نشر في مجلة السينما والناس عدد 5324 في ايار 2018,ص47
(2) – كاتيا مكرم ,مصدر سابق ,ص36
(3) – محمد حراقي, زيارات الفنانين الى بغداد بين الحقيقة والتضليل ,مجلة المصور المصرية ,حزيران ,2019,ص32

بالصمت ولم يرد على هذه الاتهامات. ولفت الفنان محمود الجندي إلى أنه شعر بالصدمة عندما رأى موقع المقابر الجماعية في تكريت، وتعرف على تفاصيل مجزرة «سبايكر»، ووصفها بأنها «جريمة شنعاء»، مؤكدًا تضامنه مع الشعب العراقي، وشدد على ضرورة مساندة العراق في حربه ضد الإرهاب ودعم جهوده في تطهير مناطقه من «داعش». [1] وواجه الفنان احمد بدير ضغوطا اعلامية كبيرة بسبب زيارته للعراق عندما فتح رواد مواقع التواصل الاجتماعي النار عليه بعد تداول الصور التي نُشرت له برفقه الفنان فتوح أحمد، والتي قيل إنها من مشاركتهما لمهرجان غدير الذي أقيم في مدينة النجف الأشرف، جنوب العاصمة العراقية بغداد. على اعتبار أنّ هناك تجاهلا للصراع السياسي الحاصل حالياً في العراق، وأنّ حضوره المهرجان في النجف يكشف وقوفه إلى جانب طرف معين (الحشد الشعبي) في مواجهة طرف آخر.

ودافع احمد بدير عن زيارته للعراق بقوله انه وعلى الرغم من رجوعه من رحلة اداء مناسك الحج قبل يومين فقط من المهرجان العراقي الا انه أصر على تلبيه الدعوة لأنه وعدهم بالحضور، «وكان مهرجاناً ضخماً في الأرض الشقيقة العراق من دون الحديث عن أي مذاهب أو طوائف». مشيرا إلى أنه فوجئ بالهجوم عليه في بعض الصحف والمواقع، ووجه بدير رسالة لهم قائلا: «كفاية ظلم»، ولا تعد زيارة بدير وفتوح إلى العراق وتوجيه الاتهام إليهما بدعم طرف سياسي وعسكري ضد آخر هي المرة الأولى للفنانين المصريين، فقد سبق وسافر عدد من الفنانين للمهرجان نفسه، وواجهوا نفس الاتهامات مثل أحمد ماهر ومحمود الجندي ووفاء الحكيم وحنان شوقي. وفي احد لقاءاته التلفزيونية أبدى الفنان فاروق الفيشاوي، استياءه من الجدل الذي أثير بعد زيارته إلى العراق، قائلًا: «انتقادات بعض الناس لي على زيارته للعراق وصلت لدرجة التشكيك في وطنيتي، وهذا غير معقول على الإطلاق».

وأضاف الفيشاوي، خلال حواره في برنامج «العاشرة مساء»، مع الإعلامي وائل الإبراشي، على قناة "دريم 2"، أنه لم يحدد برنامج زيارته للعراق، ولكنه زار «قبر سيدنا علي»، ولم يجلس مع أحد يتحدث في شيء، ولم يتلق أموالًا من الشيعة كما ادعى البعض.[2] وبسبب ارتدائها للحجاب في شوارع العراق، وزيارتها لمرقد الامام موسى الكاظم اتهمت الفنانة الهام شاهين بدعم الشيعة والتشيع بهذا الظهور، ونشرت الفنانة المصرية، صورًا لها أثناء تواجدها أمام الضريح معربًة عن مدى حسن استقبال شعب العاصمة بغداد لها. وجاءت زيارة إلهام شاهين، على خلفية دعوة وُجهت إليها

(1) – المصدر نفسه والصفحة نفسها

(2) – مكرم حامد, حملة شعواء ضد فناني مصر, جريدة الاهالي ,عدد 23657,في 23تشرين اول 2018,ص4

من وزير الثقافة العراقي لتكريمها، على مسرح بابل ضمن فعاليات مهرجان بابل للثقافة والفنون بدولة العراق، وأضافت الفنانة المصرية، أنها رفعت العلم العراقي، وهو ما أسعد العراقيين، لافتًة إلى أنها بعد مشاركتها في المهرجان توجهت إلى بغداد وذهبت إلى ضريح أحد أحفاد سيدنا علي بن أبي طالب، وارتدت الحجاب احترامًا للضريح. [1] وعلى الرغم من الانتقادات التي وجهت للفنانين الا ان زياراتهم حققت صدى اعلاميا كبيرا نجم عنه تغيير لكثير من الجمهور العربي افكارهم تجاه تنظيم داعش الإرهابي.

رابعاً: العوامل الرئيسية وراء تزايد تأثير زيارات الوفود الفنية والاعلامية

لا شك في أن تأثير زيارات الوفود الفنية والاعلامية الى العراق على رؤية جزء كبير من الراي العام العربي لم يأت من فراغ، وإنما كان نتيجة مجموعة من العوامل والاعتبارات، لعل أهمها:

1. التزايد المستمر في أعداد مستخدمي وسائل التواصل الاجتماعي من جمهور الفنانين والاعلاميين العرب، الأمر الذي يتضح بجلاء عند متابعة حجم التعليقات والمشاركات التي تلقتها الاخبار المنشورة على صفحات التواصل الاجتماعي والتي تناولت الزيارات الفنية ووجهة نظر الفنانين والاعلاميين العرب الذين زاروا العراق بالحرب على داعش، وحسب متابعة الباحثة فإن خبر زيارة الفنانة الهام شاهين الى العراق ولقائها ببعض المسؤولين العراقيين وزيارتها لمرقد الامام موسى الكاظم واتهامها بالتشيع قد نال اكثر من 345 الف تعليق كما انه حظي بأكثر 18 الف. الأمر الآخر الذي لفت انتباه الباحثة هو مدة استمرارية الاهتمام بالخبر اذ إن هذا الخبر اثار اهتمام المتابعين لأكثر من ثلاثة اسابيع وهو الامر الذي يعكس حجم الاهتمام بهذه الزيارات وحجم تأثيرها على الراي العام العربي. [2]
2. القدرة على التأثير في الرأي العام إذ تحظى الشخصيات الاعلامية والفنية العربية التي زارت العراق خلال فترة الحرب على داعش باحترام ومتابعة عدد كبير من الجمهور على امتداد رقعة الوطن العربي والعالم فشخصيات مثل الفنان فاروق الفيشاوي والفنانة الهام شاهين والفنان احمد بدير وغيرهم لهم من المحبين والمعجبين والمتابعين الكثير، وهو الامر الذي يؤهل الاخبار التي تتناول زياراتهم للعراق ومشاركاتهم في مؤتمرات ومهرجانات تدعم حرب العراق على داعش للانتشار والواسع والاهتمام البالغ خاصة وان الفنانين قد اعلنوا صراحة في كثير من لقاءاتهم الصحفية والتلفزيونية انهم زاروا العراق لاقتناعهم بعدالة حربه وانهم يعتقدون بشكل

(1) – المصدر نفسه، ص5

(2) – نفس المصدر، ص 7.

تام بزيف ادعاءات تنظيم داعش الإرهابي في ما يخص الاسلام وشرعية وجود دولته الإرهابية كما ان الفنانين والاعلاميين العرب كان لهم الدور الكبير في رفع اللبس الحاصل لدى الجمهور العربي فيما يخص جزءا مهما من مكونات الشعب العراقي من خلال توضيحهم طبيعة المذهب الجعفري وحقيقة افكاره بل ودافعوا عن بعض التنظيمات العسكرية العراقية التي كان الاعلام العربي والعالمي يروج بانها مليشيات طائفية فالصحفية الجزائرية سميرة مواقي قدمت استقالتها من قناة الشروق الجزائرية احتجاجا على وصف القناة للحشد الشعبي بانه ميليشيا مسلحة، وقد تناولت الكثير من الصحف العربية اخبار الزيارات وافردت لها صفحات خاصة كما تناولتها اعمدة الصحف العربية بالتشجيع تارة والانتقاد تارة أخرى، وقد استطاعت الباحثة تحليل مضمون اخبار زيارة الفنانين والاعلاميين المصريين والعرب في بعض الصحف العربية اليومية الاهرام المصرية، والقبس الكويتية، والاتحاد الاماراتية، والصباح التونسية التي نشرت خلال المدة من 2015 الى عام 2019 من خلال تحليل المضمون، وقد تم جمع التكرارات ثم حساب النسب المئوية من خلال الجداول التكرارية. ويمكننا توضيح نتائج التحليل خلال الجدول الاتي:

جدول رقم (1)

عدد الاخبار المتداولة عن زيارة الفنانين المصرين الى العراق في بعض الصحف العربية

الصحيفة	عدد الاخبار	النسبة المئوية٪
الاهرام المصرية	57	36.3057
القبس الكويتية	42	26,751
الاتحاد الاماراتية	38	24.2038
الصباح التونسية	20	12.738
المجموع	157	% 100

شكل(1) عدد الاخبار المتداولة عن زيارة الفنانين المصرين الى العراق في بعض الصحف العربية

يبين الجدول رقم (1) عدد اخبار زيارة الفنانين والاعلاميين المصريين والعرب التي خضعت للدراسة من بعض الصحف العربية اليومية وهي الاهرام المصرية، والقبس الكويتية، الاتحاد الاماراتية، والصباح التونسية)، ومجموعها 157 توزعت على النحو التالي:

الاهرام 57 خبرا، و القبس 42خبرا، الاتحاد 38 خبرا، الصباح 20خبرا. يذكر ان الباحثة استخدمت عينات صحف ذات اتجاهات مختلفة من حيث التمويل والاستقلالية والمنهج في تغطية الاخبار.

جدول رقم (2)

تكرارات الاتجاهات الرئيسة لأخبار زيارة الفنانين المصريين والعرب التي نشرت في صحيفة الاهرام خلال فترة 2015/2/20 الى 2019/5/10.

ت	الاتجاه	التكرار	النسبة المئوية ٪	المرتبة
1	تصريحات السياسيين العراقيين عند لقائهم الوفود الاعلامية المصرية والعربية	75	35.45	الاولى
2	اخبار نشاط الوفود الاعلامية في العراق.	45	21.327	الثانية
3	مباركة الزيارات والدعوة لتعزيز العلاقات مع العراق.	25	11.848	الرابعة
4	متابعة زيارة الوفود للعتبات المقدسة.	30	14.218	الثالثة
5	متابعو زيارات الوفود الى قطعات الجيش والحشد الشعبي.	13	6.1611	الخامسة
6	انتقاد زيارات الفنانين واتهامهم بالتعاون مع الحشد الشعبي واستلام هدايا.	2	5.947	التاسعة
7	لقاءات مع الفنانين بعد عودتهم من العراق.	8	3.791	السابعة
8	نقل آراء الجمهور بزيارات الوفود الاعلامية عبر صفحات التواصل الاجتماعي.	4	1.895	الثامنة
9	اخبار متفرقة عن الزيارات.	9	4.265	السادسة
	المجموع	211	% 100	9

3. شكلت الزيارات الفنية والاعلامية للوفود العربية نقطة نفاذ للإعلام العراقي للولوج الى الخارج خاصة في ظل الانتشار الواسع لوسائل التواصل الاجتماعي التي شكلت نقلة نوعية في عالم الإعلام الرقمي فقد جعلت من العالم قرية متواصلة، خاصة أنها تسمح بإنشاء المحتوى الإلكتروني وتبادله (نصوص، صور، فيديوهات، إلخ...)» عبر الإنترنت، وتتيح نافذة مهمة للتفاعل بين الأفراد [1] وهذا ما جعل الاعلام العراقي أكثر تأثيراً في الراي العام العربي وفي تكوين اتجاهاتهم وتعديلها، وتشكيل أفكارهم وتوليدها [2] كما اتسمت هذه الزيارات بخاصية المجانية، فلا تحتاج الدعوات الخاصة بالفنانين والاعلامين الا إلى إمكانات مادية، بسيطة تتمثل بنفقات النقل

(1) – أحمد جلال عز الدين، مصدر سابق، ص 104.
(2) – المصدر نفسه، ص112.

والضيافة مقارنة بحجم الفائدة الاعلامية المترتبة عن تلك الزيارات.

4. التفاعل المكثف الذي تميزت به زيارات الوفود الاعلامية والفنية العربية الى العراق من قبل الجمهور العربي عبر وسائل التواصل الاجتماعي من خلال خصائص إنشاء الحوارات الجماعية التي تضم أعدادا كبيرة من المشاركين، فضلاً عن أنها اكتسبت قوة اضافية من خلال تحويلها الجمهور التلقي المحب والواثق للفنان والاعلامي الزائر الى وسيلة إعلامية مستقلة بحد ذاتها. كما اتاح التفاعل الجماهيري مع الزيارات إمكانيات واسعة للاستقطاب والتعبئة والحشد و التعبئة السياسية عبر الدعوة للوقوف بوجه الفكر الداعشي المنحرف ونشر الأخبار والفيديوهات، التي تكشف جرائم تنظيم داعش الإرهابي.
5. ساهمت الزيارات الى حد كبير في اعادة صناعة الرأي العام وتشكيله ولعبت دوراً في الترويج لأفكار السياسية التي تعتنقها النخبة الفنية والاعلامية العربية المساندة للعراق في حربه ضد تنظيم داعش، لتصبح ذات قيمة اجتماعية معترف بها، وتحظى بالانتشار بين الأشخاص العاديين، ومن ثم التأثير على سلوكهم وفي تشكيل توجهاتهم إزاء قضايا العراق وحربه ضد داعش؛ وهذا الدور وفقاً لنظرية التسويق الاجتماعي يتشابه إلى حد كبير مع حملات التسويق التي تستهدف الترويج لسلعة معينة وإقناع المستهلكين بها. وهذا التأثير يرجع بالأساس إلى ما تتميز به الشخصيات الفنية والاعلامية العربية المستقطبة لزيارة العراق، من قدرة على التأثير الكمي من خلال التكرار، في الظهور الاعلامي والفني سواء في الصحف او القنوات الفضائية او حتى على صفحات التواصل الاجتماعي حيث تقوم وسائل التواصل الاجتماعي بتقديم رسائل إعلامية متشابهة ومتكررة حول قضية ما، بحيث يؤدي هذا العرض التراكمي إلى اقتناع أفراد المجتمع بها على المدى البعيد وقد تابعت الباحثة عبر تطبيق اليوتيوب وعير ارشيف الصحف والمجلات الكثير من المقابلات الصحفية والتلفزيونية للشخصيات الفنية والاعلامية العربية وشاهدت كيفية دفاع الفنانين عن قراراتهم بزيارة العراق وتأييد اجراءاته التي اتخذها ضد تنظيم داعش الإرهابي ومن خلال تلك اللقاءات شاهدت الباحثة حجم الضغط الذي وجهه الاعلام العربي على الفنانين والاعلاميين والذي وصل الى حد اتهام بعضهم بالتشيع بسبب لقاءاتهم مع شخصيات سياسية شيعية عراقية ووجدت الباحثة ان جميع الفنانين والاعلاميين قد دافعوا بشكل مستميت عن وجهة النظر العراقية وقاموا بابراز الصفة الوطنية للحرب على داعش بعد ان حاول بعض الاعلامين صبغها بصبغة طائفية

او التشكيك بانتماءات بعض الاجهزة الامنية العراقية وقد رصدت الباحثة نحو 26 لقاء فقط قامت بإجرائها الصحفية الجزائرية سميرة مواقي التي سميت منذ تعرضها للإصابة اثناء تغطيتها للحرب ضد داعش بصديقة العراق كما ان الفنان المصري محمود الجندي اجرى وحده نحو 22 لقاء وهو الامر الذي يبرز الاهمية التوعوية الضخمة التي احدثتها تلك الزيارات والتي يوضح الجدول (3) اعدادها لمجموعة مختارة من الفنانين والاعلاميين العرب الذين زاروا العراق خلال فترة الدراسة.

جدول(3)عدد زيارات الفنانين وعدد المقابلات التلفزيونية

الشخصية	عدد تكرار الزيارات	عدد المقابلات التلفزيونية واللقاءات الصحفية
الشاعر التونسي محمد الهادي	5	3
الفنان محمود الجندي	4	22
الفنانة حنان شوقي	4	15
الفنانة وفاء الحكيم.	4	9
الفنان أحمد ماهر	4	19
الفنانة المصرية إلهام شاهين	1	7
فاروق الفيشاوي	1	8
الفنان أحمد بدير	1	4
الفنان فتوح أحمد	1	1
الشيخ حسن الجنايني من علماء الأزهر الشريف	5	4
الصحفي ممدوح سالم	7	2
الصحفية الجزائرية سميرة مواقي،	اقامة في العراق لمدة عام كامل	26

6. التأثير في الوعي حيث يمكن لنخبة من المفكرين والمثقفين ترويج أفكارهم من خلال شبكات ومنصات التواصل الاجتماعي، والعمل على تشكيل وعي المستخدمين عن طريق الحملات الإعلامية التي تستهدف تكثيف المعرفة لتعديل السلوك بزيادة المعلومات المرسلة للتأثير عليهم، وتشكيل وعيهم تجاه القضايا المختلفة، وبالفعل فقد أسهمت زيارات الفنانين والاعلاميين العرب بالإضافة الى توضيح وجهة النظر العراقية في الحرب على الإرهاب ببروز الفنانين والاعلاميين العرب انفسهم كقادة رأي مؤثرين في العالم العربي لهم منابرهم الإعلامية التي تحظى بالمتابعة من ملايين المستخدمين في العالم العربي، بعد ان تعود الجمهور سابقا على رؤيتهم كفنانين ومثقفين مهتمين بالشأن الفني والاعلامي فقط، وبإمكان هؤلاء التأثير في متابعيهم بدرجة أو بأخرى في ما يتعلق بالقضايا المثارة.
7. ساهمت الزيارات للشخصيات العربية الاعلامية والفنية في تنامي دورهم كأفراد في التأثير على الرأي العام من خلال وسائل ومنصات التواصل الاجتماعي المختلفة التي أصبح من خلالها الفرد يلعب دوراً مهماً في نقل الأخبار وصناعتها وتحريرها، فضلاً عن التأثير في تكوين القناعات حول بعض القضايا. وهذا شكل تحدياً سياسياً للجهات الاعلامية المؤيدة لأفكار تنظيم داعش او تلك التي تحركها اجندات سياسية اقليمية تعادي العراق وتجربته الديمقراطية بعد عام 2003 عبر منازعتها في امتلاك وسائل الإعلام، والرد عليها حين تستخدم هذه الوسائل في التعبئة والحشد وتبرير السياسات القائمة وتزييف الوعي.

المبحث الثالث

الدراسة التحليلية وتحليلها

اولاً: عينة الدراسة

اعتمد الباحثان في اختيار عينة الدراسة أسلوب العينة العمدية سواء من خلال اختيار مجموعة الفنانين والاعلامين الذين تابعا تصريحاتهم وحواراتهم مع بعض الصحف والقنوات الفضائية العربية او في اختيار عينة المبحوثين ممن اخذت آراؤهم بالزيارات، وتأثير تلك الزيارات في تغير وجهات نظرهم عن الحرب العراقية ضد تنظيم داعش الإرهابي، وهذا الأسلوب يستخدم من اجل اختيار عينة من المبحوثين يتوقع أن تتوافر لديهم معلومات كثيرة عن الظاهرة التي هي موضوع الدراسة تساعد الباحث على التحليل

المعمق ومن ثم فهم حقيقة الظاهرة المدروسة ووصفها وتفسيرها، وبناء على هذا الأسلوب فقد عمد الباحثان إلى اختيار عينة من الجمهور يتميز بنضوج عمري ومتنوع ولديهم ثقافة عن موضوع الدراسة، وذلك للإجابة عن تساؤلات الدراسة وقوام هذه العينة 200 مفردة من اساتذة الجامعات في بعض الدول العربية.

ثانياً: نتائج الدراسة التحليلية

بعد ان استطاعت الباحثة بناء التصنيف واستخراج فئات التحليل وتحديد وحدات العد والقياس تم تحديد الفئات الرئيسة للعينة من خلال استخدام عينة عمدية من 200 فرد من المعيدين والتدريسيين في الجامعات العربية وقد اجاب جميع افراد العينة على الاسئلة وقاموا بإرجاع استمارات الاستبيان بعد ان تم الحصول على موافقات مشاركتهم بالاستبيان مسبقا من قبل الباحثين.

1. توصيف البيانات الشخصية الجنسية لعينة البحث:

يشير الجدول رقم (4) إلى توزيع نسبة الذكور والإناث في عينة البحث والتي تم اختيارها عمديا من معيدي واساتذة بعض الجامعات العربية في مصر والكويت والامارات العربية وتونس، وتم ارسال استمارة الاستبيان من قبل الباحثة عبر الاتصال بهم بواسطة مواقع التواصل الاجتماعي (الفيس بوك) إذ يُبين أن تكرار (الذكور) بلغ (83) من مجموع العينة الكلي البالغ (200) مبحوثاً وبنسبة (42%)، في حين بلغ تكرار (الإناث) (117) وبنسبة (58%) من أصل العينة. وكانت نسبة الاناث اعلى بسبب ان اغلب افراد العينة كانوا من اصدقاء الباحثة في صفحتها على الفيس بوك وهن من الاناث.

جدول رقم (4) يوضح التوزيع النسبي للذكور والإناث في عينة البحث

ذكور		إناث		المجموع	مجموع النسب المئوية
عدد التكرارات	٪	عدد التكرارات	٪		
83	% 42	117	% 58	200	% 100

2. توزيع الفئات العمرية لعينة البحث

يوضح الجدول رقم (5) والشكل(2) والذي يتضمن توزيع الفئات العمرية في إطار عينة البحث والبالغة (200) مبحوثاً، أن الفئة العمرية (29–25) سنة كانت الأعلى وبلغ عدد التكرارات فيها (77) تكراراً وبنسبة (39%) بين الفئات العمرية؛ ويعود السبب

وراء ذلك ان اغلب افراد العينة هم من اصدقاء الباحثة من المعيدين الذين يواصلون دراستهم بمرحلة الماجستير أما الفئة العمرية (30–39) فقد جاءت في المرتبة الثالثة، إذ حصلت على (47) تكراراً وبنسبة (24%)؛ وكانت المرتبة الثانية للفئة العمرية (40–49)، إذ بلغ عدد التكرارات (51) تكراراً وبنسبة (25%)؛ وجاءت الفئة العمرية (50–59) في المرتبة الرابعة، إذ حصلت على (21) تكراراً وبنسبة (10%)؛ أما الفئة العمرية (60 سنة فما فوق) فقد جاءت في المرتبة الخامسة وحصلت على (4) تكرارات وبنسبة (2%).

جدول رقم (5) يوضح توزيع الفئات العمرية لعينة البحث

فئات العمر	عدد التكرارات	النسبة المئوية
25 – 29 سنة	77	% 39
30 – 39 سنة	47	% 24
40 – 49 سنة	51	% 25
50 – 59 سنة	21	% 10
60 سنة فما فوق	4	% 2
المجموع	200	% 100

شكل(2) توزيع الفئات العمرية لعينة البحث

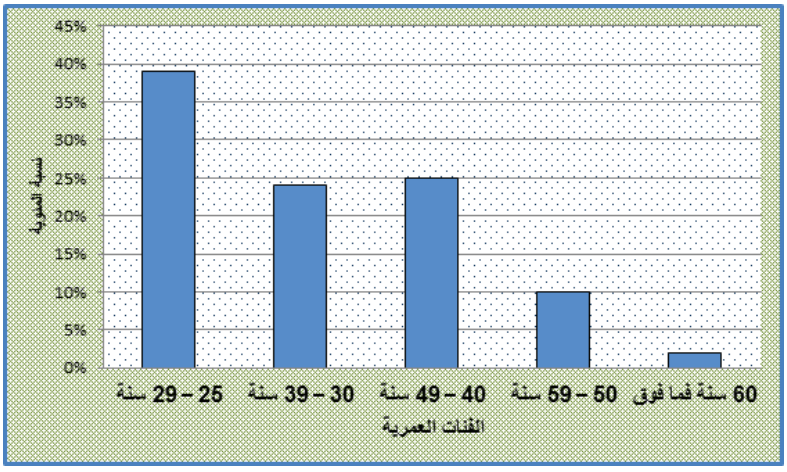

الباحثان اعتمادا على بيانات الجدول (5)

3. مدى إسهام زيارات الوفود الفنية والاعلامية العربية الى العراق في التعريف بقضايا الإرهاب:

يوضح الجدول رقم (6) الشكل(3) أن الزيارات (تسهم إلى حد ما) في التعريف بقضايا الإرهاب من خلال الاخبار المنقولة عبر الصحف والمجلات والقنوات الفضائية عن تلك الزيارات، إذ حصلت على أعلى مجموع من التكرارات بلغت (118) تكراراً وبنسبة (61%)، وبذلك حصلت هذه الإجابة على المرتبة الأولى؛ أما المرتبة الثانية فكانت من حصة الإجابة (أسهمت) في التعريف بقضايا الإرهاب بمجموع (56) تكراراً وبنسبة (29%)؛ أما عدم إسهام الزيارات في التعريف بقضايا الإرهاب فقد جاء في المرتبة الثالثة والاخيرة متمثلاً في الإجابة (لم تسهم)، بمجموع (18) تكراراً وبنسبة (10%)؛ يتضح من النتائج أعلاه أن زيارات الوفود الاعلامية والفنية العربية (تسهم إلى حد ما) في التعريف بقضايا الإرهاب من خلال الاخبار المنقولة عن الزيارات في الصحف والمجلات والقنوات الفضائية وهذا يستدعي من الجهات الرسمية العراقية المستضيفة للوفود العربية تطوير امكانياتها في مجال الدعاية الاعلامية ودعوة مكاتب الصحف والقنوات العربية في العراق بتغطية اخبار الزيارات ونقلها الى الجمهور العربي خاصة مراسلي القنوات الفضائية وذلك نظرا للدور الذي يضطلع به التلفاز في الإعلام والتثقيف وتزويد المُشاهد بالمعلومات واعتباره مصدراً مهماً من مصادر المعلومات لدى الجمهور العربي كما هو الحال في بقية دول العالم.

جدول (6)

يوضح مدى إسهام زيارات الوفود الفنية والاعلامية العربية في التعريف بقضايا الإرهاب

مدى إسهام المواد والبرامج التي تقدمها القنوات الفضائية العراقية في التعريف بقضايا الإرهاب	عدد التكرارات	النسبة المئوية
أسهمت	56	% 29
أسهمت إلى حد ما	118	% 61
لم تسهم	18	% 10
المجموع	192	% 100

شكل(3)

يوضح مدى إسهام زيارات الوفود الفنية والاعلامية العربية في التعريف بقضايا الإرهاب

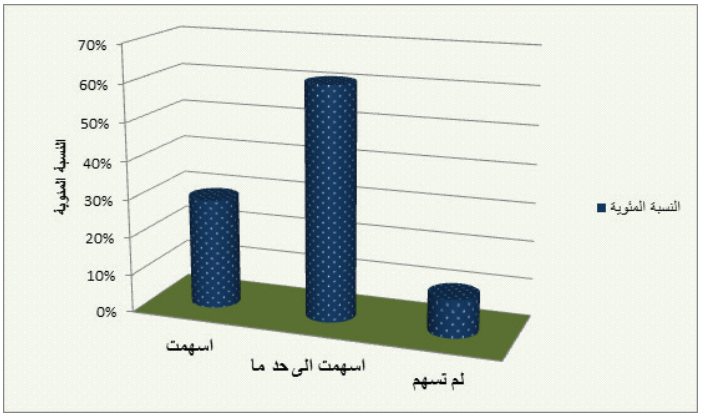

الباحثان اعتمادا على بيانات الجدول (6)

4. العلاقة بين زيارات الوفود الفنية والاعلامية العربية الى العراق وبين متابعة عينة البحث لقضايا الحرب على تنظيم داعش الإرهابي:

يوضح الجدول رقم (7) الشكل(4) أن العلاقة متوسطة بين زيارات الوفود الاعلامية والفنية الى العراق الإرهاب وبين متابعة عينة البحث لاخبار تنظيم داعش الإرهابي، إذ إن أعلى مجموع تكرارات كان من حصة الإجابة (أحياناً) وبلغت (126) تكراراً وبنسبة (66%)، وبذلك حصلت هذه الإجابة على المرتبة الأولى؛ أما تأكيد وجود علاقة بين زيارات الوفود الفنية والاعلامية العربية الى العراق وبين متابعة عينة البحث لقضايا الحرب على تنظيم داعش الإرهابي، فقد جاء في المرتبة الثانية متمثلاً في الإجابة (دائماً)، وبمجموع تكرارات بلغت (44) تكراراً وبنسبة (23%)؛ أما انعدام وجود العلاقة بين زيارات الوفود الاعلامية والفنية الى العراق الإرهاب وبين متابعة عينة البحث لاخبار تنظيم داعش الإرهابي فقد جاء في المرتبة الثالثة متمثلاً بالإجابة (أبداً) بمجموع تكرارات بلغت (22) تكرارات وبنسبة (11%)؛ والنتائج أعلاه توضح أن العلاقة بين الزيارات وبين متابعة عينة البحث لاخبار تنظيم داعش هي متوسطة والذي يؤكد حاجة الجهات الرسمية العراقية لاعتماد تغطية إعلامية أكثر مهنية تسهم في التأثير على الجمهور العربي وتزوده بالمعلومة التي يحتاجها والتي بالتالي تسهم في جعله يهتم

بمتابعة قضايا تنظيم داعش الإرهابي في ظل الظروف الحالية التي يمر بها العراق.

جدول (7)

مدى إسهام زيارات الوفود الفنية والاعلامية في جعل عينة البحث تهتم بمتابعة قضايا تنظيم داعش الإرهابي

مدى اسهام القنوات الفضائية	عدد التكرارات	النسبة المئوية
دائماً	44	% 23
أحياناً	126	% 66
أبداً	22	% 11
المجموع	192	% 100

شكل(4)

مدى إسهام زيارات الوفود الفنية والاعلامية في جعل عينة البحث تهتم بمتابعة قضايا تنظيم داعش الإرهابي

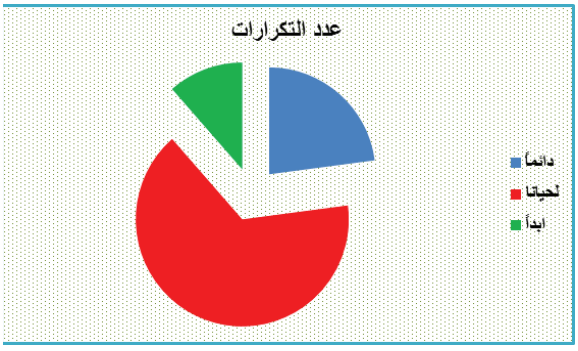

الباحثان اعتمادا على بيانات الجدول (7)

5. مدى تأثر موقف عينة البحث من تنظيم داعش الإرهابي بسبب متابعتهم لزيارات الوفود الإعلامية.

يوضح الجدول رقم (8) الشكل (5) أن تأثر موقف عينة البحث من تنظيم داعش جاء بشكل متوسط، إذ حصلت الاجابة (إلى حد ما) على أعلى مجموع تكرارات، إذ

بلغت (110) تكراراً وبنسبة (57%)، وبذلك حصلت هذه الإجابة على المرتبة الأولى؛ أما المرتبة الثانية فكانت من حصة الإجابة (نعم) أي تأكيد تأثر موقف عينة البحث من تنظيم داعش بسبب الحرب على داعش، وبمجموع تكرارات بلغت (45) تكرار وبنسبة (24%)؛ وجاء في المرتبة الثالثة عدم تأثر موقف عينة البحث من تنظيم داعش الإرهابي بسبب متابعتهم الزيارات الفمية والاعلامية عن طريق الإجابة (كلا)، بمجموع (37) تكراراً وبنسبة (19%)؛ والنتائج اعلاه تبين أن عينة البحث تأثر موقفها من تنظيم داعش بشكل متوسط بسبب متابعتهم للزيارات الفنية والاعلامية الى العراق وهذا يستدعي اعتماد برامج تؤثر في الجمهور العربي وجعلها قريبة من واقع الحياة اليومية للفرد العراقي وإلا فإن هذا سيؤدي لإيجاد علاقة سلبية بين الفرد العربي وهواجسه التي من المفترض ان تكون قريبة منه ومن همومه ومشاكله وتشاركه فيها بتسليط الضوء عليها وإيصالها إلى مركز صناعة القرار

جدول (8)

يبين مدى تأثر موقف عينة البحث تنظيم داعش بسبب متابعتهم اخبار زيارات الوفود الاعلامية والفنية

مدى تأثر موقف المبحوثين من الإرهاب	ك	%
نعم	45	% 24
إلى حد ما	110	% 57
كلا	37	% 19
المجموع	192	% 100

شكل(5) تأثر موقف عينة البحث تنظيم داعش بسبب متابعتهم اخبار زيارات الوفود الاعلامية والفنية

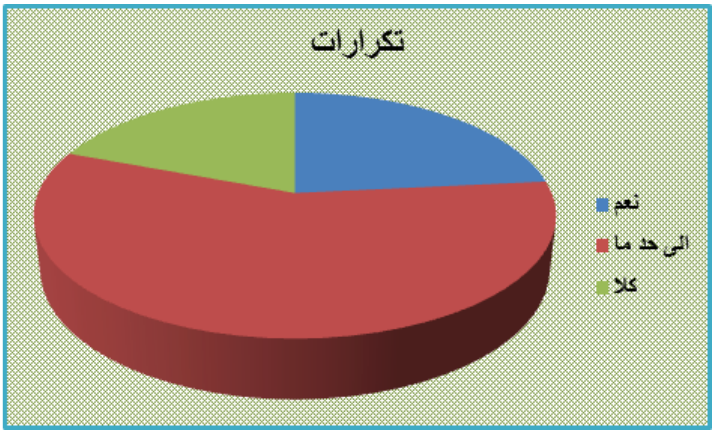

الباحثان اعتماداً على بيانات الجدول (8)

6. مدى اتفاق آراء عينة البحث مع الآراء والقضايا التي شرحها ضيوف العراق عن تنظيم داعش:

يوضح الجدول رقم (9) الشكل(6) أن آراء عينة البحث اتفقت إلى حد ما مع الآراء والقضايا التي قدمتها القنوات الفضائية العراقية عن الإرهاب في العراق وبمجموع تكرارات بلغ (125) تكراراً وبنسبة (65%) وبذلك احتلت المرتبة الأولى؛ بعدها جاء في المرتبة الثانية عدم اتفاق عينة البحث مع الآراء والقضايا التي قدمتها القنوات الفضائية العراقية عن الإرهاب في العراق وبمجموع تكرارات بلغ (34) تكراراً وبنسبة (18%)؛ وجاءت في المرتبة الثالثة الإجابة (اتفقت) وبمجموع تكرارات بلغ (33) تكراراً وبنسبة (17%)؛ يتضح من النتائج أعلاه أن نسبة كبيرة من عينة البحث اتفقت الى حد ما آراؤها مع الآراء والقضايا التي قدمتها القنوات الفضائية العراقية عن الإرهاب في العراق، وهذا يدل على ضعف دور القنوات الفضائية العراقية في تغيير آراء الجمهور العراقي مما يؤكد ابتعاد القنوات الفضائية العراقية عن المُشاهد العراقي وواقع الحياة اليومية للفرد العراقي واهتماماته في القضايا الخاصة بظاهرة الإرهاب.

جدول (9)

يوضح مدى اتفاق آراء عينة البحث مع الآراء والقضايا التي قدمها ضيوف العراق عن فكر تنظيم داعش

مدى اتفاق آراء عينة البحث مع الآراء والقضايا التي قدمها ضيوف العراق عن فكر داعش	عدد التكرارات	النسبة المئوية
اتفقت	33	% 17
اتفقت إلى حد ما	125	% 65
لم تتفق	34	% 18
المجموع	192	% 100

شكل(6) اتفاق آراء عينة البحث مع الآراء والقضايا التي قدمها ضيوف العراق عن فكر تنظيم داعش

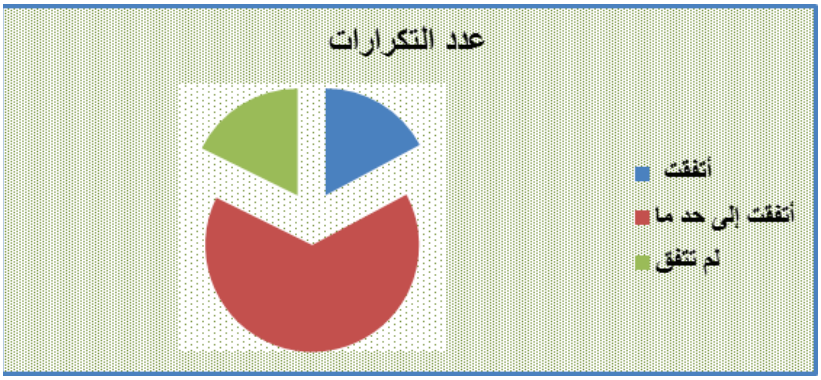

الباحثان اعتمادا على بيانات الجدول(9)

7. أسباب اتفاق عينة البحث مع الآراء والقضايا التي قدمها ضيوف العراق عن فكر تنظيم داعش:

يوضح الجدول رقم (10) الشكل(7) أن أسباب اتفاق عينة البحث مع الآراء والقضايا ضيوف العراق عن تنظيم داعش جاء في المرتبة الأولى. وإن ثقتهم بالفنانين والاعلاميين

الزائرين وبمجموع تكرارات بلغ (111) تكراراً وبنسبة (53%)؛ وجاء في المرتبة الثانية لكونها تسهم بزيادة معلوماتي عن تنظيم داعش وفكره الإرهابي وبمجموع تكرارات بلغ (58) تكراراً وبنسبة (28%)؛ وجاء في المرتبة الثالثة أن عينة البحث لا تمتلك فكرة سابقة عن الموضوع وبمجموع تكرارات بلغ (21) تكراراً وبنسبة (10%)؛ بسبب أنها قريبة من آراء عينة البحث وبمجموع تكرارات بلغ (20) تكراراً وبنسبة (9%)؛ والنتائج أعلاه تؤكد أن ما قدمه ضيوف العراق من الاعلاميين والفنانين يتفق بشكل متوسط مع الآراء والقضايا التي تهم عينة البحث وهذا يدل على الاثر الكبير لزيارات الاعلاميين والفنانين العرب على واقع التفكير الجمعي لكثير من الجمهور العربي.

جدول (10)

يوضح أسباب اتفاق عينة البحث مع الآراء والقضايا التي ضيوف العراق عن الفكر الإرهابي لداعش

أسباب اتفاق عينة البحث مع الآراء والقضايا التي قدمها ضيوف العراق عن الفكر الاهابي لتنظيم داعش	عدد التكرارات	النسبة المئوية
قريبة من آرائي	20	% 9
قريبة من واقع الإرهاب في العراق	111	% 53
لا أمتلك فكرة سابقة عن الموضوع	21	% 10
تسهم بزيادة معلوماتي عن تنظيم داعش وفكره الإرهابي	58	% 28
المجموع	210	% 100

شكل (7)

أسباب اتفاق عينة البحث مع الآراء والقضايا التي ضيوف العراق عن الفكر الإرهابي لداعش

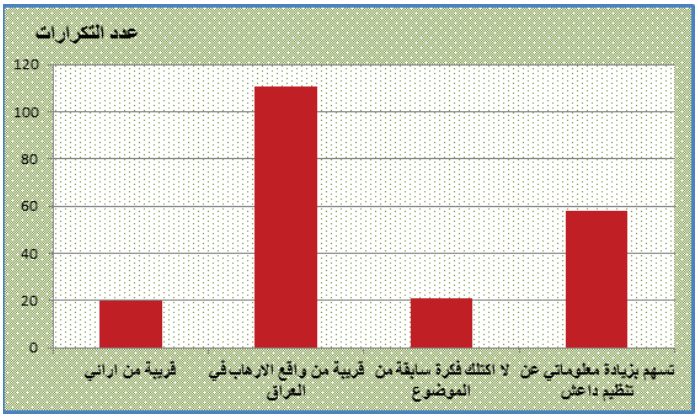

الباحثان اعتمادا على بيانات الجدول (10)

ثالثاً: نتائج الدراسة وتوصياتها :

ا- النتائج

اوضحت نتائج الدراسة ان هناك أهمية كبيرة لدور وسائل الإعلام وخصوصاً القنوات الفضائية بمختلف توجهاتها وانماطها من خلال اعتماد الجمهور عليها للحصول على المعلومات.

بينت نتائج الدراسة ان زيارات الوفود الاعلامية والفنية تحظى بنسب متابعة عالية من قبل الجمهور العربي عامة ومن قبل عينة البحث خاصة.

أوضحت نتائج الدراسة ان نحو 53% تعتقد ان ما نقلته الوفود الاعلامية والفنية من اخبار عن جرائم داعش الإرهابي في العراق قريب الى حد كبير من الحقيقة، كما ان نحو 65 % من افراد العينة اتفقوا الى حد ما ما اراء وافكار ضيوف العراق من الاعلامين والفنانين فيما يخص الفكر المنحرف لتنظيم داعش الإرهابي في العراق.

اوضحت نتائج البحث اتفاق نسبة 63% من عينة البحث على أن فكر داعش الإرهابي هو فكر منحرف وان قناعاتهم بهذا الراي ازدادت بعد متابعتهم للزيارات التي قامت بها الوفود الاعلامية والفنية الى العراق ونقلهم الحقائق المرعبة عن اعمال تنظيم

داعش الإرهابي في العراق.

ب- التوصيات

1 – ضرورة توحيد السياسة الاعلامية العراقية من خلال انشاء مجلس اعلى للاعلام يضم الناطقين الاعلاميين باسم الوزارات والهيئات المدنية والعسكرية لتوحيد الخطاب الاعلامي العراقي.

2 – الاستمرار بسياسة استقطاب الشخصيات الاعلامية والفنية العربية والاجنبية لزيارة العراق لاطلاعهم على حقائق الوضع في العراق وحقيقة الفكر المنحرف لتنظيم داعش الإرهابي.

3 – توسيع الزيارات الى العراق لتشمل فئات اخرى ككبار المدونين في مواقع التواصل الاجتماعي ورجال الاعمال اللامعين والشخصيات العامة العربية والأجنبية.

4 – إنشاء قناة فضائية خاصة موجهة للجمهور العربي والعالمي لفضح جرائم تنظيم داعش الإرهابي.

5 – انشاء صفحات خاصة على مواقع التواصل الاجتماعي تديرها كوادر عالية التدريب لمواجهة الهجمات الشرسة التي تقودها الجيوش الالكترونية التابعة لتنظيم داعش وفضح زيف ادعاءاتها وتخرصاتها ضد العراق وشعبه.

الهوامش والمصادر

1. حامد، مكرم، حملة شعواء ضد فناني مصر,جريدة الاهالي ,عدد 23657,في 23تشرين اول 2018.
2. حراقي، محمد, زيارات الفنانين الى بغداد بين الحقيقة والتضليل ,مجلة المصور المصرية ,حزيران ,2019.
3. راقي، جلال الدين، اعلام تنظيم داعش الالكتروني .القاهرة، دار المعارف 2019.
4. الرجا، عبد اللطيف خلف، المعتقدات والاتجاهات في السياسة الاعلامية، عمان، دار الثقافة للنشر، 2019.
5. زغيب، شيماء ذو الفقار، سطوة المال في السياسات الإعلامية، (الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2009).

6. سالم، محمد، اعلام الكوبونات النفطية في العراق , المجلة المصرية لبحوث الرأي العام. كلية الإعلام، جامعة القاهرة، العدد الثالث، 2001_
7. سعد الوكيل ,زيارات الفنانين المصرين الى العراق بين الحقيقة والتهويل, موقع نقابة الفنانين المصرين على صفحة التواصل الاجتماعي الفيس بوك.
8. الطحان، عواطف كريم وآخرون، تحليل المضمون في الدراسات الإعلامية، قادس للنشر والتوزيع، تونس، 2020.
9. عبد النبي، عبد الفتاح، سيسيولوجيا الخبر الصحفي، العربي للنشر والتوزيع.ط2 القاهرة، 2018.
10. عتيقة برعي ,ليس دفاعا عن حنان شوقي ,مقال نشر في مجلة السينما والناس عدد 5324 في ايار 2018.
11. عز الدين، احمد جلال، الإرهاب والعنف السياسي، كتاب الحرية رقم 10، القاهرة، دار الحرية للصحافة والطباعة والنشر، 2017.
12. عزوز، هند، مطبوعة بيداغوجية (محاضرات في النقد الإعلامي)، مجلة جامعة محمد الصديق بن يحيي–جيجل، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2016.
13. علوان، حسن، موضوعة الإرهاب في الفضائيات العربية، اطروحة دكتوراه غير منشورة، الأكاديمية العربية المفتوحة في الدنمارك، 2018.
14. منصف العياري، وآخرون، المعالجة الخبرية التلفزيونية العربية بين المتطلبات المهنية والتوجهات، الطبعة الثالثة, تونس2020.
15. مصطفى، هويدا، دور الفضائيات العربية في تشكيل معارف الجمهور واتجاهاته نحو الإرهاب. اتحاد إذاعات الدول العربية، سلسلة بحوث ودراسات إذاعية، 63، تونس، 2018_
16. كاتيا مكرم ,الوفود الفنية تتقاطر على بغداد, مجلة روز اليوسف, عدد 12456,القاهرة 7كانون الثاني 2018.

All copyrights reserved ©

h_imamomais@hotmail.com
wameed.alfkr@gmail.com

مجلة ربع سنوية علمية محكمة

Wamid El-Fikr Research Journal

Quarterly peer-reviewed Scientific Journal

Issue 11, September 2021

Brief

It is a scientific quarterly peer-reviewed journal issued by the National Society for Culture and Development, Notice of Recognition (Declaration) No. 1193/a.d.

Edited by: Dr. Haifa Suleiman AL-Imam

Published and distributed by: Dar Al-Nahda Al-Arabiya / Beirut - Lebanon.

ISSN:2618-1312 paper print

ISSN: 2618-1320 e copy

دار النهضة العربية

Wamid El-Fikr Research Journal
Specializing: Education and Humanities
Quarterly peer-reviewed Scientific Journal
Issue 11, September 2021

Wamid Al Fikr Research Journal has been included in the Arab Impact Factor
It has an Arab Impact Factor for the year 2020 of 1.35
And it received the numbers: Ref. No.: (2020J1010)
It also received the No. (DOI:1018756/2020J101)
It is also indexed by the Arabic Citation Index under number: code
ARCI-2007-1110

Management and Editorial Board
General Supervisor: Prof. Ali Mahdi Zeitoun
Scientific and Research Advisor: Dr. Youssef Alsabaawi
Editor-in-chief: Dr. Haifa Suleiman AL-Imam
Managing Editor: Lina Mohamed Abdul Ghani

Contact us
Tel: +961 3 691 425
Fax: +961 8 630 280
Website: www.wameedalfikr.com
emails: wameed.alfkr@gmail.com / info@wameedalfikr.com
Editor-in-chief email: h_imamomais@hotmail.com
Annual Subscription:
In Lebanon and the Arab countries $ 100
In the rest of the world $ 125

باب الأبحاث باللغة الأجنبية

أبحاث باللغة الفرنسية:

تدريب كوادر الفندقة في المؤسسات السياحية الليبية

Le français sur objectif spécifique (Fos)

La formation du personnel hôtelier d'une entreprise touristique libyenne

Mahmoud Omar Ibrahim Hmouda M.
Département de langue française
Faculté de l'éducation, Université d'Al-Jufra Libye
ohmouda@yahoo.com

Recieved on: 1/8/2021 **Approved on: 17/8/2021**
تاريخ الاستلام: 2021/8/1 **تاريخ القبول: 2021/8/17**

الملخص:

الفرنسية على وفق أهداف تخصصية.

تدريب كوادر الفندقة في المؤسسات السياحية الليبية.

تم التطرق في هذه الدراسة الى تعليم اللغة الفرنسية على وفق أهداف تخصصية. وتهدف الدراسة الى تعليم المتدربين اللغة الفرنسية في مجال اعمالهم المهنية مثل (السياحة، الفندقة، الصحة، البنوك وغيرها .....) من خلال دورات تدريبية من اجل اتقان اللغة الفرنسية في مجال العمل، وقد تم تناول الجانب الفندقي والسياحي في المؤسسات الليبية كمثال وتهدف هده الدراسة إلى ما يلي:

1- كيفية استخدام اللغة الفرنسية على وفق أهداف خاصة.

2- تعليم اللغة الفرنسية في السياحة والفندقة.

3- تعليم وتدريب الأطقم السياحية والفندقية في مجال تخصصاتهم.

الكلمات المفتاحية: السياحة، الفرنسية على وفق أهداف تخصصية، التدريب، الفندقة.

Résumé:

Le français sur objectif spécifique

Formation du personnel hôtelier dans les entreprises touristiques libyens .

- Dans cette étude, l'enseignement de la langue française a été étudié sur des objectifs spécialisés, qui visent à enseigner la langue française aux stagiaires dans le domaine de leur travail professionnel (comme le tourisme, l'hôtellerie, la santé, la banque, etc.) à travers des cours de formation en afin de maîtriser la langue française dans le domaine du travail, et hôtelier et le tourisme dans les entreprises libyennes par exemple, où cette étude vise à ce qui suit:-

1. Comment utiliser la langue française pour des objectifs spécifiques.
2. Apprenez à utiliser la langue française dans le tourisme et l'hôtellerie.
3. Apprenez à apprendre aux équipes touristiques et hôtelières à utiliser la langue française dans leur domaine de spécialisation.

les mots clés: français sur objectif spécifique – Formation – hôtelier touristique.

Introduction:

Le français sur objectif spécifique (Fos) bénéficie d'une place spécifique et d'une démarche particulière et singulière dans le domaine de l'enseignement du français langue étrangère, car la demande est spécifique, elle vient du monde professionnel[1], c'est à dire du monde de l'entreprise, et non d'un système scolaire (une école , une université etc.. .) donc le programme et la démarche pédagogique devront être spécifiques à ce genre de demande et les attentes des apprenants.

Les attentes sont à la fois linguistiques et culturelles, parmi les exigences de ce programme, la formation rapide, efficace et spécialisée des apprenants.

En fait, la demande de formation suit le besoin économique , les changements politiques en Libye de l' année dernière ont permet au pays à plus d'ouverture sur le monde cette ouverture n'est pas facile sans l 'apprentissage des langues étrangères .

En raison des relations spéciales entre la France et la Libye et le nombre de visiteurs francophones dans ce pays les spécialistes du tourisme et de l'hôtellerie doivent savoir parler et écrire le minimum de français .

La diversité des sites touristiques en Libye , la méditerranée, le désert et les sites historiques romains attirent les touristes étrangers , surtout français ,et francophones

Ils viennent (du Canada ,de la suisse ,de la Belgique et des pays d' Afrique francophone) , pour toutes ces raisons, il est important de former un personnel spécialisé dans le tourisme et l' hôtellerie (des réceptionnistes, des serveurs etc…) qui parlent

((1)) Le français sur objectifs spécifique ,Jean –Marc Mangiente.P.7

la langue française et qui pourront entretenir un contact de qualité avec les touristes francophones.

Dans ce travail on va s'intéresser à un groupe d' étudiants libyens qui travaille dans le domaine hôtelier en Libye , ils viennent en formation pendant trois mois en France , pour apprendre les bases du français touristique(spécifiquement dans l' hôtellerie) pour développer leurs compétences linguistiques(français de l' hôtellerie) et bénéficier du savoir- faire à la française dans le domaine de la réception et du service.

Dans ces cours on va préparer un programme pédagogique pour que les apprenants découvrent les différentes façons de gestion et de service d'un hôtel , pour qu' ils apprennent le français spécifique à ce domaine pour s' adapter aux exigences du marché touristique.

On va commencer d' abord par une présentation de l' entreprise libyenne spécialisée dans la gestion des hôtels et des villages touristiques en Libye ,c'est cette entreprise qui envoie un groupe de ses employés à une école de langue (Tours langues) dans la ville de Tours pour qu'ils bénéficient d'une formation de français sur objectif spécifique qui va durer trois mois.

Avant l' élaboration du programme , Il est nécessaire de présenter l' entreprise libyenne en suite il est important aussi de présenter l' école de langues qui recevra ces apprenants, on se doit à la fin de prendre contact avec les apprenants en leur donnant d' un questionnaire pour comprendre leur besoins linguistiques et culturels , selon les informations que nous aurons sur l l'entreprise, l'école et les apprenants nous allons préparer

un programme de français sur objectif spécifique

Pour préparer un programme pédagogique efficace pour ces apprenants on propose :

L'évaluation des besoins

spécification de l' objectif.

L' élaboration du programme avec toutes les difficultés qu' on pourrait rencontrer à cause de la spécificité de ce programme et de ce domaine, l' enseignant[1]devrait faire beaucoup d' efforts avec toutes les nouvelles découvertes afin de préparer son programme.

Certains livres spécialisés dans l' hôtellerie- restauration sont bénéfiques vu que les techniques de réception , d' accueil et de service nécessitent une documentation spécialisée.

Nous avons consulté des livres qui nous ont beaucoup aidé dans la préparation de notre programme .

le problème de l'étude:

sur la base de ce qui précède, le problème est déterminé dans la façon d'utiliser la langue française à des fins spécifique et le mettre dans la question principale suivante.

1- Comment utiliser la langue française pour des objectifs spécifique ?

2- Comment la langue française est-elle employée dans les établissements touristiques libyen ?

3- Comment utiliser la langue française dans la formation des équipages touristiques et hôteliers ?

((1)) Ibid.,.P.8.9

l'importance de l'étude:

Cette recherche est importante pour les raisons suivantes:-

1- il est considéré comme une étude rare dans la société libyenne.

2- Il traite de l'aspect le plus important, qui est l'aspect touristique.

3- Faire la lumière sur la façon d'utiliser la langue française pour des objectifs spécifiques.

Objectifs de l'étude:

Cette recherche vise à ce qui suit

1- Comment utiliser la langue française pour des objectifs spécifiques.

2- Apprenez à utiliser la langue française dans le tourisme et l'hôtellerie.

3- Apprenez à apprendre aux équipes touristiques et hôtelières à utiliser la langue française dans leur domaine de spécialisation.

limites de l'étude:

1- Limites temporelles La période entre 2019 et 2020

2- limites humaines(Travailleurs du secteur du tourisme et de l'hôtellerie)

Définition des termes d'étude:

1- Le français est la cinquième langue en termes de locuteurs dans le monde selon le rapport de l'Organisation Internationale de la Francophonie, et c'est une langue officielle dans 32

états et gouvernements(1).

2- Objectifs spécifiques , Selon la définition de Jean-Pierre Cook «Il est souligné que les objectifs d'apprentissage diffèrent de ceux du français général et que le but ultime est la maîtrise de la langue française dans le contexte professionnel et la nécessité d'utiliser la langue française à des fins»(2)

3- la Formation, selon Marsick et Watkins 1992, est ensemble d'activités généralement de courte durée, destinées à l'acquisition et l'amélioration des connaissances techniques et pratiques nécessaires à l'exercice d'un emploi(3).

4- Hôtellerie et tourisme, L'hôtel de tourisme est un établissement commercial d'hébergement classé, qui offre des chambres ou des appartements meublés en location à une clientèle de passage qui y effectue un séjour caractérisé par une location à la journée, à la semaine ou au mois, et Il peut comporter un service de restauration(4).

L' enterprise libyenne :

Social Security Fund Investment Company (SSFIC).

Présentation de l' entreprise.« L' entreprise d'assurance pour l' investissement dans le tourisme»(5) est l' une des plus grandes entreprises dans le domaine d'investissement touristique en Libye ,cette entreprise est administrativement liée à la caisse d'as-

((1)) La langue française dans le monde 2015-2018 Gallimard | Organisation internationale de la Francophonie .P.15

((2)) jean pierre cuq dictionnaire de didactique du français langue étrangère et seconde p. 180

((3)) Thèse présentée par Ghislaine Larouche, 2006 p. 2 Université de Montréal.

((4)) https://www.classement.atout-france.fr/les-types-d-etablissement.

((5)) http://ssf.ly/?page=17 site internet de l'entreprise en langue arabe.
http://yellowpages.ly/listing.php?id=2301 site de l' entreprise en anglais .

surance sociale .

Cette entreprise a été créée en 2007, elle gère plusieurs centres touristiques ,20 grands hôtels d'un standing international, deux grands villages touristiques et un ensemble de structures liées au tourisme .

La plupart de ces infrastructures sont situées dans les principales grandes villes Libyennes (Benghazi, Tripoli, etc...), on y trouve plusieurs grands hôtels dont le nombre d' étoiles varie de 2 jusqu' à 5 étoiles , cette entreprise est pionnière dans le secteur hôtelier en Libye ce qui lui permet de se placer au premier rang des entreprises qui investissent dans le tourisme.

Les fonctions de l' entreprise :

La gestion et l' investissement dans des hôtels.

la gestion et l' investissement dans les autres biens immobiliers.

la gestion des initiatives dans le secteur du tourisme

la gestion de l' investissement et la préservation des portefeuilles financiers.

Gestion et exécution des projets .

La gestion des nouveaux projets.

la planification stratégique.

l' utilisation des technologies modernes et la gestion des bien de la caisse d' assurances.

Programme du français sur objectif spécifique (F-O-S):

L' entreprise espère comme toutes les entreprises compétitives d' améliorer ses services surtout dans le domaine hôtelier ,parmi les efforts fournis dans ce sens est l' amélioration de la

qualité du service à la clientèle , cela passe obligatoirement par une bonne formation du personnel en langues étrangères (français, anglais, allemand etc..) pour satisfaire les exigences d'une clientèle multiculturelle et multilingue.

La plupart des touristes qui viennent visiter la Libye sont généralement français ou francophones (comme les Canadiens , les Suisses et les Belges) ou bien d' autres pays francophones de l' Afrique noire

Comme on peut dire également que la plupart des diplomates et des touristes étrangers qui se rendent en Libye utilisent la langue française , car la langue française est l' une des langues les plus parlée au monde , surtout qu' elle bénéficie encore de son statut de langue diplomatique hériter du siècle des lumières , et que l' utilisation de cette langue est de plus en plus en Libye surtout lors des dernières années à cause des rapports économiques grandissants entre la Libye et la France d'un côté , la Libye et les autres pays francophones surtout en Afrique noire d'un autre côté.

La compétition intérieure avec d'autres entreprises touristiques concurrentes ainsi que la concurrence extérieure avec la Tunisie et le Maroc deux pays leaders dans les planifications touristiques en Afrique du Nord , oblige cette entreprise à revoir ses straté-gies en matière de compétences de ses employés , qui devront désormais maitriser les bases de la langue française et les notions modernes en matière d' accueil d'herbagement et de service à la clientèle.

La grande variété du potentiel touristique libyen , et le change-ment de politique économique d' après révolution qualifie ce

pays pour être l'une des destination touristiques qui seront de plus en plus convoitées par les touristes ,, afin de découvrir ce que recèle ce pays comme richesse culturelle et naturelle.

D'après les données qu' on a avancé déjà ,cette entreprise projette de former des cadres techniques dans le domaine hôtelier qui s' occuperont de la réception et du service des clients en utilisant la langue française afin de pouvoir mieux communiquer avec la clientèle française ou francophone , pour cette raison le programme le plus convenable dans le domaine du FLE pour la formation de ces cadres est incontestablement le FOS.

Elaboration du programme :français sur objectif spécifique . (FOS)

Demande de formation:

Dans quel contexte:

Plusieurs raisons nous ont influencé pour préparer un programme de (Fos) pour cette entreprise spécialisée dans le domaine de l' hôtellerie, parmi ces raisons les derniers événements de Libye qui ont changé le système politique , suite à ce changement la Libye doit s'ouvrir de plus en plus sur l' étranger et sur les relations internationales dans tous les domaines ,et surtout dans le tourisme , un secteur important d'une part pour faire marcher l' économie en dehors du pétrole , d'une autre part pour qu' ils ait du mouvement de personnes vers ce pays et que les habitants bénéficient aussi d'un échange interculturel indispensable à notre époque.

Une des raisons aussi qui influencent notre choix c'est la relation privilégié qu' entretienne la France et la Libye depuis les derniers événements , de cette relation il y' aura beaucoup d'in-

vestissements commun entre les deux pays , dans différents domaines ,sportif, culturel, scientifique et touristique.

Il faut également dire que la langue française commence à prendre une place de langue étrangère importante en Libye , en concurrence avec la langue anglaise .

Le secteur touristique ne cesse de se développer en Libye à cause du potentiel important de ce pays en matière de sites historiques et en matière de diversité (désert, mer , montagnes etc…) et la visite des touristes européens sur ce genre de sites surtout que les pays voisins investissent beaucoup plus dans le tourisme balnéaire comme la Tunisie par exemple, ce qui constitue un avantage pour l' attraction du tourisme culturel en Libye.

Les touristes qui visitent les autres pays d' Afrique du nord en général sont français ou francophone ,c'est le cas également de la Libye , donc une bonne formation de guides touristiques , de réceptionnistes, d' agent de restauration est plus qu' indispensable à cause des exigences du marché , et surtout à cause de l' impact que pourrait avoir un service de qualité sur les touristes et sur l' image de marque du pays.

Donc pour satisfaire les touristes il faut vraiment s' adapter à leur demande de service, et l' utilisation des moyens modernes de technologie dans l' hôtellerie est plus qu' indispensable , une formation de qualité sur le matériel technologique moderne (informatique,internet,différents appareils…) est plus que demandée, en plus d'une bonne maitrise des langue étrangères dont le français comme langue d' échange internationale.

Prise de contact avec les apprenants :

Avant l' élaboration du programme , il fallait bien voir le terrain

et avoir une idée sur notre publique d' apprenants , une prise de contact d'avant formation avec les apprenants est nécessaire .

c'est à la suite de cette prise de contact et des informations qu' on aura réunies(par les questionnaires) sur leur compétenc–es linguistiques en langue française, sur leur rapport avec la langue française ,sur la durée de leur apprentissage de la langue française avant cette formation, sur leur professions et sur leur vision du secteur touristique particulièrement en Libye et aussi dans le monde… , tous ces renseignements et bien d' autres vont nous aider à préparer notre programme , qui prend en considération les particularité de chaque apprenant et de chaque groupe d' apprenants.

Proposition de questionnaire destiné aux apprenants qui vont bénéficier de la formation du (FOS) :

NOM :

Prénom :

* Age: Sexe: M F

* Situation de famille: Célibataire Marié .

Apprentissage du français:

1/Est ce que vous avez appris le français ?

OUI

NON

2/ Si oui pendant combien de temps ?

Dans quel d' établissement ?

Ecole privée

Collège

Lycée

Université

Centre culturel français

Autre, précisez ……

Quand est-ce que vous avez arrêté d'étudier le français ?

5/ est ce que vous avez **réussi un diplôme de langue française ?**

Si oui , quel diplôme ?

Si non pourquoi **?**

6- est ce que vous parlez une autre langue étrangère ?

anglais russe

français espagnol

allemand autres….

Relation avec le français

7/utilisez-vous le français dans le domaine de votre travail ?

Si oui

Avec les collègues ou avec les clients ?

8/avez-vous déjà visité la France ?

Avez-vous déjà visité un pays francophone ?

si oui , comprenez-vous facilement la langue française à l' oral ?

exprimez-vous facilement à l'oral ?

10/êtes-vous en contact avec des documents écrits en français ?

Au travail ? dans la vie de tous les jours ?

si oui lesquels ?

Comprenez-vous facilement les écrits en langue française ?

Quelles sont vos principales difficultés en français ?

Lecture de documents :

Rapport schémas plans

Notes lettres correspondances

Notices modes d'emploi fiches techniques

Autre……

Profession

13/quelles sont les principales activités que vous effectuez dans votre travail ?

14/comment sont vos contacts avec vos collègues ?

15/Qu' attendez –vous de votre séjour en France ?

Questions sur la connaissance du domaine touristique.

16) qu'est-ce que vous préférez le tourisme à l' intérieur du pays ou à l' extérieur du pays ?

17) est ce que l ' état encourage le tourisme intérieur dans votre pays ?

18) c'est quoi le niveau du tourisme dans votre pays ?

Excellent bon passable mauvais

19) quelles sont les places touristiques les plus visitées dans

votre pays ?

20) est ce que la communication dans le domaine du tourisme a dynamisé la fréquentation des hôtels dans votre pays ?

22) comment évaluez-vous le service dans les hôtels suivants en Libye :

2 **étoiles** , 3 étoiles , 4 étoiles, 5 étoiles ,villages touristiques .

Excellent bon passable mauvais

23) comment évaluez-vous la qualité des sites touristiques en Libye ?

Excellent bon passable mauvais

24) comment évaluez-vous la qualité de service des restaurants de moins de 5 étoiles.

Excellent bon passable mauvais .

25) est ce que vous avez des suggestions pour améliorer les hôtels en Libye ?

26) est ce que vous travaillez actuellement dans le domaine du tourisme hôtelier ?

Oui Non .

27) Est ce que vous avez travaillé auparavant dans le domaine de l' hôtellerie ?

Oui Non .

Si oui , pendant combien de temps ?

28) est ce que vous avez bénéficié d'une formation hôtelière pendant les vacances scolaires dans l' un des grands complexes touristiques en Libye ?

Oui Non .

29) combien de fois vous êtes allés à l' étranger **?**

30) Est ce que vous souhaitez travailler dans l' avenir dans l' un de ces hôtels ?

2 **étoiles** , 3 étoiles , 4 étoiles, 5 étoiles .

31) de quelles façon on réserve le plus souvent dans les hôtels libyens ?

Délégué touristique Par internet pat téléphone sur place.

32) comment évaluez-vous les services pour les clients ?

Excellent bon passable faible.

33) quels sont les langues les plus utilisées pour communiquer avec les clients ?

Anglais français autres

Commentaire du questionnaire :

L' apprentissage du français :

Les apprenants concernés par notre projet (Fos) ont étudié la langue française en Libye au cours de leur scolarité au lycée pour quelques-uns ils ont étudié la langue française dans des écoles privées d' enseignement de langues , ils ont étudié le français comme langue étrangère .

Le niveau général de nos apprenants se situe entre le A2 et le B1 , à l'exception de deux d' entre eux qui ont passé avec succès le DILF (le diplôme initial de langue française)lors de leur premier séjour e France il y a deux ans .

Les apprenants sont pour la plupart célibataires et sans obligations familiales, jeune pour la plupart dont l' âge varie entre 22 et 26 ans, l' élément de la jeunesse est très important pour apprendre une nouvelle langue et être disponible pour l' assimilation de nouvelles idées et pour s' adapter à de nouvelles méthodes.

La plupart des apprenants ont poursuivi après leurs études secondaire , une formation dans le domaine de l' hôtellerie , ce qui leur a permet de garder leur niveau de français initial et leur connaissance du français depuis le lycée avec un renforcement de ces connaissances dans les écoles privées ou ils sont étudié.

La plupart des apprenants ont une bonne maitrise de la langue anglaise et de la langue arabe (la langue de leur scolarité), la langue anglaise l' ont apprise depuis le collège ce qui leur permet d' avoir un meilleur niveau que le niveau en langue française , langue qu' ils ont découvert à partir du lycée.

Donc les apprenants maitrisent assez bien la langue anglaise à l' écrit comme à l' oral, quant à la langue française , la plupart d'entre eux maitrisent mieux l' oral que l' écrit à cause du manque de lecture et surtout que l' apprentissage s'est fait pour la plupart d'une façon autodidacte , par les médias comme la télévision et internet .

Le rapport à la langue française.

La plupart des apprenants disent qu' ils utilisent pas la langue française en dehors de l' environnement pédagogique (lycée ou école de langues) sauf dans le cas de certains qui écoutent de la musique ou regardent le télé, mais sans pratique orale quotidienne, à l 'exception de l'un d'eux qui parle français pendant

les vacances d' été avec ses cousins qui habitent la France. Ou dans le cas des apprenants qui ont visité la France pour quelques jours mais ça reste limité dans la pratique orale.

La plupart des apprenants répondent qu' ils ont eu des contacts rapides avec des touristes francophones en Libye ,certains d' entre eux ont déjà eux la chance d' aller en vacances en France ce qui leur a permet de parler français pendant 15 jours, leur pratique du français reste insuffisante très limitée.

La plupart des apprenants comprennent d'une façon générale un discours d'un natif à l' oral , il leur faut souvent un maximum de concentration pour comprendre le message.

Pour l' expression à l'oral la plupart des apprenants s'expri-ment plus au moins bien, avec une maitrise approximative de la grammaire et de la syntaxe, le manque de vocabulaire parfois les empêche pour tenir un discours fluide, ajouter à cela le manque de pratique.

Ces difficultés sont vérifiable au moment de la lecture des Rapport, des schémas ,des plans des notes ,des lettres ,des correspondances, des notices, des modes d'emploi, des fiches techniques etc… .

Leur difficultés en lecture vont être également prises en charge pendant ce programme du (FOS),les apprenants vont être invités d'une manière régulière à faire des lectures de leur rôles, dans la technique du jeu de rôles (réceptionniste, client etc…) pendant le cours.

Profession:

Les pluparts des apprenants que nous avons intégré dans notre programme du (Fos) ont tous occupé auparavant des fonctions dans l' hôtellerie ou le tourisme (certains dans le cadre de leur stages de formation , d'autres comme fonctionnaires temporaires

Les principales fonctions :

Accueil et réception dans un hôtel.

Guide touristique

Cuisinier

Serveur

Responsable des ressources humaines dans un grand hôtel .

Les apprenants connaissent bien le domaine touristique en Libye, leur expérience dans l' hôtellerie les aide à bien comprendre les enjeux culturels et économiques de cette activité.

Ces apprenants ont pour la plupart pris des tâches de réceptionniste ou de serveur de restaurant ce qui leur a permet d' avoir des contacts avec les touristes français ou francophone , les agents d' accueil, le guide touristique et le serveur ont tous eu des contacts directs avec les touristes français qui viennent réserver une chambre, visiter un monument ou prendre un repas, pour les autres apprenants en raison de leurs fonctions ils ont eu moins de contacts avec les touristes.

Le rapport avec les collègues au quotidien ,dans les réunions du début et de fin de travail et surtout pendant le service des clients ou la communication entre le personnel est indispensable.

La langue que les apprenants utilisaient avec les collègues est

souvent l' arabe , car 99 pour cent du personnel de l' hôtel parle la langue arabe, ça arrive de parler français ou anglais en cas de besoin , surtout lors de la venue de professionnels étrangers qui maitrisent pas l' arabe.

La plupart des apprenants pensent que pour améliorer le tourisme dans leur pays (la Libye) il faut qu' il ait des échanges d'expérience avec les pays étranger et surtout avec des pays du même espace géographique de la même culture comme la Tunisie et le Maroc .

La plupart des apprenants visitent la France pour la première fois, ils ont pour la plupart visité l' Afrique du nord ou les pays arabes du golfe. Un seul est parti au Sénégal.

Les langues qu' ils utilisent pour communiquer avec les clients sont respectivement, l' arabe, l' anglais , et le français .

Les attentes des apprenants:

Les apprenants ont des attentes nombreuses et variées , ils souhaitent qu' à la fin de cette formation ils pourront maitriser le vocabulaire de base (important) de leur métier dans l' hôtellerie :

avoir une idée plus approfondie sur l fonctionnement d'un hôtel en France.

pouvoir bien accueillir les touristes avec tout le protocole nécessaire en français (salutations, remerciements etc…)

savoir utiliser les matériel technologique (en français), réserver une chambre, faire payer un client , etc…

pouvoir tenir une discussion à l' oral et pouvoir comprendre les messages écrit et répondre , à l' oral et à l' écrit en langue française.

placer les touristes dans leur chambres ou les orienter dans l' Hôtel .(maitrise du vocabulaire de l' orientation , à gauche, à droite , et des expressions comme en dessous, au-dessus etc…)

pouvoir **répondre au téléphone en français avec le langage nécessaire , présentation de l' hôtel, présentation des prix etc…**

Les attentes linguistiques et les attentes culturelles :

Les apprenants en majorité ont eu un contact avec la langue française dans le cadre scolaire (au lycée) ou bien dans des écoles de langues , ce qui leur a permet d' avoir un niveau qui correspondrait dans le système de classement des niveaux (CECR) entre le A2 et le B1 , donc le niveau qu' on va cibler ce sera le B2 pour que nos apprenants puissent être à l' aise à l' oral au moment de leur contact avec les clients à la réception , au téléphonie, au moment du service au restaurant etc…

A l' écrit l' objectif du programme (FOS) c'est de permettre à nos apprenants de pouvoir lire correctement les commandes et pouvoir écrire des courriers électroniques etc…

Comprendre les touristes pour leur répondre est nécessaire pour la bonne communication et la satisfaction des clients, donc au cours de notre programme , on va réserver des activités spécialement pour la compréhension orale surtout (avec des documents sonores , avec des dialogues ciblés entre clients et réceptionnistes etc…

un travail aussi sera accès sur la compréhension écrite pour que le personnel puisse lire et écrire des messages aux clients, pour les diriger dans leur réservations ou leur paiement etc.…

la compréhension écrite aussi permet à nos apprenants de comprendre le fonctionnement des hôtels en France etc…

Les apprenants devront aussi produire des phrases en français, c'est ce qui leur permettra bien sûr d' être en contact avec les clients , donc les jeux de rôles leur permettent de s'exprimer et surtout de parler dans un langage convenable à l' hôtellerie.

Sur le plan culturels le personnel de l' hôtel attendent de leur formation ce qui suit :

découvrir le fonctionnement d' un hôtel en France

découvrir les exigences de la réception du client , ce qu ' il faut dire, ce qu' il ne faut pas dire, ce qu' il faut faire, ce qu' il ne faut pas faire en présence du client.

les formules de politesse à la française, « merci , svp etc..)

les salutations, bonjour, bonsoir , au revoir etc …

le vouvoiement avec les clients car on est dans un cadre d'une communication formelle.

Les mouvements des mains et les autres tics et leurs significations.

La signification des mouvements de **tête et la gestuelle en général**.

La formation sera axée plus à l' oral qu' à l' écrit

L' organisation de la classe de cours :

La salle de cours sera organisée d'une façon à permettre à l' enseignant de bouger partout dans l'espace au moment de l' animation des débats, la disposition des tables est importante , elle seront disposées de la façon qui permet aux apprenants d'

être en face de leurs camarades , pour se voir et surtout pour communiquer librement et facilement, les tables seront disposées en forme de la lettre U, sur les mûrs on y trouve beaucoup de photos liées au domaine de l'hôtellerie, beaucoup de photo qui permettent aux apprenants de mémoriser les noms de métiers ,par exemple, la photo d'un chef cuisinier qui porte une tenue de cuisine, une photo d'un serveur souriant en position de servir ses clients, une autre photo du réceptionniste devant sont ordinateur, dans son bureau de réception etc… en bas de ces photos on peut lire les noms des métiers.

Dans la salle de classe il y a aussi, un ordinateur , un téléphone pour pratiquer les techniques du jeu de rôle (dialogues) quelques ustensiles de cuisine à montrer aux apprenants en cas de besoin ,un tableau interactif etc…

La disposition de cette classe est conçue pour permettre une meilleur communication entre les apprenants entre eux et la communication entre l' enseignant et ses apprenants.

Dans le domaine de l' hôtellerie et de la restauration les fonctions sont réparties selon les compétences de chaque employé, chaque service comprend un certain nombre de métier ; du réceptionniste au directeur d'un hôtel chaque' un a son rôle à jouer pour assurer un service de qualité au client .

Le fonctionnement d' un **hôtel obéit à certaines règles de gestion et à un respect des fonctions selon le métier et le rôle de chaque employé.**

Ce sont ces règles de gestions et le rôle du personnel et d' autres aspects du métier de l' hôtellerie que nous allons expliquer pendant ce cours pour expliquer d'une façon générale aux

apprenants les règles de ce fonctionnement.

Activité 1 :

« introduction aux différents métiers de l' hôtellerie. »

Le niveau des apprenants : B1.

La durée du cours :2heures

Matériel utilisé : tableau, documents authentique, livre.

Compétences visées :expression orale, compréhension orale, expression écrite.

Objectifs général: faire découvrir aux apprenants les différents noms de métier dans un hôtel et le fonctionnement général d'un hôtel français.

Objectifs Culturel s:les objectifs culturels de ce cours sont la découverte du système d'organisation d'un hôtel français ,les différentes techniques d'accueil et de service.

Objectifs linguistiques : l' utilisation des noms de métiers de l' hôtellerie, l'utilisation du présent de l' indicatif et du futur simple (exercices de grammaire).

Au début du cours l' enseignant dessine sur le tableau le schéma [1]suivant ,distribue au même temps l' organigramme[2] sur des feuilles les dessins de la page 7 :

L'organigramme des différents métier:

Un organigramme avec des différentes images des différents métiers est distribué aux apprenants au même temps que la mise

(1) Hôtellerie-restauration.com, Sophie Corbeau,Chantal Dubois, Jean-Luc Penfornis,Laurent Semichon.Clerc SAS ,Avril 2007.

(2) Organigramme des différents métiers de l' hôtellerie-restauration, page7, **Hôtellerie-restauration.com**, Sophie Corbeau,Chantal Dubois, Jean-Luc Penfornis,Laurent Semichon.Clerc SAS ,Avril 2007.

en place du schéma sur le tableau .

L'enseignant commence son cours après les présentation , avec des questions générales et simples pour les apprenants en dirigeant leur intention sur les photos qu' ils ont sur l' organi-gramme pour leur demander de nommer , celui qui fait la cuisine, celui qui reçoit les clients , celui qui sert les clients dans le restaurant, la directrice, les agents d' administration etc…

Une discussion sera entamée dans ce sens pour faire découvrir les différents nom de métier de l' hôtellerie aux apprenants.

La page présentant le personnel de l' hôtel sera également distribuée aux apprenants afin qu' ils puissent se situer par rap-port aux différents métiers et aux niveaux nom qu' ils ignoraient avant ce cours , sur les différents responsables se présentent en mentionnant le nom de leurs métiers et leur fonctions au sein de l' hôtel. Page8

A la fin de la discussion l' enseignant propose aux apprenants un exercice d' application , dans cet exercice il sera question de choisir entre deux réponses la réponse juste par rapport à un métier .

Exercice page13, exercice du tableau. (photocopier le tableau), page 13

A la fin de cet exercice les apprenants auront découvert des nouveaux métiers , comme le sommelier, le standardiste, la lingère etc…

Deux documents sonores seront proposés aux apprenants pour écouter en suite dire de quoi on parle dans ces enregis-trements.

Le premier enregistrement est relatif à des employés de L'hôtel qui parlent de leur métier, les apprenants écoutent tout en consultant l' organigramme page7.

Exemple de réponse proposées :

Je dirige l'hôtel de la Paix. J'ai beaucoup de travail et de responsabilités.

La réponse juste que les apprenants devront donner est la suivante :

C'est Nicole Leduc, la directrice de l' Hôtel.

Cette activité permet à l' enseignant de vérifier non seulement la capacité des apprenants à mémoriser les noms de métiers mais ça lui permet également de vérifier leur capacité à écouter et comprendre le discours d'un natif de langue française .[1]

Un autre document sonore sera remis également aux apprenants en leur demandant de compléter avec les verbes au présent de l' indicatif , tout en les conseillant de prendre en considération le tableau de conjugaison à la page106.[2]

Cet exercice permet à l' enseignent de vérifier la capacité de ses apprenants dans la conjugaison du verbe être au présent de l' indicatif , un verbe qui revient souvent dans les présentation au début de la prise de fonction, l' enseignant a profité également de cette occasion pour faire conjuguer à ses apprenants le verbe être au futur simple de l' indicatif, surtout qu' ils sont encore en formation donc ils seront directeur, chef de cuisine ,réceptionniste au futur, ce qui leur permettra de se situer dans l' axe des

(1) Exercice n 3page 9,Hôtellerie-restauration.com,Sophie Corbeau,Chantal Dubois,Jean Luc Penfornis,Laurent Semichon,cle international.

(2) Exercice n 4 page 9 Hôtellerie-restauration.com,Sophie Corbeau,Chantal Dubois,Jean Luc Penfornis,Laurent Semichon,cle international.

temps et de mieux comprendre les fonctions du présent de l' indicatif et du futur simple de l' indicatif.

Photocopier la page 9

Activité 2

Accueil et réservation d'une chambre d' hôtel.

Le niveau des apprenants : B1.

La durée du cours :3H 30

Matériel utilisé : tableau, livre d'activités, ordinateur bronché à internet

Compétences visées :expression orale, compréhension orale, expression écrite.

Objectifs général: faire découvrir aux apprenants les différents façon de réserver une chambre et le langage à tenir avec les clients,(formules de politesse, salutations , bonjour , au revoir , comment se tenir en face du client etc. …)

Objectifs Culturel s:les objectifs culturels de ce cours sont la découverte des différentes façon de réserver une chambre, la culture d' accueil des clients et apprendre la culture de la réservation par internet, par téléphone etc…

Objectifs linguistiques : l' utilisation des formules de politesses , l'utilisation du vocabulaire d' accueil, bonjour, merci, au revoir , l'utilisation du vocabulaire de réservation par internet etc…

La réception et l' accueil sont une culture et un art dans le domaine de l' hôtellerie, la première prise de contact entre le client et l' hôtel passe par le réceptionniste, cette relation pour-

rait commencer virtuellement c'est à dire au moment du premier échange téléphonique ou l'échange de mails de réservation, ou bien d'une façon vraie et naturelle dans une situation d'échange réel ,au moment de réserver une chambre à la réception.

On va présenter une série d' exercices à nos apprenants afin qu' ils puissent découvrir avec nous les secrets d' un accueil de qualité.

L' utilisation de la vidéo est une méthode efficace dans l' enseignement du FLE, à cause de l 'intérêt particulier que portent les apprenants pour l' image , dans notre projet du (FOS) l' utilisation de la vidéo va nous permettre de montrer aux apprenants non seulement les personnages qui participent aux dialogues dans les séquences proposées et leur dialogues, mais également on va leur permettre aussi de suivre le langage gestuel, (le mouvement des mains du réceptionniste par exemple, son regard etc…).

L'enseignant demande aux apprenants de bien écouter les dialogues et de prendre note de la conversation.

A la suite de ce film l' enseignant demande aux apprenants de jouer les mêmes rôles que ceux de la vidéo, un réceptionniste et d' un client[1]:

1. sur la **réservation d'une chambre**, :

http://webtv.ac-versailles.fr/restauration/spip.php?page=iframe-video&id_article=621

2. sur le départ d'un client :

http://webtv.ac-versailles.fr/restauration/spip.php?page=i-

(1) http://webtv.ac-versailles.fr/restauration/spip.php?page=vocabulaire, le site des vidéos.

frame-video&id_article=622

3. sur la réservation d'une table dans le restaurant de l' hôtel :

http://webtv.ac-versailles.fr/restauration/spip.php?page=i-frame-video&id_article=623

Activité :

Durée :2heures .

Activité sur le restaurant :

Le niveau des apprenants : B1

Matériel utilisé :vidéo, ordinateur ,DVD.

Compétences visées :compréhension orale, expression orale.

Objectif culturel :la culture de l' accueil et du premier contact avec le client dans le restaurant.

Objectif linguistique :vocabulaire de la réservation d' une table, vocabulaire de présentation du menu.

1. Voir une vidéo sur comment prendre contact avec le client dans le restaurant de l' hôtel, comment accueillir le client, comment présenter la nouvelle carte , comment présenter les différents plats :

http://webtv.ac-versailles.fr/restauration/spip.php?page=i-frame-video&id_article=672

Activité 3 (1):

Cette activité est un dialogue entre le maître d'hôtel et le client sur la réservation d'une table.

(1) Le français de l' hôtellerie et de la restauration,H.RENNER,U.RENNER,G.TEMPESTA. p77.

Une autre activité sera proposée aussi sur comment on dresse une table et quels sont les différentes choses qu' on met sur la table[1].

Réserver une chambre par téléphone.

Durée :2H00

Matériel utilisé :livre ,téléphone, cd ,ordinateur .

Objectif culturel :culture de l' accueil avec les moyens de technologie moderne

Objectif linguistique :conjugaison des verbes « appeler »,formules des politesse, salutations.

Dans cet exercice on va faire apprendre aux apprenants comment ils vont remplir la fiche de réservation par téléphone et comment se comporter avec le client, l' enseignant va faire écouter aux apprenants une conversation entre une réceptionniste d'un hôtel et un client .

Le but de cet exercice est de faire apprendre à la technique de réservation par téléphone .

Après avoir écouté la conversation l' enseignant demande aux apprenants de jouer un rôle comme réceptionniste ou comme client avec l' utilisation d'un téléphone.

Cet exercice est centré plus sur l' oral ,et sur la façon comment on va accueillir un client au téléphone (poliment), le réceptionniste doit en premier lieu donner le nom de l'hôtel, son nom et son prénom à (lui à elle), et ensuite dire bonjour.

A la suite de la présentation le réceptionniste demande :

(1) Ibid., P.80.

Les dates d'arrivée et de départ du clients

le nombre de personnes.

Le réceptionniste propose un type de chambre et donne le prix.

En suite le réceptionnistes demande le nom et les adresses du client : « mail, téléphone etc…)

En suite le réceptionniste remercie et dit au revoir au client[1]:

La forme interrogative:

Dans la réservation d'une chambre le **réceptionniste pose beaucoup de questions aux clients, donc l'enseignant doit faire découvrir aux apprenants la manière comment on pose les questions aux clients comme dans les exercices suivants**[2]**:**

Activité :

Durée : 2heures

Matériel utilisé : ordinateur bronché à internet.

Compétences visées : compréhension écrite, expression écrite.

Objectif culturel : apprendre comment on réserve par internet (culture occidentale des pays développé)

Objectif linguistique :apprendre le vocabulaire de la réservation par internet (fichier, mail , courriel, etc…), savoir écrire un mail spécifique.

(1) Exercice 2page 14. Hôtellerie-restauration.com,Sophie Corbeau,Chantal Dubois,Jean Luc Penfornis,Laurent Semichon,cle international.

(2) Exercice 3 page14,exercices 4,5,6,7page 15. Hôtellerie-restauration.com,Sophie Corbeau,Chantal Dubois,Jean Luc Penfornis,Laurent Semichon, cle internattiional.

Réservation par internet :

Aujourd'hui , tout se fait sur internet, même la réservation de chambre d'hôtel se fait par internat c'est moins cher et c'est rapide.

Dans cette activité les apprenants vont découvrir un nouveau langage électronique,

1- comment lire un mail

2- comment **répondre à un mail**

3- comment confirmer la réservation

4- comment refuser la réservation

Des exemples dans les exercices :2,3,4[1] (page 14 -15)

Conclusion:

Dans ce travail, malgré les différentes difficultés rencontrées lors des différentes étapes on a élaboré un programme de français sur objectif spécifique pour des apprenants dont le niveau de français est moyen.

On a au début analysé leurs besoins linguistiques ,et culturels, ce qui nous a permet d'élaborer notre programme selon une méthode efficace .

On a suivi les différentes étapes demandées ce qui nous a permet de travailler selon un schéma bien définit.

La formation est très bénéfique pour les apprenants qui ont appris à la fois la langue française et le savoir -faire français en matière d'hôtellerie.

(1) Hôtellerie-restauration.com,Sophie Corbeau,Chantal Dubois,Jean Luc Penfornis,Laurent Semichon,cle internattiional.

La formation était bénéfique aussi pour les entreprises hôtelières qui vont recevoir des touristes français ,qui vont trouver un personnel bien formés et performants dans le travail.

Biographie et sitographie.

1- Jean –Marc Mangiente, Le français sur objectif spécifique, HACHETTE LIVRE,2004 Paris.

2- jean pierre cuq, dictionnaire de didactique du français langue étrangère et seconde CLE international ,S.E.J.E.R. 2003 paris.

3- Sophie Corbeau, Chantal Dubois, Jean-Luc Penfornis,Laurent Semichon.Clerc, Hôtellerie-restauration.com SAS ,Avril 2007.

4- H.RENNER,U.RENNER,G.TEMPESTA Le français de l' hôtellerie et de la restauration ,vienne, Autriche , 1991.

5- Ghislaine Larouche ,Thèse doctorale Université de Montréal 2006.

6- langue française dans le monde 2015-2018 Gallimard - rapport Organisation internationale de la Francophonie

http://ssf.ly/?page=17 site internet de l'entreprise en langue arabe.

7- http://yellowpages.ly/listing.php?id=2301 site de l'entreprise en anglais .

8- http://webtv.ac-versailles.fr/restauration/spip.php?page=vocabulaire, le site des vidéos.

L'ÉROSION DANS LE BASSIN VERSANT DE BERDAWNI

Tonia Tanios Ghanem[1]

Université Libanaise

toniaghanem97@hotmail.com

Dr. Naji Joseph Kehdy[2]

Université Libanaise

naji.kehdy@hotmail.com

Recieved on: 2/6/2021

تاريخ الاستلام: 2021/6/2

Approved on: 2/7/2021

تاريخ القبول: 2021/7/2

Résumé

L'érosion sous ses diverses formes est considérée comme un phénomène de mouvements des terrains, qui est favorisée par les actions physiques et anthropiques. Ce processus est l'un des aspects les plus influents sur les activités agricoles dans les bassins versants comme le bassin versant du Berdawni qui forme un sous-bassin du bassin de Litani.

L'objectif principal vise à préciser les types d'érosion dans le bassin de Berdawni ayant 74.5 km2 de superficie, et à évaluer les différents facteurs physiques et anthropiques influençant ce phénomène. Cela pourrait aider à connaitre les zones les plus affectées par l'érosion à travers une étude représentative, et donc guider l'agriculteur à bien choisir les zones à cultiver et les types de végétation permettant d'optimiser les cultures pour avoir un développement agricole durable.

La démarche méthodologique descriptive-analytique, sert à comprendre le concept de l'érosion des sols d'après plusieurs méthodes comme le système d'information géographique (SIG), et un formulaire dressé aux agriculteurs. Nous avons remarqué que les zone de la montagne à pente raide sont les zones les plus vulnérable à l'érosion, au contraire des zones de la plaine. Et ensuite, nous proposons des idées pour limiter les impacts de ce phénomène.

Mots clés:érosion – bassin versant Berdawni – agriculture – Précipitaiton.

مستخلص البحث:

تعتبر التعرية بأشكالها المختلفة واحدة من ظاهرات حركات الأرض، التي تعزّرها العوامل الطبيعية والبشرية. هذه الظاهرة هي واحدة من أكثر الظواهر تأثيرًا على الأنشطة الزراعية في الأحواض المائية مثل حوض نهر البردوني الذي يشكل جزءًا من حوض نهر الليطاني.

الهدف الرئيسي من هذه الدراسة هو تحديد أنواع التعرية في حوض البردوني الذي تبلغ مساحته 74.5 كيلومترًا مربعًا، وتقييم العوامل الطبيعية والبشرية المختلفة التي تؤثر على هذه التعرية. يمكن أن يساعد ذلك في معرفة المناطق الزراعية الأكثر تضررًا من التعرية. وبالتالي يمكن توجيه المزارع لكي يحسن اختيار المناطق المراد زراعتها وأنواع النباتات التي يمكن المزروعة، مما يتيح إحداث تنمية زراعية مستدامة.

ساعدنا المنهج الوصفي التحليلي على فهم تعرية التربة، وذلك باستخدام عدّة تقنيّات مثل نظام المعلومات الجغرافية (GIS)، واستمارة معدة للمزارعين... لقد لاحظنا أن المناطق الجبلية ذات الانحدار القوي هي الأكثر عرضة للتعرية على عكس مناطق الأراضي السهليّة. هذا الأمر دفعنا الى اقتراح عدّة أفكار للحد من آثار هذه الظاهرة.

كلمات مفتاحية: تعرية – حوض نهر البردوني – زراعة – أنواع الزراعات – متساقطات

1. Introduction

L'érosion est définie comme un processus de déplacement des matériaux à la surface sous l'action de la gravité, du vent, de l'eau courante ou de l'homme. Toutes les régions du monde caractérisées par des phénomènes qui aident à créer un modèle des mouvements des matériaux, pourraient être exposées à l'érosion et aux glissements de terrains. Le processus de l'érosion peut être favorisé par des facteurs physiques tels que l'intensité de pluie, la pente, l'érodibilité des sols, l'action du vent qui cause l'érosion éolienne, et des agents anthropiques tels que l'occupation du sol et la destruction du couvert végétal par l'homme. Généralement, les sols et surtout les sols cultivés, sont naturellement soumis à l'érosion qui représente un risque important.

Le Liban est connu par sa diversité des bassins versants de différentes intensités de débits qui alimentent les réserves en eau. Chacun de ces bassins peut faire face au risque érosif, vu les différentes caractéristiques qu'il possède : les pentes, les précipitations et les végétations. Par exemple, la région de Kfar Qouq, située au pied du mont du versant ouest de Jabal el Cheikh, est soumise à des pertes en terre car elle est touchée par l'érosion aréolaire. (EL HAGE HASSAN, 2018).

Par la suite, quelques questions s'imposent : Quels sont les agents préparateurs de l'érosion ? Quels sont les facteurs physiques et anthropiques influençant l'érosion ? Quelles sont les zones agricoles les plus vulnérables à l'érosion ?

Ces questions nous permettent de proposer les hypothèses suivantes : les zones agricoles de relief accidenté sont les plus vulnérables à l'érosion, le climat (précipitations) peut causer une aggravation érosive et la lithologie dominante peut accélérer l'érosion. De plus, le type de sol dans ce bassin peut augmenter la sensibilité à l'érosion. L'agriculture non organisée et la grande intensité du débit du réseau hydrographique du bassin peuvent favoriser aussi le phénomène de l'érosion.

2. Justification de la zone d'étude

Notre zone d'étude couvre la superficie du bassin versant de Berdawni qui se situe à la jonction des montagnes du Liban et de la plaine de la Békaa. Ce bassin couvre une superficie de 74.5 km^2 et occupe plusieurs villages de la Békaa comme Zahlé qui couvre le secteur moyen du bassin, Qaa El Rim, Hazerta, et Ouadi El Arayech qui couvrent le secteur supérieur, Saadnayel, Taalabaya, Taanayel et Haouch El Oumara qui appartiennent au secteur inférieur (figure 1).

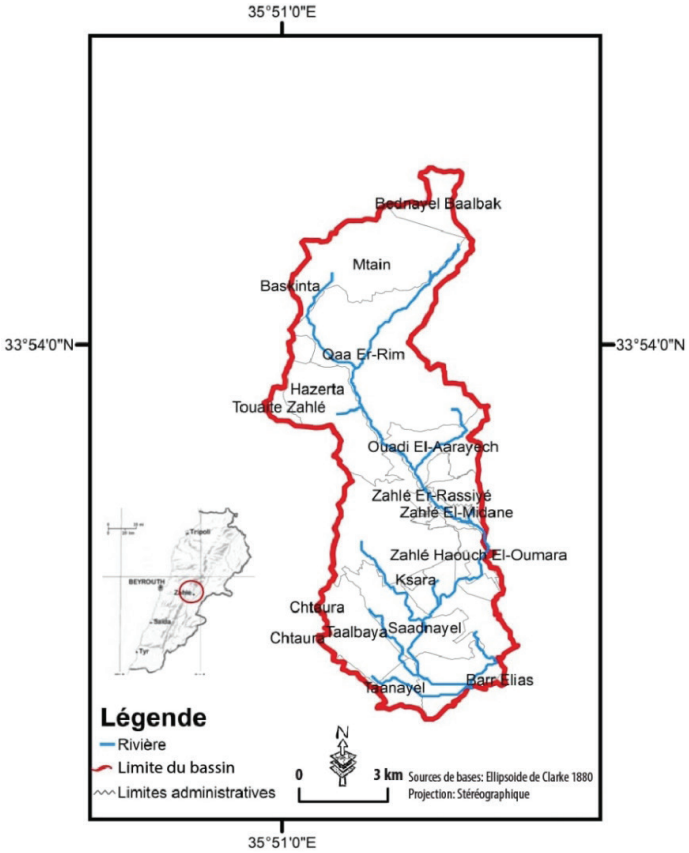

Figure 1: Région d'étude (source d'informations de bases : travail de l'étudiant)

Plusieurs facteurs physiques et humains constituent des éléments importants qui pourraient favoriser le phénomène d'érosion dans le bassin versant de Berdawni. Le contexte physique comme la topographie, les types de sol, le climat et la couverture végétale sont des facteurs physiques qui pourraient influencer le processus érosif dans notre région. Notre zone d'étude se caractérise par des pentes fortes et le type de roches calcaires fissurés, et les roches sédimentaires vulnérables à l'érosion, ce

qui contribue à accélérer les mouvements des terrains. Quant au climat, qui se caractérise par de fortes précipitations tout au long des mois humides et par des grandes variations de température (gel et dégel), pourraient mener à l'endommagement voire la rupture de la structure de la roche et donc à l'érosion. Quant à la végétation, son effet sur le processus érosif varie en fonction de la densité et des types de cultures.

Par ailleurs, le bassin versant Berdawni couvre les villes et les villages du Kaza de Zahlé – Qaa El Rim – Hazzerta – la zone montagnarde de Bednayel – Saadnayel – Taalabaya – Taanayel et Al Marej où les agglomérations urbaines englobent 120000 environ (KEHDY, 2018).

Du point de vue agricole, notre bassin versant est cultivé par les légumes et les cultures maraichères dans le secteur inférieur dont la pente est douce et les types d'érosion sont limités aux terrains agricoles comme des rigoles et les cryoclasties. Alors qu'on trouve les arbres fruitiers dans la zone montagneuse de pentes fortes sensibles à l'érosion (cf. figure 2 : degré des pentes dans le bassin versant Berdawni), où les formes érosives dans ce secteur sont plus développées comme les lapiés, la cryoclastie et l'érosion fluviale.

3. Méthodologie

Dans cette étude, nous proposons une méthodologie de recherche scientifique descriptive-analytique, en adoptant plusieurs méthodes et techniques pour comprendre le concept de l'érosion des sols, les formes les plus importantes et les mécanismes de leur occurrence dans notre zone d'étude.

3.1 Images satellitaires :

Nous avons utilisé les images satellitaires qui sont des images landsat 8 de résolution 30 m et à la date de 27 juillet 2017. Nous avons tiré ces images du site web www.earthexplorer.gov et nous les avons traitées à travers les logiciels ARCGIS et ERDAS.

3.2 Modèle numérique du terrain (MNT) :

Nous avons utilisé le modèle numérique du terrain (MNT) ayant une résolution de 30m. Il s'agit d'une représentation numérique du relief dans notre zone d'étude. Il fournit des renseignements sur les valeurs d'altitude, les pentes et la surface topographique du terrain, et cela dans le but de construire la carte de la pente pour évaluer les reliefs

qui favorisent l'érosion.

3.3 Travail de terrain :

Nous avons visité la zone d'étude et observé le terrain afin d'évaluer le phénomène érosif et de montrer les divers types d'érosion et les zones les plus vulnérables et ceci à travers les techniques ci-dessous.

3.3.1 Photos comparatives :

Afin d'étudier l'évolution de l'érosion, nous avons pris des photos entre les deux saisons d'automne et du printemps, entre le 10 novembre 2019 et le 16 avril 2020. Les photos ont été traitées avec des mesures personnelles précises, afin de caractériser chaque type d'érosion qui se trouve dans les divers secteurs de notre zone d'étude, et pour étudier également les mécanismes érosifs et les risques d'érosion, objectif principal de notre étude.

3.3.2 Questionnaire :

Pour obtenir des données et des informations sur les zones

agricoles, un questionnaire a été adressé aux agriculteurs des régions qui couvrent noter région d'étude. Cependant, en utilisant « Google Earth » nous avons localisé les parcelles agricoles durant notre travail sur le terrain. En plus, l'application « AgVisor » de la Chambre de Commerce, d'Industrie et d'Agriculture de Zahlé (OCCIAZ), nous a permis de déterminer le nombre des agriculteurs selon l'adresse dans chaque région (il est possible de trouver le même agriculteur qui a plusieurs parcelles agricoles dans divers secteurs du bassin). Le total des parcelles agricoles est égal à 196 parcelles et le nombre des agriculteurs est de 169, dont 161 ont répondu au questionnaire pour récolter les informations et préciser les caractéristiques des agrosystèmes.

Le questionnaire est formé de trois parties principales : La première partie traite l'exploitation agricole, les dimensions des zones agricoles, le type de propriété agricole, le relief de ces zones cultivées, les types d'agriculture (arbres fruitiers, légumes, cultures pérennes…), les méthodes utilisées dans l'agriculture (traditionnelles ou modernes), les projets d'irrigation publics et privés. Le but de ces questions est d'obtenir des informations concernant le secteur agricole dans le bassin versant de Berdawni (comme les divers types d'érosion, etc.). La deuxième partie permet l'accès à des informations concernant l'agriculteur lui-même : son âge, son éducation, son expérience, etc. La troisième nous permet d'identifier l'interaction entre l'agriculteur et l'érosion, de savoir donc si l'agriculteur détecte la présence d'érosion dans son terrain cultivé et comment fait-il pour l'affronter.

4. Résultats et discussion

La carte des pentes (figure 2) montre la diversité des degrés

d'inclinaison dans le bassin versant de Berdawni, où le plus haut degré de la pente atteigne 56 degrés, surtout dans les deux secteurs supérieur et moyen à Qaa El Rim et Ouadi El Arayesh, où ces pentes fortes ont un impact majeur sur le mouvement des terrains. Cette chaîne diminue progressivement dans la plaine située sur des différentes faibles pentes qui exercent une influence sur l'infiltration vers les nappes souterraines (KEHDY, 2018).

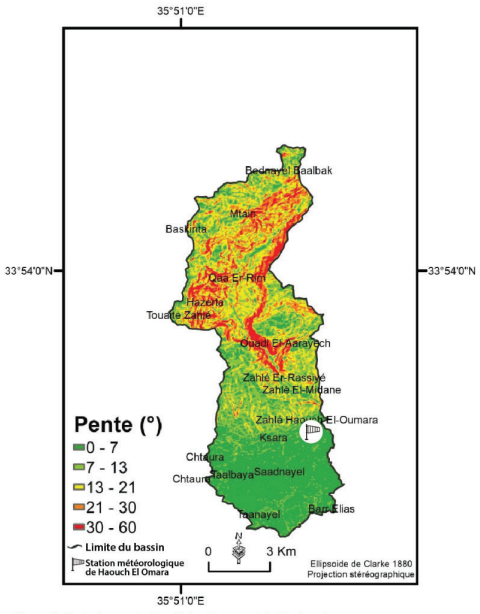

Figure 2: Carte des pentes dans le bassin versant de Berdawni
(source d'informations de bases : MNT du Liban - travail de l'étudiant)

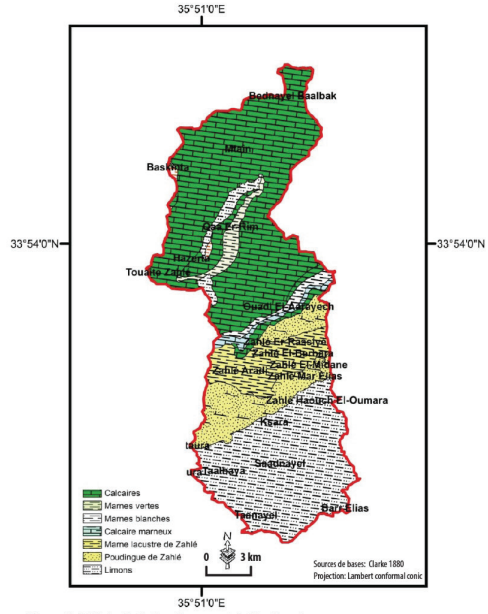

Figure 3: Lithologie du bassin versant de Berdawni
(source d'informations de bases : travail de l'étudiant)

Les formations lithologiques servant la détermination de la sensibilité de chaque roche au processus érosif, nous a montré que les marnes qui se trouvent dans une partie du secteur moyen et du secteur inférieur pourraient entraver l'infiltration (KEHDY, 2018), et donc intensifier l'écoulement favorisant l'érosion. Alors

que les formations calcaires et marno-calcaires qui se trouvent dans une grande partie du secteur supérieur, se caractérisent par une susceptibilité à l'érosion hydrique, ce qui pourrait favoriser le développement des formes érosives (figure 3).

Par ailleurs, le réseau hydrographique est composé d'un cours d'eau principal et une série de tributaires permanents et temporaires qui participent à l'écoulement. La figure 4 nous montre l'augmentation du nombre du premier rang qui est due à la qualité de la formation rocheuse surtout le calcaire, et les pentes raides qui favorisent la formation des chenaux d'eau (KEHDY, 2018), et donc l'augmentation de l'écoulement de surface, ce qui pourrait sans doute favoriser le processus érosif.

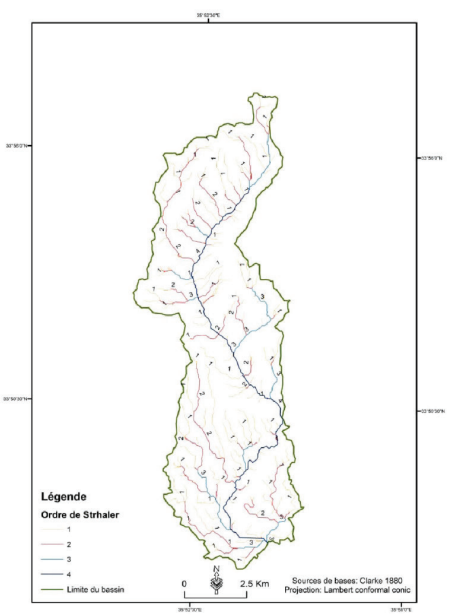

Figure 4: Ordination du réseau hydrographique du bassin versant de Berdawni (source d'informations de bases : MNT du Liban - travail de l'étudiant)

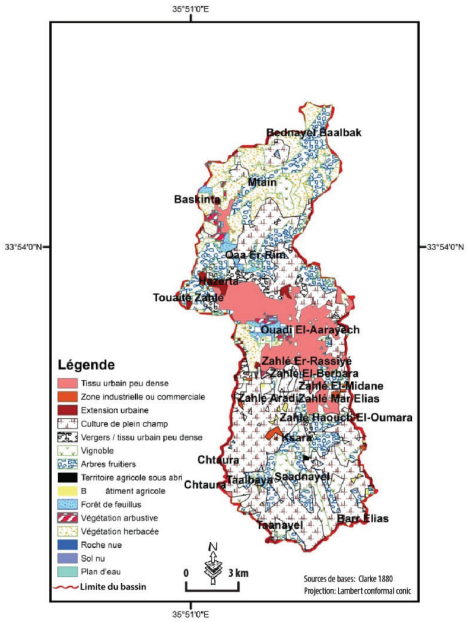

Figure 5: Types de végétation dans le bassin versant de Berdawni (source d'informations de bases : travail de l'étudiant)

Ainsi que, c'est une région cultivée par différents types de culture grâce à sa production importante spécialisée par des vergers et

des conifères dans les montagnes qui participent à la fixation des sols sur les versants, offrant ainsi une protection contre l'érosion hydrique (EL HAGE HASSAN, 2019). Tandis que les céréales et les potagers dans la plaine où la pente est faible et qui ralentit la vitesse de ruissellement, ce qui pourrait freiner l'érosion.

Notre zone d'étude se caractérise par un climat méditerranéen (BLANCHET, 1980, TRABOULSI, 2012). La figure 6 nous montre la variation thermique mensuelle par rapport aux précipitations durant l'année 2012, où la valeur de la température la plus faible est registrée en janvier (5 °C) avec une valeur de 230 mm de précipitations. Lorsque la température diminue vers 0 degré l'eau se transforme dans les roches en eau gèle, alors que l'accroissement de la température (25 degrés) engendre le dégel. Ces modifications répétées et alternées de température pourraient mener à l'endommagement voire la rupture de la structure de la roche et donc affecter les versants.

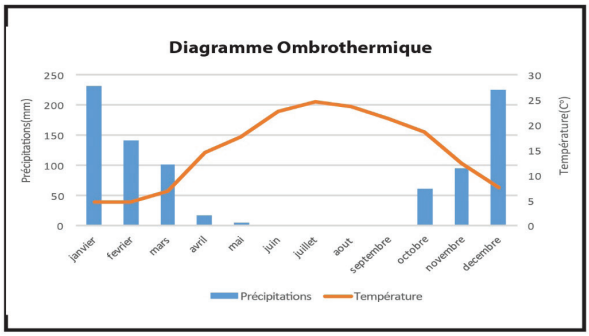

Figure 6: Diagramme Ombrothermique.
(source d'informations de bases : station Tal Amara 2012)

Photo 1: Cryoclastie à Maallaka (source d'informations de bases : travail de l'étudiant)

Également, d'après le traitement des données du formulaire on a eu une idée de la diversité des cultures dans le bassin versant de Berdawni (figure 7), où 71,52 % des terrains agricoles sont cultivés par des arbres fruitiers qui se trouvent dans la zone montagneuse où les types d'érosion sont bien significatifs (60 parcelles agricoles de pentes raides souffrent de l'érosion), tandis que le nombre des parcelles agricoles qui souffrent de l'érosion dans les zones de la plaine est moins significatif, et qui varie entre 22 à 13 terrains agricoles (figure 8).

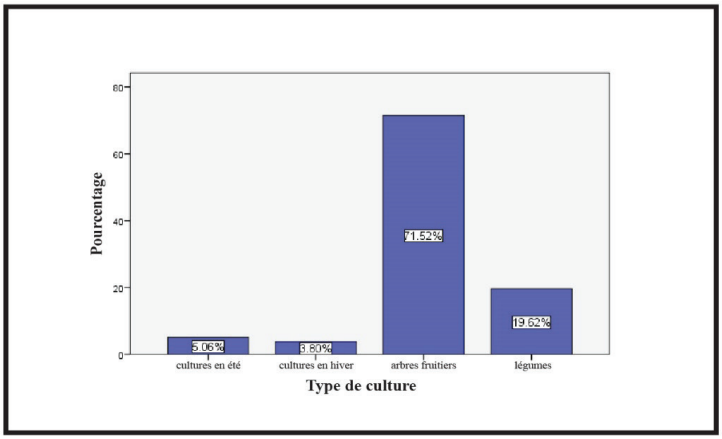

Figure 7: Types de cultures (source d'informations de bases : travail de l'étudiant)

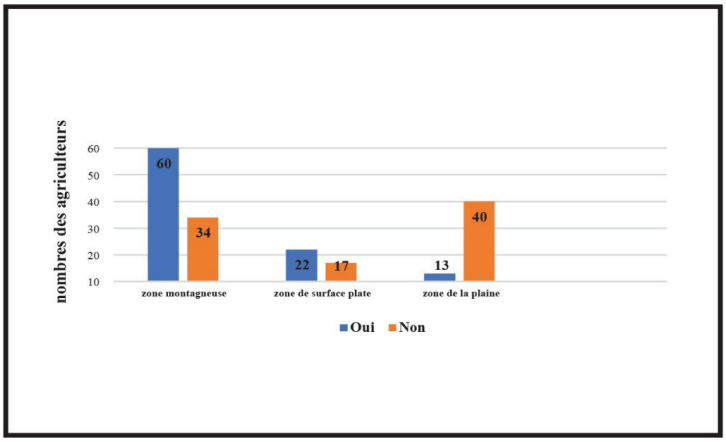

Figure 8: Présence d'érosion selon la nature des terrains agricoles (source d'informations de bases : travail de l'étudiant)

Finalement, d'après la carte topographique (cf. figure 2 : carte des pentes dans le bassin versant de Berdawni), on a classé les trois secteurs du bassin versant: secteur supérieur, secteur moyen et secteur inférieur selon la localisation des types d'érosion dans chaque zone et cela à travers « Google Earth » qui nous a aidé durant notre travail sur le terrain (figure 9).

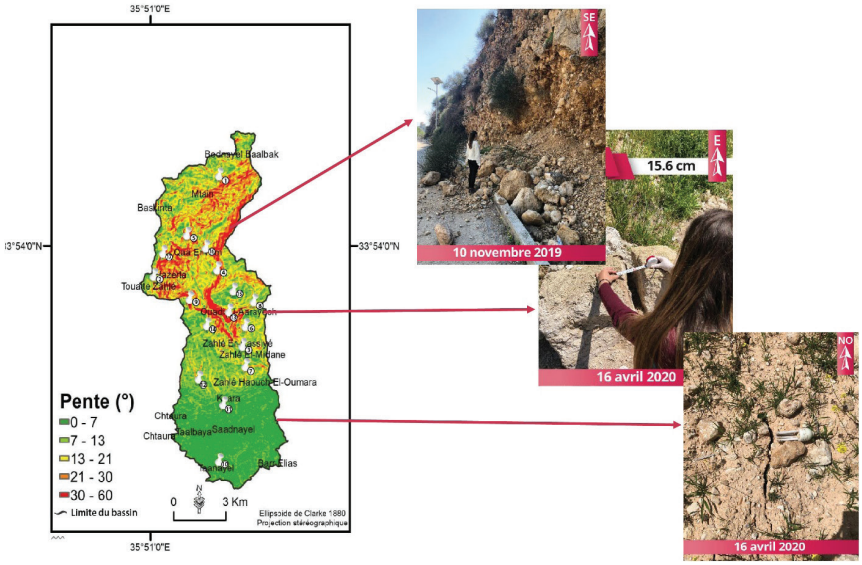

Figure 9: Carte de la localisation des types d'érosion selon les degrés de la pente dans le bassin versant de Berdawni.
(source d'informations de bases : MNT du Liban - travail de l'étudiant)

Par conséquent, Le secteur inférieur ayant un degré de pente allant de 0 à 13 degrés comme à Taanayel et Chtaura, protège le sol contre l'érosion. Ce niveau de pentes faibles, rend ces zones urbaines capables de limiter l'érosion à cause des routes, des bâtiments et des aménagements. Pour cela les types d'érosion qui se trouvent dans cette zone sont les cryoclasties et les rigoles. Tandis que le secteur moyen ayant un degré de pente allant de 13 à 30 degrés est caractérisé par une augmentent de la sensibilité à l'érosion, où les sols reçoivent une plus grande quantité de pluie et n'assurent pas une protection complète contre l'érosion comme la ville de Zahlé. Ici, on trouve diverses formes d'érosion comme les cryoclasties et les affaissements.

Concernant le secteur supérieur dont le degré de pente est plus

grand que 30 degrés, est considéré par une sensibilité forte à l'érosion hydrique, ce qui favorise le ruissellement. Et ici on trouve les formes érosives les plus développées comme les lapiés et les éboulements. Ces régions sont donc à haut risque en cas de construction des bâtiments sur ces pentes raides.

5. Conclusion

Dans cette étude, on a appliqué une méthode analytique qui a contribué à la compréhension et à la détermination des secteurs les plus sensibles à l'érosion hydrique dans le bassin versant de Berdawni en combinant plusieurs facteurs physiques et anthropiques. D'après les visites de terrain, on a détecté les phénomènes d'érosion par excellence (cryoclastie, Rigoles, éboulement…), alors que les cartes élaborées permettent aux décideurs de mieux cibler leurs stratégies d'intervention pour limiter ce phénomène dans le bassin.

Dans cette région, il est devenu nécessaire d'appliquer des solutions contenant des étapes qui peuvent être appliquée pour réduire les risques de ce phénomène érosif. On peut commencer par la construction des terrasses culturales dans les régions des pentes fortes et moyennes dans le but de diminuer la vitesse de l'écoulement durant l'hiver, et donc réduire les mouvements des terrains activés par l'eau à l'intérieur des parcelles. En plus, il est nécessaire de promouvoir les pratiques agricoles les plus adéquates, visant à protéger durablement les ressources du sol (couverture du sol, succession et répartition spatiale des cultures) en tenant compte du contexte socioéconomique dans lequel le secteur de l'agriculture évolue (AUZET, 1987). Par ailleurs, nous devons envisager l'aménagement du territoire, notamment les projets d'urbanisation mais aussi les plans de lutte contre le ruis-

sellement des eaux. Cependant, il faut accroitre la résistance du sol, soit en lui assurant une protection efficace par un couvert végétal au moment où les pluies risquent d'être les plus intenses, soit en adoptant des techniques qui limitent l'ameublissement (cultures sans labour) (AUZET, 1987).

Ces étapes sont besoins des spécialistes pour4 être appliquées. Donc, Pourquoi les autorités ne cherchent pas des spécialistes pour avoir un traitement afin d'atténuer ce danger ?

6. Références bibliographiques :

- AUZET, A., L'érosion des sols cultivés en France sous l'action de ruissellement, (Annales de géographie n°537 sept-oct, 1987) ;
- BLANCHET, G., Le temps au Liban. Approche d'une climatologie synoptique, (Persée, 1980) ;
- COMAIR, F. (2005), La géopolitique de l'eau au Liban. In L'eau, nouvel enjeu géopolitique, (Observatoire d'études géopolitiques, 2005);
- EL HAGE HASSAN, H., CHARBEL, L. et TOUCHART, L. (2018). La quantification de l'érosion hydrique à l'échelle de Kfar Kouk (Liban). Colloque l'eau et l'homme, (UNESCO, Beyrouth, 2018) ;
- EL HAGE HASSAN, H., ARDILIER-CARRAS, F. et CHARBEL, L., Les changements d'occupation des sols dans la Béqaa Ouest (Liban). Le rôle des actions anthropiques., (l'Université Libanaise, Beyrouth, 2019) ;
- KEHDY, N., Les phénomènes de rétroaction dans le système du bassin versant de Berdawni, (Dar Abaad, 2018) ;

- STRAHLER, A., Quantitative Geomorphology of Drainage Basins and Channel Networks. In: Chow, V., Ed., Handbook of Applied Hydrology, (McGraw Hill, New York, 1964);

- TRABOULSI M., La saison pluvieuse au Proche-Orient:une tendance au raccourcissement. Climatologie, Revue de l'Association Internationale de Climatologie, Vol 9, 9-29, 2012 ;

باب التربية وعلم النفس

1- الأنماط القيادية السائدة لدى مديري مدارس المرحلة المتوسطة بمنطقة حولي التعليمية بدولة الكويت وعلاقتها بالولاء التنظيمي لمعلميهم من وجهة نظرهم

بقلم الدكتورة فاطمة حمزة عباس المطوع

باب التاريخ

1- الغزو الثقافي للمجتمع العربي وكيف تعاملت وسائل الاعلام معه.

بقلم الدكتورة نضال سليمان الإمام

2- التنوع البشري: الأنواع والمخاطر

بقلم الأستاذ الدكتور وليد انطون الشوملي

3- الهوية اللبنانية والانقسامات السياسية 1920–2020

بقلم الدكتور حسن ابراهيم

4- دور الاخوان المسلمين في حركة المعارضة اليمنية 1947-1929 الجزء الأول

بقلم المدرس المساعد وجدان كارون فريح

باب الإعلام

1- دور الإعلام الكردي في تطوير العلاقات العربية –الكردية بين (القومية والعولمة)

بقلم د.خالد ممدوح العزي .

2- سياسة استقطاب الوفود الاعلامية والفنية العربية الى العراق ودورها في فضح الفكر الارهابي المنحرف لتنظيم داعش

بقلم كل من الباحثين د. عماد مطير الشمري

والباحثة سجى لعيبي كاظم

باب العلوم الاجتماعية والفلسفة

1- مستقبل الإنسانية زمن الكورونا

بقلم الدكتورة الباحثة ريم منصور

باب النقد والأدب

1- الأبعاد الدلالية للمكان وربطها بالشخصيات في روايتي «بيروت لا تغفر» و «حي الأميركان»

بقلم الدكتور علي سعيد أيّوب

2- فن الوصف عند الشيخ عبد الله بن فودي

(دراسة فنية موضوعية)

بقلم الدكتور أبُو سليمانُو

3- نموذج المكار في الأدب الخرافي بين شوقي ولافونتين

بقلم الدكتور ادريس باكاري

باب الأبحاث باللغات الأجنبية

1-بحوث قدمت باللغة الفرنسية:

1- Le français sur objectif spécifique (FOS) La Formation du personnel hôtelier d'une entreprise touristique libyenne

M. Mahmoud Omar Ibrahim Hmouda

2- L'érosion dans le bassin versant de Berdawni

Tonia Tanios Ghanem

Dr. Naji Joseph Kehdy

جديدنا
ادخال مجلة وميض الفكر للبحوث إلى معامل التأثير العربي ونيلها الأرقام (Ref.No:2020J1010)،
وكذلك نالت رقم الـ (DOI:1018756/2020J101) .
كما تم فهرستها في مؤسسة الكشاف العربي للإستشهادات المرجعية تحت رقم: code ARCI-2007-1110

ISSN 2618-1312